



مجلة العلوم الإنسانية والعلمية والإجتماعية

مجلة دورية نصف سنوية محكمة

تصدر عن كلية الآداب والعلوم قصر الأخيار - جامعة المرقب

العدد الثاني ديسمبر 2016

المراسلات

بريد إلكتروني: may70n@yahoo.com

هاتف: 00218-916224082

هيئة التحرير

رئيساً	د. امحمد عطية الحامدي
عضواً	د. الدوكالي المبروك ابو جناح
عضواً	د. مديحة رجب الشاوش

اللجنة الاستشارية

جمعية الدعوة الاسلامية	د. الصادق المبروك الصادق
جامعة طرابلس	د. عبدالله سالم مليطان
جامعة طرابلس	د. حميدة ميلاد ابورونية
جامعة طرابلس	د. ابوراوي محمد الجرنازي
جامعة المرقب	د. ابراهيم عبدالله سلطان

المراجعة اللغوية

د. ابو عجيبة رمضان عويلي أ. يوسف دخيل علي

أ. عصام علي عواج

مدير التحرير

أ. أحمد عياد المنتصري

التصميم والإخراج

أ. نورس كاظم يوسف أ. أحمد عياد المنتصري



لا يسمح باعادة اصدار محتويات المجلة أو نقلها أو نسخها بأي شكل من الاشكال دون

موافقة رئيس التحرير

إن كافة البحوث تعبر عن وجهة نظر أصحابها ، و لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو الكلية

جميع الحقوق محفوظة

قواعد النشر

حرصاً من هيئة التحرير على استخدام الأسلوب العلمي في كتابة البحوث والدراسات المراد نشرها، ينبغي اتباع القواعد التالية :

الغلاف ينبغي ان يحتوى على العنوان واسم الباحث (الباحثين) ، والدرجة العلمية وجهة العمل ، والدولة ، والبريد الالكتروني ، وسنة النشر .

المتن يشتمل على ملخص للبحث (عربي - انجليزي) بعكس لغة البحث لا يتجاوز ورقة واحدة.

تخضع البحوث المقدمة للنشر للتحكيم العلمي ، ولهيئة التحرير ان تطلب من المؤلف بناء على اقتراح المحكمين بإجراء التعديلات المطلوبة على البحث قبل الموافقة على نشره .

ضوابط ومواصفات البحوث المقدمة للنشر

1. ان يكون البحث او الدراسة ضمن الموضوعات التي تختص بها المجلة .
2. إلا يكون البحث قد سبق نشره في احدي المجالات او مستل من اطروحة علمية او يكون الباحث قد تناوله بعنوان اخر في وسيلة نشر اخرى ويوثق ذلك بتعهد خطي بهذا الخصوص .
3. فيما يخص البحوث العربية تكتب هوامش البحث وقائمة المراجع وفق دليل جمعية علم النفس الاميريكية (APA) American Psychological Association الطبعة الخامسة بالنسبة للبحوث العربية وتكون الطباعة على وجه واحد على ورق (A4) بخط (Traditional Arabic) بحجم (14) للنص مع ترك مسافة 1 بين السطور وتكون الهوامش 2.5 سم و مع ترك هامش 3 سم من جهة التجليد ،
4. فيما يخص البحوث باللغة الإنجليزية تكتب وفق نظام (MLA) Modern Language Association بحجم خط (12) بخط (Times New Roman) مع ترك مسافة 1 بين السطور مع وجود ملخص باللغة العربية في بداية البحث بحيث لا تزيد صفحات البحث 17 صفحة ي يكون التوثيق داخل المتن (اللقب ، السنة ، الصفحة) .

5. عنوان البحث يجب ان يكون مختصرا قدر الامكان وان يعبر عن هدف البحث بوضوح ويتبع المنهجية العلمية من حيث التناول والإحاطة بأسلوب بحثي علمي ، وان لا تزيد ورقات البحث عن 25 صفحة بما في ذلك صفحات الجداول والصور والرسومات وغيرها .
6. يجب على الباحث التقييد بأصول البحث العلمي وقواعده من حيث اسلوب العرض والمصطلحات وتوثيق المصادر والمراجع في اخر البحث ، وهو المسئول بالكامل عن صحة النقل من المصادر والمراجع المستخدمة ، وهيئة التحرير غير مسئولة عن اية نقل خاطي (سراقات ادبية وعلمية) قد تحدث في تلك البحوث .
7. البحوث المقدمة للمجلة تخضع للتقييم من قبل متخصصين بشكل يضمن التقييم العلمي ، ويتطلب من الباحث مراعاة سلامة بحثه من الاخطاء اللغوية والإملائية .
8. تلتزم المجلة بإشعار الباحث بقبول بحثه ان كان مقبولا للنشر او قابلا للتعديل بعد التقييم على ان يرسل الباحث اذا قبل بحثه سيرة ذاتية (CV) مختصر قدر الامكان يتضمن الاسم الثلاثي - والدرجة العلمية - والجامعة والكلية والقسم - واهم المؤلفات او وجدت - البريد الالكتروني - والهاتف .
9. البحوث المقدمة للمجلة لأتعاد لأصحابها سواء نشرت او لم تنشر ، وهي تعبر عن رأي اصحابها فهم المسئولين عنها أدبيا وقانونيا ولا يمثل بالضرورة رأي المجلة .
10. المجلة تنشر كل ما يتعلق بالمجال العلمي والبحثي وما يتعلق بالمؤتمرات والندوات والأنشطة الاكاديمية وملخصات الرسائل العلمية ونقد الكتب على ان لا تزيد عن خمس صفحات مطبوعة
11. اشعار الباحث بقبول بحثه وإرجاعه للتصحيح او الاضافة او التعديل ان يقوم بتزويد المجلة بنسخة من البحث في صورته النهائية على قرص مدمج (CD) .
12. تعتبر البحوث قابلة للنشر من حيث صدور خطاب صلاحية النشر وتحال الى الدور بانتظار الطبع حسب اولوية الدور وزخم الابحاث المحالة للنشر .
13. يزود الباحث بنسخة من اعداد المجلة التي نشر بها بحثه .

هيئة تحرير المجلة

افتتاحية العدد

باسم الله المولى الاجل سبحانه له الحمد في الاولي والاخرة ، نستفتح بالذي هو خير ،
ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ، والصلاة والسلام على خير البرية سيدنا وحبيبنا
محمد بن عبد الله وبعد ...

المنهجية والبحث والنشر العلمي بات تحديا مطلوب لكثير من الباحثين ، فمع ازدياد
وكثرة المجالات العلمية المحكمة وتعدد مجالات وشروط قبولها ومجالات البحث وطبيعته ،
بالإضافة الى عوامل اخري عديدة مثل تكلفة النشر والبحث عن المجلة المناسبة للنشر فيها ،
والجهد العلمي المراد نشره ، كل تلك الامور مواضيع ومجالات لا بد على أي باحث جاد ان
يخوضها وأن يتعامل معها بشكل جيد ، ثم تأتي المرحلة الثانية فيما يتعلق بذلك المنتج العلمي
الذي يعتبر جزاء مهما من حياة أي باحث ، فقد تطورت عملية النشر العلمي واصبحت اكثر
فاعلية للنشر المعرفة وايصال المعلومة المطلوبة والتواصل بين الباحثين والمراكز والجامعات ،
عليه كان لا بد من تحديد مجالات البحث ومجالات النشر والتخصص بغية ان يكون اوسع واعم ،
ثم يأتي وضع اجراءات للتعامل مع الكم المقدم من البحوث التي تقدم لتلك الاصدارات البحثية ،
بغية اولا الحصول بحوث في ذات التخصص المطلوب ، وثانيا تكون من الجودة والتميز البعيد
عن التكرار أو عدم الفائدة ، فهي في نهاية الامر جهد علمي تخصصي في مجاله بما يقدمه من
معلومة أو فكرة .

لكننا لا بد انم نشير الى انه بالرغم من كل تلك النجاحات التي حققها التقدم العلمي في
مجال النشر البحثي في العلوم العلمية المختلفة من خلال الاصدارات (الورقي - و الالكتروني)
بالقدر الذي ما يتعرض له النشر العلمي من هجمة شرسة تهز الثقة في نتائجها وخاصة مع تزايد
النشر الوهمي بغية الاسراع في الترقية العلمية أو الحصول على سيرة علمية ، لكن الامانة وشفافية

وحرص الباحثين والعلماء المميزين الواثقين من جهودهم يمكننا القضاء والتقليل على الاقل من هذه القرصنة العلمية التي بكل أسف انتقلت الى محراب العلم .

وفي مسعى من هيئة التحرير واعتبارنا من اصدارها الاول الورقي سعت الى ان يكون كذلك الاصدار الالكتروني بحيث تكون متاحة للباحثين والقراء من خلال موقع المجلة على البوابة الالكترونية للجامعة المرقب وهذا والحمد الله قد تحقق ..

ختاما نامل ان تحقق هذه الدورية الهدف الذي نرجوه ونطمح اليه في سبيل الرقى العلمي والبحثي للوصول الى أسمى مراتب التميز والجودة وخدمة المجتمع والامة ، يسرنا ان نجدد الدعوة لجميع الباحثين والباحثات لنشر منجزهم العلمي في هذه المجلة ، املين التوفيق والسداد للجميع .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .

رئيس هيئة تحرير المجلة

محتويات العدد

ت	عنوان البحث	رقم الصفحة
1	منير خليل برشان - دراسة تاريخية في تجربته الشخصية ودوره في الجمعية التأسيسية ولجنة الدستور 1893م - 1951م د. عمر رمضان حمودة	1
2	إيلاف قريش وأثره على العلاقات الخارجية في المجتمع المكي" سياسياً ، اقتصادياً ، اجتماعياً " أ. عبد الحكيم عاشور ميلاد الشعافي	16
3	نهر الكفرة الجوفي - حقيقته وأهميته العلمية والاقتصادية أ. محمد احمد علي الكف	42
4	دور الجانب التعليمي في اثراء الحياة الاجتماعية بولاية طرابلس الغرب أثناء الحكم العثماني الثاني د. امحمد عطية محمد يحي	59
5	إتجاهات النمو الحضري لمدينة ترمونة ، ليبيا , المشكلة والحل د. المختار أحمد أحمد غيث	90
6	النبات الطبيعي (سيدي عمير - قصر اخيار - غنيمه) نموذجاً أ. علي محمد نجاح	109
7	دراسة ديدان البلهارسيا بأحواض عين تاورغاء د. الطاهر عبدالواحد الجهيمي أ. صالح محمد بيكي	146

159	زراعة الزيتون في شمال إفريقيا خلال العصر الروماني أ. حميدة عوادات القمطي	8
179	مسميات علم العقيدة حتى بداية القرن الخامس الهجري د. إبراهيم عبد الله سلطان	9
207	الصمود النفسي والخلافات الزوجية "عينة من الليبيات المتواجدات بمصر" د. زهرة سالم على قشقش	10
230	ضغوط العمل في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ د. عيسى أحمد إمام أبو عجيبة أ. عبد المنعم ناجم أمحمد	11
252	بلاغَةُ الْعُدُولِ فِي التَّعْيِيرِ الْقُرْآنِيِّ (سُورَةُ الضُّحَى نُمُودَجًا) د. علاء الدين محمد الأسطى	12
272	مؤتمر سرت 21-1-1922م د. الصادق أمحمد السنوسي	13
307	الانتماء التنظيمي عند العاملين في صناعة الأسمنت دراسة ميدانية على عينة من العاملين بمصنع أسمنت زليتن (الشركة العربية للأسمنت) د. عبد المنعم محمد الغويل د. محمود أحمد الكبير	14
s.n	Title	Page
15	Electrical and Magnetic properties Comparison between LCMO and LSMO system Ramadan E. Shaiboub	1

16	The agricultural activities in Libya during the second Era of Ottmanians (1835-1911AD) Ali A.Abdussalam Jamaa	14
17	Why Many People Wish To Use Public Transport System A Case Study in Tripoli-Libya Adel Ettaieb Elmloshi	34
18	Genetic Markers For Healthy Milk Production Ashraf M. Ward - Tarek M. Elgusbi	58
19	Involvement of HIF-1 &HIF-2 in the hypoxic induction of VEGF and MMP-7 genes Laila Elbarghati Lubna Azzouz	71
20	Analgesic Effects Of Libyan Fresh Pomegranate Fruit Of Punica Granatum Lamees BenSaad, Kim Kah Hwi, Mabruka Elashheb, Najat Saeed, Samia Hassan, Fatma Benrabha	96
21	Semantic Repetition in Translating between Arabic and English Mohammed A AL Sharif	115
22	A New Cmos Design And Analysis Of Current Conveyor Second Generation (Ccii) Mahmoud Ahmed Shaktour Alaa Yousef Okasha	124
23	Accelerating the Modified Picard Iteration By Using Green's Function Approach Mufeedah Maamar Salih Ahmed	139

منير خليل برشان

دراسة تاريخية في تجربته الشخصية ودوره في الجمعية التأسيسية ولجنة الدستور 1893م – 1951م

د. عمر رمضان حمودة

كلية الآداب والعلوم قصر الاخيار / جامعة المرقب

omrhamoda70@gmail.com

الملخص

تختص هذه الدراسة التاريخية بأحد الرجال الوطنيين ، الذين كان لهم حضوراً متميزاً في تاريخ ليبيا وهو "منير برشان" ، تبدأ هذه الدراسة بمقدمة يعرض فيها موضوعها ، ويتساءل الباحث عن سبب الاهتمام التي حظيت به الشخصيات القيادية التي قاومت الغزو الإيطالي ، حيث لم تحظي الشخصيات الوطنية الذي اختارت العمل السياسي دون حمل السلاح نفس الاهتمام ، وحتى هذه الأخيرة ورغم محدودية الاهتمام ببعضهم إلا أن بعضهم الآخر لم يتم الالتفات إليه كلية ، ومن هؤلاء " منير برشان " موضوع هذه الدراسة .

ثم يحاول الباحث توضيح أسباب إهمال هذه الشخصية علمياً طيلة المرحلة الجماهيرية التي بدأت مع الأول من سبتمبر 1969م ، رغم الاهتمام بشخصيات أخرى في هذه المرحلة ، ويسترسل الباحث في التعريف بسبب اختياره لهذا الموضوع وأهميته ويوضح المنهج الذي اعتمد عليه في هذه الدراسة ، والصعوبات التي واجهته لتغطية تجربة هذه الشخصية الوطنية ، وقد قسم الباحث هذه الدراسة إلى مبحثين اثنين: -

المبحث الأول: التكوين والتجربة الشخصية.

يحتوي هذا المبحث على تعريف مفصل بالشخصية وأصوله الاجتماعية والعرقية ، ودرسته منذ طفولته وحتى تخرجه ضابطاً من تركيا ، والحروب التي خاضها خارج ليبيا ، ثم عمله صحفياً ومعلماً ومفتشاً في عهد الإدارة البريطانية ، واللغات التي يجيدها ، ثم المناصب التي تقلدها حتى اختياره عضواً في الجمعية التأسيسية الليبية عن طرابلس ، وحتى وصوله إلى منصب السكرتير العام للشؤون البرلمانية برئاسة الوزراء.

المبحث الثاني: دوره في الجمعية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور

ويحتوي هذه المبحث على مداخلاته واقتراحاته في اجتماعات الجمعية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور، وتفاصيل هذه الاقتراحات التي كان لها تأثير واضح في تاريخ ليبيا طيلة الفترة الملكية، أي حتى عام 1969م، ويختم الباحث دراسته بخاتمة تحتوي على مجموعة من الاستنتاجات والنتائج، ثم قائمة بمصادر ومراجع هذه الدراسة.

كلمات مفتاحية

جمعية وطنية تأسيسية، لجنة دستور، منير برشان، مقترح.

المقدمة:

شهدت مرحلة النضال الوطني في ليبيا في فترة الاستعمار الإيطالي، وعهد الإدارة البريطانية، بروز العديد من الشخصيات الوطنية الفاعلة، وقد حظيت هذه الشخصيات باهتمام متفاوت من الباحثين المختصين، فكان النقيب الأكبر للزعامات والقيادات التي برزت في مقاومة الغزو الإيطالي عسكرياً، وقبلهم الذين خرجوا عن الحكم العثماني، وكان النقيب الأقل من الاهتمام بالشخصيات الوطنية التي اختارت العمل السياسي وطنياً. وهؤلاء أيضاً لم يحظوا بنفس الدرجة من الاهتمام، بل منهم من لم تتم الإشارة إليه إلا نادراً رغم أنه لعب أهم الأدوار وطنياً، ومن هؤلاء الشخصية التي خصصت لها هذه الدراسة وهو السيد «منير برشان»، في الفترة منذ مولده عام 1894م - 1951م، وحتى الانتهاء من عمله في الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها، وكان الباحث يأمل أن تمتد هذه الدراسة حتى تاريخ وفاته عام 1965م إلا أن ندرة الوثائق والمصادر العربية والأجنبية التي تحدثت عنه كانت السبب في توقف حصر هذه الدراسة إلى عام 1951م، فالوثائق الخاصة بالمرحلة الملكية لم تكن في المتناول فيما قبل 2011م، أما بعد هذا التاريخ فلازال التعامل معها محدوداً فيما صُنف منها في أرشيف مركز المحفوظات التاريخية، وخاصة أنه لم يصنف إلا القليل قياساً بالكم الذي يفترض أن تكون الفترة التي امتدت ثمانية عشر عاماً قد تركته، وسيعمل الباحث على إعداد دراسة أخرى مستقبلاً تعني بدور «منير برشان» في بناء المملكة الليبية المتحدة، عندما ينتهي تصنيف وثائق الفترة بعون الله.

ويُخمن الباحث أن سبب إهمال شخصية كبيرة ومهمة وطنياً كالسيد "منير برشان" يمكن أن ترجع إلى طبيعة علاقة الأنظمة السياسية بهذه الشخصية تحديداً , سواء وهو على قيد الحياة أو بعد وفاته وبالنسبة للنظام الملكي , فالمعني أحد رجالاته الذين ساهموا مساهمة فعالة في ولادته وتثبيت دعائمه من خلال تقلده لعدد من المناصب ولعبه لكثير من الأدوار التي سيأتي ذكرها في حينها , فإن الفترة التي تلت وفاته ليست أكثر من أربع سنوات , سقط بعدها هذا النظام وهي فترة قصيرة لا تمكننا من القول إنه لم يحظَ بالاهتمام المناسب من الباحثين والدارسين خلالها , إضافة إلى أن الجامعة الليبية كانت حديثة التأسيس وتفتقر إلى الأساتذة من العنصر الوطني , بل إن حاملي الشهادات الجامعية عندما ولدت الدولة الليبية الناشئة لم يتجاوز عددهم الستة عشر جامعياً , حسب شهادة أول سفير أمريكي في البلاد. (فيلاز 2013 , ص7).

أما في فترة النظام الجماهيري , الذي بدأ مع الأول من سبتمبر 1969م , فيمكن القول بوثوق أن هذه الشخصية موضوع الدراسة لم تحظَ بالاهتمام الذي يليق بها وبدورها الوطني , ويمكن إرجاع ذلك في وجهة نظر الباحث إلى الأسباب التالية :

- 1- التوجه القومي العروبي للنظام الجماهيري.
- 2- موقف العداء الذي اتخذته هذا النظام من الشخصيات السياسية المحسوبة على النظام الملكي , والدستوريين منهم على وجه الخصوص .
- 3- انحياز النظام إلى القيادات والزعامات التي قاتلت الاتراك العثمانيين والإيطاليين عسكرياً.
- 4- موقف العداء الذي اتخذته النظام من الأعيان والوجهاء خاصة الذين ينحدرون من أصول غير عربية عرقياً , وعائلة ((برشان)) من ضمنهم , أما غير الأعيان من نفس الأصول , فلم يناسبهم النظام العداء , بل لعبوا أدواراً وتقلدوا مناصب .

سبب اختيار الموضوع و أهميته.

يرجع سبب اختيار الباحث لهذا الموضوع وأهميته لعدم وجود دراسة علمية عن هذه الشخصية , إضافة إلى تميزها العلمي وطبيعة الدور الذي قامت به و وخاصة في الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة صياغة الدستور وتحديد طلب المعنى تحديد صلاحيات الملك " محمد إدريس السنوسي " دستورياً* .

منهج الدراسة:-

المنهج التاريخي الوصفي المقترن بالتحليل.

الصعوبات التي واجهت الباحث.

يمكن حصر الصعوبات التي واجهت الباحث في ندرة المعلومات المتاحة عن هذه الشخصية , إضافة إلى وفاة ابنه (أحمد) الذي يملك أكبر قدر من المعلومات عن والده , وذلك راجع لطبيعته الشخصية حسب رأي شقيقه (نجم الدين) وأيضاً عمله في السلك الدبلوماسي وكيلاً لوزارة الخارجية في فترة ما . ناهيك عن تحفظ أقارب المعني الآخرين عن الإدلاء بأي معلومات للباحث , بل إن بعضهم رفض المقابلة عندما علم بأن الهدف هو إعداد دراسة عن "منير برشان" .

وقد قسم الباحث هذه الدراسة إلى مبحثين اثنين: -

المبحث الأول :-

التكوين والتجربة الشخصية

المبحث الثاني :-

دوره في الجمعية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور

ثم خاتمة أوجز فيها الباحث نتائج هذه الدراسة , وتليها قائمة بالمصادر والمراجع المستخدمة .

المبحث الأول :

* وجب التنبيه , ومن باب الأمانة العلمية أن الأستاذ الكاتب (4) والناقد "أمين مازن" هو من نبه الباحث إلى طلب السيد

التكوين والتجربة الشخصية .

ولد "منير برشان" في غريان عام 1894م (صحيفة طرابلس الغرب , 1965, ص2) ، وتنحدر أصوله من الأناضول , فجدّه الأول في ليبيا " سليمان" كان ضابط مسؤولاً عن المهمات والمخازن في غريان , وتسمى البلدة التي انحدر منها هذا الجد "بلدة طاواس" أحد ولايات الأناضول , وكان مجيئه إلى ولاية طرابلس الغرب عام 1800م , وتزوج من امرأة اسمها "اقميرة" من "أولاد سمير" من قبيلة "نغسات" . أما والدته السيدة "منير برشان" فهي السيدة "فاطمة محمد صقر الشريدي" (لقاء أجراه الباحث مع نجل السيد منير برشان 2014) (فيلار , ص.87)

وقد بدأ دراسته الأولى في مسقط رأسه بغريان , ثم انتقل إلى طرابلس والتحق بالمدرسة الرشدية (ورقة مطبوعة متوجه وصورة فوتوغرافية للسيد منير برشان 2014) , وفي عام 1911م سافر إلى تركيا والتحق بالكلية الحربية , ومنها تخرج ضابطاً , كما تلقى تعليماً عسكرياً في ألمانيا وشارك في حرب الدردنيل , ومعارك البلقان , وعدة جبهات أخرى في منطقة الشرق الأوسط (صحيفة 1965) .

وقد تم أسره من طرف السلطات الاستعمارية في سوريا وعذب تعذيباً شديداً , وعاد بعدها إلى ليبيا على متن غواصة تركية (صحيفة طرابلس الغرب , 1965, ص2) , وبعد رجوعه بدأ حياته الصحفية , حيث عمل في صحيفة العدل محرراً. (المصراحي , 2000 , ص.244) , وكذلك بصحيفة "اللواء الطرابلسي" لسان حال الحكومة الوطنية , ثم دخل سلك التعليم , فكان من رجال التعليم الأوائل عند تأسيس المدارس الابتدائية الإيطالية العربية وكان مدرساً في أول مدرسة ثانوية عربية , وهي المدرسة الإسلامية العليا (ورقة مطبوعة متوجه, مصدر سابق) (القرمانلي , 1982, ص.354) والتي كان التعليم بها في مستوى الأزهر والزيتونة (الثابت, 1983, ص.263) , وكان من زملاء السيد "منير برشان" في هذه المدرسة كلاً من : إسماعيل كمالي , مصطفى القلاي , علي سيالة , عمر الباروني (لقاء أجراه الباحث مع د . عبد الكريم أبو شويرب , 2014) , وفي الفترة ما بين سنة 1930م – 1933م , التحق بجامعة "بيروجيا" الإيطالية وتحصل منها على شهادة عالية في الأدب وتاريخ الفن الإيطالي (صحيفة طرابلس الغرب , 1965, ص2).

كما كان يجيد سبع لغات هي : الإنجليزية و الفرنسية , الألمانية , الفارسية , التركية , الإيطالية (نيويورك تايمز, 1952م) ، كما تمكن من الإلمام الجيد باللغة الروسية عندما كان سكرتيراً عاماً للبرلمان الليبي ، حيث زاره السفير الروسي بمكتبه بمقر البرلمان الليبي (صحيفة طرابلس الغرب ، 1965، ص2)، وكلف سكرتيه وزوجته بتعليم ” منير برشان“ اللغة الروسية . (لقاء أجراه الباحث بنجل السيد منير برشان) ومع بداية عهد الإدارة العسكرية البريطانية سنة 1943م عين مفتشاً بإدارة المعارف للمنطقة الوسطى (سواني بن آدم / وازن) والمنطقة الغربية (جنزور / العسة) ثم عين سنة 1946م رئيساً لتحرير صحيفة ”طرابلس الغرب“ (ورقة مطبوعة متوجه وصورة فوتوغرافية للسيد ((منير برشان)) 2014) .

وكان أول رئيس تحرير ليبي للصحيفة المذكورة ، وامتازت كتاباته فيها بالمتانة وعمق التحليل (صحيفة طرابلس الغرب ، 1959) ، وفي عام 1958م عهد إليه أن يكون أول عميد لكلية العلوم بالجامعة الليبية بطرابلس ، وقد زاره في منصبه هذا وزير المعارف ”أبوبكر أبو نعامة“ زيارة تفقدية (صحيفة طرابلس الغرب ، 1959)، كما ترأس الوفد الليبي في المؤتمر الأول للجان الوطنية العربية التابعة لمنظمة ”اليونسكو“ الذي عقد في ”فاس“ المغربية وزار الملك ”محمد الخامس“ في قصره الذي استقبله وأهداه صورة له موهورة بتوقيعه . (صحيفة طرابلس الغرب ، 1959).

أيضاً فإن السيد ” منير برشان“ هو أحد الشخصيات المرخص لها من المستشار القضائي للعمل بالحمامة والمرافعة أمام المحاكم العسكرية البريطانية في القطر الطرابلسي ، حيث ورد اسمه في المنشور الصادر العام رقم (533) والقاضي بترخيص محامين (جريدة طرابلس الرسمية، 1949 ، ص6) ، وقد اختاره الشيخ ” محمد أبو الاسعاد العالم “ كأحد أعضاء الجمعية التأسيسية الليبية عن طرابلس” (المقريف 2004، ص.55) ، كما انتخب مقررًا للجنة الدستور ، وكان ضمن اللجنة المكلفة بدراسة الدساتير الفيدرالية في العالم ، لانتقاء ما يصلح منها لليبيا (محاضر لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ، ولجنة الدستور المنبثقة عنها سنة 70-1371هـ ، محضر الجلسة (1) 6 ديسمبر 1950 ، ص153) ، وأسس السكرتارية العامة لمجلس الأمة وكان أول سكرتير عام للبرلمان بشقيه الشيوخ والنواب ، ثم شغل منصب السكرتير العام للشؤون البرلمانية برئاسة الوزراء (لقاء أجراه الباحث بنجل السيد) .

وقد استضافه الكونغرس الأمريكي ، بصفته أول سكرتير للبرلمان الليبي والقي عدة محاضرات أثناء تجواله بالولايات المتحدة الأمريكية ، معرّفاً بوطنه ، وتمّ منحه الوطنية الشرفية لمدينة واشنطن ، والمفتاح الرمزي لها وغطت الصحف الأمريكية تنقلاته وحواراته ولقاءاته بالشخصيات المختلفة (راجع كلاً من الصحف الآتية ، صحيفة نيويورك تايمز ، 1952 ؛ صحيفة نيوهافين ، 1952م ؛ صحيفة يوفالوكورير اكسبريس ، 1952 ؛ صحيفة هارتفورد تايمز 1952م ؛ صحيفة ريفورد تايمز 1952م؛ صحيفة شاينيريس ، 1952م) ، علماً بأن المعني قد سافر إلى الولايات المتحدة في منحة ((قائد)) ضمن مشروع النقطة الرابعة ((مشروع ترومان)) وذلك لدراسة الشؤون الدستورية، وعندما رجع سخر تجربته للتطوير من قدرات النواب الليبيين ومهاراتهم الدستورية (فيلاز ، 2013 ، ص 7) ، عبر دوره في الجمعية التأسيسية الليبية ولجانها وعلى رأسها لجنة الدستور .

المبحث الثاني :

دوره في الجمعية التأسيسية ولجنة الدستور :

بدأت الجمعية الوطنية التأسيسية في اجتماعاتها اعتباراً من جلستها الأولى المؤرخة في يوم السبت الموافق 25 سبتمبر 1950م ، ولم يتغيب السيد ” منير برشان“ عن حضور الجلسات إلا مرة واحدة ، وهي الجلسة رقم (36) المؤرخة يوم الاثنين الموافق 22 أكتوبر 1951م (مجموعة محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ، ولجنة الدستور المنبثقة عنها ، ص 126) (محمود ، 1962 ، ص 260) ، وقد كان السيد ” منير برشان“ عضواً عن طرابلس في اللجنة الخاصة المكلفة بوضع اللائحة الداخلية للجمعية ، واتخذت هذه اللجنة من مكتب هيئة الأمم المتحدة بالفندق الكبير ((قراند هوتيل)) مقراً لها (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ، ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1950، ص 4) ، وأوضح السيد ” منير برشان“ أن زيادة قد حصلت في مواد اللائحة الداخلية على ما تم تقديمه سابقاً فأصبح عدد المواد ثلاث وأربعين مادة (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ، ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1950، ص 6)، واقترح أن يضم الدستور مادة تنص على أن من حق البرلمان الليبي تعديل أي مادة من بنوده (المصدر نفسه ، نفس الصفحة) ، كما طرح وجهة نظره بخصوص تولي أحد الوكيلين الرئاسة إذا تغيب الرئيس ، وأن يكون اجتماع الجمعية قانونياً إذا حضر ثلاث أرباع الأعضاء ، ولكن بشرط أن يمثل الحاضرين الأقاليم الثلاثة (المصدر نفسه ، نفس الصفحة).

أما اقتراحه بخصوص الأصوات فقد كان أن يكون لكل عضو صوت واحد بما فيهم الرئيس (المصدر نفسه , ص.7). وعندما فرغت الجمعية من إقرار اللائحة الداخلية اقترح وضع جدول أعمال , وكذلك الموافقة على ملكية سمو الأمير "محمد إدريس السنوسي" في الدستور (المصدر نفسه , ص.8,9) , وفيما يتعلق بنظام الحكم كان السيد " منير برشان" أول من أكد أن يكون اتحادياً فيدرالياً وعادلاً (المصدر نفسه , ص.9).

وذلك استناداً على القانون الأساسي الذي سنته الجمعية الوطنية والقاضي بأن تكون ليبيا دولة اتحادية قبل اتخاذ أي خطوة في وضع الدستور (خدوري , ص.193) (محمود أحمد أبوصرة , 2013م, ص.193) , وقررت الجمعية ذلك مع مبايعة الأمير "محمد إدريس السنوسي" ملكاً وهي البيعة التي تمت يوم 2 ديسمبر 1950م (حكيم , 1970 , ص.79). والسيد "منير برشان" هو الذي اقترح على الجمعية التأسيسية الليبية إرسال رسالة إلى جلالة الملك لإبلاغه بقرارات الجمعية وهي :-

أولاً : أن تكون ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة , وأن يكون شكل الحكم فيها اتحادياً فيدرالياً عادلاً.

ثانياً : أن تكون الحكومة ملكية دستورية , ديمقراطية , نيابية , تحت تاج الملك " محمد إدريس المهدي السنوسي"

ثالثاً : أن ترفع الجمعية إلى جلالة الملك قرارها التاريخي , وتعتبره ملكاً شرعياً على ليبيا منذ الآن (مجموعة محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1950م , ص.10) , (الشنيطي , 1951م , ص.348 , 349) , ولم يكتفِ السيد " منير برشان" بأن يطلب وضع اختصاص للحكومة الاتحادية , بل طلب تحديد اختصاص للملك أيضاً , أي تحديد صلاحيات دستورية للملك , وأن يؤخذ رأي الجمعية التأسيسية الليبية قبل تشكيل الحكومة الاتحادية , لا أن تترك الجمعية في الظلام مثلما حدث في الحكومات المحلية (مجموعة محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1951م , ص.46.48) (المقريف 2008 , ص.97) (زيادة , 2002, ص.358).

وتواصل اسهامات السيد " منير برشان" بشكل متتابع في الجمعية التأسيسية الليبية ليقف على قضايا غاية في الأهمية في دلالة على سعد حصيلته القانونية والدستورية , وإلمامه بتاريخ ليبيا و جغرافيتها وتركيبها السكانية , و ها هو يطلب إضافة بندان إلى جدول الأعمال هما:

تحديد شكل العلم الليبي , وإرسال وفد من الجمعية إلى الملك ((محمد إدريس السنوسي)) ليرفع إليه قرار الجمعية بإعلانه ملكاً (مجموعة محاضر الجمعية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها, 1951, ص.12) , ورد الملك على رسالة الجمعية برسالة أعرب فيها عن استعداده لقبول دعوة الجمعية ليكون ملكاً على ليبيا , ولكنه يؤثر تأجيل المناذاة به ملكاً بصفة رسمية إلى ما بعد وصول الخطوات السياسية , والإدارية والدستورية إلى المرحلة التي يستطيع فيها مباشرة سلطاته الملكية , ورغم ذلك فإنه مارس سلطاته ملكاً بطريقة غير مباشرة استجابة لنصيحة بريطانيا (الشنيطي , ص348, 349).

أما فيما يتعلق باستقلالات بعض أعضاء الجمعية التأسيسية الليبية , فقد نبه السيد " منير برشان" إلى ضرورة نشر الاستقلالات التي تقدم بها كلاً من : السيد أحمد الصاري , السيد عبد العزيز الزقلي . في الصحف المحلية , كما تساءل في نفس الجلسة حول وجود صلاحيات للحكومة الليبية من عدمها في الإشراف على الانتخابات المقبلة (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1951م , ص59) , وأضاف مقترحاً في جلسة أخرى وهو ضرورة أن يقدم رئيس الحكومة أي تعديل وزاري إلى الجمعية لدراسته والموافقة عليه قبل أن يتم التعديل (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها , 1951م , ص67) , وتساءل هل الحكومة مسؤولة أمام الجمعية أم لا . (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1951 , ص69).

ورفض السيد " منير برشان" عبارة أن الملك طرف ثاني في الدستور , لأن ذلك في وجهة نظره لا يعتمد على أساس ديمقراطي , لأن الملوك لا تضع الدساتير ولا تناقشها ورفض أيضاً المادة رقم (40) من الدستور التي ورد فيها حق الملك وذريته بلقب أمير برقة , حيث يقول لقد ارتقى الملك من أمير إلى ملك وصاحب جلالة فلا أرى أن ينزل إلى لقب أمير , وشدد كذلك على إضافة عبارة ((الوحدة القومية)) للمادة رقم (47) باعتبارها هدف وطني , ورفض أن تكون للخاصة الملكية أي حصانة , فالحصانة للملك فقط.

وأردف قائلاً : إن القوانين الموجودة في العالم تحتم أن تكون السيادة للشعب لا الملك , فالملك لن يخلد , ولذلك كان حرصنا على دقة الدستور , وأن تكون الأمة مصدر السلطات لا الملك (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1951 , ص 100, 105, 106, 107).

أما في ما يتعلق بوراثة العرش فقد اعترض السيد " منير برشان " على المادة (44) والتي تقول (عرش المملكة وراثي , وتنظم وراثة العرش بأمر كريم يصدره الملك " إدريس الأول) في بحر سنة من تاريخ إصدار هذا الدستور و ولا أحد يعتلي العرش إلا إذا كان سليم العقل وليبياً مسلماً , وولداً لوالدين مسلمين من زواج شرعي , ويعتبر الأمر الملكي الذي ينظم وراثة العرش ذا صيغة دستورية). وكان اعتراضه على هذه المادة بقوله صراحة ((إن هذه المادة تعتبر من وضع الملك)) (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها , 1951 , ص 118).

ولم تنحصر مقترحات السيد " منير برشان " في ما توقفنا عنده في السابق بل كانت له مداخلات واقتراحات مهمة أخرى كإقراره تعديل المادة الثالثة من قانون الانتخاب فيما يتعلق بشروط الانتخاب لتكون صياغة المادة محددة في النص التالي : (إذا لم يكن محكوماً عليه بالسجن لسرقة أو رشوة أو خيانة الأمانة , أو تزوير أو احتيال أو غير ذلك من الجرائم المخلة بالشرف بصورة مطلقة , ولم يرد إليه اعتباره) (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها ر 1951 , ص 132).

كما أكد أن استشارة وزير العدل في تعيين المناطق الانتخابية استشارة استرشادية " (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1951 , ص 134).

وقد تواصل الحضور المتميز للسيد " منير برشان " في اجتماعات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية الليبية, فقد كان من اقترح تكليف السيد " عمر بك شنيب " رئيساً للجنة الدستور , كما كان هو شخصه مقررراً لهذه اللجنة باقتراح من السيد " محمد عثمان الصيد) (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية 1950 , ص 153, 154), كما تم اختياره ضمن الأعضاء المكلفين لدراسة الدساتير الفيدرالية في العالم لانتقاء ما يصلح فيها لليبيا (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية, 1950م ص 155)

والملفت للانتباه أن السيد " منير برشان " قد تغيب عن حضور خمسة جلسات من أصل أربعة وعشرون جلسة للجنة الدستور , وهي الجلسات (3,6,7,10,18) (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة

عن الجمعية التأسيسية، 1951م ، ص157) ، ويؤمن الباحث أنه كان في مهمة حتمت عليه هذا الغياب باعتباره ضمن اللجنة المكلفة بدراسة الدساتير الفيدرالية في العالم ، والتي ربما تتطلب السفر خارج ليبيا ، وقد لاحظ السيد « منير برشان » بعد قراءته للدساتير الفيدرالية أن الدستور السوري هو أوسعها (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية، 1951 ، ص158).

وقدم مقترحاً بالاشتراك مع السيد « عبد المجيد كعبار » يوضح صيغتان تعريفيتان : الأولى لليبي ، والثانية لأهم المبادئ الأساسية لحصول الأجنبي على الجنسية الليبية ، ثم انفرد بالتأكيد على حق الأجنبي الحاصل على الجنسية الليبية في التمتع بما يحصل عليه الليبي من حقوق (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية عنها 1951، ص174) ، وفيما يتعلق بعضوية مجلس الشيوخ فقد رأى أن تكون بالتعيين والانتخاب (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية 1951 ، ص174).

مقترحاً أن يتم انتخاب نصف مجلس الشيوخ تفادياً لأي طعون مستقبلية في الدستور ، إلا أن اللجنة اعتمدت التعيين وليس الانتخاب ، ورغم ذلك فقد أضاف اشتراط خلو النائب من السوابق والاحكام (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية 1951 ، ص178 ، 179) ، وأخر اقتراحاته كانت أن تكون مدة شغل عضوية مجلس الشيوخ أربع سنوات وإضافة مادة تنص على عدم سيطرة الحكومة الاتحادية على دخل الجمارك (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية، 1951 ، ص189) ، وإضافة ((المحافظة على الوحدة القومية)) لصيغة اليمين القانونية (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية، 1951م ، ص193) الخاتمة :

توصل الباحث من خلال الدراسة للاستنتاجات التالية :-

- 1- شخصية السيد « منير برشان » عكست إمكانيات كبيرة في جيله وربما الأجيال التي جاءت بعده على المستويين الشخصي والوطني .
- 2- أن مسألة الأصول العرقية لا أهمية لها إطلاقاً في الحياة الوطنية.
- 3- على الرغم من أن هذا الرجل بدأ حياته كعسكري ورتبة ضابط ، إلا أن سيرته الشخصية الوطنية كانت ضد الدكتاتورية والسلطة المطلقة ، والدليل طلبه للجمعية التأسيسية الليبية بتحديد صلاحيات الحكومة والملك

4- يعتبر السيد " منير برشان" الشخصية الأكثر حضوراً وفاعلية في الهيئة التأسيسية ولجنة الدستور والدليل المقترحات التي أوردتها له في هذه الدراسة , والتي تعكس عملية وطنية علمية رصينة.

المصادر والمراجع :

1. جريدة طرابلس الرسمية .(1949) طرابلس ليبيا : تصدرها الإدارة العسكرية البريطانية ,
2. راجع كلاً من الصحف الآتية , صحيفة نيويورك تايمز *The New York Times* (1952) ؛ صحيفة نيوهافين NEW HAVEN (1952) ؛ صحيفة يوفالوكورير اكسبريس Iovalokorir newspaper Express (1952) ؛ صحيفة هارتفورد تايمز The Hartford Times (1952) ؛ صحيفة ريفورد تايمز Rford Times (1952) ؛ صحيفة شاينزيرس Haanzirs (1952)
3. رواية الأستاذ خالد الثابت عن المدرسة الإسلامية العليا (1983) . طرابلس - ليبيا : مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي .
4. حكيم , سامي (1970) حقيقة ليبيا . (ط.2) . مصر : مكتبة الانجلو المصرية
5. طرابلس الغرب , صحيفة , ع130 , س22 , مصدر سابق , نفس الصفحة
6. طرابلس , صحيفة باللغة الإيطالية .(1965) مقال بعنوان ((اختفاء منير برشان)) ترجم المقال الباحث عن اللغة الإيطالية , د. نور الدين سعيد , أستاذ السينما والفنون المرئية بكلية الفنون والأعلام , جامعة طرابلس . طرابلس
7. المصري , على مصطفى (2000) عرض ودراسة تحليلية لتطور الفني الصحفي في ليبيا .(ط2) . مصر : دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان
8. لقاء اجراه الباحث مع نجل السيد ((منير برشان)) السيد ((نجم الدين منير برشان)) الخميس الموافق 2014/10/16م , بشارع ميزران بطرابلس , الساعة (11) صباحاً , بمحل محمد الغالي للخدمات المنزلية , وبحضور .د. محمود الديك ؛ راجع ايضاً بخصوص أصوله التركية : هنري سيرانو فيلار , مذكرات أول سفير امريكي في ليبيا , ليبيا المملكة العربية الجديدة في شمال افريقيا , مصدر سابق , ص 87
9. لقاء اجراه الباحث مع د . عبد الكريم أبو شويرب , بصالة المكتبة بمركز المحفوظات التاريخية , طرابلس , ليبيا , بتاريخ 2014/11/04م , الساعة (12) ظهراً

10. محاضر لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية، ولجنة الدستور المنبثقة عنها سنة 70-1371هـ، محضر الجلسة (1) 6 ديسمبر 1950، ص 153؛ سالم الكيتي، ليبيا مسيرة الاستقلال، وثائق محلية ودولية، ج 3، تكوين الدولة لها، الدار العبية للعلوم ناشرون، دار الساقية للنشر، بنغازي، ليبيا، 2012م ص 1079م
11. محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية، محضر الجلسة (2)، 9 ديسمبر 1950 ص 155
12. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية، ولجنة الدستور المنبثقة عنها جلسة رقم (2) الاثنين 27 نوفمبر 1950، ص 4
13. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية، ولجنة الدستور المنبثقة عنها جلسة رقم (3) السبت 2 ديسمبر 1950، ص 6
14. مجموعة محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها، محضر الجلسة (3) السبت 2 ديسمبر 1950، ص 10؛ راجع أيضاً: محمود الشنيطي، قضية ليبيا، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة و مصر، 1951م، ص 348، 349
15. محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية، محضر الجلسة (4) 12 أبريل 1951، ص 158
16. مجموعة محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها، محضر الجلسة (4)، 8 يناير 1951، ص 12
17. مجموعة محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها، محضر الجلسة (5) الخميس 15 مارس 1951، ص 46، 48؛ راجع أيضاً بخصوص صلاحيات الملك: محمد يوسف المقرئف ليبيا من الشرعية الدستورية إلى الشرعية الثورية، دراسة توثيقية تحليلية، ط 1، دار الاستقلال، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 2008م، ص 97؛ راجع أيضاً: نقولا زيادة، ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال، سلسلة الاعمال الكاملة، رقم (10) د.ط، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2002، ص 358
18. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها، محضر الجلسة (12) 12 يونيو 1951، ص 174

19. محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية, محضر الجلسة (14) 24 يونيو 1951, ص174
20. محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية, محضر الجلسة (14) 24 يونيو 1951, ص178, 179
21. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها , محضر الجلسة (19) , الخميس 29 مارس 1951م , ص59
22. محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية, محضر الجلسة (21) 27 أغسطس 1951, ص189,
23. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها , محضر الجلسة (22) , 17 أبريل , 1951, ص67
24. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها , محضر الجلسة (23) , السبت , 16 يونيو 1951 , ص69
25. محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية, محضر الجلسة (23) 15 سبتمبر 1951, ص193
26. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها , محضر الجلسة (32) , الثلاثاء , 2 أكتوبر 1951 , ص100, 105, 106, 107
27. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها , محضر الجلسة (34) الأحد , 7 أكتوبر 1951, ص118
28. مجموعة محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية , ولجنة الدستور المنبثقة عنها جلسة رقم (36) الاثنين 22 أكتوبر 1951 , ص126 ؛ حسن سليمان محمود , ليبيا بين الماضي والحاضر الالف كتاب (426) , مؤسسة سجل العرب , القاهرة , مصر , 1962م , ص260
29. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها , محضر الجلسة (38) , السبت , 3 نوفمبر 1951 , ص132
30. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها , محضر الجلسة (39) , السبت , 3 نوفمبر 1951 , ص134

31. محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية,, راجع محاضر الجلسات : الثالثة 2, ابريل 1951 , ص 157 ؛ الجلسة السادسة , 1 مايو 1951 , ص 160 ؛ الجلسة السابعة 3, مايو 1951 , ص 161 ؛ الجلسة العاشرة , 17 مايو 1951 , ص 165 ؛ الجلسة الثامنة عشر , 2 أغسطس 1951 , ص 181
32. خدوري , مجيد (2013) ليبيا الحديثة - دراسة في تطورها السياسي . (ط 1) . طرابلس - ليبيا : دار الرواد , , 2013م, ص 193
33. المقرئف , محمد يوسف (2004) . ليبيا بين الماضي والحاضر , صفحات من التاريخ السياسي . (ط 1). بيروت لبنان: توزيع الفرات للنشر والتوزيع
34. الشنيطي , محمود . قضية ليبيا
35. نيويورك تايمز The New York Times (1952). صحيفة أمريكية , خبر بعنوان ((مسؤول برلماني لبيبي يقوم بزيارة لحكومة المدينة , وصناعتها , ومدارسها)).
36. فيلار , هنري سيرانو (2013) . مذكرات أول سفير أمريكي في ليبيا , ليبيا المملكة العربية الجديدة في شمال أفريقيا . (ط 1) . طرابلس ليبيا : شركة المدى للخدمات الإعلامية
- ورقة مطبوعة متوجه وصورة فوتوغرافية للسيد ((منير برشان)) اعددها نجلة ((نجم الدين منير برشان)) وسلمها للباحث في لقائه به المشار إليه يوم 2014/10/16 ؛ طرابلس الغرب , صحيفة ,

إيلاف قريش وأثره على العلاقات الخارجية في المجتمع المكي " سياسياً ، اقتصادياً ، اجتماعياً "

أ. عبد الحكيم عاشور ميلاد الشعافي
كلية الآداب والعلوم قصر الاخير جامعة المرقب
Jalpo1967@gmail.com

مقدمة

مما لا شك فيه أن شبه الجزيرة العربية بموقعها الجغرافي الممتاز قد قامت بدور مهم في تجارة العالم عبر مختلف العصور ، وخاصة فترة ازدهار التجارة القرشية ، وكونت مياها الهائلة وشواطئها الصالحة للملاحة وتوسطها قلب العالم القديم حلقة وصل رئيسة تربط بين أقدم عالمين عرفتهما البشرية عالم الثروات الطبيعية في الشرق ، وعالم البحر المتوسط في الغرب .

وعندما بدأت الصراعات تتزايد حول طرق التجارة بين دولتي الروم والفرس في شبه الجزيرة العربية من ناحيتها الشمالية والجنوبية ، ظهرت مكة بقيادة قريش على النحو الذي سنتناوله هذه الدراسة ، لتساعد التجارة الشرقية في مواصلة نقلها من شبه الجزيرة العربية إلى كافة أقطار العالم و خاصة الدولة البيزنطية ، التي كانت بحاجة إلى سلعها ، مثل البخور والعطور والحريز والتوابل ، وأخذت هذه التجارة تزدهر شيئاً فشيئاً حتى أصبحت مكة الوسيط التجاري الوحيد الذي لا منافس له في المنطقة بتنظيمها وقوافلها .

وعلى كثرة ما كتب في هذا الموضوع ، فلا زالت المكتبة الليبية بحاجة إلى دراسة علمية موضوعية ومتكاملة لبداية تاريخ مكة السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الفترة التي تم اختيارها لهذا الدراسة ، لأن مثل هذه الدراسة من شأنها أن تكشف عن طبيعة العلاقات المكية في مراحلها الأولى وهذا الكشف ضروري لمعالجة العلاقات القرشية وتحليلها تحليلاً موضوعياً يمكن من معرفة تاريخ الدولة بعد ظهور الإسلام معرفة جيدة ، وعليه فقد ركزت هذه الدراسة على تطور نظام الحكم في مكة قبل ظهور الإسلام ، (نظام الإيلاف) كخطوة سياسية لدار الندوة ، وعن أحوال مكة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وذلك

لتبلور الدور المهم الذي قام به الإيلافيون ، ودورهم السياسي في النهوض بالمجتمع المكي في جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والأدبية والفكرية وربطها بالنظام السياسي ، وأثره على المجتمع القرشي .

أولاً : تحديد معنى الإيلاف:

وردت العديد من الروايات في معنى الإيلاف من قبل المفسرين واللغويين والمؤرخين يورد الباحث المشهور منهم :

قال أبو إسحاق الزجاج : "في لإيلاف قريش ثلاثة أوجه : لإيلاف قريش ، ولإلاف قريش ، ووجه ثالث لإلف قريش ، قال : وقد قُريء بالوجهين الأولين" (الزهري ، د.ت ، 378)، ويتبين من بعض مصادر التفسير والمعاجم أن الوجهين الأول والثالث من معنى واحد . لكن الأول متعدد لمفعولين من قولك : "ألفت فلاناً الشيء إذا ألزمته إياه ، أولفه إيلافاً" ، والثاني متعدٍ لمفعول واحد من قولك : "ألفت الشيء وألفت فلاناً إذا أنست به" (ابن منظور ، 1968 م ، 38)، وألفت بينهم : إذا جمعت بينهم بعد تفرق (المسعودي ، 1987 م ، 59)، وقد ذكر ابن هشام في سيرته اللفظة بقوله : "وإيلاف قريش إيلافهم الخروج إلى الشام في تجارتهم ، وكانت لهم خرجتان : خرجة في الشتاء وخرجة في الصيف... والإيلاف أيضاً : أن تؤلف الشيء إلى الشيء فيألفه ويلزمه" (ابن هشام ، د.ت ، 110).

كما قيل في معاني الإيلاف : بأنه الدأب (ابن سعد ، 1990 م ، 75)، أو أنه العود (البغدادي ، د.ت ، 162)، وقيل أنه أمان الطريق والناس عند مرورهم بأرض غيرهم (البغدادي ، 1964 م ، 33)، كما جاء معناه بأنه الإجارة ، فيؤلف: أي يجير ، لذلك سمي أبناء عبد مناف بالمجيرين (الزبيدي ، 1981 م ، 44)، أو المجيرين لأن الله جبر بهم قريشاً (الطبري ، 1991 م ، 504) ، أو أقداح النظر ، وفي رواية لابن العباس : أن الإيلاف يعني الذمام (الطبري ، 2001 م ، 371)، كما جاء بمعنى الحبال والعهد (الاندلسي ، 1967 م ، 328)، يقال كانت بينهم حبال فقطعوها ، أي عهود وذمم ، وذلك أن العرب كانت تخيف بعضها بعض فكان الرجل إذا أراد سفراً أخذ عهداً من سيد قبيلة فيأمن بذلك ما دام في حدودها حتى ينتهي إلى أخرى فيأمن بذلك (الزبيدي ، 269)، أو العصم، ومعناها المنع . وعصمه تعني منعه مما يوبقه (دراكة ، 1984 م ، 56)، كما ورد أيضاً بأنه ربح خصصه هاشم لرؤساء القبائل ، ويحمل لهم متاعاً من متاعه ، ويسوق إليهم إبلاً مع إبله ليكفيهم مؤنة الأسفار ، ويكفي قريشاً مؤنة الأعداء ، فكان ذلك صلاحاً للفريقين ، إذ كان المقيم راجحاً والمسافر محفوظاً (الثعالبي ، 1965 م ،

(116)، ويذكر أنه معنى مخصوصاً لا ينطبق إلا على العهود التي عقدها الزعماء المكيون مع ملوك الأطراف لضمان سير تجارتهم (سحاب ، 1992م ، 20)، وفي تفسير الإيلاف قال : الخليل بن أحمد الفراهيدي : ألف يؤلف ، وقال الأزهري : الإيلاف شبه الإجازة بالخفارة ، يقال ألف يؤلف . وألف يؤلف ، إذا أجاز الحمائل بالخفارة ، والحمائل جمع حمولة وذلك أن قريشاً لم يكن لهم زرع ولا ضرع ، فكانوا يرحلون رحلتين... والناس يتخطفون ، وسواء أكان هذا أم ذاك فإن الإيلاف ضرب من المال ، يدفع طوعية كهداية أو منح لرؤساء القبائل التي تمر بحرمها القوافل التجارية القرشية ، ولكن يمتنع في الإيلاف عنصر الإلتزام أو الإكراه لمكانة بني عبد مناف الأربعة لدى أولئك الرؤساء ، ولأن العرب كانت تعظم القرشيين وتدعوهم "أهل الحرم" (الشامي ، 1990م ، 316)، ويرجع التفاوت لمعاني الإيلاف في فهم المعنى العام إليه كظاهرة عملية لقريش ، أو فهم المعاني اللفظية من حيث علاقتها بنعمة الاستقرار والاجتماع في مكة ، والاعتقاد على القيام بالرحلات التجارية بأمن وطمأنينة بفضل الأحلاف أو العصم أو الحبال التي أخذها سادة قريش من زعماء الدول المجاورة ، ومن رؤساء القبائل النازلة على طرق التجارة (دراكة ، 53).

ثانياً: مسألة الإيلاف في كتب التفسير .

ليس من طموح البحث الخوض في مسائل قرآنية هي أصلاً من اختصاص المفسرين ، وللتفسير دون شك أسسه الایستيمولوجية^(*) (Epistemology) المستقلة والمختلفة عن أسس المنهج التاريخي ، لذا سيقتصر الباحث على التأمل من جديد في مفهوم الإيلاف سواء من خلال النظر إلى تناول المفسرين لمفهومه والطريقة التي نظروا بها إلى المسألة أو من خلال الروايات التاريخية التي تداولها المفسرون ووثقوا بها لأسباب النزول.

طرحت سورة الفيل وسورة قريش على وعي المفسرين مسائل علمية كثيرة ، فلم يكن من مشاغلهم بطبيعة الحال كتابة تاريخ قريش ، لكن بما أن الآية تحيل على وقائع تاريخية ، ولعلها الآية الأكثر تاريخية واتصالاً بأزمة قريظة من التاريخ العربي عشية الإسلام ، فقد كان مطروحاً على وعيهم أن يوضحوا مقاصد التنزيل واستنثار المعارف التاريخية الواصلة إليهم لفهم بلاغات الآية ، والذي يمثل فرصة مساعدة على

(*) تعني كلمة (Episteme) في اللاتينية العلم الجديد الذي يدور حول المعرفة أو بمعنى آخر دراسة طبيعية ومصادقية المعرفة ، أو باختصار "نظرية المعرفة" ، عامر رشيد مبيض ، موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية ، " مصطلحات ومفاهيم " ، دار المعارف للنشر ، حمص ، 2000م ، ص 25

توسيع دائرة السبر والتقضي حول مفهوم الإيلاف (سعيد ، 2006م ، 142) ، تسوق كتب التفسير جدلاً ثرياً حول تفسير سورة قريش لما لها من خصوصية جعلت التاريخ حكماً في المسألة ، فمن المعروف أنها تبدأ بشكل يثير شيئاً من الغرابة في بناء الجملة العربية إذ تبدأ بشكل يوحي بأنها استمرار لكلام سابق ، ولذلك كان للمسألة أهمية كبيرة بما لها من امتدادات لغوية وأسلوبية وتاريخية ، عليه لا يبدو من الضروري توسيع دائرة السبر والتقضي في اتجاه كل التفاسير (سعيد ، 143)، فالباحث يوجه اهتمامه إلى أهمها وأكثرها شمولية : تفسير الرازي وتفسير القرطبي وتفسير الطبري ، وتفسير ابن كثير :

يقسم الرازي تفسير سورة قريش إلى أربعة مسائل يفرد الباحث منها الآتي :

المسألة الأولى / اللام في قوله "إيلاف" تحتل وجوهاً ثلاثة :

الوجه الأول : أن تكون متعلقة بالسورة التي قبلها ، وفيه احتمالات :

- وهو قول الزجاج وأبي عبيدة إن التقدير ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ لإلف قريش أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش ، وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف ... ، بل إنما فعل ذلك بهم (لإيلافهم قريش) ولتعظيم منصبهم وإظهار قدرهم....

. أن يكون التقدير ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ ، ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ ، كل ذلك إنما كان لأجل إيلاف قريش.

. أن تكون اللام في قوله تعالى ﴿لَا إِلَافَ﴾ بمعنى أنه قال فعلنا كل ما فعلناه في السورة المتقدمة إلى نعمة أخرى عليهم وهي إيلافهم ... رحلة الشتاء والصيف... (الرازي ، 1938م ، 103)

وقيل : إن هذه السورة متصلة بالتي قبلها في المعنى . يقول : أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش ؛ أي لتألف ، أو لتتفق قريش ، أو لكي تأمن قريش فتؤلف رحلتها (القرطبي ، 1952م ، 200).

الوجه الثاني : وهو أن اللام في ﴿لَا إِلَافَ﴾ متعلقة بقوله فليعبدوا وهو قول الخليل وسيبويه ، والتقدير ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ، لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ ﴾ أي ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة واعترافاً بها... ذلك لأن نعم الله عليهم لا تحصى (الرازي ، 105)، فالعبادة مأمور بها شكراً لما فعل بأعدائهم "أحباش اليمن" ولما حصل لهم من إيلافهم الذي صار سبباً لطعامهم ولأمنهم وتأسيساً على هذا

الاحتمال ، ويعتقد فكتور سحاب أيضاً أن السورتين تشهدان على "امتداد نفوذ الحبشة في غرب الجزيرة واحتمال سيطرتهم على خطوط التجارة . فإذا كانت أخبار الرحلتين إلى الشام واليمن مقبولة في المصادر العربية ، وليس ثمة ما يوحي أنها غير صحيحة ، فإن نفوذ الأحباش لا بد وأنه امتد امتداداً عظيماً من اليمن إلى شمال الحجاز... ولعل سبب امتداد هذا النفوذ أن شمال الحجاز كان منطقة نفوذ الغساسنة ، وكلا الفريقين "الأحباش، الغساسنة" كان في معسكر بيزنطة السياسي..." (سحاب ، 23).

الوجه الثالث : أن تكون هذه اللام غير متعلقة ، لا بما قبلها ولا بما بعدها ، قال الزجاج : قال قوم هذه اللام لام التعجب ، كأن المعنى : أعجبوا لإيلاف قريش ، وذلك لأنهم كل يوم يزدادون غياً وجهلاً وانغماساً في عبادة الأوثان ، والله تعالى يؤلف شملهم ويدفع الآفات عنهم ، وينظم أسباب معاشهم ... هذا اختيار الكسائي والأخفش والفراء (الرازي ، 105)، أما ابن كثير فيذكر بقوله : "قال ابن جرير : الصواب أن اللام لام التعجب كأنه يقول أعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك ، وقال : وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان" (ابن كثير ، 1987م ، 592)؛ أما الصواب عند الطبري ، "أن هذه اللام بمعنى التعجب . وأن معنى الكلام : أعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، وتركهم عبادة رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف ... ، والعرب إذا جاءت بهذه اللام ، فأدخلوها في الكلام للتعجب اكتنفوا بها دليلاً على التعجب من إظهار الفعل الذي يجلبها (الطبري ، 373).

المسألة الثانية / ذكر في الإيلاف ثلاثة أوجه .

الوجه الأول : أن الإيلاف هو الإلف . قال علماء اللغة ألفت الشيء وألفته إلفاً وإلفاً وإيلاً بمعنى واحد ، أي لزمته فيكون المعنى لإلف قريش هاتين الرحلتين فتتصلان ولا تنقطعاً ، وقرأ أبو جعفر : لإلف قريش ، وقرأ الآخرون لإلاف قريش ، وقرأ عكرمة ليلاف قريش (الرازي ، 105).

الوجه الثاني : أن يكون هذا من قولك لزمتم موضع كذا والزمنه الله ، ويكون المعنى إثبات الألفة بالتدبير الذي فيه لطف ألف بنفسه إلفاً وألفه غيره إيلاً ، والمعنى أن هذه الألفة إنما حصلت في قريش بتدبير الله ... فيكون المصدر ههنا مضافاً إلى المفعول ، ويكون المعنى لأجل أن يجعل الله قريشاً ملازمين لرحلتهم.

الوجه الثالث : أن يكون الإيلاف هو التهيئة والتجهيز ، وهو قول الفراء وابن الأعرابي ، فيكون ههنا المصدر مضافاً إلى الفاعل . والمعنى لتجهيز قريش رحلتها حتى تتصلا ولا تنقطعا(الرازي ، 105)، ويقال : يتألفون أي يستجرون ، حيث أنشد أبو عبيد لأبي ذؤيب :

تُوصِلُ بِالرُّكْبَانِ حِينًا وَتُؤَلِّفُ آلَ جَوَارَ وَيَغْشِيهَا الْأَمَانَ دِمَامَهَا(الازهري ، 380)

المسألة الثالثة / يتناول فيها التكرير في قوله تعالى لإيلاف قريش إيلافهم يقول:

التكرير في قوله: ﴿لِإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ إِيْلَافُهُمْ﴾ هو أنه أطلق الإيلاف أولاً ثم جعل المقيد بدلاً لذلك المطلق تفخيماً لأمر الإيلاف وتذكير لعظم المنة فيه ، والأقرب أن يكون قوله: ﴿لِإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ﴾ عاماً يجمع كل مؤانسة وموافقة كانت بينهم ، فيدخل فيه مقامهم وسيرهم وجميع أحوالهم ... تم خص إيلاف الرحلتين بالذكر لسبب أنها قوت معاشهم(الرازي ، 106).

ومهما كان الرأي البات في أمر إثبات وحدة السورتين أو نفيها ، فإن فهم سورتي الفيل وقريش فهماً تاريخياً موحداً ضمن إطار علمي مجرد من كل الشوائب والمعتقدات القديمة التي لصقت بالتفسير في زمن متأخر ، يعزز بما لا شك فيه ، احتمالات استفادة المؤرخ من هاتين السورتين . إذ ليس من اليسير الخوض في هذا الجدل أو ترجيح قراءة على أخرى والحكم إن كان من الأسلم أن نقرأ سورة قريش في تواصل مع سورة الفيل أو في انقطاع معها ، أو الاختيار بين آراء المفسرين ، لذلك يكتفي الباحث بإثارة المستوى الأعم من الدلالة في السياق البياني الحالي وهو البحث عن تاريخ الإيلاف(سعيد ، 147).

ثالثاً : هاشم بن عبد مناف.

إذا كان قصي هو الذي أرسى حجر الأساس لقبيلة قريش ، فإن هاشم بن عبد مناف(البسوي ، 1981م ، 214)، وكنيته "أبونضلة"(ابن الأثير ، 1981م ، 9)، هو الذي أوضح معالمها وأبرز قسماتها ، ففي زمنه أصبحت مكة مركزاً قيادياً سياسياً وتجارياً ، بالإضافة إلى ما تحتفظ به من قداسة دينية ، بمبادرته إلى توثيق عقد الإيلاف كخطوة تكميلية لدار الندوة ، التي أصبحت مركزاً للحركة التجارية فيما بعد ، إضافة لكونها مجلساً للتشاور لسادة قريش وللحفاظ على مواقعهم الاجتماعية وثرواتهم المتزايدة ، فهاشم كان صاحب نظرة شمولية امتدت لأكثر من ناحية في تدعيم الدولة التي كانت في طور البروز(عبد الكريم ، 1997م ، 52).

ويذكر الإخباريون إن هاشم أكبر ولد عبد مناف سنّاً وقدرّاً ، والمطلّب أصغرهم ، أمه عاتكة بنت مرة السلمية ، وقيل أن عبد شمس وهاشمًا توءما ، ولدا وإصبع أحدهما ملتصقة بجمجمة صاحبه فنحيت ، فسال الدم ، فقيل : يكون بينهما دم ، وولي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية والرفادة فحسده أمية بن عبد شمس على رئاسته وإطعامه فتكلف أن يصنع صنيع هاشم ، فعجز عنه ، فشمتت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، والتي انتهت إلى أخذ هاشم خمسين ناقة قام بنحرها وإطعامها وغياب أمية عن مكة بالشام عشر سنين ، ويذكر أنها أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبني أمية (البغدادى ، 103).

ترسم رواية الإيلاف التاريخية لهاشم صورة مركبة من عنصرين أساسيين : يمثل الأول دوره الريادي في توسيع أفق التجارة المكية بتأسيسه لنظام الإيلاف القرشي ، أما العنصر الثاني فهو دوره في خدمة الحرم المكي بعد وفاة أبيه عبد مناف (الشعافي ، ص 98)، وتؤكد هذه الصورة أنه من خدام الحرم من خلال إطعامه للحجاج ، وأنه من أجواد قريش ومن أشرافها ، وفي اختصاص قريش بالإيلاف دون غيرهم من العرب (سعيد ، 116)، وأنشد ابن الأنباري وهو يرد على بني أسد بقوله :

رَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ أَلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّافٌ
أُولَئِكَ أَوْمِنُوا خَوْفًا وَجُوعًا وَقَدْ جَاعَتْ بَنُو أَسَدٍ وَخَافُوا

بينما يذكر الثعالبي أن هاشم كان يأخذ الإيلاف من رؤساء القبائل وسادات العشائر لخصلتين : أن ذوبان العرب وصعاليك الأعراب وأصحاب الطوائف كانوا لا يأمنون على أهل الحرم ولا غيرهم ، والثانية أن أناساً من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة ، ولا للشهر الحرام قدراً ، كبنى طيئ وخثعم وقضاعة ، وسائر العرب يحجون البيت ويدنون بالحرمة له (الثعالبي ، 117).

أبطل هاشم رجل التجارة والمال حالة كانت تعاني منها قريش وهي مشكلة "الاعتقاد" (*)، التي كانت قائمة قبل عهده ، فيذكر القرطبي ، "فإن تلك العادة كانت تسمى "الاعتقاد" ... وحدث أن أسرة من بني مخزوم شرعت في الاعتقاد اتقاء لمعة التسول ومد اليد إلى الغير وأنفة من طلب الإحسان من القريب أو الغريب... فبلغ هاشمًا فزع أشد ما يكون الفزع... فقام قائلاً : إنكم أحدثتم حدثاً تقلون فيه وتكثر

(*) ورد في رواية عن ابن العباس : الاعتقاد هو إذا أصيب واحد من قريش بمخمصة "أي مجاعة" خرج هو وعياله إلى موضع وضربوا على أنفسهم خباء حتى يموتوا جوعاً ، اللوسي ، بلوغ الآرب في معرفة أحوال العرب ، ج 3 ، ص 386.

العرب ، وأنتم أهل حرم الله جل وعلا وأشرف ولد آدم والناس بكم تبع ويكاد هذا الاعتفار يأتي عليكم ، فقالوا : نحن لك تبع فقال : ابتدئوا بهذا الرجل . يعني الذي اعتفر . فأغنوه عن الاعتفار ، ففعلوا..."(القرطبي ، 205) ، وأنشد ابن الأعرابي بقوله:

وَقَائِلُهُ ذَا زَمَانٍ اعْتِقَادٍ وَمَنْ ذَاكَ يَبْقَى عَلَى الْاعْتِقَادِ

وهاشم معدود في خطباء العرب وبلغائهم ، فأوامره تصدر بخطب يجمع لها قريشاً في كل موسم فيذكرها بأحسابها وأنسابها وبما لهذا البيت الذي تخدمه من فضل ومكانة ، وبما لزواره من حق وكرامة ، ثم يمضي على بسط الأكف بالبذل لضمان راحة هؤلاء الوفود المتعبين ، فعلى سبيل المثال يذكر الباحث إحدى خطبه ، بقوله : " يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته ، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته ، فهم لذلك ضيف الله ، وأحق ضيف بالكرامة ضيف الله ، وقد خصكم الله بذلك وأكرمكم به... فأكرموا ضيفه وزواره فإنهم يأتون من كل بلد ضوامر كالقداح وقد زحفوا وتغلوا وقملوا وأرملوا فأفروهم وأغنوهم وأعينوهم" (الالوسي ، 286) .

فجمع هاشم كل بني أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام للتجارة ، فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم ، ولعله أراد تمتين أواصر المجتمع المكي بتأليف قلوبهم وجعلهم جميعاً شركاء في صنع المستقبل ، وقد أشار الشاعر مطرود بن كعب الخزاعي لهذه الصفة التي عند أبناء عبد مناف فذكرها بقوله (الزبيعي ، 1981 ، 53):

وَالْخَالِطُونَ فَقِيرُهُمْ بِغَنِيِّهِمْ حَتَّى يَكُونَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي

وقال آخر :

إِلَى الْقَمَرِ السَّارِي الْمُنِيرُ دَعْوَتُهُ وَمُطْعِمٌ فِي الْأَزْلِ مِنْ قَمْعِ الْجَزْرِ^(١)

رابعاً : هاشم والإيلاف من خلال الروايات التاريخية :

^(١) الأزل : الشدة والضيق ؛ والقمع : بفتح القاف والميم من كل شيء خياره وهو جمع ومفرده قمعة ؛ والجزر : النحر والذبح ، مصطفى صدر الدين ، مرجع سابق ، ص 57.

لا شك أن ظاهرة الإيلاف كانت وليدة عوامل طبيعية وتاريخية واقتصادية ، فمكة كانت ولا تزال منطقة صحراوية لا يمكن لأهلها الاعتماد على الزراعة في عيشهم ، أما العامل الثاني والمتعلق بالجانب التاريخي فيقصد به نشوء مكة حول ماء زمزم وتطورها وعلاقة البيت الحرام بذلك (الكتاني ، د.ت ، 44).

يستشف الباحث نشأة هذا النظام من رواية ابن الكلبي سواء في صيغتها الواردة في تاريخ الطبري (الطبري ، 504)، أو في صياغتها الأكثر وضوحاً والواردة في كتاب المنمق لابن حبيب وكلاهما يسند لابن الكلبي (البغدادى ، 36)، كما توفر رواية النسب لتاريخ الإيلاف أرضية ومستنداً في علاقة الدم ، باعتبار أن أطراف الإيلاف الأربعة هم إخوة في الأصل ، ينحدرون من أب واحد هو عبد مناف (الكلبي ، د.ت ، 26) ، إلا أن المصادر المتداولة تثير إشارات لا تتناغم مع دور هاشم في الإيلاف ، على سبيل المثال ما يرد عند البلاذري وابن الأثير ، أن هاشماً توفي وعمره خمس وعشرون سنة ، وما يرد في شأن وفاته بغزة ، وأحياناً في شأن ولادته بغزة من أرض فلسطين (الاندلسي ، 330).

وإذا ما انطلق الباحث من مبدأ أن الإسناد يحيل إلى مصدر الخبر ، يمكن جمع الأخبار المنبثة في المصادر على النحو الآتي .:

يذكر الطبري أن أبناء مناف هم أول من أخذ الإيلاف لقريش بقوله: "فكانوا أول من أخذ لقريش العصم ، فانتشروا في الحرم ، أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشام والروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس حبلاً من النجاشي الأكبر ، فاختلفوا بذلك السبب إلى أرض الحبشة ، وأخذ لهم نوفل حبلاً من الأكاسرة ، فاختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس ، وأخذ لهم المطلب حبلاً من ملوك حمير ، فاختلفوا بذلك السبب إلى اليمن...." (الطبري ، 504) ، ولذلك أسماها الفيروزآبادي "بجبال" ، إذ يقول : "وكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بجبال هؤلاء الإخوة فلا يتعرض لهم ، وكان كل أخ منهم أخذ حبلاً من ملك ناحية سفره أماناً له" (الفيروزآبادي ، 1986 ، 118) ؛ وأنشد الشاعر مطرود بن كعب الخزاعي قائلاً :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلُهُ أَلَا نَزَلْتَ بِأَلِّ عَبْدِ مَنَافٍ

ويذكر ابن سعد في طبقاته أيضاً أن هاشماً كان صاحب إيلاف قريش ، وأنه أول من سن الرحلتين ، بقوله : "أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كان اسم هاشم "عمرأ" ، وكان صاحب إيلاف قريش ، وإيلاف قريش دأب قريش ، وكان أول من سن

الرحلتين لقريش ، ترحل إحداهما في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة... ورحلة في الصيف إلى الشام إلى غزة وربما إلى أنقرة فيدخل إلى قيصر فيكرمه ، فأصاب قريش سنوات ذهبن بالأموال ، فخرج هاشم إلى الشام فأمر بجبز كثير فخبز له ، فحمله في الغرائر على الإبل حتى وافى مكة فهشم الخبز... ونحر تلك الإبل ، ثم أمر الطهارة فطبخوا ، ثم كفا القدور على الجفان^(*) ، فأشبع أهل مكة . فكان ذلك أول الحياة بعد السنة التي أصابهم فسمي هاشماً (ابن سعد ، 57) . كما وردت رواية الإيلاف في سيرة ابن هشام ، بقوله : " قال ابن إسحاق : فولي الرفادة والسقاية هاشم بن عبد مناف ... وكان فيما يزعمون أول من سن الرحلتين لقريش : رحلي الشتاء والصيف . وأول من أطعم الثريد بمكة..." (ابن هشام ، 55).

فقال الشاعر عبد الله بن الزبيري :

عَمَرُوا الَّذِي هَشَّمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ قَوْمٌ بِمَكَّةَ مُسَنِّينَ عِجَافُ
سُنَّتْ إِلَيْهِ الرَّحْلَتَانِ كِلَاهُمَا سَفَرُ الشَّتَاءِ وَرَحْلَةُ الْأَصْيَافِ

بينما ترد الرواية في كتاب المنمق لابن حبيب ، والتي يغيب فيها ذكر اليمن ، واقتصرت مهمة هاشم فيها على فتح أفق التجارة القرشية إلى بلاد الشام شمالاً ، بقوله : "أخبرنا أبو جعفر محمد بن حبيب عن ابن الكلبي قال : كان حديث الإيلاف أن قريشاً كانت تجاراً وكانت تجارهم لا تعدو مكة ، إنما يتقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترون منهم ثم يتبايعونه بينهم ويبيعون من حولهم من العرب ، حتى ركب هاشم بن عبد مناف إلى الشام فنزل بقيصر... ، فكان يذبح كل يوم شاة فيصنع جفنة ثريد ويدعو من حوله فيأكلون... وبلغ ذلك قيصر فدعا به... ، فلما رأى مكانه منه ، قال له هاشم : أيها الملك ! إن لي قوماً وهم تجار العرب فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً تؤمنهم وتؤمن تجاراتهم فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه فيكونوا يبيعونه عندكم فهو أرخص عليكم ، فكتب له كتاباً بأمان من أتى منهم ... ، فقال الحارث بن خنش (البغدادي ، 34):

إِنَّ أَخِي هَاشِمًا لَيْسَ أَخًا وَاحِدًا وَاللَّهِ مَا هَاشِمٌ بِنَاقِصٍ كَاسِدٍ
وَالْخَيْرُ فِي ثَوْبِهِ وَخُفْرَةُ الْأَحَدِ الْآخِذِ الْإِلْفِ وَالْوَافِدِ لِلْقَاعِدِ

وقال في ذلك أيضاً وهب بن عبد قصي بن كلاب :

(*) جفان سليمان عليه السلام أولى بأن يُتمثل بها ، لقول الله عز وجل في وصفها ، ﴿ وَجَفَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ﴾ ، سورة سبأ ، الآية : 13.

تَحَمَّلَ هَاشِمٌ مَا صَاقَ عَنْهُ وَاعِيًا أَنْ يَقُومَ بِهِ ابْنُ بَيْضِ
أَتَاهُمْ بِالْغَرَائِرِ مَتَاقَاتٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ بِالْبُرِّ النَّفِيسِ
فَأَوْسَعَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ هَشِيمٍ وَشَابَ الْخُبْرُ بِاللَّحْمِ الْغَرِيبِ
فَظَلَّ الْقَوْمُ بَيْنَ مُكَلَّلَاتٍ مِنَ الشَّيْزَى وَحَائِثُهَا يَفِيسُ^(*)

ويذكر ابن حبيب أيضاً في هذا السياق بأن أخوة هاشم (المطلب، عبد شمس، نوفل) ، قاموا بفتح الوجهات الأخرى كآفاق للتجارة القرشية بعد وفاة أخيه هاشم ، مما يعني أن مبادرة هاشم لم تتزامن مع عمل إخوته ، بقوله : " فلما مات هاشم خرج المطلب بن عبد مناف إلى اليمن فأخذ من ملوكهم عهداً لمن تجر قبلهم من قريش ، ثم أقبل يأخذ الإيلاف من مر به من العرب حتى أتى مكة على مثل ما كان هاشم أخذ... ، وخرج عبد شمس بن عبد مناف إلى ملك الحبشة فأخذ منه كتاباً وعهداً لمن تجر قبله من قريش ، ثم أخذ الإيلاف من بينه وبين العرب حتى بلغ مكة ، وخرج نوفل بن عبد مناف ... إلى العراق فأخذ عهداً من كسرى لتجار قريش ، ثم أقبل يأخذ الإيلاف من مر به من العرب حتى قدم مكة" (البغدادي ، 36).

تكاد تجمع كتب التاريخ والتفسير على أن بني عبد مناف الأربعة هم الذين أخرجوا تجارة قريش من نطاقها المحلي إلى نطاقها العالمي ، وإن كانت نصوص الروايات تحوي خلافاً لا يغير من المضمون شيئاً ، إلا أن جواد علي قلل من أهميته وأثره في ازدهار التجارة القرشية ، فذكر موضوع ذهاب الإيلافيين على أنه موضوع طبيعي لا داعي إلى إثارة الشك حوله ، أما أنهم التقوا بقيصر وبكسرى وبالنجاشي وبتبابعة اليمن ، وتعاهدوا وتعاهدوا معهم ، يذكر بأنها قضية أخرى فيها نظر ، ويستطرد قائلاً : أنه تعود سماع مثل هذا القصص من الإخباريين ، وحل ما يتصوره فيما لو صدق الخبر ، هو أن أولئك الأخوة قد قابلوا بعض موظفي الحدود وتصادقوا معهم وقدموا لهم بعض الهدايا ، فصاروا يتساهلون معهم في جباية الأعشار وفي أخذ حقوق المرور فشاع بين قومهم أنهم تعاهدوا مع أولئك الملوك (جواد علي ، 1967م ، 303)، وعلى هذا الأساس ينفي جواد علي ما ذكره ابن حبيب في روايته السابقة ، بقوله : " لم يكن الإيلاف إيلافاً مع الروم أو مع الفرس أو مع الحبشة ، وإنما كان مع سادات القبائل ، فبفضل العقود والعهد التي عقدها هاشم وإخوته مع سادات العرب أمكن مرور قوافل مكة بأمن وسلام ، ولولا هذه العقود التي جبرت

(*) الشيزي : خشب اسود تتخذ منه القصاع ، الثعالي ، مصدر سابق ، ص 609 ؛ البغدادي ، المنق في أخبار قريش ، ص 104.

قلوب سادات القبائل بتقديم حقوق مرور لهم ، أو بإشراكهم في مال القافلة ، لما كان في إمكان قريش ضبط أولئك الأعراب ومنعهم من التحرش بقوافلهم ومرورها إلى الأسواق بأمن وسلام".

يعزز عرفان حمور ما وصل إليه جواد علي ، بقوله : فانفاقهم مع رؤساء القبائل كانت تأليفاً لهم على خفارة قوافل قريش وتجارها ، أو بإعطائهم نصيباً من الأرباح ، أو استعمالهم إبلهم لنقل المتاجر ورجالهم في خفارتها بأجور معينة(حمور ، 1999م ، 202).

إلا إن الباحث لا يرجح ما وصلا إليه ، فمن المرجح أن العقود والعهود التي تم ذكرها ما هي إلا تعزيزاً للعصم والحبل الذي أخذه هاشم من قيصر وفتحته أفق التجارة القرشية لبلاد الشام واليمن والحبشة وبلاد فارس ، مستنداً إلى رواية الإيلاف لابن حبيب ، بقوله : "فأقبل هاشم بذلك الكتاب فجعل كلما مر بحي من العرب بطريق الشام أخذ من أشرفهم إيلافاً ، والإيلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف ، وإنما هو أمان الناس ... ، فأخذ هاشم الإيلاف مما بينه وبين الشام حتى قدم مكة ..."(الشعافي ، 2008 ، 104.105) ، بالإضافة إلى ما ذكره الأندلسي في شأن مقابلة هاشم لقيصر وإعجابه به ، بقوله : "ولما رحل في شأن الإيلاف على قيصر ، قال له قيصر : وما قدر الحاجة إليكم حتى نتكلف لكم هذه الذمة ؟ ؛ قال : ليس كل من يحسن إليه الملك يكون الملك محتاجاً لما عنده ، ولو كان ذلك لقل إحسان الملوك ؛ ولأن نأتيك بوجه الضراعة والحاجة إليك خير من أن نأتيك بوجه الاستغناء عنك والدالة عليك ! ففسر له كلامه فأعجبه ، وأمضى له ما أحب" (الأندلسي ، 330).

فالإيلاف في أساسه يمكن تقسيمه إلى قسمين : أولهما عقود أبرمت مع ملوك الأطراف الأربعة مفادها السماح للتجار المكيين تسيير رحلاتهم التجارية في أسواق الشرق ، أما الآخر فهو اتفاق مع زعماء القبائل الواقعة على طرق التجارة لحماية قوافلهم من جهة ، وإشراكهم في التجارة من جهة أخرى ، وكلاهما مرتبط بالآخر ومكمل له في نفس الوقت(الشعافي ، 105) . وفي هذا الموضوع يذكر العمادي ، بقوله : لما تم لهاشم الاتفاق مع قيصر ، اجتهد مع القبائل النازلة على الطرق التجارية المؤدية إلى بلاد الشام والفرس واليمن وكذلك الحبشة ، على عقد عهود تبيح له ولقومه المرور بأرض تلك القبائل دون دفع أتاوة كبيرة ، مقابل قيام قريش بكل الأعمال التجارية اللازمة لهذه القبائل فتأتيهم بما يلزمهم من البضائع ، وكذلك تقوم قوافل قريش بحمل ما تريد القبائل بيعه من منتجاتها المحلية ، مثل التمر والصوف وبعض المعادن والأعشاب الطبية ، وكذلك كان من ضمن الاتفاق التصاهر معهم ودعوتهم إلى مكة ،

وكذلك إرضاء بعض رؤساء هذه القبائل بتعيينهم أمراء على القوافل التجارية ، فهو بهذا الإيلاف وضع قواعد وأصول مرور قوافل مكة وتجارها في كل الأيام والمواسم بأمن وسلام (العمادي ، 1997م ، 50).

ويبدو أن يقظة هاشم تأتي له أن يجتري بهذا المقدار من العمل فإنه يعلم أن الحلف وحده لا يأتي بكل الغرض المنشود ، ذلك أن قيصر إذا أجاز لقريش أن تختلف إلى الشام وتوسط لها أن تختلف إلى الحبشة بمثل ما تختلف إلى بلده ، فمن يمنع هذه القبائل الممتدة في الصحراء أن تملك السبيل على هذه التجارة ، فتسلب أعيانها وأموالها أو تلتحم مع حراسها وجنودها بمعارك تجعل التجارة حقيقاً ، والأسفار إليها عذاباً ، فكان عليه أن يكتسب قيصر هذا الحلف . وقد فعل . ثم كان عليه أيضاً ضمان سلامة القوافل والعبير حين تقبل من الحجاز إلى الشام وحين تعود ، وإذا لم يضمن الثانية فإنه لا يصنع شيئاً من الأولى ، فماذا هو صانع (الشعافي ، 106).

يذكر بيضون أن الإيلافيين لم ينجحوا في تشكيل مؤسسة تعاونية غير متناقضة الأهداف والمصالح ، على نحو يتطابق مع مضمون الإيلاف الرامي إلى توفير الرزق والاستقرار للمكيين ، وفي رأيه أن نظام الإيلاف الذي فرضته طبيعة المجتمع الاقتصادية ، كانت الثغرة الأساسية فيه افتقاده للإطار السياسي العام ، الذي افترض أن يكتسب طابعاً عملياً من التمثيل (بيضون ، 1983م ، 214)، كما شكك فيكتور سحاب في الشكل الذي تعطيه الروايات لأدوار الإخوة الأربعة وتوزعهم ، ويذكر أن من شروط هذا التوزيع وجود جهاز مركزي أسند إلى كل منهما دوراً ، ملمحاً إلى استحالة وجود هذا الجهاز لأن التطور السياسي القرشي مازال في مراحله الأولى ، إلا أنه في نفس الوقت لم يتعد عن الرأي السابق كثيراً حين قال : "إن الإيلاف كان حلفاً وعقداً ثنائياً من صنفٍ جديدٍ تَضُمُّ بموجبه القبائل القاطنة على طول الطريق التجارية حق المرور لقوافل قريش مروراً حراً عبر ديارها ، لقاء حمل قريش منتجات هذه القبائل على أن تُعيد لهم رأس مالهم المستثمر في هذه البضائع والريح المجاني ، فالإيلاف حسب قوله كان غرضه إشراك القبائل وزعمائها في مكاسب تجارة قريش ، وكانت تلك خير وسيلة لضمان مسالمة القبائل ، لكنه رغم شكه هذا واصل استثمار الرواية باعتبارها شاهدة على التحول المتمثل في الإيلاف الذي يمثل في جانبه الاقتصادي والاجتماعي ، أحد أشكال التطور في السلطة من الفردية في عهد قصي إلى الأقلية في عهد هاشم وحلفائه (سحاب ، 214).

خامساً : تحديد زمن نشأة الإيلاف :

يذكر فيكتور سحاب أن تعيين زمن أنشاء الإيلاف أهم بكثير من منشئه ، إلا أن الباحث يواجه مشكلة عدم وجود مستندات مكتوبة في هذا الشأن ، كما أن المصادر العربية لا تذكر نصوص الكتب التي قيل إن الملوك كتبوها لقريش لتسيير رحلاتها التجارية (سحاب ، 210).

يذكر احمد ابراهيم الشريف من خلال دراسته أن العهود "الإيلاف" حدثت في زمن واحد بقوله : "فإنه في الوقت الذي اتصل فيه المطلب بن عبد مناف بأقيال اليمن ، اتصل أخوه عبد شمس بالنجاشي ، وأبرم معه اتفاقاً مماثلاً ، ومنذ ذلك الحين أصبحت الحبشة لقريش وجهاً ومتجرًا" (الشريف ، 1965م ، 157)، ويذكر أيضاً : "وفي الوقت الذي حصلت فيه مكة على عهود من الحميريين والأحباش على غشيان بلادهم للمتاجرة ، حصل أحد زعماء مكة هاشم بن عبد مناف على عهد من الغساسنة والروم على المتاجرة في أرض الدولة البيزنطية" ، ويستطرد قائلاً : "في نفس الوقت الذي حصلت فيه مكة على عهود من الروم والحبشة واليمن للمتاجرة في بلادها ، حصل... نوفل ، على عهد مماثل من كسرى للمتاجرة في بلاد الدولة الفارسية" (الشريف ، 163) ، إلا أن صالح دراركة كان له رأي مخالف تماماً لما ذكره الشريف ، بقوله : "إن سفارات أبناء عبد مناف إلى البلدان ، إنما كانت بعد عودة هاشم من الشام ، ويذكر أيضاً أن إخوة هاشم قاموا بعملهم هذا بعد وفاة هاشم" (دراركة ، 57).

يعزز فيكتور سحاب في دراسته للإيلاف ما ذكره دراركة ، بقوله : " من المنطقي أن الاتفاق التجاري مع الإدارة البيزنطية جرى في زمن غير زمن الاتفاق مع اليمن أو مع الحبشة أو الحيرة ، ويستطرد قائلاً : إن المصادر العربية نفسها توحى أن هاشماً لم يخرج إلى الشام وفي نيته عقد الإيلاف ؛ فليس من المرجح أن تكون قريش قد خططت للمشروع في كل تفاصيله ، ثم أوفدت موفديها الأربعة كلاً إلى جهته في المهمة ذاتها " (سحاب ، 211)، كما يعتقد أن هاشماً أراد تحسين وضع التجار القرشيين لدى الإدارة البيزنطية في الشام ، ولما رأت قريش نجاح الفكرة سعت إلى توسيع تجارتها وتحسين شروطها مع ملوك الأطراف الآخرين ، فوفد إخوة هاشم كل إلى مكان تجارته لترتيب الأمر . وهذا يعني أن الإيلاف لم ينشأ كله في سنة واحدة ، بل تكون نظامه واتسع نطاقه تدريجياً ، يتفق الباحث مع ما وصل إليه دراركة وفيكتور مستنداً إلى رواية يعقوبي ، بقوله : "ولما هلك هاشم بن عبد مناف جزعت قريش ، وخافت أن تغلبها العرب ، فخرج عبد شمس إلى النجاشي ملك الحبشة ، فجدد بينه وبينه العهد ، ثم انصرف ، فلم يلبث أن مات بمكة ودفن بالحجون ، وخرج نوفل إلى العراق ، وأخذ عهداً من كسرى ، ثم أقبل ، فمات بموضع

يقال له سلمان ، وقام بأمر مكة المطلب بن عبد مناف " (اليعقوبي ، 1960م ، 244)، وأنشد مطرود الخزاعي قائلاً:

إِنَّ الْمُغِيرَاتِ وَأَبْنَاءَهُمْ لَخَيْرُ آبَاءٍ وَأُمَمَاتٍ
لِلْبَيْضِ فَيُضُّ كُلُّهُمْ سَيِّدٌ أَبْنَاءُ سَادَاتٍ لِسَادَاتٍ
قَبْرٌ بِرَدْمَانٍ وَقَبْرٌ بِسَلْمَانَ وَقَبْرٌ عِنْدَ غُرَاتٍ
وَمَيِّتٌ مَاتَ قَرِيباً لَدَى الْحُجُونِ مِنْ شَرْقِ الثَّنِيَاتِ

إلا أن الباحث لا يتفق مع ما اعتقده فكتور من أن هاشماً أراد تحسين حال التجار القرشيين لدى بيزنطة ، وفي هذا الموضوع يرجح الباحث أن السبب الرئيسي للإيلاف هي السنة التي أصابت سكان مكة في عهد هاشم وخروج أهلها إلى الاعتقار (الشعافي ، 108)، كما أن قريش قد انقطعت عند البيت ، وكانت العرب التي حولها تمنعهم من الخروج في طلب المعاش ، ولم يكن لهم عيش إلا ما يأتي به الموسم أيام الحج ، فلما نشأ بنو عبد مناف المذكورون أخذوا العرب بالسياسية والمهاداة إلى أن انقادوا إليهم (الاندلسي ، 329).

أما بخصوص تحديد الفترة الزمنية التي حدث فيها الإيلاف يوجه فكتور سحاب اهتماماً كبيراً إلى مسألة التاريخ الدقيق الذي يمكن أن يكون حدث فيه الإيلاف ، ويخمن أن تكون العهود قد تمت حوالي سنة 467 م ، لكنه لا يطرح مسألة العناصر البشرية التي شاركت فيه (سحاب ، 211)، إلا أن دراركة يرجح حدوث هذا التحول الكبير في مطلع القرن السادس الميلادي ، لأن هاشماً على الأغلب توفي في هذه الفترة ، مستنداً إلى ما ورد عند الأندلسي والتي تشير إلى أنه كان معاصراً للملك الفارسي قباد بن فيروز 488م - 531م ، الذي تزندق وأتبع مذهب مزدك ، ويستطرد قائلاً : ومن الحوادث الثابتة في التاريخ لقاء عبد المطلب لأبرهة الحبشي عام الفيل ، وهو العام الذي ولد فيه الرسول الكريم (محمد صلى الله عليه وسلم) ، عام 570م ، ويذكر دراركة أن عبد المطلب كان حينذاك شيخاً وقوراً ، أي عمره ما بين 60-70 سنة . وهذا يرجح صحة تحديد تاريخ الإيلاف في مطلع القرن السادس الميلادي (الشعافي ، 109) ، يتفق فيكتور مرة أخرى مع الشريف في مسألة تحديد الفترة التي نشأ فيها الإيلاف ، فقد توصل كل منهما إلى أن هاشماً أخذ الإيلاف في أوائل القرن السادس الميلادي ؛ فيرجعها فيكتور إلى حاجة بيزنطة إلى تنظيم هذا الشأن الخطير لضمان تدفق السلع التجارية الشرقية (سحاب ، 212)، أما الشريف فيرجح أن مكة قد استفادت من الاضطراب الذي حدث في شبه الجزيرة العربية والمتمثل في

الصراع القائم بين الفرس وبيزنطة ، لتحل مركز الوسيط المحايد لنقل التجارة من الشمال إلى الجنوب ، بالإضافة لبعدها عن نفوذ الدولتين (الشريف ، 204).

وثق هاشم أيضاً صلاته الداخلية ، بأن أصهر إلى العديد من القبائل الكبيرة المشهورة ، فتزوج سلمي بنت عمر بن زيد سيد بني عدى بن النجار ، من الخزرج بيثرب ، وكذلك تزوج هند بنت عمر من بني الخزرج ، وتزوج أيضاً : أم قيلة التي كانت تلقب "الجزور" بنت عامر بن مالك بن جذيمة ، وتزوج أميمة بنت عدى من قضاة ، وواقدة أم "عبد الله" بنت أبي عدي ، وعدي بنت حبيب بن الحارث وهو من ثقيف ، حتى صار الإصحار إلى كبريات القبائل من بعد هاشم سنة اتبعها خلفائه من بناء الدولة المكية مثل ابنه عبد المطلب ، وحفيده محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، الذي تحقق على يده الحلم وتحول إلى واقع وبرزت إلى الوجود دولة الإسلام (ابن سعد ، 88).

وبفضل اتباع سياسة تأليف قلوب القبائل ، بإشراك ساداتها في تجارة قريش ، أو إعطاء ساداتها جعالة مرور ، أو بإكرام إبلها لنقل تجارة قريش ، تمكنت قريش من تأليف قلوب سادات القبائل ، فأمنت على نفسها وصارت قوافلها تخرج في أي وقت شاءت من أوقات السنة في الشهور الحل أو في الشهور الحرم ، لا تخشى بأساً ، حتى أنها صارت تعطي أمانها لغيرها وبذلك ألقت القبائل الأخرى التي لم تكن لها عقود وإيلاف وحبال مع القبائل المخالفة لقريش ، فصارت تحمل كتاب أمان قريش وشعارها ، وهو ما عضد من شجر الحرم يوضع حول العنق ، على ما يزعم أهل الأخبار ، فيكون جواز سفر وكتاب مرور (جواد على ، 304) ، وبهذا النظام حول هاشم مسبعة الطريق الضارية إلى أمن ، وبدل تحاويل الصحراء الفاتكة إلى طمأنينة واستقرار ، يمر فيها من كان بالشام وأنقرة ، ثم من مكة أيضاً إلى اليمن والحبشة ، وبالتجارة القرشية ظهرت مكة إلى حيز الوجود وأصبحت الوسيط الوحيد في نقل التجارة منها واليه. (Walter , P. 131).

سادساً : علاقات مكة الخارجية:

1:علاقة مكة بالجنوب (اليمن والحبشة):

ترجع علاقة مكة بالجنوب إلى أيام دولة قتيبان (القرن 11 ق.م . 25 ق.م) ، ومعين (1300 ق.م . 650 ق.م) ، وسبأ (800 ق.م . 115 ق.م) ، وحمير (115 ق.م . 525 م) ، وذلك لغنى أراضيها بالمعادن الثمينة ، كما تذكر الروايات أن التبع أسعد أبا كرب الحميري كان أول من كسا البيت الحرام

وأوصى بتعظيمه وكسوته (الازرقى ، 1983م ، 249)، وقد كانت القبائل اليمنية هي أول من سكن مكة ، كقبيلة جرهم ثم تلتها قبيلة خزاعة والتي هي فرع من الأزد كان لها الدور الأكبر في عمارة مكة وتنشيط الحج إلى بيتها الحرام (الشريف ، 38).

أما بخصوص العلاقات التجارية في عهد قريش مع اليمن ، فإن الاتصالات كانت قائمة بين أحد رؤساء مكة وبين أقيال اليمن الحميريين إلى أن عقدت قريش معهم إيلافاً بقيادة المطلب بن عبد مناف ، والذي ينص على أن تقوم قريش بالمتاجرة في أرضهم ، وتحدث الروايات عن ذهاب عبد المطلب بن هاشم على رأس وفد من رجال مكة لتهنئة سيف بن ذي يزن بعد انتصاره على الأحباش ، وربما كان قدوم هذا الوفد تعبيراً عن الابتهاج بهزيمة الحبشة التي كانت قد غزت مكة من قبل (الشريف ، 39)، يؤكد ذلك حديث عبد المطلب في قصر غمدان بمدينة صنعاء لسيف بن ذي يزن ، بقوله : " أيها الملك . نحن أهل حرم الله ، وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجنا من كشف الكرب الذي فدحنا . ونحن وفد التهنة لا وفد المرزئة"(*)، ويشير أيضاً الجاحظ في إحدى رسائله والتي خصصها في مدح التجار وذم عمل السلطان ، بقوله على لسان كاهنة اليمن : " لله دُرّ الديار لقريش التجار ، وليس فوقهم قرشي كقولهم هاشمي وزهري وتميمي ، لأنه لم يكن لهم أب يسمى قريشاً فينتسبون إليه ، ولكنه اسم اشتق لهم من التجارة والتقريش" (عكاوي ، 1992م ، 177)، ويذكر أيضاً أنه وجد نقش مكتوب على بعض الآثار في بلاد اليمن مفاده أن قريشاً أصبحت تضارع بشهرتها في المجال الدولي شهرة حمير وفارس والحبشة : "لن ملك دمار . لحمير الأخيار . لن ملك دمار . للحبشة الأشرار . لن ملك دمار . لفارس الأحرار . لن ملك دمار . إلى قريش التجار" (ابن هشام ، 66).

أما فيما يخص علاقة مكة بالحبشة فقد أكدت الكشوفات الأثرية على عمق الصلات العربية الأكسومية(**)، وخاصة بعد أن عثرت بعثة ألمانية عام 1905م أثناء تنقيبها في منطقة أكسوم في الحبشة على بعض المسلات التي تحمل رسوماً ترمز إلى عبادة الشمس التي كانت سائدة في جنوب الجزيرة في تلك الفترة ، كما تم العثور على تماثيل حجري ذي ملامح شرقية وجد عند قدميه كتابات بلغة عرب الجنوب (

(*) المرز: العيب والشين ، الأزهري ، مصدر سابق ، ج 13 ، ص 209 ؛ ممتاز العارف ، الأحباش بين مأرب وأكسوم ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1975م ، ص ص 69-70.

(**) أكسوم : مدينة تقع في الجزء الشمالي من هضبة الحبشة ، فتحي غيث ، الإسلام والحبشة عبر التاريخ ، شركة الطباعة المتحدة ، صنعاء ، د.ت ، ص 5.

مطر ، 1991م ، 39)، ويكفي في إثبات هذا ما ذكره الأصفهاني بقوله : " وكانت أرض الحبشة لقريش متجرراً ووجهاً" (الاصفهاني ، 1997م ، 55).

وأزاد الترابط التجاري بعد أن تدفقت تجارة قريش إلى المجال الخارجي ، عقد عبد شمس بن عبد مناف حلفاً مماثلاً مع النجاشي ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الحبشة متجرراً لقريش ، فهي مصدر من مصادر التجارة الشرقية لما تنتجه من البخور والبلادن والطيب وريش النعام والعاج (Diodorus Of Sicily والجلود والتوابل ، فضلاً عن كونها المصدر الرئيسي لتجارة الرقيق⁵) .

لم تقتصر صلة العرب ببلاد الحبشة على المدن الساحلية فقط وإنما توغل التجار داخل البلاد الحبشية ، فكلما صادفوا مزيداً من الخصب واعتدالاً في الجو شجعهم على التوغل والاستقرار ، كما احتوت أشعار العرب على بعض الأدلة التي تؤكد اتصال العرب ببلاد الحبشة واشتغالهم بالتجارة ، كقصيدة الأعشى ميمون^(*) ، التي قال فيها :

وَقَدْ طُفْتُ أَفَاقَةَ عُمَانَ فَحُمُصٌ فَأَوْزُشَلِيمَ
أَتَيْتُ النَّجَاشِي فِي أَرْضِهِ وَأَرْضُ التَّيِّطِ وَأَرْضُ الْعَجَمِ

ومنذ ذلك الوقت حظيت مكة وبيتها الحرام بنفوذ كبير بين عرب الجنوب ، الذين فقدوا استقلالهم وتطلعوا بدافع القومية إلى البلد العربي المستقل ، فعندما جهز أبرهة حاكم اليمن لغزو مكة غضبوا غضباً شديداً ، وتصدت له بعض القبائل اليمنية وقاتلته ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عمق الترابط والتواصل بين مكة وأهل اليمن (خبيري ، 2004م ، 15)، وعلى الرغم من قيام الأحباش بهذا العمل العدواني على مكة ، إلا أن العلاقات الطيبة ظلت قائمة بين البلدين ، الحاجة كل منهما إلى الآخر ، ثم ازدادت العلاقات الخارجية المكية الحبشية عندما لم يجد الأحباش البديل في نقل تجارتهم إلى الجزيرة العربية ، حيث أنه لم يكن من المستطاع أن تخلق تجارة مع الفرس أعدائهم وأعداء حلفائهم الروم (العمادي ، 70)، والتي استمرت حتى أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم المهاجرين الأولين من الصحابة إليها ، وما كان إرسال النبي صلى الله عليه وسلم إلا لمعرفة سابقة بها (الرشيد ، 1979م ، 226).

2:علاقة مكة بالشمال :

(*) ميمون بن قيس : كان أعمى ويكنى بأبي بصير ، شاعر جاهلي ، أدرك الإسلام في آخر عمره ، رحل إلى النبي (ص) ، فقيل له إنه يحرم الخمر والزنا والقمار ، فقال : أمتنع بها هذا العام ثم أسلم ، فمات قبل ذلك ، للمزيد ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج 1 ، دار الثقافة ، ط 4 ، بيروت ، 1980م ، ص 178.

أما علاقة مكة بالشمال فهي قديمة ترجع إلى أيام النبط ، الذين كانوا يقومون على التجارة في شمال بلاد العرب ، إذ كانت البتراء عاصمتهم المركز التجاري الرئيسي لطرق القوافل بين غزة وبصرى وما بين دمشق وأيلة ، فقد عمل أهل الحجاز على تعظيم شأنهم معهم من خلال وضع العديد من التماثيل لأرباب كانوا يعبدونها داخل الكعبة ، كما استقدموا إلى الحجاز آلهة أخرى منها اللات ، العزي^(**)، ومناة^(***)، ويبدو أن نقل هذه الأصنام من بلاد النبط إلى مكة كان وسيلة من الوسائل لتعظيم شأن الكعبة عند أهل الشمال من جهة ، وإيناسهم بها كلما رحلوا إلى الحجاز من جهة أخرى ، بالإضافة إلى تقريب ما بينهم من شعائر البيت الحرام ، ولما قدم قصي إلى مكة جمع قريش ونازع بها خزاعة للاستيلاء على مكة ، استعان بقضاة وهي إحدى القبائل التي كانت تقيم في بادية الشام وتخضع للغساسنة الذين كانوا تحت النفوذ البيزنطي (الشريف ، 106).

وكان للنبط أسواق في جزيرة العرب وكانوا يجلبون من الشام أمتعتها ، ويحملون إليها من الجزيرة نتاجها خاصة الزيت ودقيق الحواري^(*)، ويرتادون العراق أحياناً ويرجعون منه بالتمر والأدم ونحوها من حاصلات تلك البلاد ، وكان أشهر أسواقهم في يثرب ، بل إن لهم سوقاً فيها عرف باسمهم ذكره ابن سعد في معرض حديثه عن هاشم بن عبد مناف في بعض أسفارة إلى يثرب بقوله : " نزل هاشم بسوق النبط فصادف سوقاً تقوم بها في السنة يحشدون لها " (ابن سعد ، 58).

كانت قريش على علاقة وثيقة مع الشام لدرجة أن الروم كانت هي الأخرى حريصة على أن تظل علاقاتها التجارية مع قريش وطيدة حتى لا تفقد ما تجلبه إليها وما تأخذه منها ، ولكن بيزنطة حتى مع ارتباطها مع العرب من الناحية التجارية ، لم تكن تقبل التفاوض مع العرب على مبدأ الباب المفتوح ، فقد كانت ترى كل غريب عنها عيناً يجب مراقبته عن كثب لذلك كانت المعاملات التجارية مع العرب تتم على حدود بلاد الشام ، مع عدم السماح لهم بالإقامة والتجارة إلا في عدد ثابت من مدن الشام مثل

(**) ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة النجم ، الآية: 19، وأما الذي اتخذه العزى على رواية ابن الكلبي فهو ظالم بن أسعد ، وقد ذكر أن العزى شجيرات ، وقيل أنها حجر أبيض ، فلقد كانت قريش تخصها دون غيرها بالزيارة والهدايا ، للمزيد ينظر: محمد إبراهيم الفيومي ، تاريخ الفكر الديني الجاهلي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1994م ، ص 417.

(***) وهو من الأصنام المذكورة في القرآن الكريم في سورة النجم الآية: 20 ، وموضع مناة بالمشلل على سبعة أميال من المدينة ، للمزيد ينظر : جواد علي ، المفصل ، ج 6 ، ص 247.

(*) الحواري : لباب الدقيق ، وكل ما حُور أي بُيض من الطعام ، للمزيد ينظر: سعيد الأفغاني ، أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، مكتبة العروبة ، للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط 4 ، 1996م ، ص 22.

بصرى وغزة والقدس (سالم ، 13)، وماقول هاشم الأنف الذكر لقيصر وهو : "أيها الملك إن قومي تجار العرب فإن رأيت أن تكتب لي كتاباً تؤمن..." (البغدادى ، 171)، إلا دلالة واضحة على مدى استفادة الروم من السلع الحجازية المتمثلة في الأدم والحرير إلخ... ، لأنها تباع أرخص من غيرها ، بل أن من ذهب إلى أن اعتماد الروم على تجارة العرب كان عظيماً في كثير من شؤونهم (امين ، 1967م ، 13). وقد حاولت الإمبراطورية البيزنطية بعد أن ورثت المشرق الاستيلاء على طريق التجارة عبر الحجاز ، الذي كان في يد خصومهم الفرس ، وعندما حصل هاشم بن عبد مناف على العصم من الروم والغساسنة بالتجارة في أرض الدولة البيزنطية وازدياد مكانة مكة التجارية في الجزيرة ، الأمر الذي جعل الروم يفكرون في بسط نفوذهم على مكة والسيطرة على طريق الحجاز والاتصال المباشر بمنابع التجارة الشرقية ، ولعدم مقدرة جيوشهم والمجازفة ودخول الصحراء والوصول إليه اتخذوا من الحبشة حليفة لهم لتقوم بهذا الدور ، ولا شك أن فشل حملة أبرهة الحبشي على مكة ، جعل الروم يفكرون في عمل محاولة سياسية أخرى عسى أن تلقى نجاحاً بين عرب الحجاز بتخليك سيد من العرب على مكة ، فارتضى قيصر رجلاً من ساداتها هو عثمان بن الحويرث ، وهو ممن تمردوا على الوثنية وبحثوا عن ديانة أخرى أفضل منها ، الذي ملكه على مكة ومنحه براءة بذلك ، وكتب له كتاباً يبلغها قومه (Henri p. 87)، لكن القرشيين كانوا قد ارتضوا لحكم مكة نوعاً من الحكومة ألغوا فيها الرئاسة الفردية ، فقد التزموا موقف الحياد كعادتهم ، فلم يقبلوا زعامة الحويرث عليهم إذ ليس من مصلحة مكة أن ترتبط ارتباطاً خاصاً بأي من المعسكرين المتعادين.

أما علاقة قريش بمصر فالمصادر تشير إليها إشارات طفيفة ، إلا أنها تثبت تلك العلاقة ولكنها لا تحدد مداها ، فهناك نسان ذكر أحدهما ابن سعد بقوله : " إن نفرًا من بني مالك أجمعوا على الوفود إلى المقوقس وأهدوا له الهدايا (ابن سعد ، 285)، وثانيهما "إن ابن جدعان أتى مصر ببضاعة ورجع إلى عكاظ" (الافغاني ، 25).

3: علاقة مكة بالفرس والحيرة :

لقد رسمت كتب الأدب والتاريخ صورة عن التبادل التجاري بين العرب والفرس وغيرهم من الأمم الأخرى ، فقد كانوا يتاجرون معهم ويشترون منهم ويبيعونهم ، ويرسلون القوافل بأسمائهم إلى العربية الجنوبية لبيع ما تحمله في أسواقهم ولشراء سلع العربية الجنوبية ، ويحملونها إلى أسواق العراق (لويس ،

1950 ، 19)، وقد كان ملك الفرس وملوك الحيرة يوكلون حراسة قوافلهم إلى جماعة يختارونهم من سادات القبائل العربية المهاجرين المعروفين ، مقابل جعل يدفعونه لهم (ابوشارب ، د.ت ، 129).

كما ذكر المؤرخون أن الأوائل من ملك فارس كانت تحج الكعبة وتهدي إليها ، فقد ذكر السهيلي في كتابه بقوله : "أن الأسياف والغزلان كان ساسان ملك الفرس أهداها للكعبة وقيل سابور" (السهيلي ، 177)، والظاهر أن قريشاً كانت تعرف الشام معرفة جيدة ، وكانت تأمن فيها ولذلك فإن حرب بن أمية خرج إليه ومكث فيه عشر سنين حينما نافر هاشم بن مناف فنفر عليه (البغدادي ، 105).

تعززت هذه العلاقة أكثر مما هي عليه في السابق بعد حصول أحد أطراف الإيلاف الأربعة والمتمثلة في شخص نوفل بن عبد مناف على العصم من كسرى للمتاجرة في بلاد الفرس ، إلا أن هذه العلاقة لم تكن بنفس القوة التي كانت بين مكة والبلاد الأخرى ، لأن الفرس كان اتصالهم بالتجارة الشرقية اتصالاً مباشراً ، كما أن تجارة الفرس مع الجزيرة العربية كانت بيد الحيرة التي كانت تتسلمها ثم تجيزها إلى أسواق العرب مقابل جعل تدفعه لرؤساء القبائل لحماية هذه التجارة ، ويذكر أن ملوك الحيرة أنفسهم كانوا يرسلون متاجرهم إلى أسواق مكة كل عام في حماية بعض القبائل العربية ، وفي الوقت نفسه كانت قوافل قريش تخط بتجارها في الحيرة ، ويقال أيضاً أن قريشاً تعلمت الكتابة العربية من أهلها (George p.43) ، فهذا النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث إلى سوق عكاظ في كل عام لطيمة(*) في جوار شريف من أشرف العرب يجيزها له حتى تباع هناك ، ويشترى له من آدم الطائف ما يحتاج إليه ، وكثيراً ما كان يتعدى على هذه اللطيمة وتنهب (ابن الاثير ، 359).

بمذه العلاقات التجارية الواسعة التي عقدتها مكة داخل الجزيرة وخارجها ، والتي ربطت مصالح هذه القبائل الاقتصادية بمصلحتها ، خرجت مكة من عزلتها إلى المجال الخارجي ، واستطاعت أن تحتل دور الوسيط التجاري بين الدول المجاورة للجزيرة العربية ، ومع مرور الزمن أخذت تسيطر شيئاً فشيئاً على التبادل التجاري بين الشمال والجنوب ، حتى عظمت قوافلها لتبلغ القافلة الواحدة خمسمائة وألفي بعير تحمل عروض التجارة المختلفة ، ويذكر أن قيمة ما تحمله قافلة قوامها ألف وخمسمائة بعير خمسين ألف دينار ، وهو مبلغ كبير إذا قيس بقيم العملة الآن (الشريف ، 44).

(*) اللطيمة: هي العير التي تحمل الطيب ويز التجارة ، الزبيدي ، مصدر سابق ، ج 9 ، ص 60 ؛ ابن منظور ، مصدر سابق ، ج 12 ص 543.

قائمة المصادر و المراجع :

أولاً/ المصادر :

1- المصادر العربية :

- 1- القرآن الكريم رواية قالون عن نافع المدني .
- 2- ابن الأثير ، عز الدين أبن الحسن علي بن محمد الجزري ، الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ، 1978م .
- 3- ابن سعد ، محمد ابن منيع الهاشمي ، الطبقات الكبرى ، تح . محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990م .
- 4- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، دار الثقافة ، ط4 ، بيروت ، 1980م .
- 5- ابن كثير ، ابو الفداء الحافظ الدمشقي ، البداية والنهاية ، ط 5 ، مكتبة المعارف ، القاهرة ، 1983م .
- 6- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، 1968م .
- 7- ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، السيرة النبوية ، تح . محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، ط2 ، بيروت ، 2005م .
- 8- الأزرقى ، أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، ت. رشدي الصالح ملحق ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ، 1983م . 20- الأزهرى ، أبي منصور محمد أحمد ، تهذيب اللغة ، تح. محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، د.ت .
- 9- الأزهرى ، أبي منصور محمد احمد ، تهذيب اللغة ، تح : محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، د.ت .
- 10- الاصفهاني ، أبي فرج علي بن الحسين ، كتاب الأغاني ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، 1997م .

- 11- الالوسي ، محمود شكري ، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ، دار المعرفة ، القاهرة ، د.ت .
الاندلسي ، ابي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،
1983 م .
- 12- البسوي ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان ، كتاب المعرفة والتاريخ ، ط2 ، تح. أكرم ضياء
العمري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1981م .
- 13- البغدادي ، محمد بن حبيب ، كتاب المنمق في أخبار قریش ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر
آباد ، 1964م .
- 14- الخبر ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت .
- 15- الثعالبي ، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ، ثمار القلوب في المضاف
والمنسوب ، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1965م .
- 16- الرازي ، محمد الرازي فخر الدين ، التفسير الكبير ، المطبعة البهية المصرية ، ط1 ، القاهرة ،
1938م .
- 17- الزبيري ، ديوان عبد الله ، تح. يحيى وهيب الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1981م .
- 18- الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،
1306هجري .
- 19- السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لأبن هشام ، شرح
وتعليق ، عبد الرحمن الوكيل ، مكتبة دار النصر ، القاهرة ، 1967م .
- 20- الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ج1 ، تح.
مصطفى عبد الواحد ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، 1990م .
- 21- الطبري ، ابي جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،
1991م .
- 22- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج30 ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، 2001م .
الفيرزبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،
1986م .

- 23- القالي ، أبي علي إسماعيل القاسم البغدادي ، ذيل الأمالي والنوادر ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت.
- 24- القرطبي ، عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1952م.
- 25- الكلبي ، أبي المنذر بن هشام بن محمد السائب ، جمهرة النسب ، تح. ناجي حسن ، عالم الكتب ، بيروت د.ت.
- 26- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تح. محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1987م .
- 27- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، 1960م .

2- المصادر الأجنبية:

- Diodorus of Sicily, Harvard University Press, London.

ثانياً:المراجع:

1المراجع العربية:

- .أبوشارب ، مصطفى فتحي ، العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، الرياض ، 1317هجري.
- الأفغاني ، سعيد ، اسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، مكتبة العروبة ، للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط4 ، 1996م.
- . أمين ، أحمد ، فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، ط11 ، بيروت ، 1975م.
- . بيضون ، إبراهيم ، الحجاز والدولة الإسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، 1983م .
- . حمور ، عرفان محمد ، مواسم العرب الكبرى "تاريخ المواسم الكبرى في بلاد العرب وللقواعد التي قامت عليها وأشهر أخبارها وآثارها" ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت ، 1999م.
- سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ الدولة العربية ، تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1971م .
- . سحاب ، فكتور ، إيلاف قريش ، رحلة الشتاء والصيف ، كومبيو نشر والمركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1992م .

- سعيد ، محمد ، النسب والقراية في المجتمع العربي قبل الإسلام ، دراسة في الجذور التاريخية للإيلاف ، دار الساقى ، بيروت ، 2006م.
- صدر الدين ، مصطفى شرف الدين ، هاشم وأمية في الجاهلية ، دار القلم ، بيروت ، 1981م.
- الشريف ، احمد إبراهيم ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1968م .
- _____ ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1965م.
- العارف ، ممتاز ، الأحباش بين مأرب وأكسوم ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1975م
- الفيومي ، محمد ابراهيم ، تاريخ الفكر العربي الجاهلي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1994
- عبد الكريم ، خليل ، قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية ، سينا للنشر ، القاهرة ، 1997م .
- العزيز ، حسين قاسم ، موجز تاريخ العرب والاسلام ، مكتبة النهضة ، بيروت ، 1871م.
- عكاوي ، رحاب خضر ، المنتخب من رسائل الجاحظ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1992م
- علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1967م
- العمادي ، محمد حسن عبد الكريم ، التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام حتى القرن الرابع الهجري، مؤسسة حمادة ، اريد ، 1997م.
- غيث ، فتحي ، الإسلام والحيشة عبر التاريخ ، شركة الطباعة المتحدة ، صنعاء ، د.ت.
- الكتاني ، عبد الحي ، نظام الحكومة النبوية ، المسمى التراتيب الإدارية ، ج2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت.
- لويس ، أرشيبالد .ر. ، القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط "500-1100م" ، ت.
- أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1950م.
- مبيض ، عامر رشيد ، موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية "مصطلحات ومفاهيم" ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، حمص ، 2000م .

المراجع الأجنبية:

- Fadlo , Hourani , George ,Arab Seafaring in the Indian Ocean In Ancient and early Medieval Times, Khayats, Press, 1963.
- Henri Lammens , S . I. le Berceau de l'Islam , L'Arabie Occidentale a la veille de l'Hegire , I , Romae :

ثالثاً: الندوات :

. الرشيد ، ناصر بن سعد ، (تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي) ، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1979م .

Walter W. Muller , Survey of the History of the Arabian Peninsula from the First A.D. to the Rise of Islam , Second International Symposium on the History of Arabia , King Saud University (Formerly Riyadh University) ,Riyadh ,Saudi Arabia ,1984.

رابعاً: الرسائل الجامعية.

. خبيري ، زينب محمد حسن ، (آثر الإسلام في العلاقات العربية الحبشية، من السنة الخامسة للبعثة حتى 132هـجري ، 615-750ف) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف : سالم محمد المعلول ، جامعة سبها ، 2004ف.

. عبد الحكيم عاشور ميلاد الشعافي ، (السلطة والإيلاف في مكة قبل الإسلام من القرن الرابع حتى بداية القرن السابع الميلادي) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف : الدكتور احمد محمد انديشة ، جامعة طرابلس ، 2008 .

خامساً: الدوريات.

- درازكة ، صالح ، (إيلاف قريش ، ملاحظات حول عوامل السيادة الملكية قبل الإسلام) ، مجلة الدراسات التاريخية ، العددان السابع عشر والثامن عشر ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، دمشق ، 1984م .
 . مطر ، صالح ، (تطور العلاقات الإفريقية العربية)، مجلة الدراسات الإفريقية ، العدد:4 ، السنة:4 ، مركز الدراسات الإفريقية ، سبها ، 1991م.

نهر الكفرة الجوفي

حقيقته وأهميته العلمية والاقتصادية

أ. محمد أحمد علي الكف

كلية الآداب والعلوم قصر الاخيار/ جامعة المرقب

mohamedalkef@gmail.com

المقدمة :

تعد دراسة الأنهار المغمورة بالرمال في المناطق الصحراوية بفعل الارساب الهوائي من الدراسات الحديثة، التي تساهم في الكشف عنها من أجل دراستها والاستفادة منها اقتصاديا. وتنتشر هذه الأنهار بشكل كبير في المناطق الصحراوية، وخاصة في الصحاري التي شهدت تغيرات مناخية عبر العصور، حيث كانت مناطق غزيرة الامطار، تحولت الى مناطق صحراوية نتيجة التغير المناخي. والجدير بالذكر بأن الأنهار أو الوديان الجوفية عبارة عن وديان جفت عبر سنين طويلة، نتيجة للتغيرات المناخية، وقامت الرياح بغمر هذه الوديان بالرواسب الرملية. وتعد الصحراء الكبرى وصحراء شبه الجزيرة العربية من الصحاري التي ترخر بهذا النوع من الأنهار، وهذا ما كشفت عنه الدراسات الحديثة، والتي منها نهر الكفرة الذي يقع في الجنوب الشرقي للصحراء الليبية، وبالتحديد في منطقة بحر الرمال العظيم ونهر الجلف الكبير في الصحراء الغربية لجمهورية مصر العربية. وكانت هذه الأنهار عبر العصور المطيرة أنهار دائمة الجريان، تغذيها بحيرات عملاقة في منطقة الصحراء الكبرى، ويعتقد بان هناك حضارات قديمة قامت على ضفاف تلك الانهار في انتظار الكشف عنها. ويعد نهر الكفرة الجوفي من اكبر الأنهار المكتشفة في الصحراء الكبرى، وهذا ما كشفت عنه صور الأقمار الاصطناعية، التي تعد ذات أهمية خاصة في الدراسات الجغرافية، لأنها تمثل سجلا مرئيا للخصائص المحلية للمنطقة التي تغطيها الصورة، خلال الفترة الزمنية التي التقطت فيها. وهذه الخاصية جعلت استخدام صور الأقمار الاصطناعية واسع الانتشار في الكشف عن هذه الأنهار و كنوز وثروات الصحراء ، لأنها تمكن من دراسة الظواهر الجغرافية من حيث مراقبتها وتتبع تطورها، والتغيرات التي تطرأ عليها، واعداد خرائط دقيقة خاصة في المناطق النائية والصحراوية التي لا يمكن الوصول لها بسهولة.

وهذا ما كشفت عنه دراسة قامت بها د. ¹إيمان غنيم، عن وجود ممر مائي عملاق قديم مدفون أسفل رمال الصحراء الكبرى يعرف بنهر الكفرة. ونحاول في هذه الدراسة التعرف على هذا النهر، من حيث موقعه وحدوده، وخصائصه الجغرافية، مع التركيز على النظريات الخاصة بتكوينه، والأهمية العلمية والاقتصادية والتاريخية لهذا النهر، لكونه يقع في معظمه في الأراضي الليبية.

2. حقيقة وجود نهر الكفرة

كشفت د. إيمان غنيم عن وجود نهر جوفي مطمور تحت الرمال في الجنوب الشرقي لليبياء، بالقرب من الحدود المصرية السودانية، يبلغ طوله حوالي 1900² كيلومتر، (Ghoneim 2008) وتبلغ مساحة حوضه (236) ألف كيلومتر مربع، ولنهر الكفرة دلنا عملاقة تقدر مساحتها بحوالي 34 ألف كيلومتر مربع، (شكل 1). وينبع هذا النهر من وسط أفريقيا، و بالتحديد من بحيرة تشاد القديمة، ويمر بشرق الأراضي الليبية حتى خليج سرت مكونا العديد من البحيرات في منخفضات جالو وأوجلة. والجدير بالذكر أن صخور الحجر الرملي النوبي، المعروفة بمساميتها الشديدة ساعدت على تكوين خزانات جوفية عملاقة بالمنطقة. والمعروف أن هذه المنطقة كانت في الماضي مناطق غزيرة الأمطار، ذات غطاء نباتي كثيف خلال الزمن المطير، وأن التغيرات المناخية وعوامل الطبيعة التي طغت على المنطقة بمرور الزمن تسببت في دفن المجرى المائي. وفي مؤتمر صحفي، قالت د. إيمان غنيم بأنها استخدمت الصور الرادارية في هذه الدراسة، والتي شملت 180 صورة رادارية لكامل المنطقة، بقيمة 3 الاف دولار للصورة الواحدة، وأن رصد هذا الممر استغرق أكثر من 10 سنوات من العمل بالأقمار الاصطناعية الرادارية، والتي تمكننا من مشاهدة ما تحت الرمال. وتم ذلك بالتعاون مع جامعة نورث كارولينا ومركز أبحاث الاستشعار عن بعد برئاسة د. فاروق الباز³.

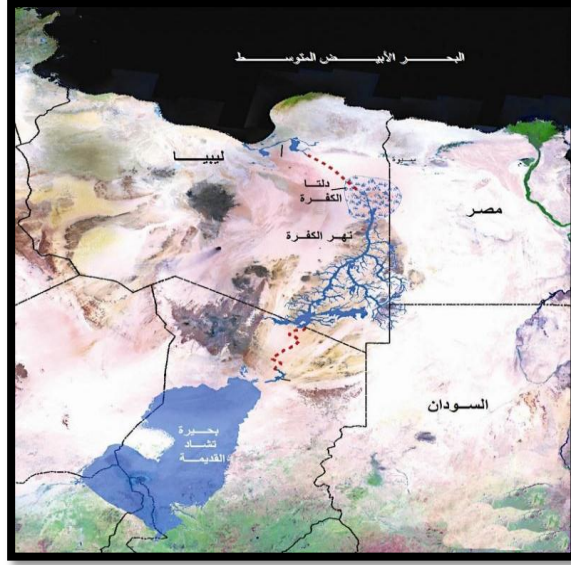
3. نظريات تكون هذا النهر.

¹ هي مديرة معمل أبحاث الفضاء والاستشعار عن بعد بقسم الجغرافيا والجيولوجيا بجامعة نورث كارولينا بولمنجتون، بالولايات المتحدة الأمريكية . وهي أحد أعضاء المجموعة البحثية للدكتور فاروق الباز.

² International Journal of Remote sensing, 28(22), 5001-5018 (2007)

³ مدير مركز الاستشعار عن بعد في جامعة بوسطن، واحد أهم الخبراء في مجال المياه الجوفية في الصحارى العربية.

1.3 - الرأي الأول⁴: (أندروس 1996) يرى معظم الباحثين بأن هذا النهر تكون نتيجة الامطار الغزيرة، التي كانت تغط على منطقة شمال أفريقيا، حيث تشكلت بحيرات عظيمة، منها بحيرة تشاد التي كانت اكبر من حجمها الحالي بعشرات المرات، وكانت هذه البحيرة تغذي نهر الكفرة الذي كان يتجه الى الشمال نحو ما يعرف بالصحراء الليبية، وان المناطق المنخفضة مثل منخفض القطارة وجالو وأوجلة وشخرة، ماهي إلا بحيرات كان يصب بها هذا النهر. وكذلك الحال بالنسبة لنهر النيل الأصفر، وهو نهر قديم يعتقد أنه ينبع من بحيرة تشاد العظيمة في ذلك الوقت، ويتجه صوب الشرق ليغذي مجري نهر النيل الحالي، ويتفرع من هذا النهر فرع يتجه نحو الشمال، ويعرف هذا الفرع بنهر الجلف الكبير، الذي يخترق الأراضي المصرية لينتهي ببحر الرمال العظيم.



شكل (1)⁵ خريطة نهر الكفرة الجوفي من المنبع إلى المصب

⁴ أندروس. جودي، التغيرات البيئية "جغرافية الزمن الرابع"، (ترجمة محمد محمد عاشور) المجلس الأعلى للثقافة 1996.

⁵ A River in the Desert - Remote-sensing Photos locate ancient river in Arabian Peninsula, FindArticles.com, July 1993.

2.3 الرأي الثاني⁶: (Alimen 1957) ويرى بعض الباحثين بأن نهر الأمازون كان يصب في الجزء الشمالي من القارة الأفريقية، عندما كانت قارة إفريقيا وقارة أمريكا الجنوبية قارة واحدة، تعرف بقارة (جندوانا)، حيث تشكلت العديد من الأنهار والبحيرات. ويعتقد الجيولوجيون بأن الخزانات الجوفية الموجودة في الصحراء الكبرى، ما هي إلا بقايا هذا المصب. وكانت بحيرة تشاد تتغذى من هذا النهر (تأمازون)، والذي جعلها من أكبر البحيرات الموجودة في ذلك الوقت. إلا أن هذا الرأي ينقصه البراهين والأدلة ويعتمد على بعض التخمينات فقط.

4. أدلة وبراهين وجود هذا النهر

1.4 الأدلة التاريخية: ذكرت بعض الكتب التاريخية المهمة بدراسة تاريخ شمال إفريقيا، بعض النصوص على وجود نهر قديم، يمر بالأراضي الليبية. فقد ذكر الاستاذ ابراهيم منصور، مؤرخ البلاط الملكي المغربي في كتابه (قبائل المغرب)، "أن المصريين القدماء غيروا مجرى نهر النيل، الذي كان يصب في خليج سرت من ليبيا إلى مصر، ونتيجة لذلك هاجم الليبيون مصر، و نشبت حروب شديدة بينهم ولسنوات طويلة، الامر الذي جعل المصريين يشيدون مدنهم جميعها شرق النيل، مخافة هجوم الليبيين". ويدل ذلك على وجود نهر قديم في ليبيا يصب في خليج سرت، وفسر قدماء المؤرخين ذلك على كونه نهر النيل في حين أنه نهر مستقل جف عبر السنين. وورد نص للمؤرخ هيرودوت في كتاب الدكتور فهمي خشيم (نصوص ليبية) قال فيه " وعليه فإنني أفترض أن مجرى النيل في سيره عبر ليبيا يماثل مجرى الايستر عبر أوروبا". . ونعتقد بأن هيرودوت يقصد نهر الكفرة.

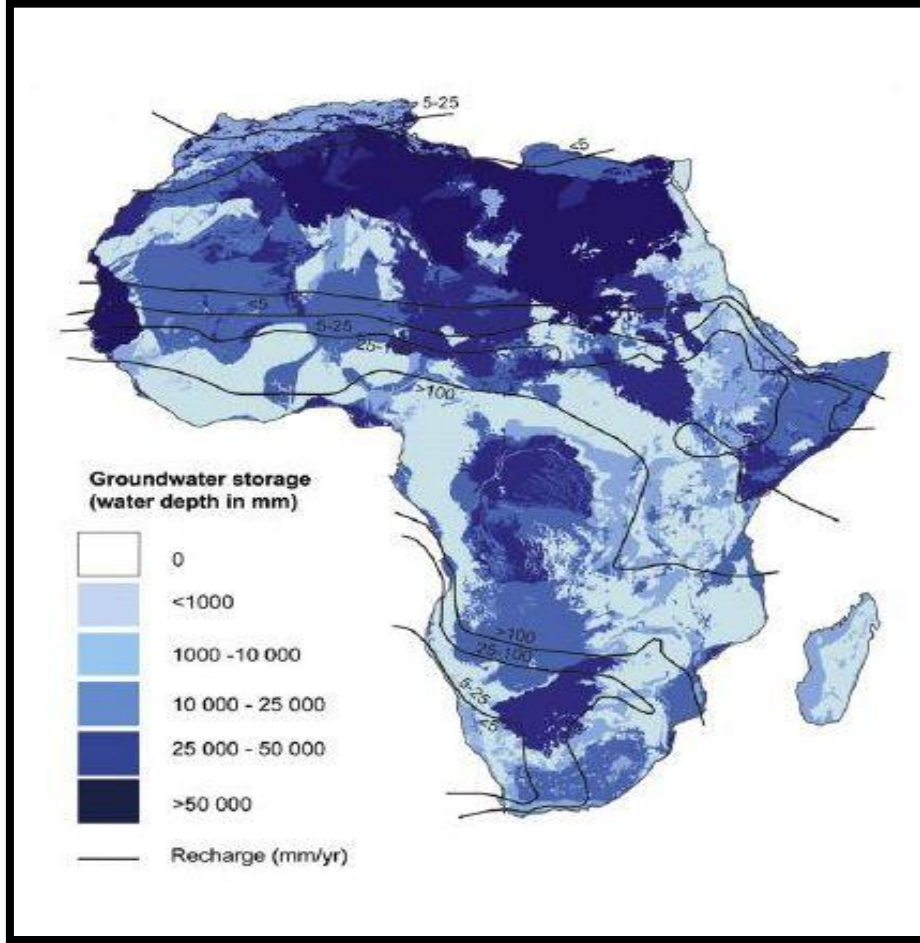
2.4 المخزون الجوفي الهائل من المياه في الصحراء الكبرى.

لعل أقوى البراهين على وجود هذا النهر، هي الدراسة التي قام بها مركز المسح الجيولوجي البريطاني وقسم الجغرافيا بكلية لندن كولاج، تحت عنوان (Quantitative maps of groundwater in

⁶ Alimen, H, The prehistory of Africa, London, 1957.

(Africa) حيث أكدت هذه الدراسة في تقريرها النهائي،⁷ أن المناطق الصحراوية الأكثر جفافاً في أفريقيا تضم مخزونات هائلة من المياه الجوفية. وأن أكبر كميات المياه الجوفية، توجد في شمال أفريقيا ولا سيما في ليبيا والجزائر ومصر والسودان، وأن مخزونات المياه الجوفية في أنحاء أفريقيا، تعادل مائة مرة ما على سطحه. واعتمدت الدراسة على عملية قياس كمية الضخ من الآبار الجوفية (Borehole Yields) في القارة الأفريقية، مع التركيز على العوامل الجيولوجية والجيومورفولوجية وكمية الأمطار الساقطة على المنطقة و المتتمثلة في مسامية الصخور وكمية تشبع الصخور بالمياه. وذكرت الدراسة أن أغلب الأحواض الجوفية مغلقة وغير متجددة، وأن كميات المياه الموجودة تعود إلى العصور القديمة، حيث كانت المنطقة غزيرة الأمطار. وأن كمية المخزون الجوفي في هذه المنطقة تقدر بحوالي $75 \times 10^6 m^3 km^{-2}$ بعمق 75 متر. ويبين الجدول رقم (1) أكبر عشر دول من الدول الأفريقية ذات المخزون الأعلى في القارة. ويلاحظ من خلال خريطة توزيع المياه الجوفية بالقارة الأفريقية، أن ليبيا أكثر الدول التي تحوي على مخزون جوفي هائل، وأن موقع الخزان الجوفي الكبير، يقع تماماً في نفس موقع نهر الكفرة الجوفي، وهذا أكبر مؤشر وبرهان على وجود هذا النهر، وعلى أن هذا المخزون تغذى في الماضي من نهر الكفرة القديم.

⁷ A M MacDonald, H C Bonsor, B 'E 'O Dochartaigh and R G Taylor 2012 Quantitative maps of groundwater resources in Africa, British Geological Survey Online at stacks.iop.org/ERL/7/024009

شكل (2) ⁸ خريطة توزيع المياه الجوفية في قارة افريقيا

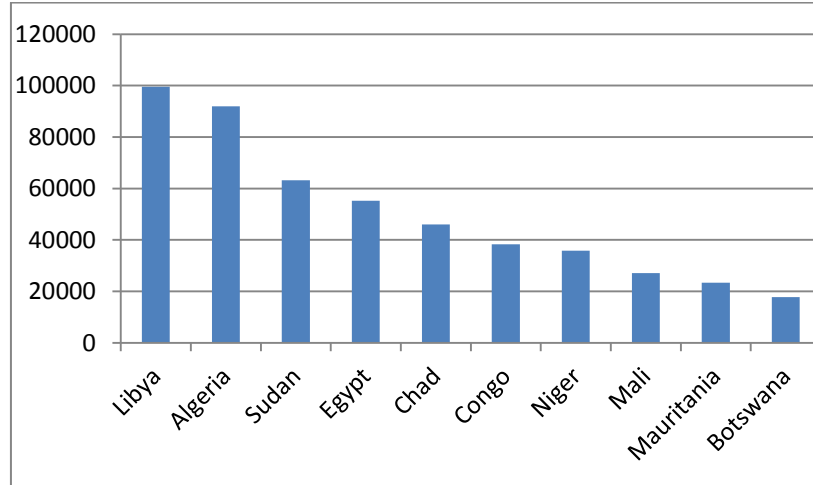
⁸ A M MacDonald, H C Bonsor, B 'E 'O Dochartaigh and R G Taylor 2012 Quantitative maps of groundwater resources in Africa, British Geological Survey Online at stacks.iop.org/ERL/7/024009

جدول (1) تقديرات المخزون الجوفي للمياه الجوفية في قارة افريقيا مرتبة من الأعلى مخزون الى الاقل مخزون (km3)

Country	Best estimate (km3)	Country	Best estimate (km3)
1 Libya	99500	6 Congo	38300
2 Algeria	91900	7 Niger	35800
3 Sudan	63200	8 Mali	27100
4 Egypt	55200	9 Mauritania	23400
5 Chad	46000	10 Botswana	17700

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على جدول تقديرات المياه الجوفية بأفريقيا الصادر عن مركز المسح الجيولوجي البريطاني

شكل (3) تقديرات المخزون الجوفي للمياه الجوفية في قارة افريقيا (km3)



المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على الجدول رقم (1)

5. الاختلافات العلمية حول هذا النهر.

أثنى معظم الباحثين المهتمين بهذا المجال، والمراكز البحثية المتخصصة في أوروبا وأمريكا على هذا الاكتشاف، كما أنكر البعض وجود هذا النهر، ومنهم د. مغاوري شحاتة⁹، وقال في أحد الصحف¹⁰:

" أن الممر الذي رصدته الباحثة إيمان غنيم، هو جزء من خزان الحجر الرملي النوبي، وليس نهراً قديماً، والمشاكل التي صادفناها خلال عملنا في منطقة الوادي الجديد وتحديداً في واحة الداخلية، علمتنا أن الافتراض الأمثل للتعامل مع هذا الخزان الجوفي، هو أنه مغلق وبلا منبع، و أن مصدر آبار المياه المتفجرة في مناطق متفرقة من الصحراء الغربية، هو خزان جوفي قابل للنضوب وأن الإعلان عن أي اكتشافات مائية لآبار أو أنهار مدفونة، يعد كلاماً مرسلاً تنقصه الدقة، حتى وإن حاول البعض الاستشهاد بألية الاستشعار عن بُعد، أو الصور الفضائية، لأنه من المعلوم أنها وسائل فنية لاكتشاف مظاهر سطح الأرض، أو الأعماق القريبة التي تتراوح بين 10 و 15 متراً، في حين أن الوصول لمياه الصحراء الغربية يحتاج الى أعماق تتعدى آلاف الأمتار. و أن مصدر آبار المياه المتفجرة في مناطق متفرقة من الصحراء، هو مستودع أو خزان جوفي قابل للنضوب. وأن أراضي الصحراء الغربية ذات طبيعة معقدة، خاصة في باطنها، لأنها تحتوي على طبقات حاملة للمياه تتداخل مع أخرى مانعة لها، وهو تكوين تتداخل فيه طبقات الأحجار الرملية والطينية، مما يحدث انفجاراً مائياً هائلاً. وحينما يرى البعض المياه تتدفق من الآبار الصحراوية، يعتقد أنها أنهار جوفية، لكن واقع الأمر أن هذه المياه مصدرها خزانات جوفية من الرمال تتداخل معها رواسب طينية مما يوقع المياه تحت ضغط الطبقات الطينية، وهي ظاهرة سرعان ما تتلاشى مع مرور الزمن، وذلك حينما يقل الضغط الذي يدفع المياه للخروج من الأسفل».

ونرى ان المشككون في وجود هذا النهر، ينقصهم الاثبات العلمي الراسخ. فبينما قدمت مجموعة د. إيمان، أدلة ملموسة حول وجود النهر والمتمثلة في الصور الفضائية، لم يقدم المشككون أي دليل ملموس، إنما اعتمدوا على دراسات حقلية لا تقدم الكثير، وبنوا نظرياتهم على استنتاجات لا أكثر. ونسب البعض هذا الاكتشاف الى أنفسهم، حيث سارع د. خالد عودة، استاذ الجيولوجيا بكلية العلوم بجامعة أسيوط، إلى عقد مؤتمر صحفي يعلن فيه اكتشافه لنهر جوفي في الصحراء بين ليبيا ومصر، مستندا إلى بعض الزيارات الحقلية التي قام بها في الصحراء الغربية، وبعض الصور الفضائية.

⁹ أستاذ المياه ورئيس جامعة المنوفية السابق. وهو أحد أكبر المتخصصين في مجال الموارد المائية والهيدروجيولوجيا.

¹⁰ المصري اليوم، 19-06-2011 <http://www.almasryalyoum.com/news/details/139097>

6. الصور الرادارية

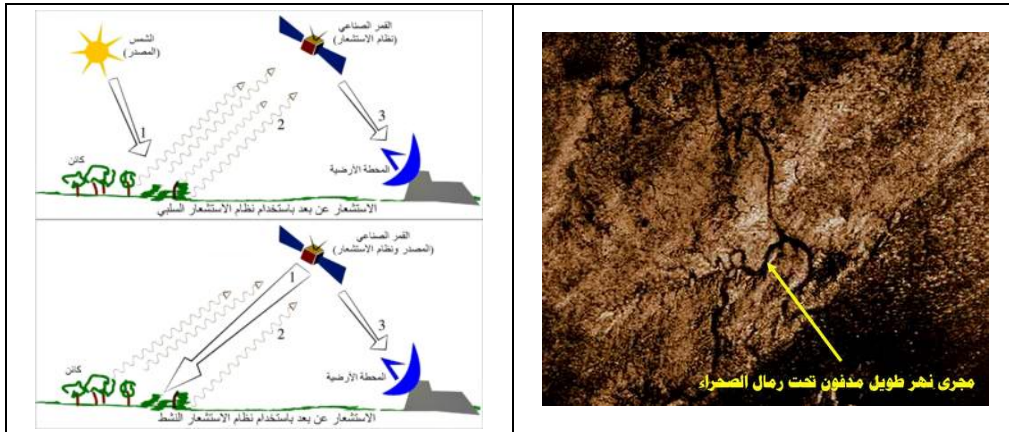
وهي صور لها القدرة على اختراق طبقات السطح لمسافات صغيرة، قد تصل إلى 15 متر في احسن الاحوال. وتعتمد أقمار الاستطلاع الراداري على انعكاسات طيفية، حيث تقوم الأقمار الصناعية أو الطائرة بإرسال الموجات الكهرومغناطيسية إلى سطح الأرض الشكل (5)، فترتطم به وتنعكس ليستقبلها الرادار، الذي يقوم بإرسالها إلى محطات الاستقبال الأرضية. ويتوقف عمق الاختراق على ثلاثة عوامل هي :

- طول الموجة: فكلما كانت الموجة أطول كان الاختراق أكبر.
- نسبة الرطوبة : فكلما كانت الرطوبة أقل كان الاختراق أكبر
- قوام التربة: فكلما كان القوام أخشن كان الاختراق أكبر.

وتستخدم الصور الرادارية في تطبيقات عديدة، ففي الجيولوجيا تستخدم لمعرفة عمق وسمك الطبقات الصخرية، وأنواع التربة والرواسب، ووضع خرائط للتراكيب الجيولوجية، وتحديد الكهوف والشقوق الطبيعية والصدوع وكشف المياه الجوفية وآبار البترول والغاز. وتستخدم في التطبيقات البيئية لكشف التسريبات في خزانات المياه، ووضع خرائط لمراقبة المواد الملوثة في المياه السطحية وكشف مواقع دفن النفايات، وتحديد مواقع خزانات الوقود المدفونة، وتحديد مواقع التسربات النفطية. ويستخدم كذلك في مجال الهندسة المدنية لتحديد مواقع المرافق العامة المدفونة مثل أنابيب المياه والمجاري.

شكل (4) الأنهار المطمورة كما تظهر في صور الأقمار الصناعية

شكل (5) نظام الاستشعار السالب والموجب



وتستخدم في مجال الآثار، لتحديد مواقع الأشياء المعدنية المدفونة، كالكنوز ومواقع الكهوف السطحية والآبار والأجسام الأثرية.

1.6 فؤاد الصور الرادارية في دراسة المياه الجوفية:

- ولقد تمت الاستفادة من هذه التقنية الجديدة والمتقدمة، في استكشاف المياه الجوفية في الصحارى العربية، فقد اتضح وجود أودية قديمة جافة مدفونة تحت الرمال في الصحراء الكبرى، بشمال إفريقيا وأرض الجزيرة العربية.
- امكن من خلال استخدام هذه التقنية الفضائية المتقدمة، تحديد الدلتا القديمة لوادي النيل، التي كانت قاعدتها تمتد من الفيوم حتى الاسماعيلية حالياً، حيث ان الدلتا الحديثة كانت جزءاً من قاع البحر الابيض المتوسط منذ ملايين السنين.
- اكتشاف قلعة قديمة في منطقة صحار بسلطنة عمان مغمورة تحت الرمال، قريبة من منطقة الربع الخالي في السنوات الأخيرة.

7. أهمية هذا الاكتشاف :

1.7 الأهمية العلمية: هذا الاكتشاف فتح باباً كبيراً لإعادة النظر في كيفية تكوين العديد من المظاهر الجيومورفولوجية في الصحراء الكبرى، ويفسر هذا الاكتشاف تكوين العديد من المظاهر الجيومورفولوجية بالصحراء الكبرى، ولعل أهمها:

1.1.7 تفسير تكون بحر الرمال العظيم¹¹، والواقع في المنطقة الحدودية بين ليبيا ومصر، ويعد بحر الرمال العظيم ثالث أكبر حقل من الكثبان الرملية في العالم، وهو عبارة عن كثبان رملية تتخذ العديد من الأشكال تبعاً لأنظمة الرياح السائدة، ففي الشمال، تكون الغلبة للكثبان الطولية، التي تُعرف محلياً باسم (السيف)، أو (العرق)؛ أما في الجنوب، فالأكثر شيوعاً هي كثبان (البرخان)، أو الكثبان الهلالية. وقد تتخذ الكثبان أشكالاً أخرى، فتكون على هيئة شبكة من الخطوط المتوازية المتموجة. واختلف الجيولوجيون حول كيفية تكون هذه الكثبان، فالبعض يرى ان تكون هذه الكثبان، يرجع الى تفتت الهضبة التي كانت تغطي معظم منطقة شمال إفريقيا، نتيجة الجفاف والحرارة الشديدة. وان عوامل التعرية الهوائية

¹¹ عبدالعزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 2008.

هي التي لعبت الدور الأكبر في تشكيلها بمظهرها الحالي. بينما يرى البعض بان التعرية المائية لها دور كبير في تشكيل بحر الرمال العظيم، و التي اختلف حولها كل من الدكتور رشدي سعيد أستاذ الجيولوجيا والدكتور الباز، حيث أشار الأول على أنها تعرية مائية حدثت من الشمال إلى الجنوب، عن طريق توغل البحر المتوسط إلى الجنوب، مستشهدا بالبقايا البحرية الموجودة الى الشمال من بحر الرمال العظيم، في حين افترض الثاني وجود مصادر مائية في الجنوب رسبت الرمال في الشمال في منطقة بحر الرمال الأعظم. ووفقا لتفسيرات د. إيمان غنيم، فقد أوضحت أن نظرية الباز أصبحت هي النظرية الأقوى لتفسير وجود منطقة بحر الرمال الأعظم في شرق ليبيا وغرب مصر، لأن الاكتشاف الأخير للنهر الليبي يؤكد هذا نسبيا. ومؤكدة أن هذا الاكتشاف أيضا ربما يفسر طريق الإنسان القديم الذي ارتحل من وسط أفريقيا إلى الشمال لأن الإنسان لا يستطيع أن يتعد عن المياه أثناء ارتحاله.

2.1.7 تفسير بعض الشواهد الفيزيولوجية في الصحراء الكبرى، فقد ذكر د. يسري الجوهري في كتابه (شمال أفريقيا دراسة في الجغرافيا التاريخية والإقليمية)¹² بعض الشواهد الفيزيولوجية عن كون المناطق الصحراوية بشمال أفريقيا، كانت تزخر بحياة نباتية وحيوانية نتيجة غزارة الامطار في المنطقة، من أمثلتها، وجود بقايا بعض التماسيح في هضبة تيبستي والحجار والتي لا تعيش إلا في وسط أفريقيا، و عثر كذلك في مناطق الواحات والآبار المتناثرة في الصحراء الكبرى، على أنواع من الحيوانات لا تعيش في الوقت الحاضر إلا في إقليم السافانا والسودان. وعن تعليله في وصول تلك الحيوانات إلى شمال أفريقيا، فيفترض تفسيرين: اولهما إما انها جاءت عن طريق ممر مائي يصلها بشمال أفريقيا، أو هاجرت تحت ظروف مناخية ملائمة لهجرتها. اما الفرض الثاني، فقائم على أن الاودية الجافة التي تنتشر في الجزء الغربي من الصحراء، ساعدت في هجرة هذه الحيوانات، عندما كانت تجري بها مياه في العصور القديمة. ويقول " أما عن الفرض الأول فاحتمال صحته ضئيل إذ لا توجد انهر أفريقية تربط الإقليمين سوى نهر النيل الخالد، وحتى نهر النيل في جزء كبير منه في إقليم النوبة ومصر العليا إقليم صحراوي. على أي حال فمن الجائز تعليل وجود الحيوانات السودانية في مصر حتى عهد قريب عن طريق افتراض أن هذه الحيوانات هبطت إلى ساحل البحر المتوسط بواسطة النيل، غير أنه ليس ممكن تعليل وجودها في شمال أفريقيا حتى لو افترضنا أنها وصلت إلى مصر ، فما هو السبيل الذي سلكته في هجرتها إلى شمال أفريقيا؟".

¹² يسري الجوهري، شمال أفريقيا دراسة في الجغرافيا التاريخية والإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، 1968 ، الصفحة 29-30

وهنا نقول بأن المنطقة الشرقية من الصحراء الكبرى، بما العديد من الاودية التي غمرتها الرمال، التي منها نهر الكفرة والجلف الكبير، قد ساعدت الحيوانات التي تعيش الآن في وسط أفريقيا، على الهجرة الى مناطق شمال أفريقيا، وان الممر المائي الذي ذكره د. يسرى الجوهري في افتراضه الأول، والذي يعتقد بعدم وجوده، نعتقد نحن بوجوده الآن وهو نهر الكفرة والجلف الكبير.

3.1.7 وقد يفسر هذا الاكتشاف كيفية تكون ما يعرف بالمنخفضات الشمالية، مثل منخفض القطارة والفيوم وجالو واولجة وشخرة، وكذلك وجود الحافات الصخرية التي تمتد لمسافات طويلة، ويرجح الكثيرون تفسير هذه الظواهر إلى التعرية الهوائية فقط، إلا أن هذا التفسير غير مقنع الى حد بعيد، فحجم هذه الظواهر وامتدادها تجعل من الصعب على الرياح تشكيلها خلال الفترة الزمنية الماضية، ونرجح بأن التعرية المائية هي التي لعبت الدور الكبير في تشكيل هذه الظواهر، ويدعم ذلك اتجاه هذه الحافات نحو الجنوب والجنوب الغربي، وأن الأراضي التي تقع أسفلها غالبا ما تكون عبارة عن مناطق شديدة الانخفاض وهو ما تفعله التعرية المائية في العادة.

2.7 الاهمية التاريخية: يرجح البعض أن يكون الإنسان القديم قد استخدم هذا النهر منذ أكثر من 150 ألف سنة، في العبور من وسط أفريقيا إلى ساحل البحر المتوسط شمالا، وانتشاره خارج القارة. ويرى علماء (الأنثروبولوجيا) أن هناك احتمالات كبيرة حول قيام حضارة قديمة حول هذا النهر، وقد تكون هناك آثار مغمورة تحت الرمال في انتظار الاكتشاف.

3.7 الأهمية الاقتصادية: يعتقد بأن كميات كبيرة من المياه الجوفية موجودة تحت هذا النهر، حيث تجمعت هذه المياه في خزانات جوفية، وقد ساعدت صخور الحجر الرملي النوبي المنتشرة في المنطقة، والتي تتميز بمساميتها الشديدة على تكوين هذه الخزانات. وكانت هذه المنطقة قبل 150¹³ ألف سنة اشبه بالمناطق الاستوائية شديدة الأمطار. ويعتقد الخبراء بأن هذه المياه يمكن أن تترتب عليها طفرة زراعية كبيرة، وذلك بزراعة مساحات شاسعة في هذه المنطقة، لتتحول هذه المنطقة إلى مناطق إنتاج للمحاصيل، أو تنقل هذه المياه الى المناطق الزراعية ذات التربة الخصبة كما حدث في مشروع النهر الصناعي في ليبيا الذي غذى المناطق الشمالية بالمياه. ويرى بعض العلماء بأن المنطقة قد تزخر ببعض الموارد الطبيعية مثل النفط والغاز، لكون المنطقة كانت تزخر بحياة برية غنية بالحيوانات وبغطاء نباتي كثيف. أضف إلى ذلك أن لهذا

¹³ محمد الفتحي بكير محمد، الجغرافيا التاريخية دراسة أصولية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، 1999.

الاكتشاف أهمية سياحية، إذ ما تم اكتشاف بقايا حضارات قديمة كانت قائمة عن ضفاف هذا النهر، التي من الممكن ان تكون معالم سياحية ذات قيمة تاريخية كبيرة، تساهم في زيادة الدخل القومي للدول الواقعة عليه ، واكد الدكتور خالد¹⁴ عودة في مؤتمر صحفي، على وجود نحو 3 مليون و750 الف فدان صالحة للزراعة في الجانب المصري من بحر الرمال. وانه تم اكتشاف 7 واحات جديدة وهي واحات الفرافرة الجديدة بمساحة 932 كم مربع، والتحرير بمساحة 647 كم مربع ، والثورة على مساحة 795 كم مربع ، وعبد القادر عودة بمساحة 1666 كم مربع ، والشهداء على مساحة 1611 كم مربع ، و25 يناير وسهل الثورة بمساحة 3030 كم مربع ، بالإضافة لوجود هضبة مستوية على مساحة 1020 كم مربع ، واكد بأن الواحات الجديدة يقع تحتها الحجر الرملي النوبي، والذي يعتبر الخزان الجوفي لمصر، لمسافة تزيد عن 1200 متر تحت سطح الأرض كلها طبقات حامله للماء، وتعتبر من أجود الطبقات الحاملة للمياه.

8. التاريخ الجيولوجي لمنطقة الصحراء الكبرى¹⁵ : أثبتت الدراسات تعرض منطقة الصحراء الكبرى، لعصر مطير خلال الزمن الرابع في عصر البلاستوسين، وهذه الفترات المطيرة فصلت بينها فترات جافة، حيث أمكن تمييز ست فترات مطيرة على هذه المنطقة هي: فترة الجير البحري والفترة السالينية والعامرية ثم التنسيقية وأخيرا الفترة السلطانية، حيث تقف عدة أدلة شاهدة على ذلك، أهمها الأودية الحافة التي تزخر بها المنطقة، من أهمها وادي الشاطئ ووادي الحياة في الجنوب الليبي، ووادي ساورة في شرقي المغرب، ووادي أغرغر الذي يبدأ من جبال الأحجار في الجنوب الجزائري، لينتهي في حوض مقفل في جنوب تونس، ثم وادي تفاساسيت الذي ينحدر من جبال الأحجار نحو الجنوب حتى نهر النيجر، ونجد نطاق برقة، يقف شاهدا على وجود صحاري السرير والحصي، والذي يغطي مساحات شاسعة من الصحراء الكبرى ، وفي الإقليم السوداني زاد المطر وساد مناخ حار، وامتدت البحيرات في نطاق يمتد من النيل الابيض في الشرق إلى ساحل الأطلسي في الغرب، أما في عصر الهولوسين التي استغرقت مدته ألف سنة بين 10000-9000 سنة مضت، فقد تميز بظروف مناخية تتصف بالدفء، في نطاق العروض العليا والجفاف في نطاق العروض الوسطى، إلا أن هذا العصر تخلله مجموعة من الذبذبات المناخية، ثم فترة

¹⁴ استاذ الطبقات والحفريات قسم الجيولوجيا كلية العلوم جامعة أسيوط ،نائب رئيس الفريق الدولي ورئيس الفريق البحثي المصري لمشروع القطاع

الدولي العياري للبايوسين - الأيوسين.

¹⁵ محمد الفتحي بكير محمد، الجغرافيا التاريخية دراسة أصولية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، 1999.

جفاف ثم فترة المناخ الأمثل لمناطق العروض العليا، والجفاف بالنسبة لمناطق العروض الوسطى، التي تشمل الصحراء الكبرى. وتتمثل هذه الذبذبات في هطول الأمطار في نطاق الصحراء الكبرى، خلال فترات محددة قد تصل الدورة إلى ألف سنة. إلا أن بؤادر الجفاف، ظهرت في هذا العصر والذي استمر فيه الجفاف يسيطر على منطقة شمال أفريقيا إلى وقتنا الحاضر. أما في العصر التاريخي فكانت شمال أفريقيا خلال الفترة من: 5000-2400 ق.م، أكثر مطرا من الوقت الحاضر. وفي أوائل عصر الحديد والتي استغرقت حوالي 450 سنة (900-450 ق.م)، فقد تميزت بالبرودة وكان المناخ خلال هذه الفترة في البحر المتوسط وشمال أفريقيا جافا، وإن لم يصل إلى درجة الجفاف الحالية، فقد استمرت الحياة في صحاري شمال أفريقيا حتى القرن السابع الميلادي على وجه التقريب. في العصر المطير ارتفع منسوب المياه الجوفية في المنطقة الصحراوية، وهناك كميات كبيرة من المياه ساعدت في وجودها قلة استغلال السكان للمياه في المنطقة الصحراوية، ووجود نهر النيل الذي ساعد في وجود تركز سكاني كبير، على طول مجراه مما خفف من العبء على الخزانات الجوفية بالمنطقة الصحراوية، بل كان مصدرا من مصادر المياه الجوفية بالمنطقة.

9. اكتشافات مماثلة في منطقة الصحراء الكبرى و شبه الجزيرة العربية

بالإضافة الى نهر الكفرة، هناك انهار اخرى تم الكشف عنها حديثا، اهمها ¹⁶نهر الجلف الكبير، ويقع هذا النهر الى الشرق من نهر الكفرة، وتقدر مساحة حوضه بحوالي 23 الف كيلو متر مربع، ويصب في بحيرة كبيرة تحت بحر الرمال العظيم. وأمكن من خلال استخدام تقنية النمذجة الهيدرولوجية رسم خريطة مفصلة لهذا الممر المائي القديم. وكذلك تم الكشف عن بحيرة عملاقة للمياه الجوفية، بمنطقة شمال دارفور بالسودان، ويعتقد بان هذه البحيرة كانت تغذى نهر النيل قديما عبر ما يعرف قديما بالنيل الأصفر. ولقد وجد الدكتور فاروق الباز نهرًا جوفيا يمتد لمسافة طويلة دفنته رمال الصحراء في الربع الخالي، وهذا النهر كان موجوداً قبل ستة آلاف سنة ويبلغ عرضه 8 كيلو متر وطوله 800 كيلو متر، وكان يعبر قلب الجزيرة العربية. وينبع هذا النهر من جبال الحجاز ويمتد ويتفرع إلى دلتا تغطي أجزاء كبيرة من الكويت حتى يصب في الخليج العربي.

10. اهتمام الحكومة الليبية بهذا الاكتشاف: م يكن هناك اهتمام بهذا الاكتشاف من قبل الحكومة الليبية، بالقدر الذي اهتمت به الحكومة المصرية حيث شكلت لجنة لدراسة هذا الاكتشاف، للتعرف على مدى الاستفادة منه. ونشط الخبراء المصريين ووسائل الاعلام المصرية في الحديث عن هذا النهر. ورغم أن هذا النهر يقع في معظمه في الأراضي الليبية فقد اطلق عليه العديد من الاسماء من قبل الصحف المصرية مثل نهر (الصحراء الغربية) ونهر (النيل الجديد). في حين اقتصر الاهتمام الليبي على ذكره في بعض وسائل الاعلام الليبية، والاهتمام الوحيد كان من قبل بعض الشركات النفطية الاجنبية وذلك لاحتمالية وجود مصائد نفطية في هذه المنطقة.

11. النتائج:

1. فسر هذا الاكتشاف العديد من المظاهر الجيومورفولوجية بالصحراء الكبرى، التي حار العلماء في إيجاد تفسير علمي راسخ لها، فقد فسر طريقة تكون بحر الرمال العظيم، حيث لعبت عوامل التعرية المائية دورا مهما في تشكيله، وعوامل التعرية الهوائية على إظهاره بالشكل الحالي. وكذلك الحال

¹⁶ Ghoneim, E., 2008. Optimum groundwater locations in the northern Unites Arab Emirates. *International Journal of Remote Sensing*, 29 (20): 5879-5906.

- بالنسبة إلى المنخفضات الصحراوية والحافات الصخرية التي تنتشر في الأجزاء الشرقية للصحراء الليبية، والتي اعتقد الكثيرون بأنها ناتجة عن التعرية الهوائية فقط، إلا أن الابحاث الحديثة أثبتت أن تكونها يرجع إلى التعرية المائية، من خلال مرور نهر الكفرة القديم بها.
2. ذكر في العديد من الأبحاث والكتب، بأن الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى، كان مناخه في الزمن الرابع أكثر جفافاً من الجزء الغربي، وذلك لقله الوديان الجافة به، و الحقيقة أن المناخ في الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى يشبه المناخ في جزئه الغربي، وأن الجزء الشرقي من الصحراء يحتوي العديد من الوديان الجافة، إلا أن التعرية الهوائية والارساب، لعبا دورا كبيرا في غمر هذه الوديان.
3. فسر طريقة هجرة الحيوانات التي تعيش في وسط أفريقيا إلى الصحراء الكبرى. فقد حار العلماء في كيفية وجود حفريات حيوانية في الصحراء الكبرى، ترجع الى الزمن الرابع، بدون وجود ممر مائي يربط وسط أفريقيا بشمالها.
4. هذا الاكتشاف فتح مجالا كبيرا للبحث العلمي في دراسة الصحراء الكبرى من حيث التاريخ الجيولوجي، ومورفولوجيتها والثروات التي تزخر بها.
5. ان ليبيا على بحر من المياه الجوفية العذبة الصالحة للزراعة، في انتظار استغلالها الاستغلال الأمثل.
12. التوصيات :

1. العمل على الاستفادة من هذا الاكتشاف، في تنمية الاقتصاد الليبي، في المجال الزراعي والعماري والسياحي، بالقدر المستطاع.
2. التعاون مع الدول المجاورة لليبيا، والتي تشترك معها في هذا المخزون المائي الهائل في النهوض باقتصاديات هذه الدول.
3. ضرورة تعميق الدراسات والبحوث، حول هذا المخزون المائي الجوفي، وذلك بدعم المراكز البحثية، لغرض الخروج بنتائج دقيقة يمكن الاستفادة منها علميا واقتصاديا.
4. العمل على تنمية الجنوب الليبي، من خلال إنشاء المشاريع الزراعية والسياحية والعمارية.
- الخاتمة :

هذا النهر، وما تحته من مياه جوفية ضخمة، هو نهرنا نحن العرب والدول المجاورة لنا، فيجب العمل على الاستفادة منه قدر الامكان وذلك بالعمل المشترك بين هذه الدول، والعمل على اجراء العديد من الدراسات العلمية للدراسة المستفيضة من أجل الاستفادة منه في تحول مناطق صحراوية قاحلة الى

مناطق زراعية حضراء. فليبيا على بحر من المياه العذبة التي تنتظر الاستغلال الأمثل. والعمل على وضع خريطة متكاملة لأماكن المياه الجوفية بمختلف مناطق الدولة الليبية، ووضع آليات وضوابط توزيع واستخدام هذه المياه في المشروعات القومية، من أجل خلق طفرة اقتصادية كبيرة، والتقليل من الاعتماد على النفط والاتجاه إلى مصادر اقتصادية أخرى، وتحقيق تنمية متكاملة ومستدامة، وإقامة مناطق عمرانية مستقرة.

المراجع :

أولاً: المراجع العربية:

- 1- عبدالعزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندري، 2008.
- 2- جودة حسنين جودت، أبحاث في جيومورفولوجية الأراضي الليبية. منشورات الجامعة الليبية كلية الآداب، 1973.
- 3- يسرى الجوهرى، شمال أفريقيا دراسة في الجغرافيا التاريخية والإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، 1968.
- 4- محمد الفتحي بكير محمد، الجغرافيا التاريخية دراسة أصولية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، 1999.
- 5- أندرو س. جودى، التغيرات البيئية "جغرافية الزمن الرابع"، (ترجمة محمد محمد عاشور) المجلس الأعلى للثقافة 1996.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- 1- **Ghoneim, E.** and El-Baz, F., 2008. *The Kufra Mega-Paleoriver System: Possible main source of the Great Sand Sea, eastern Sahara.*
- 2- A M MacDonald, H C Bonsor, B 'E 'O Dochartaigh and R G Taylor 2012 Quantitative maps of groundwater resources in Africa, British Geological Survey Online at stacks.iop.org/ERL/7/024009
- 3- **Ghoneim, E.**, 2008. Optimum groundwater locations in the northern Unites Arab Emirates. *International Journal of Remote Sensing*, 29 (20): 5879-5906.
- 4- Bonsor H C and MacDonald A M 2011 An initial estimate of depth to groundwater across Africa British Geological Survey Open
- 5- A River in the Desert - Remote-sensing Photos locate ancient river in Arabian Peninsula, FindArticles.com, July 1993.
- 6- International Journal of Remote sensing, 28(22), 5001-5018 (2007)

دور الجانب التعليمي في اثراء الحياة الاجتماعية بولاية طرابلس الغرب اثناء الحكم العثماني الثاني

د. امحمد عطية محمد يحي

كلية الآداب والعلوم / قصر الاخيار

جامعة المرقب / ليبيا

May70n@yahoo.com

مقدمة :

مثل الدين الإسلامي في هذه البلاد والذي حملته الفتوحات الإسلامية منذ عام 11 هجري (623 م) القاعدة الأساسية التي تركز عليها حياة المواطنين وعلاقتهم فيما بينهم أو مع الدولة ، فإدارة حياتهم اليومية وحل منازعاتهم وخصوصتهم تسير وفق المذهب المالكي الذي انتشر على هذه الأرض على يد العالم والفقير الجليل الطرابلسي المولد والنشأة (علي بن زياد) (الشريف ، 1999 ، 40) الذي ارتحل إلى المدينة المنورة وأخذ المذهب المالكي من مؤسسه الفقيه أنس بن مالك (93 / 197 هـ) ومن ثم عاد إلى طرابلس وبداء في نشر هذا المذهب وانتقل للتدريس في جامع القيروان الكبير حيث تتلمذ على يده العالم والقاضي (سحنون) الذي يشار إلى دوره في نشر المالكية في شمال إفريقيا كلها فيما بعد إضافة إلى ذلك فقد انتشر المذهب الاباضي في بعض ربوع هذه البلاد في بعض أجزاء مناطق الجبل الغربي و زوارة ، ومع وصول العثمانيين إلى هذه البلاد استجد أمرن أولهم دخول المذهب الحنفي مذهب الدولة العثمانية الرسمي إلى هذه البلاد ، والأمر الآخر هو تعدد الطرق الصوفية وتغلغلها في أواسط العامة (بن موسي ، 1988 ، 66) ، هذا الأمر حصل بدعم من العثمانيين بحيث أصبح لكل قرية شيخها ووليها الصوفي الذي تتبرك به وتقدم له النذور وتخصه بالزيارات وإقامة الحفلات الدينية عند ضريحه ، وإن كان لابد أن نشير إلى أنه على الرغم من ذلك فقد كان المجتمع متديناً في أغلبه على الرغم من تلك المكانة التي كانت لهؤلاء الصوفيين ومنفتحاً على باقي شرائح المجتمع الأخرى ، ففي حين كان هؤلاء الصوفيون يحيون المناسبات الدينية بكل حرية ، كان النصارى يحيون عيد الفصح كذلك بكل حرية واحترام حيث يقوم الوالي باستقبال القناصل الأوربيين لتقديم التهنئة لهم في ظل التسامح الذي اشتهرت به المدينة (32 . cowper) .

أما الأمور المتعلقة بزيارة القبور والتبرك بالأضرحة كانت تجرى في مجتمع كان يسوده الفقر والجهل وعدم المعرفة ، هذا الوسط وجد فيه العثمانيون الفرصة لتسويق تلك الأفكار وتدعيمها من خلال الصوفيين الذين أخذوا يكثرون الحديث في أذكارتهم وأورادهم عن الفقر والجهل والظلم على أنها نعمة وسيتم مكافأة العبد المظلوم والمقهور في دنياه بالجنة ودليله في ذلك هو الشيخ والولي فهو المرشد إلى أبواب النعيم حتى أصبح من ليس له شيخ يتبعه ويسترشد به محروم من البركة في نظر هؤلاء (قدراة ، 2007م ، ص 291) ، وقد وجد الحكام العثمانيون في الصوفية الوسيلة لبسط السيطرة وإحباط المقاومة خصوصا في ظل ابتعادها عن الأسس والعقائد والأفكار التي انطلق منها بناء هذه الحركة في القرنين الثاني والثالث الهجري ، وقد ساهم في انتشارها على نحو واسع في هذه البلاد هو أن معظم من تولى حكم هذه الولاية كانوا من العسكريين وهؤلاء كان مستواهم متدنياً وأمين في أغلب الأوقات لذلك وفي الكثير من الأحيان كانوا يهوبون المشايخ على اعتبار أنهم يمثلون في نظرهم أولياء الله وهذا الخوف جعلهم يلجئون إليهم في ساعات ضعفهم للحصول على البركة ورضي الخالق وكذلك لقراءة ما يخفى لهم القدر في المستقبل ، كذلك عملوا على تقريبهم وتعظيمهم وباتوا في مكانة عالية وكبيرة ساهمت في كثير من الأوقات بسبب خوف هؤلاء الحكام منهم من أن يكونوا ملاذاً وملجأً للكثيرين من أبناء الشعب الهاربين من ظلم الحكام وملاحقة جنودهم لهم وهذا أكسبهم شعبية وحب الأهالي (بن موسى ، 1988م ، ص 68) .

• التعليم الديني :

جانب من الجوانب المهمة في تركيبة المجتمع وهو من القواعد الأساسية للتحديث المجتمع ، وعلى مستوى التقاليد التراثية فقد ظلت الجوامع والزوايا المنتشرة في أنحاء الولاية وحواضرها وبواديها هي التي تؤدي كل الدور في نشر العلم وتحفيظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم والرفقي بمستوى الطلاب وعقولهم في ظل غياب المؤسسات التعليمية الرسمية ، والمعروف والمعهود في التدرج في ترتيب درجات التعلم في هذه البلاد كانت تبدأ بعد حفظ القرآن الكريم في الكتاتيب على قراءة نافع المدني (169هـ) برواية قالون (220هـ) في الزوايا والجوامع المختلفة (جبران ، 2008م ، 181) .

يتم التدريس على نظام الحلق الاجتماعية لتدريس علوم التفسير والحديث والفرائض والنحو والفلك وغيرها من العلوم القديمة وهذا النمط من التعلم يلتزم به جميع أبناء الولاية بما فيهم أبناء الطبقة

المتقفة (القماطي 1978م ، ص 68) ، حيث يجرى تعليمهم وتحفيظهم القرآن الكريم حرصا على الانتماء بل إنهم يحتفلون بمن ختم القرآن الكريم وحفظه ويتم تقديم الهدايا له ويجعلون من ذلك مدعاة للفرح والسرور بالنسبة لأهله وعائلته ونشير إلى ما أورده المؤرخ حسن الفقيه حسن في يومياته حيث يشير إلى مدى فرحه وسروره بعد أن ختم ابنه (احمد) حفظه للقرآن الكريم وعده حدث يقربه من المغفرة والذي أصبح فيما بعد احد ابرز الشعراء والكتاب في الولاية (الفقيه حسن ، 2002م) ، وشكل هذا الانتماء الذي يعد مظهرا عاما وخصوصية وقاسما مشتركا بين المثقفين التقليديين والجدد فقد كان المجتمع في ولاية طرابلس آنذاك يعلى من قيمة من يواصل تعليمه وتحصيله بعد حفظه لكتاب الله في مجالس الشيوخ في المساجد حيث يأخذ أصول العلم من المبرزين منهم (الشريف ، 1999م ، ص 347) ، هذا الأمر كان على حد سواء عند الأغنياء والفقراء وهذا النوع من العلوم التقليدية التراثية بلغ بفضل هؤلاء العلماء مبلغا مرموقاً من العطاء والنشاط ، الأمر الذي جعل الكثير من طلاب العلم يكتفون به ويقتصرون عليه بل ويبلغون مبلغاً عالياً من التقدير والاحترام ، وحسبنا أن نشير إلى بعض من تلك النماذج التي كانت تمثل تلك الشريحة المتعلمة مثل العلامة عبد الرحمن البوصيري (1842م / 1935م) والشاعر أحمد الشارف (1872م / 1959م)¹⁷ وإبراهيم مصطفى باكير (1862م / 1943م)¹⁸ و أحمد البكباك (1878م / 1940م)¹⁹ ، هؤلاء عينة بسيطة من العلماء والأدباء الذين تكونت معارفهم عن طريق المناقلة في حضن الجوامع والزوايا داخل مدينة طرابلس ولم يكتب لهم النصيب من تحصيل العلم والاستمرار فيه خارجها ، وإن سعى البعض الآخر من العلماء من سنحت لهم الفرصة والإمكانية في استكمالهم خارج طرابلس حيث اتجهوا إلى الجامع الأزهر في مصر وجامع الزيتونة في تونس أمثال لشيخ عبد الله يحي الباروني (1831م / 1913م) والشيخ احمد بن محمود (؟ / 1933م)²⁰ ، والشيخ سالم المبروك

¹⁷ أحمد الشارف : من الفقهاء والقضاة البارزين ولد في مدينة زليتن أخذ العلم في منطقته ثم رحل إلى طرابلس فأخذ العلم من أبرز علمائها ولهذا الشاعر ديون متنوع قام بنشره الأستاذ على مصطفى المصري .

¹⁸ إبراهيم مصطفى باكير : من علماء الأحناف وأدباء طرابلس ولد فيها وتعلم فيها تولى عديد المناصب خلف إنتاجا " غزيرا " من الشعر ، وكان أحد محرري جريدة الترقى ، راجع ، على مصطفى المصري ، صحافة ليبيا في نصف قرن ، ط ثانية ، طرابلس : الدار الجماهيرية للنشر ، 2000م ، ص 72 .

¹⁹ أحمد البكباك : من علماء طرابلس ولد فيها واخذ العلم من مشايخها وتولي التدريس طيلة حياته .

²⁰ احمد بن محمود : رحل إلى مصر للتحصيل العلمي وطلب العلم بل انه ذهب إلى الهند وعاد إلى مسقط رأسه طرابلس حيث توفي عام 1953 م .

الورشفاني²¹ ، والشيخ محمد كامل بن مصطفى (1828م/1897م)²² ، والشيخ سليمان الباروني (1873م/1940م)²³ .

وهؤلاء حصلوا على إجازات علمية تشهد بنبوغهم وأهليتهم للتدريس²⁴ والتعليم ، بل إن الكثير منهم عاد إلى وطنه وساهم مساهمة فاعلة في الحياة الثقافية والعلمية (جبران ، 2008 ، 184) ، هذا النوع من التعليم الذي تدرج من حفظ كتابه العزيز وصولاً إلى تحصيل الكتب في علوم المقاصد والذي كان سائداً في ولاية طرابلس بمناهجه ومقرراته وإجازاته يشابه نظام التعليم الموجود في سائر دول الجوار أمثال تونس ومصر وبلاد الشام والدولة العثمانية وغيرها من الدول الإسلامية وهو سعى إلى تنقية ما رميت به هذه البلاد من جهل حيث برزت العديد من منارات العلم والتي انتشرت في ربوع الولاية تؤدي وتنشر التعليم مثل جوامع مدينة طرابلس في مقدمتهم جامع درغوث باشا وجامع شائب العين وجامع أحمد باشا القرمانلي وجامع قرجي و وزاوية عثمان باشا وزاوية عمورة في جنزور و زاويا أولاد سهيل وأولاد سنان في الزاوية الغربية (قدارة ، 2007 ، 298) ، وغيرها كثير ، كما انتشرت في منطقة الجبل الغربي زوايا مثل زاوية طبقة²⁵ ، و زاوية أبو زيان²⁶ ، وزاوية العالم²⁷ والباروني وأبي زيان ونسمة والفقهاء في حين شكل الجامع العتيق في أعدامس ملتقى لأهل العلم وفي فزان كان هناك زاوية الحضيري

²¹ سالم المبروك الورشفاني : رحل إلى مصر وأصله من قبيلة ورشفانة .

²² محمد كامل بن مصطفى : تولى دور مهم في الإصلاح والتعليم .

²³ سليمان الباروني : سليمان الباروني : الزعيم والأديب والصحفي أصدر جريدة الأسد الإسلامي في القاهرة عام 1908م وهي تهتم بالقضية الإسلامية وفكر الجامعة الإسلامية وهي أسبوعية كما أنشأ مطبعة كذلك ، راجع ، علي المصراي، 2002م ، ص 259 ، 275 .

²⁴ ملحق و ، وثائق منشورة ، من كتاب محمد الكوني بلحاج ، التعليم في مدينة طرابلس الغرب وثيقة رقم 1 ، لإجازة علمية دينية ، ص 499 .

²⁵ زاوية طبقة : سميت باسم المنطقة التي فيها على مشارف الحمادة الحمراء على بعد 40 كم من مزدة للمزيد راجع ، عبدالله محمد الشريف ، أحمد محمد الطوير ، دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية ، مصراته : الدار الجماهيرية للنشر ، 1978م ، ص 31 .

²⁶ زاوية أبو زيان : تقع قرب غريان وتنسب إلى أسرة ألقواهرية احد فروع قبيلة الكميشات ، راجع عبد الحميد الهرامة 1984م ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، ص 131 .

²⁷ زاوية العالم : تقع بين الريانة والخلافة قرب وادي يدعى الباقول ، راجع عبد الحميد الهرامة ، المرجع

أما في برقة والكفرة فقد انتشرت زوايا السنوسية التي لم يقتصر دورها على النطاق المحلي بل تعداه إلى الخارج حيث ساهمت في نشر الإسلام والعلم في أجزاء كثيرة من المناطق الواقعة جنوب الصحراء (جبران ، 2008 ، 185) .

كما تصدى العديد من العلماء لممارسة مهنة العلم والتدريس في ربوع طرابلس الغرب أمثال الشيخ محمد بن علي بن موسى والشيخ شهاب الدين احمد النعاس التاجوري والشيخ حسن محمد العسوسي والفقهاء محمد بن لاغنه والشيخ محمد كامل بن مصطفى والشيخ محمد المحجوب إضافة إلى العديد من العلماء الأجلاء من الإخوة العرب الذين ساهموا في حركة العلم والتدريس أمثال المفتي الحنفي الشيخ الحافظ أحمد شكري الجزائري والقاضي محمد أمين والفقهاء المغربي محمد الريفي وغيرهم كثير (جبران ، 2008 ، 181-195) .

كذلك لابد من الإشارة والإشادة برقى المظهر الإيجابي والذي عبر عنه اشتراك مختلف علماء المذاهب الفقهية الثلاثة الموجودة داخل إطار المدينة (المالكية و الاباضية والحنفية) وأصحاب الطرق الصوفية على اختلاف مشاربهم في التواصل والانسجام وإثبات الحق ومراعاة المصلحة الجماعية على الرغم من وجود بوادر لإثارة الفتنة والصراع بين تلك المذاهب بسبب محاولة بعض الحكام العثمانيين اعتماد المذهب الحنفي دون سواه على اعتبار أنه مذهب الدولة العثمانية ومحاولة العمل على نشره وحمل الناس على العمل به على حساب المذاهب الأخرى ، هذا الأمر تم تلافيه لحكمة علماء المذاهب الأخرى بشكل هادى مما أدى إلى خمود تلك الفتنة واستمر التعايش والتجانس لأن الدين في النهاية واحد (رولفس ، 2000م ، ص 72) ، وفي صورة شاملة لذلك الاتفاق والوئام بين تلك المذاهب نرى علماء المذهب الحنفي يدرسون إلى جانب تدريسهم المذهب المالكي ، كما أن علماء المذهب المالكي كانوا يفتون بإحكام المذهب الحنفي وكانت الإشادة والاحترام متبادلة بين علماء هذه المذاهب ، لكن تبقى الإشارة إلى إن المذهب الحنفي لم يكن له ذلك التأثير سوى عند بعض العائلات أمثال (أسرة التو غار و قرجي و ابن محمود أحمد النائب الأنصاري) بينما انتشر المذهب المالكي في جل الولاية (جبران ، 2008م ، ص 195) .

• الوقف ودوره الاجتماعي :

يعد الوقف أحد أوجه النظم الإسلامية ذات الأبعاد الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية والثقافية التعليمية إلى جانب أنه يمثل مؤسسة إسلامية قائمة بذاتها تقوم على أسس دينية (السيد 2001م ، ص

77-90) ، فيعرف الوقف أو (الحبس) أي حبس العين عن التملك والتصدق بمنفعتها في جوانب الخير والإحسان وهو ينقسم إلى وقف أهلي وقف خيري ، وقف مشترك يشمل القسمين السابقين (غانم ، 1998م ، 47) .

والوقف الأهلي هو الذي يعود ريعه إلى صاحبه نفسه ومن ثم عائلته وأقاربه من بعده إلى أن ينتهوا حيث يؤول في النهاية إلى جهة خيرية وهذا الجانب حافظ على ضمان التكامل والتسلسل الاجتماعي لتركيبية ذرية الواقف وذويه وأقاربه على نحو توثيقي (صبحي ، 1980م ، 369) ، وقد انتشر هذا النوع من الأوقاف في الكثير من المناطق في ولاية طرابلس ويجري عقده على يد نائب الشرع بالمحكمة الشرعية في القضاء وتتولى المحكمة عملية الحصر والتدقيق والتحري عن ملكية الواقف والتأكد من عدم وجود عوائق أو مشاكل تحول دون تنفيذها ، كما أن المحكمة تقوم بالتأكد من صحة الواقف الصحية والعقلية والأهلية ، ومعظم هذه الوقفيات اقتصرت على الذكور دون الإناث بسبب رغبة الواقفين على استمرار تملك نسلهم من بعدهم وخوفاً من أن تؤول تلك الأملاك إلى أزواج بناتهم وهم في أحيان كثيرة غرباء عن العائلة (بن عبد الله ، 1996م ، 247) .

وفي بعض الحالات البسيطة جرى وقف تلك الممتلكات بغية التهرب من الضرائب أو المصادرة حيث إنَّها لا تسري عليها أحكام المحاكم النظامية وكذلك ضرائب الممتلكات أو العقارات (الويركو) إنما يؤخذ منها ضريبة العشر فقط ، لكن في بعض الأحيان تعترض عملية الوقف بعض المشاكل من ناحية عدم رضي الأقارب أو الأصهار من أنه قد يتم حرمانهم من الحصول على جزء من تلك الممتلكات التي قد يحصلون عليها لو سارت العملية بشكلها الطبيعي دون دخولها تحت طائلة الوقف ، لذلك فقد أصبحت تلك العملية مثاراً للخصومة والمنازعات والتي قد تصل إلى المحاكم في بعض الأحيان (قدارة ، 2007م ، 287) ، وقد انتشر هذا النوع من الوقف بسبب البعد القبلي والاجتماعي في المحافظة على ممتلكات العائلة بشكل مستمر وممتد ، كما أن البعد الاجتماعي الذي يرى أن انقطاع نسل الواقف في تلك الفترة يعني رجوع تلك الأملاك إلى الدولة بموجب قانون الأراضي العثماني ، لذلك فقد يجري لتلافي حدوث ذلك الأمر توثيقها وتسجيلها إلى أحد المساجد أو لمصلحة أوقاف بيت الله الحرام بغية عدم حدوث ذلك ، أما الوقف الخيري فيقصد به الصرف على جهات خيرية مثل المساجد والزوايا والأراضي وهي تسمى بالأوقاف التي لا تنقطع وقفيتها أي (دائمة المنفعة) حيث يشمل أوجه صرفها ما ينفق على بناء الجوامع والزوايا والمقابر (صالح ، 1980م ، 369) ، لكونها دائمة بحيث توفر من خلال صرفها على

تلك الجوانب أكبر منفعة على عامة المسلمين وخاصة المحتاجين منهم ، ولأهمية دورها بشكل خاص رأت الحكومة ضرورة إنشاء وزارة (نظارة) خاصة بها تهتم وترعى شؤون الأوقاف في سائر الولايات العثمانية (قدارة ، 2007م ، ص 288) ، وجرى وفق التنظيمات العثمانية تقسيمها إلى أوقاف مضبوطة وغير مضبوطة ، أي إن المضبوطة يقصد بها تلك الأوقاف التي أوقفها رجال الدولة أمثال السلاطين والولاة وكبار رجالات الدولة للإنفاق منها على أوجه الخير وتشمل الأوقاف العامة وهي أملاك الدولة التي يجري استثمارها ورصد ريعها للخزينة أو الجيش العثماني (قدارة ، 2007م ، ص 288) ، وهي تشمل الدور والمحلات إلى جانب الأوقاف الراجعة إلى المساجد ونشير إلى بعضها في ولاية طرابلس مثل وقف الشيخ عبد السلام الأسمر بزلتين ووقف جامع مولى محمد في مدينة طرابلس .

أما الأوقاف غير المضبوطة فهي التي يعود ريعها للأئمة والمشايخ القائمين عليها للإنفاق على تلك المساجد أو الزوايا وقد اقتصر دور مديرية الأوقاف في الولاية على عملية الإشراف والمتابعة من حيث أوجه الصرف والإنفاق ، أما إدارة تلك الأوقاف كثيرا ما تعرضت إلى متابعة مجلس إدارة الولاية خصوصا التي يتبعها مدارس من حيث مراقبة طريقة الصرف عليها من تلك الواردات التي تحصل عليها الأوقاف إلى جانب ما تصرفه على المعلمين والمتابعة غير مقصورة على الولاية فقط بل يشارك فيها الأهالي حيث تشير وثائق في عام 1881م إلى عريضة قدمها الأهالي إلى الوالي محمد نظيف باشا تضم أكثر من مائة ختم يطلبون فيها بعزل محاسب الأوقاف لإهماله شؤون المساجد وتركها عرضة للخراب وقد ساهمت تلك العوائد في الحقيقة في تنشيط الجوانب الثقافية والعلمية إلى جانب الجوانب الاقتصادية حيث جرى توظيفها في الإنفاق على إصلاح الجوامع (أبو شويشة ، 2009م ، ص 126) ، كما أشرنا بحيث استفاد منها العلماء والمعلمون فأسهمت في إثراء الحياة العلمية والدينية إضافة إلى ذلك حصلت الدولة العثمانية على نصيبها من هذه الأوقاف العائدة إلى المساجد أو الأئمة في كثير من الأحيان (قدارة ، 2007م ، ص 290) .

• التعليم الحديث :

ظلت الولاية خالية من المدارس أو المعاهد للتعليم النظامي الحديث حتى أواخر القرن التاسع عشر على الرغم من بعض المحاولات التي تبناها بعض الولاة لافتتاح مدارس في بعض الأحيان (النائب ، ص 386) ، واقتصر التعليم على ما تقدمه المساجد والكتاتيب والزوايا بحيث مثلت المحور الرئيسي للحياة

الثقافية في ولاية طرابلس وللفترة طويلة (التيجاني ، 1981م ، 212) ، والتعليم الديني نشأ في تلك الأماكن تحت إشراف أئمة وفقهاء كانوا على مسافة من الإدارة العثمانية التي لم تتدخل سوى في عملية الإشراف على أوجه صرف ريع الأوقاف التي كانت المورد الرئيسي لهذه المنارات العلمية والرافد لاستمرارها في أداء دورها العلمي والثقافي والديني والكتاتيب مثلت القاعدة الأساسية لهذا النظام التعليمي وهي في العادة كانت ملحقة بالمساجد خوفا من عبث الصبية بحزمة المساجد ويجري فيها تعليمهم مبادئ القراءة والكتابة بأسلوب التلقين والتحفيز كوسيلة إعداد لحفظ القرآن الكريم فيما بعد (مروان ، 1997م) ، وقد اقتضت على هذا الأمر في البداية من حيث تعليم الصبية كيفية القراءة وإخراج الحروف وإن كان لا ينفي من حصولهم على بعض المعارف الدينية الأخرى كون الفقيه الذي يهتم بتدريسهم وتعليمهم هو في العادة إمام المسجد نفسه الذي يدرسون فيه مما يتيح لهم المشاركة في أداء الصلاة ومعرفة مبادئ العبادات وأركان الدين الإسلامي (حامد ، 1984م ، 51) .

والمسجد يمثل المرحلة التالية التي ينتقل إليها الطالب بعد أن يلم بمبادئ القراءة والكتابة وحفظ جزء من القرآن الكريم يلتحق بالمسجد لحفظ القرآن الكريم على أصوله بإشراف أحد المشايخ المشهود لهم والذين كانوا على درجة عالية من الإمام الديني ممن استكملوا تعليمهم في أكبر المعاهد الدينية مثل الأزهر أو الزيتونة أو في إحدى زوايا الولاية (الزاوي ، 1971م ، 82) ، ولا تختلف طريقة التعليم عنه في الكتاب حيث يستمر الطالب في عملية تلقين وتحفيز وتسميع ذلك أمام الشيخ لمعرفة مدى حفظه والتزامه بأحكام القراءة القرآنية الصحيحة والسليمة ، أما الزوايا فهي تعد من المعاهد المتقدمة لتدريس العلوم الدينية وهي بعكس الكتاتيب والمساجد المنتشرة في سائر أنحاء الولاية فالزوايا واحدة وفي مناطق معينة من الولاية (القاسبي ، 1981م ، 185) .

هذا التعليم ظل أهليا من دون تدخلها فيه فيما عدا متابعة نظارة الأوقاف العثمانية لعملية انتخاب المتقدمين لشغل وظائف للتدريس أو للخطبة في المساجد أو الزوايا بحيث يتم منحهم بعض المزايا في بعض الأحيان (قدارة ، 2007 ، 350) ، وقد جرى تأسيس العديد من المدارس الرشيدية والإعدادية (بلحاج ، 500) ، في الولاية وتوافق ذلك مع صدور أول قانون لتنظيم التعليم الرسمي في الدولة العثمانية عام 1846م وتضمن حق الدولة في الإشراف على التعليم وحق تكليف المعلمين من غير رجال الدين (سراج الدين ، 1951م ، 335) .

الحق بهذا قانون التعليم العثماني الصادر عام 1860م ، وجرى تقسيم المدارس بموجب تلك القوانين إلى مدارس رسمية ومدارس عمومية ، وعلى الرغم من كل تلك التطورات التي شهدتها التعليم النظامي في الدولة العثمانية فقد ظل التعليم في ولاية طرابلس الغرب بعيدا عنها حتى عهد الوالي أحمد راسم باشا (1881م / 1898م) ، الذي استأنفت في عهده تأسيس المدارس النظامية وإن ظل هذا التعليم مقصوراً على مركز الولاية فقط ، ومع مجيء الوالي محمد حافظ باشا (1900م / 1902م) شهد عهده تأسيس مديرية المعارف العمومية بالولاية والتي قامت بفتح عدد من المدارس في ألوية واقضيه الولاية (بن موسى ، 1988م ، 332) .

جدول رقم 1

نوعية المدارس وعدد التلاميذ والمدرسين

نوع المدرسة	عدد التلاميذ	عدد المدرسين
ابتدائية ذكور	132	3
ابتدائية إناث	160	3
مدرسة إعدادية	70	6
دار المعلمين	20	2
مدرسة عسكرية	150	10
مدرسة الفنون والصنائع	65	4
مكتب العرفان	100	7
مدارس أخرى	490	14

المصدر : نوري منصور الشتيوي ، 2005 م ، ص 234 .

وعمل بتلك القوانين فقد جرى تقسيم التعليم في المرحلة الابتدائية على النحو التالي : يدرس الطالب أربع سنوات دراسية تسمى الأولى منها بالشعبة الاحتياطية ثم يليها السنة الثانية والثالثة والرابعة التي تعد السنة الأخيرة في تلك المرحلة (الشيخ ، 1972م ، 132) ، و يشار إلى أن العديد من أبناء المشايخ والأعيان التحقوا بمدرسة العشائر التي أقيمت في عاصمة الخلافة استانبول وكذلك المدارس الرشيدية العسكرية في باب البحر بطرابلس والكلية الحربية العثمانية في استانبول بغية أن يرى هؤلاء وعن كتب مدى قدرة الدولة العثمانية وقوتها فينبهروا بها وتكون مشاعر الولاء للسلطان العثماني هي الطاغية

فيصبحوا بعد عودتهم عوناً له وخير دعاة للدولة العثمانية فتؤمن منهم ومن عشائهم (حسين ، 1990م ، 12- 14) ، لكن تلك الأوضاع بدأت في التغير عقب وصول جماعة الاتحاد والترقي إلى الحكم بعد انقلابها على السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908م حيث يلاحظ أن وزارة المعارف في تلك الحكومة اتخذت موقفاً تجاه التعليم الديني الذي كان سائداً من حيث عدم جدوى تخريج المعلمين من الزوايا والعمل على استبداله بالاعتماد على دار المعلمين التي جرى افتتاحها عام 1901م في مدينة طرابلس والتي اتخذت مبنى مؤقت في مركز المدينة بمحلة ميزران (بلحاج ، 2009م ، 92) ، وكانت الدراسة فيه لمدة سنتين بالرغم من ذلك استمرت المساجد والزوايا في ممارسة دورها العلمي والثقافي والتعليمي على الرغم من اتجاه حكومة الاتحاد والترقي في فتح المزيد من المدارس النظامية في ولاية طرابلس (البيستاني ، 1997م ، 405) .

وابتداءً من عهد الوالي أحمد عزت (1858م / 1860م (جهان ، 2007م ، ص 140) كذلك شهدت الولاية افتتاح العديد من المدارس الأجنبية خاصة الإيطالية منها (البوري ، 266) خصوصاً إذا عرفنا أن من بين عمليات التمهيد لغزو هذه البلاد شكل الجانب التعليمي المحور الأساسي بغية مسح هوية هذا الشعب قبل السيطرة عليه (كوررو ، 1984م ، 101) ، كما عرف التعليم المتخصص والمهدف منه اكتساب المتعلم خبرات عملية وعلمية في مجالات محددة مثل التعليم الحرفي وقد اشرنا إلى الدور الذي اضطلعت به مدرسة الفنون والصنائع في هذا المجال التي جرى افتتاحها عام 1898م ، والتعليم الزراعي الذي أنشئ له هيكل تعليمي خاص به عام 1892م لكن لم يبدأ تنفيذه إلا مع عام 1911م حيث جرى افتتاح مدرسة زراعية متخصصة بمركز الولاية لكنها تعطلت بعد فترة قصيرة بسبب احتلال البلاد من قبل الإيطاليين شأنها شأن باقي المؤسسات الرسمية ، إضافة إلى ذلك جرى افتتاح دار للمعلمين كما اشرنا عام 1901م ولم يحرص القائمون عليها الاضطرار علي من يلتحق بها سوى إجادة المتقدم القراءة والكتابة وحفظ بعض من ما تيسر من الكتاب العزيز لأن التعليم الديني كان سائداً ومن جانب آخر بغية توفير أكبر عدد من المتقدمين إذا أخذنا في الاعتبار سهولة التقديم (بالحاج ، 2000م ، 89- 92) .

إضافة إلى الاهتمام الموجه إلى التعليم العسكري والكل يعلم طبيعة الدولة العثمانية التي وجهت عناية خاصة إلى هذا الجانب ومن بدايتها إدراكاً منها مدى الخطورة التي تتعرض لها ومن ثم تشكل تأميناً لوجودها في هذه الولايات التابعة لها لذلك هي بحاجة إلى تدعيم تواجدتها العسكري ناهيك عن المساحة

الشاسعة التي تتمتع بها ولاية طرابلس بشكل خاص وهذا شكل جانباً آخر دعا إلى ضرورة أن يكون فيها عدد كبير من المتدربين ، إضافة إلى أن جلب عسكريين من مركز الدولة قد يكلف الخزينة مبالغ كبيرة لذلك جرى الاستعانة بفكرة بناء هيكلية عسكرية محلية لا يتحملون نفقاتها في المقابل تكون هذه القوات منتقاة من قوة خاصة معدة بشكل فكري ومن ذوي المنزلة الاجتماعية المرموقة بغية استمالتهم ليكونوا أداة الدولة في الولاية زد عليها فقد طبق العثمانيون قانون التجنيد الإجباري الذي يشمل جميع الفئات ، ولتنفيذ كل تلك الأفكار جرى افتتاح مدرستين للتعليم العسكري عام 1857م وجرى في عام 1887م افتتاح المدرسة العسكرية الإعدادية لاستقبال الطلبة المتخرجين من المدارس الرشيدية على أن يتم إرسالهم فيما بعد إلى استانبول لاستكمال دراستهم العسكرية (جهان ، 2007م ، 148) .

1 : التكايا :

عرفت مدينة طرابلس التكايا وهي الأماكن التي يتم فيها تقديم الرعاية للأطفال اليتامى أو المتشردين إضافة إلى كبار السن الذين لم يكن لهم من معين وكذلك الإماء والعبيد الذين صدر بحقهم قرار بالعتق إضافة إلى الفقراء ومن ليس لهم أماكن تؤويهم (الزاوي ، 1970م ، 274) ، جل الاهتمام بهذه الأماكن عرف بشكل خاص في عهد الوالي أحمد راسم باشا خصوصاً في عام 1881م ، وهذا التكايا التي عرفت كذلك باسم (لخانقاه) كانت من مسؤولية الدولة حيث تتولى الصرف عليها من إيرادات الأحباس والأوقاف الخيرية المرصودة لهذه الأعمال (بن موسى ، 1988م ، 75) ، لكن بسبب اتساع نطاق مجتمع مدينة طرابلس وكثرة الإعداد التي تغد إلى هذه الأماكن لم تعد تكفي تلك المبالغ المرصودة لرعايتها والصرف عليها مما استوجب إنشاء صندوقاً للمنافع الخيرية للمساهمة في عملية الإنفاق عليها وتقديم الخدمات وكان ذلك عام 1869م وكان مقره بالقرب من الساعة الكبيرة بحومة باب البحر .

ويبقى توضيح الدور المهم الذي لعبته هذه التكايا في عملية الإصلاح الاجتماعية بما شكلته من رعاية خصوصاً لدى شريحة الأطفال الصغار في السن والذين لم يكن لهم ذنب في وجودهم في تلك الأوضاع من خلال تعليمهم صناعات ومهن تكون لهم العون والسند فيما بعد في مواجهة الحياة العامة كذلك ساهمت هذه العملية في إقحامهم في الحياة العامة بغية عدم وضع حاجز اجتماعي أمامهم خلال ممارستهم الحياة الطبيعية ، وكانت مشاركتهم واضحة ومتعددة في الأعياد والمناسبات الرسمية ، إضافة إلى دورها المتميز في تعليم هؤلاء النزلاء أمور الدين والشريعة بما كان له من انعكاس على الحياة الاجتماعية حيث ساهمت في معالجة ظاهرة التسول في الأسواق والشوارع وحافظت على مجتمع المدينة من السرقة التي

قد يرتكبها هؤلاء المتشردون بحجة العوز والحاجة (أبو شويشة ، 2009م ، 114) ، لكن في المراحل الأخيرة من الدولة وبسبب تردي الأوضاع الاقتصادية وما تعانيه الدولة من أحداث ساهمت في تزايد أعداد هؤلاء المتسولين مما خلق حالة من انتشار السرقة والتسول بشكل ملحوظ (جون فرانسيس ، 1976م ، 20) ، ويجب أن نلاحظ أن جملة تلك المرافق بشكل عام كان انتشارها مرتبطاً مع توزيع القوات العثمانية وتواجدها بشكل خاص خاصة في المراحل الأولى .

2 - المساجد :

كان لها الدور المهم وقد تحدثنا عليه فيما سبق سواء في مجال التعليم أو تحفيظ القرآن الكريم ، إنما يبقى دورها الواسع في الانتشار مرده هو الأصالة الإسلامية والارتباط بالدين الإسلامي الذي كان من سمات أهالي هذه الولاية لذلك فقد انتشرت المساجد وتعددت وتوسع دورها الاجتماعي المؤثر في جوانب الحياة العامة (الشيخ ، 1972م ، 88) ، فهي بالإضافة إلى دورها العلمي كانت المكان الذي يتم فيه فض النزاعات والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية بين الأهالي وقد عرفت الولاية الكثير من المساجد التي كان لها الدور المهم سوف نشير إلى البعض منها ، أمثال مسجد أحمد باشا القرماني الذي يقع في سوق المشير مقابل السرايا الحمراء وقد ضم مدرسة علمية كان لها الدور الهام (تود ، 1968م ، 179) ، كذلك جامع شائب العين الذي أسسه محمد الإمام باشا الكرادغلي الملقب بشائب العين عام 1737م ويقع في شارع سوق الترك وسط الحي الصناعي والتجاري وبداخله مدافن هذه الأسرة (الكيب ، 1978م ، 60)

كما عرف كذلك جامع الناقة وهو من أقدم الجوامع حيث أسس في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، وجامع الدروج وجامع درغوث باشا وجامع عثمان باشا وغيرها كثير انتشرت على طول ربوع الولاية تقوم بأداء مهامها الدينية والثقافية والتعليمية في تلك المرحلة على أكمل وجه ، وتتبع هذه الجوامع إدارة الأوقاف التي تعود إليها كل العوائد المحصلة من الأبنية أو الحوانيت أو المساكن التي تتبع هذه الجوامع وهذه الأوقاف لم تكن محصورة في إيجارها على المسلمين أو الرجال فقط بل كانت حقاً يتمتع به الجميع وعوائدها التي تعرف باسم الوقف هي التي يدفع منها رواتب القائمين على الأذان بالمساجد أو الخطباء والأئمة في المساجد (أبو شويشة ، 2009م ، 125) .

3 - الكنائس والمعابد :

في ظل التسامح الذي عرفته مدينة طرابلس والذي ميز تاريخها الإسلامي فقد وجدت إلى جانب الدين الإسلامي الذي يدين به أهل البلاد، ديارتان أخريان هما المسيحية على المذهب الكاثوليكي والأرثوذكسي كذلك اليهودية ، ويعود الوجود الكاثوليكي إلى عام 1640م ويرأس المذهب في هذه المدينة قسيس بدرجة مندوب رسولي (كورو ، 1971م ، 35) .

يشركه في أداء عمله الديني بالكنيسة عدد أربعة قساوسة تتمحور مهمتهم في نشر النصرانية بين سكان البلاد وجمع شمل الموجودين من النصارى الكاثوليك سواء الذين يقطنون في المدينة أو الذين يفدون عليها سواء أكانوا زواراً أو تجاراً ومحاولة إقامة الشعائر بهم إضافة إلى الاهتمام بهم وتقديم المعونة للفقراء منهم وحل المنازعات التي تنشأ بينهم ، وأتباع المذهب الكاثوليكي أغلبهم من أفراد الجالية الإيطالية والمالطية التي اتخذ أفرادها من طرابلس رهاناً في دير خاص ويلبس القساوسة أردية بنية محزمة (تود ، 1968م ، 222) ، وتقع الكنيسة الكاثوليكية بحومة باب البحر مقابل الكنيسة الأرثوذكسية ، والكنيسة الكاثوليكية هي المكان الذي يمارس فيها أتباعها الشعائر والطقوس الدينية وإحياء الأعياد والمناسبات المختلفة ، والكنيسة تنفق على تلك الأعمال من الأموال التي يتم جمعها من أتباعها وكذلك من الهبات التي يقدمها بابا روما لها (بعيو ، 1975م ، 35) .

ومفهوم التسامح كان شائعاً في مدينة طرابلس حيث كانت أجراس الكنيسة تفرق إلى جانب الأذان إضافة إلى هذه الشريحة تواجدت كذلك طائفة النصارى الأرثوذكس الذين كان لهم دير خاص برهبانهم يتم فيه التعبد ويتبع هؤلاء حسب طريقة المتبعة في الأستانة (أبو شويشة ، 2009م ، 137) ، كما وجدت العديد من المعابد اليهودية في مدينة طرابلس والتي تركزت في الجانب الشمالي الغربي منها في منطقة الحارة الكبيرة وكذلك في الحارة الصغيرة بالقرب من باب الحديد ويرأس المعبد اليهودي عدد من الرابين () ، ورجال الرأي اليهود الذين يتبعون الحاخام الأعظم ، الذي يتم تعيينه من قبل السلطات العثمانية ، ويتأسس هذا الحاخام المجلس الروحاني () ، الذي يضم عدداً من الحاخامات ويختص هذا المجلس بكل ما يتعلق بالطائفة اليهودية من أمور اجتماعية أو اقتصادية واليهود كانوا مرتبطين مع بعض بحيث يتم الاهتمام بالفقراء منهم من خلال جمع التبرعات لهم ، كما كانت لهم مدارسهم الخاصة بهم ، إضافة إلى مدارس المعابد ، ويعتبر يوم السبت لديهم يوماً للعبادة والراحة (أبو شويشة ، 2009م ، 138) .

ب : الصحافة :

جانب آخر من الجوانب الثقافية التي حاولت إعطاء صورة عن مجتمع الولاية لكنها لم تكن من حيث القدرة والإمكانية بحيث تحدث تغير في نمط المجتمع على الرغم من المحاولات التي تحسب للكثيرين ممن عملوا في هذا القطاع لكن عذرهم في عدم تمكنهم من تحقيق ذلك هو قلة الإمكانيات وبدائية هذا القطاع ، ويكفي أن نشير إلى من بين الأسباب التي ساهمت في ذلك هو تأخر دخول الطباعة إلى هذه الولاية بعكس من جاورها من بلدان لذلك فقد بقيت الصحافة فيها محدودة وهامشية وفي أضيق الحدود حتى انتهاء فترة السلطان عبد الحميد عام 1908م ، وكانت أول مطبعة دخلت إلى البلاد هي على الأرجح مطبعة حجرية وجرى طباعة جريدة طرابلس الغرب فيها ، من ثم أحضر الوالي محمود نسيم باشا (1860م / 1867م) مطبعة حروف عام 1865م وجعل مقرها في مقر الولاية وعرفت باسم مطبعة الولاية (الدجاني ، 1971م ، 277) ، وجرى تجديد حروفها في عهد الوالي أحمد راسم (1881م / 1882م) واستمر الاعتماد عليها حتى تأسيس مدرسة الفنون والصنائع حيث جلبت مطبعة خاصة بمذاهب المعهد ، ثم عرفت مطبعة الترقى عام 1908م والتي أنشئت على يد شركة أهلية مساهمة طبعت فيها جريدة الترقى ، كذلك عرفت مطبعة أريب بمحلة سيدي محمود عام 1908م وعرفت كذلك باسم المطبعة الدولية ثم تلتها المطبعة الشرقية أو مطبعة تشوبه نسبة إلى مالكة اليهودي عام 1910م .

صحيفة طرابلس الغرب هي أول صحيفة مطبوعة وقد نفى الأستاذ علي مصطفى المصراقي ذلك في كتابه (صحافة ليبيا في نصف قرن) حيث يشير إلى أن جريدة سبقتها في الصدور عرفت باسم المنقب وهي مخطوطة باللغة الفرنسية صدرت عام 1827م وتم تداولها بين القناصل الأجانب في الولاية يشير إلى أنه لم يتمكن من العثور على أي من نسخها (المصراقي ، 2000م ، 38) ، وقد صدرت هذه الصحيفة في عام 1866م بمدينة طرابلس (دي طرازي ، 1913م ، 246) ، وفي عهد الوالي محمود نسيم باشا فهي أول صحيفة تصدر باللغة العربية وتحمل اسم البلد وكان أحمد بن شتوان أول رئيس تحرير لها وكانت هذه الصحيفة الرسمية مصدر النشرات والأخبار الرسمية والأحداث والوقائع التي تمر بها البلاد وهي مثلت وجهة نظر الحاكم وان حاولت فتح مجالاً لنشر الشكوى والملاحظات المتعلقة بالشؤون العامة (المصراقي ، 1956م) ، وهي تصدر أسبوعياً وتحتوي على قسم من صفحاتها باللغة التركية حيث يتم الاهتمام بنشر الأخبار الرسمية والأوامر والأخبار الداخلية (الكوني بالحاج ، 2007م ، 142) .

وسالنامة الولاية جرى إصدارها في عام 1869م وهي تشبه التقويم من حيث احتواؤها على الأخبار الرسمية والعلمية والتاريخية وهي صدرت باللغتين العربية والتركية وهي ذات أهمية بسبب احتوائها

على الكثير من الإحصائيات والمعلومات الرسمية للولاية مما شكلت مصدراً من المصادر الموثقة والمهمة عند دراسة تاريخ الولاية (الموصلي ، 2005م ، 48) ، وقد صدر منها 12 عدداً طبعت الأعداد الأحد عشر الأولى بالمطبعة الحجرية ، ثم توقفت لمدة سبع سنوات (الصويحي ، 1989م ، 145) ، ثم صدر العدد الأخير الثاني عشر .

صحيفة الترقى صدرت في عام 1897م وترأس تحريرها الشيخ محمد البوصيري وهي صحيفة شعبية ذات طابع سياسي ، تصدر باللغة العربية مرة كل يوم سبت ، طبعت في عامها الأول في مطابع الولاية ثم جرى حجبها عن الصدور بعد انتشار كتابات صحفيها الوطنيين ، ثم عادت إلى الصدور بعد عودة الدستور عام 1908م (بروشين ، 1991م ، 370) ، ثم أصبحت شركة مساهمة من قبل الأهالي وقد ضمت جملة من الشباب المتحمسين للنضال من أجل قضية حرية هذا الشعب أمثال الصحفي علي عياد الذي تولى إدارتها وهو كان أحد وجهاء مدينة طرابلس الذي أصبح فيما بعد عضواً في بلدية طرابلس شأنه شأن زميله محمد النائب (جبران ، 2008م ، 193) ، **جريدة الفنون** فصدرت في عام 1898م وكان يرأس تحريرها داود أفندي أحد الصحفيين الذين تمتعوا بمهارات وقدرات متعددة ساهمت في بعث بذور صحافة متنوعة ، وهي نصف شهرية تطبع في مطبعة الولاية (كورو ، 1984م ، 130) . والحقيقة أن الصحافة في هذه الفترة لم تأخذ مداها في النشر والمتابعة بسبب قلة الإمكانيات أولاً ومن ثم تضيق السلطات عليها ، وإن حصلت على بعض الانتعاش بعد انتهاء مرحلة حكم السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908م لكنها لم تستمر طويلاً بعد ذلك لكن لا بد من الإشارة إلى تلك المرحلة لطبيعة هذه الإصدارات وأهميتها والتي كانت تصدر في أسوأ الظروف وأقل الإمكانيات ولم يكن في أيدي هؤلاء الصحفيين إلا الإيمان بصدق قضيتهم وعدالة مشروعية مطالبتهم بالعدل والحرية والديمقراطية ، فظهرت جملة من الإصدارات والتي شكلت القاعدة لجيل من المثقفين والصحفيين حملوا لواء المطالبة بحرية هذا الشعب .

صحيفة العصر الجديد التي ترأس تحريرها محمد علي البارودي (دي طرازي ، 1913م ، 246) صدرت عام 1908م واستمرت في أداء واجبها الصحفي حتى عام 1911م حيث توقفت عن الصدور شأنها شأن باقي الصحف الوطنية الحرة التي رفضت الاحتلال الإيطالي لهذه البلاد ومثلت هذه الجريدة ذات التوجه السياسي والتي كان في هيئة تحريرها عدد كبير من الطلبة الليبيين من خرجي الأزهر الشريف فشككت توجهاً وطنياً حارب الفساد ودعا إلى الحرية والإصلاح (المصراي ، 2000م ، 88) .

أما **صحيفة الكشاف** التي صدرت هي الأخرى عام 1908م في مدينة طرابلس وترأس تحريرها محمد بك النائب الأنصاري (الهرامة ، 2008م ، 93) ، وهي سياسية التوجه وإن احتوت على الجوانب العلمية وهي تصدر أسبوعياً وإن حاول رئيس تحريرها إصدارها بشكل يومي لكنه لم يوافق في تحقيق تلك الرغبة بسبب الظروف الراهنة وكذلك لقلة التمويل وصعوبة تحقيق ذلك إضافة إلى قلة المواد والموضوعات (ذياب ، 1982م ، 622) ، وكانت تطبع في مطبعة الولاية وقد سعى صاحبها إلى إصدار طبعة خاصة باللغة الفرنسية التي كان يجيدها إضافة إلى نخبة من المثقفين الذين كانوا معه على اعتبار أنها لغة لها انتشارها في تلك المرحلة (بالحاج ، 2007م ، 156) .

صحيفة أبو قشة تعد أول صحيفة هزلية بالعامية مؤسسها ومديرها التونسي محمد الهاشمي الملكي (بروشين ، 1991م ، 371) ، وأبو قشة تسمية على غرار بوسعدية قصد منها الهزل لكن بطريقة غير مباشرة ، صدرت في تونس أول أمرها لكنها توقفت بسبب التضييق عليه من قبل السلطات الفرنسية المحتلة بسبب نقدها ألد الأذع لها ثم رحل إلى طرابلس حيث عمل مهندساً في بلديتها لكنه لم يستمر طويلاً ، ولاستمرارها في الصدور اضطر مالكها إلى بيع منزله ، لكنها لم تستمر وجرى إيقافها خاصة بعد تناولها لفساد رجال الإدارة والعادات السيئة في التعليم إضافة إلى خطر الشركات والبنوك الأجنبية (التليسي ، 1988م ، 226) .

صحيفة تميم حريات وهي صدرت في عام 1908م في طرابلس وترأس تحريرها المحامي محمد فوزي (المصراطي ، 2000م ، 119) ، وهي صحيفة أسبوعية تصدر باللغة التركية وكانت ذات توجه سياسي وقد دعت إلى الإصلاح ومواجهة الهجمة الاستعمارية ضد الشعوب العربية ، وهي في الأساس موجّهة لإرضاء العنصر العثماني الموجود في طرابلس ، ويشهد لها وقوفها ضد الوالي حسني باشا (1909م / 1910م) حتى تم عزله ، وهي الأخرى جرى إيقافها مع وصول الاحتلال إلى طرابلس (الدجاني ، 1971م ، 283) .

صحيفة المرصاد التي صدر عددها الأول عام 1910م (دي طرازي ، 1913م ، 246) ، وهي صحيفة أسبوعية سياسية أدبية هزلية ترأس تحريرها الصحفي أحمد الفساطوي ، كانت تطبع في مدرسة الفنون والصنائع في أربع صفحات، وقد اهتمت بالشأن العام والقضايا السياسية العالمية ، وفضحت الممارسات الاستعمارية في تلك الفترة سواء على المستوى العربي أو المحلي ، وهذه عينة من بعض الصحف التي مارست العمل الصحفي في تلك الظروف العصيبة على الوطن والمواطن من داخل ترابه وتحت تهديد سلطات الاحتلال بما تيسر لها من إمكانيات ، كما عرفت الصحافة في ولاية طرابلس

عدداً من الصحف التي أصدرها في المهجر صحفيون هاجروا خارج الوطن بسبب الظلم والجور الذي تعرضوا له من قوات الاحتلال التي سعت إلى إسكات كل الأصوات التي تنادي بالحرية والكرامة (المصراتي ، 2000م ، 123) ،

صحيفة الأسد الإسلامي التي أصدرها الشيخ الجليل سليمان الباروني عام 1908م في أرض الكنانة (مصر) ومن اسمها نستشف التوجه الذي رسمته لها أي (الاهتمام بالقضية الإسلامية ككل) وفكرة الجامعة الإسلامية التي كانت مسيطرة على عقول وقلوب الكثيرين بسبب الأوضاع التي كانت عليها الأمة الإسلامية ككل ، ونشير هنا أن فكرة الجامعة الإسلامية في تلك الفترة طغت حتى على التوجه القومي العربي لدى الكثيرين ، وهذه الجريدة كانت ذات توجه ديني سياسي أدبي وهي كانت تصدر أسبوعياً وتطبع في مطبعة أنشأها الشيخ لذات الغرض وقد تصدرت هذه الجريدة للنشر الأفكار الإسلامية كما أنها أيدت الحزب الوطني ومبادئ الزعيم المصري مصطفى كامل (الزكلي ، 2002م ، 238) لكنها لم تستمر طويلاً حيث توقفت عن الصدور بعد صدور عددها الثالث فقط (المصراتي ، 2000م ، 135) .

صحيفة دار الخلافة صدرت عام 1908م باللغة العربية وهي ذات توجه سياسي علمي شأنها شأن باقي الصحف بسبب طبيعة المرحلة والأوضاع الدائرة في البلاد الإسلامية وترأس تحريرها الصحفي عبد الوهاب عبد الصمد وهذا الصحفي (ومن عناونها) تبنت الدفاع عن قضية الخلافة الإسلامية خصوصاً أنها تصدر في عاصمة الخلافة ، كما أنها لم تهمل الشأن العربي وكان لها عديد من المراسلين في البلدان العربية وشكلت هذه الجريدة منتدى يتابع هموم الأمة وقد أعطت لقضية طرابلس الأهمية القصوى حيث تابعت كل ما يدور فيها من أحداث ونقلت الأخبار المتعلقة بها إضافة إلى أن الصحفي عبد الوهاب عبد الصمد لم يكتفى بهذه الصحيفة بل أصدر صحيفة أخرى باللغة التركية وهي تصدر بشكل يومي اعتنت بشكل خاص بقضية ولاية طرابلس الغرب (أبو شويرب ، 2008م ، النائب ، 214) .

صحيفة الرقيب التي عادت إلى الصدور عام 1914م في اسطنبول بعد أن انتقلت إليها من مدينة طرابلس وكانت ذات توجه سياسي وترأس تحريرها الصحفي محمود ندم بن موسى (المصراتي ، 2000م ، 187-188) ، وقد طبعت في مطبعة الترقى ثم في مطبعة الشرقية وكانت تصدر باللغة العربية مع صفحة باللغة التركية اهتمت بالشأن العربي والمحلي خصوصاً في تلك المرحلة حيث كانت الأحداث تتوالى على هذه المنطقة وتميزت هذه الصحيفة باستخدام الأسلوب الهزلي والفكاهي والسخر كأسلوب لتوجيه النقد ، لكن هذه الصحيفة بعد عودتها من اسطنبول بعد الاحتلال الإيطالي للبلاد جرى تغيير

اسمها إلى الرقيب العتيد لكنها وبسبب الاحتلال وشأنها شأن الصحف التي تصدر تحت الاحتلال فقد سارت في طريق مخفوف بالمخاطر فالرقابة والاستبداد والطغيان الذي كانت تعيشه البلاد كلها لم يكن يسمح بأي صوت ينادي بالحرية أو الوعي فقد سعى إلى خنق الآراء الحرة والقضاء عليها .

صحيفة اللواء الطرابلسي التي أصدرها الصحفي عثمان القيزاني (المصري 2000م ، 157- 158) ، في عام 1919م وهي صحيفة أسبوعية اهتمت بالشأن السياسي والأدبي والاجتماعي والاقتصادي ساهمت في تنامي الروح الوطنية خاصة وأنها صدرت والبلاد ترزح تحت نير الاحتلال الإيطالي كما اهتمت بنقل الأخبار العربية والاهتمام بما يجري في العالم ، كما يضاف إلى هذه الصحف التي صدرت أثناء فترة الاحتلال الإيطالي بعض الصحف مثل صحيفة الوطن التي صدرت عام 1920م والتي ترأس تحريرها الصحفي عوض أبو نجيلة وهي اهتمت بالشأن السياسي والأدبي والاجتماعي وهي كانت تصدر من مدينة بنغازي وكانت تصدر بشكل أسبوعي ولكنها لم تستمر طويلا بسبب المضايقات مما استدعى من صاحبها الهجرة إلى اسطنبول حيث مارس العمل الصحفي من هناك حتى وافته المنية في مدينة أظنة التركية عام 1960م .

صحيفة البلاغ التي جاءت في فترة اشتداد الظلم والقهر على أهالي البلاد والتنكيل بكل الأصوات المنادية بالحرية والاستقلال من قبل المستعمر الإيطالي فكانت على هيئة مخطوط لا يعرف له محرر ولا عنوان تدعو إلى الحرية وبث روح المقاومة والصمود في وجه المستعمر البغيض (المصري ، 2000م ، 203)

، كما عرفت بعض الصحف المؤيدة للمستعمر الإيطالي وهي التي أنشأها لكي تدافع عن أفكاره ومخططاتها في الاستمرار في احتلال هذه البلاد مثل **جريدة بريد طرابلس** التي صدرت عام 1922م مع بداية الحقبة الفاشية وهي أسبوعية تصدر باللغة العربية والإيطالية وهي كانت معولا" من معاول الهدم التي سلطها على الأفكار الوطنية بغية مسخ هوية هذا الشعب البطل كما شكلت أداة لزرع الكراهية خصوصا إذا عرفنا أن معظم محرريها كانوا من اليهود الذين كانوا أداة طيعة في يد المستعمر لكنها وعلى الرغم من كل وسائل الدعم والمساندة التي تحصل عليها من قبل الحكومة الإيطالية إلا أنها لم تستمر طويلا (المصري ، 2000م ، 213) .

كذلك عرفت صحف أخرى مثل **صحيفة الوقت** والتي أنشأها محسن ظافر المدني (المصري ، 2000م ، 217) ، الذي عمل أول مرة في صحيفة الكشف ثم حصل على ترخيص لإصدار صحيفته الوقت لكنها صدرت للعدد واحد فقط وتصادف ذلك مع نزول القوات الإيطالية للاحتلال طرابلس

فقبض عليه أثناء وجوده مع المجاهدين ومنع من ممارسة أي نشاط سياسي بالتالي لم يجد سوى الرحيل إلى تونس وعمل في صحافتها ثم رجع منها عام 1918م لإصدار صحيفته مرة أخرى فقبض عليه مرة أخرى ولم يفرج عنه إلا في عام 1922م فهاجر إلى تونس مرة أخرى ولم يعد منها إلا عام 1949م .

أما **صحيفة الذكرى** فهي صحيفة أسبوعية كان رئيس تحريرها عثمان بن موسى وبرزت في عام 1921م وطبعت في مطبعة الخواجة إبراهيم انشوبة ثم في مطبعة الترقى وهي كانت ذات توجه سياسي علمي أدبي إضافة إلى صحف أخرى عرف منها **صحيفة الإصلاح** التي أدار تحريرها الصحفي الوطني جمال الدين الميلادي ، وصدرت عام 1921م وهي ذات توجه سياسي علمي، و**صحيفة العدل** التي صدرت عام 1921م وترأس تحريرها عبد الله بانون (المصراي ، تاريخ ليبيا ، 242- 243) ، وهي أسبوعية اهتمت بالشأن السياسي وأن كانت مثل باقي الصحف التي صدرت في فترة الاحتلال لا تستطيع المجاهرة بعداوتها وقوفها مع الحق ضد المستعمر ، و**صحيفة بريد برق** وهي أسبوعية صدرت في بنغازي عام 1921م وترأس تحريرها محمد الطاهر المحيشي وهي كانت تنشر الأوامر الصادرة من السلطات الاستعمارية الإيطالية وبلاغاتها وقد ترأس تحريرها بعد وفاة رئيس تحريرها أخيه عمر المحيشي (المصراي 2000م ، 247) ، الذي كان يرأس في ذلك الوقت صحيفة ليبيا المصورة وهي اهتمت بالشأن الأدبي والثقافي وشجعت الأدب العربي رغم الظروف وقسوة الاحتلال وتدخله فيها وفي باقي الصحف التي يشتم منها الدعم للروح الوطنية .

● الخاتمة :

على الرغم من عودة ولاية طرابلس الغرب مرة أخرى إلى الحكم العثماني ، وبالرغم من إن الدولة القرمانيّة لم يتجاوز حكمها الممتد من عام 1711م إلى عام 1835م تلك الفترة الكبيرة التي يمكنها من خلالها تغيير الأوضاع التي كانت سائدة وعلى كل الأصعدة وعلى الرغم من محاولتها إقامة دولة وطنية ذات هوية محلية ، إلا الدولة العثمانية فشلت ولم تستطع وضع تلك البصمة التي يمكننا أن نشير من خلالها إلى التأثير على جوانب المجتمع الذي كان فاعلاً أو واضحاً ، فهم ظلوا يحكمون هذه البلاد مرحلة طويلة والتي إن كان دخولهم إليها لا يمكن أن يوصف بالاحتلال لأنه جاء وفق رضى وقبول أهلها لردع المحتلين الإسبان على الرغم من ذلك فهم لم يفلحوا بالرغم من المحاولات المتكررة التي سعت وحاولت من خلالها الدولة العثمانية خلق نوع من الولاء والارتباط بالهوية العثمانية لم يكن ظهر أول أمره إن كان معلناً وخاصة في

مرحلة حكم جماعة الاتحاد والترقي إلا أنها لم تنجح في ذلك واصطدمت بالكثير من الأمور السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية .

وعلى الصعيد الاجتماعي فقلة السكان وتوزعها وطبيعة الأحوال التي كان يعيشها الكثيرون على نحو خاص سعت في تردي الأوضاع ناهيك عن محاولات الدولة العثمانية أصلاً استغلال ذلك التنوع لخدمة مصالحها وتنفيذ سياسيتها من خلال إحداث شرخ في البناء الاجتماعي عند بعض شرائح المجتمع المالية لها (القولوغلية) وبعض من لهم مصالح اقتصادية وسياسية (الأعيان والمشايخ) من خلال إيجاد منظومة مترابطة تجمع هؤلاء ، لكن ذلك لم يتحقق بسبب التقسيمات الاجتماعية التي خلقها التنوع في تركيبة المجتمع والتي ميزت العنصر العثماني دون سواه ، كما لم تنجح التقسيمات الإدارية الإصلاحية في إصلاح الأمور بالرغم من أنها منحت تلك الشرائح التي أشرنا إليها نوعاً من ممارسة السلطة لتنفيذ المصالح العامة وحمايتها مقابل بعض الامتيازات ، لكن طريقة وصول تلك الشرائح والتي كانت تشوبها الكثير من الأخطاء والتجاوزات ساهم في ذلك التردّي ، بحيث لم تعره الدولة العثمانية أي اهتمام ، مما زاد من اتساع الشرخ الاجتماعي يوماً بعد يوم وظهر للعيان في تلك التقسيمات الاجتماعية في الأرياف والبادية والمدن ، مما استدعى المعالجة الصحيحة ، لكن الدولة بدلاً عن ذلك أخذت في تقريب تلك الشرائح المدنية والعسكرية بغية استقطابها والعمل من خلالها مقابل تقديم بعض الإعفاءات والمزايا لها وهذا زاد من الخلل في بناء المجتمع على الصعيد الاجتماعي .

وهذا جانب يجب إن نشير إليه وهو بالرغم من ذلك السعي فالدولة العثمانية لم تستمر في الاهتمام بتلك الشرائح الاجتماعية بسبب تزايد المشاكل السياسية التي أخذت جل اهتمام الدولة إضافة إلى اصطدام ذلك مع الطبيعة العثمانية خصوصاً بعد انقلاب الاتحاديين حيث باتت ترى في العنصر العثماني التمييز بخلاف العنصر العربي وهذا جعلهم غرباء عن هذه البلاد على الرغم من طول وجودهم على أرضها ووجود نواة كانت قد تقرب ذلك الامتزاج ونعني بها طبقة القولوغلية ومحاولة امتزاجهم والتي كانت بسيطة وأن تظل محاولة لكنها لم تنجح بسبب الطبيعة العثمانية إضافة إلى شدة التماسك الوطني الذي نراه بوضوح رافضاً لتلك العلاقة ، فشيوخ القبائل في الدواخل كان من بين شروطهم لتقديم الولاء للدولة هو منع رجالها العثمانيون من دخول مناطقهم ، وهذا ما حدا بالدولة العثمانية مسيرة ذلك بدليل أنها لم تحاول التدخل في النسيج الاجتماعي إلا في جوانبه السياسية والإدارية وعلى نحو يسمح لها بإدارة

الأمر بشكلها الطبيعي الذي رسمته بواسطة الشرائح المئوية لها من أعيان أو مشايخ ولا استمرار ذلك سعت الدولة إلى تأهيل أبنائهم من خلال المدارس والمعاهد العثمانية لاستكمال المشوار فيما بعد .

عملية الوعي بكل تلك الحقائق اصطدمت بطبيعة تركيبة المجتمع في ولاية طرابلس المتمثلة في تنوع سكانه من أهل المدن أو الأرياف أو البادية وهؤلاء في أغلبهم حرموا من التعليم أو الثقافة التي تؤهلهم إلى فهم ما يدور حولهم من مشاكل ومساوئ وعادات وتقاليد تنم عن الجهل والتخلف ، وهذا جانب من الجوانب التي تتحمله الدولة العثمانية فالتأخير في العملية التعليمية والتي لم تبدأ إلا في أواخر عام 1842م بعد صدور فرمان حول التعليم الحديث ، أما الفترة التي قبلها فلا يمكننا أن نطلق عليها تعليمًا بالمعنى الرسمي ولم يكن هناك سوى التعليم الديني الذي تصدى لذلك العمل في الجوامع والزوايا بإمكانيات بسيطة ومحدودة لم نعم أو تصل للجميع مما خلق شريحة من تركيبة المجتمع ظلت بعيدة عن الفهم والمشاركة في حركته وتطلعاته ومثلت المرأة الجزء الأكبر فظلت حبيسة العادات والتقاليد التي أعاققتها في بعض الأحيان من ممارسة حريتها ومشاركتها مع أخيها الرجل في بناء المجتمع كذلك الحال بالنسبة للجوانب الاقتصادية والتجارية التي ظلت حبيسة أهداف الدولة العثمانية ومصالحها بالرغم من صعوبة الظروف التي تمر بها فهي لم تلقى الاهتمام والتقدير والرعاية إلا في الجانب اليسير منها وظلت في أغلبها محلية وتعتمد القدرات الوطنية بالرغم من أهميتها التي تشكل منها رافداً من الروافد التي اعتمدت عليها الدولة في تقديمها للضرائب والأموال التي كانت تفرض عليها .

هذا الأمر زاد من تدهورها وعدم تناميها في الوقت الذي كانت أصلاً تعاني من قلة مؤسسات تساهم في ازدهارها وتقدمها من خلال توفير الكوادر الصناعية والفنية الماهرة وهذا بكل تأكيد ساهم في ذلك التدهور الذي لم تنتبه إليه الدولة إلا في وقت متأخر بدليل أن أول معهد متخصص لتخريج الكوادر الفنية لم يفتح إلا عام 1899م (مدرسة الفنون والصنائع) أي في أواخر العهد العثماني الثاني عليه فقد اجتمعت الكثير من العوامل التي وقفت أمام حصول ذلك التأثير أو تغلغه في تركيبة المجتمع تمثلت في :

أولها : يعود إلى صلبة البناء الاجتماعي والثقافي والتراثي للمجتمع العربي في هذه البلاد ، بل إننا نلاحظ العكس في الكثير من الأحداث حيث انصهر الأجانب في إطار هذا المجتمع ، والحق يقال إنه بفضل الشخصية والمورث العربي تم المحافظة على تماسك الهوية وازدادت صلبة كيان المجتمع بالرغم من قوة الإغراء والأساليب وشراستها التي استخدمها ضده الآخرون ، أما التأثيرات التي ظهرت في بعض

الأحيان على شكل المجتمع فما هي إلا قشور خارجية اقتصرت على بعض الجوانب مثل اللبس والطعام وبعض المفردات والمصطلحات وبعض أساليب الحكم وأنظمتها .

سكان هذه البلاد أقاموا حاجزاً حضارياً واجتماعياً مع العثمانيين على الرغم من وحدة الدين والمتابع يلاحظ أن الشخصيتين العربية والعثمانية توجد بينهما الكثير من الفروق ، فالعربي عاش وترعرع على النزوع إلى الحرية والفخر بنفسه وقومه ولم يرض الخنوع والمذلة لحاكم ولا لسلطة ، وفي مراحل عجزه على المقاومة يلجأ إلى العزلة على نفسه متجنباً أكبر قدر من الاتصال بذلك الواقع وهذا في الأمر جعل العرب في الكثير من الأحيان بعيدى الصلة بالواقع والأحداث المتطورة والمحيط بهم ، لكن هذا لا ينفي أنه وسيلة حفظ بها على نقاء هويته القومية والعرقية ، في حين العثماني يعيش الطابع العسكري المحكوم على الطاعة والولاء للحاكم لدرجة تصل إلى الخضوع وهذا بكل تأكيد لم يقبله العربي ورفضه بحيث إن الأتراك ورغم كل تلك الفترة لم يخلقوا نسيجاً لهم يشبههم ، ولا أدل على ذلك أنه عند رحيلهم لم يترك لهم من تأثيرات سوى بعض من تلك الألفاظ والكلمات التي رسخت لطوال تكرارها وبعض أنواع الأزياء والملبوس وتسميتها .

ثانياً : يعود سبب قلة التأثير العثماني إلى طريقة تعامل الولاة العثمانيين مع أهالي البلاد حيث إنهم استهلكوا معظم فترات حكمهم في الدخول في صراعات ونزاعات مع السكان من غير داع إليها في الكثير من الأحيان ، إضافة إلى أنهم لم يسيطروا إلا على المناطق الساحلية فقط في حين كانت مدن الدواخل تدار من قبل شيوخها وزعمائها وهذا الأمر بكل تأكيد حافظ على الهوية العربية ودعمها .

ثالثاً : يلاحظ أن طريقة تعامل الموظفين العثمانيين والتي اتصفت بالشدة والصرامة والتمييز في بعض الأحيان ساهمت في تشكل حاجز بينهم وبين السكان زاد من ابتعادهم وانفصالهم وأكد على سياسة الانغلاق على الآخر ، ومما يؤكد حقيقة ذلك عدم سعي العثمانيين إلى محاولة فهم سبب ذلك ومعالجته ، فهم فضلوا حصر علاقتهم بسكان المدن فقط والتي تشكلت بسبب المنفعة المتبادلة والمصلحة حتى هذا الأمر لم يفلح في إيجاد موطئ قدم لهم في إطار المجتمع وتركيبته في ولاية طرابلس على الرغم من أنهم حاولوا من خلال التزاوج من العديد من النساء العربيات في هذا البلد وخلق ما عرف (القولوغلية) إلا أنه ظل محصور وغير ذي أهمية ، بل إن هؤلاء امتزجوا مع باقي كيانات المجتمع لغة وطباعاً وعادات وتقاليده .

بالتالي ساهمت الخصوصية الاجتماعية والدينية والثقافية التي تمتع بها هذا المجتمع في زيادة صلبة وتماسك بنيانه ، وهذا لا ينفي وجود بعض التجاوزات التي تخللت طبيعة الحياة الاجتماعية والتي مردها الجهل وعدم انتشار التعليم والتي كانت رائجة في تلك المرحلة ، لكن كما اشرنا طبيعة الكيان الاجتماعي وطبيعة المجتمع المتمسك بدينه ومؤسساته المختلفة والمؤمن بهويته العربية وبتقاليده الأصيلة لم تكن تسمح بأي تجاوز على الهوية أو الموروث الثقافي أو الاجتماعي بل كانت حافظة لهذه الهوية على الرغم من كل المخاطر ، كما لا يمكننا نسيان الدور الذي اضطلع به المثقفون في هذه البلاد على الرغم من كل ما اعترض طريقهم من قلة الإمكانيات أو القدرات إضافة إلى الطبيعة السياسية في تلك المرحلة والتي كانت مقبلة على مرحلة جديدة في مواجهة الهجمة الاستعمارية على تراب هذا الوطن .

● قائمة المصادر :

- 1- علي بن زياد : ولد بطرابلس الغرب ورحل لطلب العلم إلى المدينة المنورة حيث سمع من الإمام مالك بن انس ثم رحل إلى العراق وأخذ من الإمام سفيان الثوري أصول الحديث ثم عرج على مصر واخذ من الإمام الليث بن سعد والمحدث أبن لهيعة الحديث والرواية ثم استقر في تونس للعلم والتعليم وأصبح رئيس الفتوى وإمام المذاهب في إفريقيا ، توفي رحمة الله عليه عام 183 هجري ودفن في تونس قرب سوق الترك ، للمزيد راجع ناصر الدين محمد الشريف ، *الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية* ، عمان : دار البيارق ، 1999م
- 2- تيسير بن موسى ، 1988م ، ص 66 .
- 3- فاتح رجب قدراة ، 2007م ، ص 291 .
- 4- تيسير بن موسى ، 1988م ، ص 68 .
- 5- محمد مسعود جبران ، 2008م ، ندوة أحمد بك النائب ، ص 181 .
- 6- أحمد محمد القماطي ، *تطور الإدارة التعليمية في الجماهيرية* ، دراسة تحليلية ميدانية ، طرابلس : الدار العربية للكتاب ، 1978م ، ص 68 .
- 7- حسن الفقيه حسن : أحد أعيان مدينة طرابلس وتجارها كان عضواً في مجلس الإدارة والشورى في الولاية اشتهر باقتناء الكتب وحبه للأهل العلم كانت حياته في العهدين القرمانلي والعثماني الثاني ، للمزيد راجع حياته في مقدمة كتابه اليوميات الليبية ، دراسة وتحقيق محمد الاسطي ، وعمار جحيدر ، مركز دراسات جهاد الليبيين . 2002م .
- 8- ناصر الدين محمد الشريف ، 1999م ، ص 347 .
- 9- أحمد الشارف : من الفقهاء والقضاة البارزين ولد في مدينة زليتن أخذ العلم في منطقته ثم رحل إلى طرابلس فأخذ العلم من أبرز علمائها ولهذا الشاعر ديون متنوع قام بنشره الأستاذ على مصطفى المصراطي .
- 10- إبراهيم مصطفى باكير : من علماء الأحناف وأدباء طرابلس ولد فيها وتعلم فيها تولى عديد المناصب خلف إنتاجاً " غزيراً" من الشعر ، وكان أحد محرري جريدة الترقى ، راجع ، على مصطفى المصراطي ، *صحافة ليبيا في نصف قرن* ، ط ثانية ، طرابلس : الدار الجماهيرية للنشر ، 2000م ، ص 72 .
- 11- أحمد البكبك : من علماء طرابلس ولد فيها واخذ العلم من مشايخها وتولي التدريس طيلة حياته

- 12- احمد بن محمود : رحل إلى مصر للتحصيل العلمي وطلب العلم بل انه ذهب إلى الهند وعاد إلى مسقط رأسه طرابلس حيث توفي عام 1953 م .
- 13- سالم المبروك الورشفاني : رحل إلى مصر وأصله من قبيلة ورشفانة .
- 14- محمد كامل بن مصطفى : تولى دور مهم في الإصلاح والتعليم .
- 15- سليمان الباروني : سليمان الباروني : الزعيم والأديب والصحفي أصدر جريدة الأسد الإسلامي في القاهرة عام 1908م وهي تهتم بالقضية الإسلامية وفكر الجامعة الإسلامية وهي أسبوعية كما أنشأ مطبعة كذلك ، راجع ، علي المصري ، 2002م ، ص 259 ، 275 .
- 16- ملحق و ، وثائق منشورة ، من كتاب محمد الكوني بلحاج ، التعليم في مدينة طرابلس الغرب وثيقة رقم 1 ، لإجازة علمية دينية ، ص 499 .
- 17- محمد مسعود جبران ، 2008م ، ندوة أحمد النائب ، ص 184 .
- 18- فاتح قدارة ، 2007م ، ص 298.
- 19- زاوية طبقة : سميت باسم المنطقة التي فيها على مشارف الحمادة الحمراء على بعد 40 كم من مزدة للمزيد راجع ، عبدالله محمد الشريف ، أحمد محمد الطوير ، دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية ، مصراته : الدار الجماهيرية للنشر ، 1978م ، ص 31 .
- 20- زاوية أبو زيان : تقع قرب غريان وتنسب إلى أسرة الطواهرية احد فروع قبيلة الكميشات ، راجع عبد الحميد الهرامة 1984م ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، ص 131 .
- 21- زاوية العالم : تقع بين الريانة والخلائفة قرب وادي يدعى الباقول ، راجع عبد الحميد الهرامة ، المرجع السابق ، ص
- 22- محمد مسعود جبران ، 2008م ، ص 185 .
- 23- تجب الإشارة إلى أن الأخ محمد مسعود جبران قد أشار إلى الكثير من هؤلاء العلماء الذين ساهموا في حركة العلم والتعلم في ربوع هذه البلاد ، للمزيد راجع ص 181 - 195 .
- 24- غيرهارد رولفس ، 2000م ، ص 72 .
- 25- محمد مسعود جبران ، 2008م ، ندوة أحمد بك النائب ، ص 195 .
- 26- رضوان السيد ، فلسفة الوقف في الشريعة الإسلامية ، مجلة العربي ، السنة الرابعة والعشرون ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 247 ، 2001م ، ص 77-90 .

- 27- إبراهيم بيومي غانم ، الأوقاف السياسية في مصر ، القاهرة : دار الشروق ، 1998م ، ص 47 .
- 28- صبحي صالح ، النظم الإسلامية ونشأتها وتطورها ، ط الخامسة ، بيروت : دار العلم للملايين ، 1980م ص 369 .
- 29- محمد بن عبد العزيز بن عبد الله ، الوقف في الفكر الإسلامي ، ج الثاني ، المغرب : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1996م ، ص 247 .
- 30- فاتح رجب قدارة ، 2007م ، أشار إلى بعض من تلك المنازعات ، ص 287 ، للمزيد راجع وثيقة رقم 88 ، مخطوط بملف الأوضاع الاجتماعية رقم 42 ، بمركز دراسات جهاد الليبيين يبين رجوع وقفية إلى أحد المساجد الموجودة في منطقة الزاوية (للجامع الرماح) .
- 31- صبحي صالح ، 1980م ، ص 369 .
- 32- فاتح قدارة ، 2007م ، ص 288 .
- 33- عبد العزيز محمد عوض ، 1969م ، ص 245 .
- 34- حسين أبو شويشة ، 2009م ، ص 126 .
- 35- فاتح قدارة ، 2007م ، ص 290 .
- 36- أحمد بك النائب ، (د . ت) ، الجزء الأول ، ص 386 .
- 37- أبو محمد عبد الله التيجاني ، رحلة التيجاني ، تقدم حسن حسني عبد الوهاب ، طرابلس : الدار العربية للكتاب ، 1981م ، ص 212 .
- 38- محمد عمر مروان . سجلات محكمة طرابلس الشرعية، دراسة في مصدر تاريخي ، أطروحة ماجستير، قسم التاريخ جامعة الفاتح، 1997م ، ص 44 .
- 39- سعيد علي حامد ، مدارس مدينة طرابلس منذ الفتح العربي وحتى عام 1911م ، مجلة تراث الشعب ، العدد 14 ، طرابلس : اللجنة الشعبية العامة للأعلام والثقافة ، 1984م ، ص 51 .
- 40- الطاهر أحمد الزاوي ، 1971م ، ص 82 .
- 41- نجاح القابسي ، المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي ، . مجلة المؤرخ العربي ، العدد التاسع عشر ، بغداد : اتحاد المؤرخين العرب ، 1981م ، ص 185 .

- 42- للمزيد راجع الوثائق المنشورة في كتاب فاتح قدارة ، الزاوية الغربية ، ملف التعليم وثيقة رقم 7 تشير إلى معلمي المساجد الذين يتقاضون رواتبهم من خزانة الولاية ، ص 350 .
- 43- ملحق ي ، وثائق منشورة من كتاب محمد الكوني بلحاج ، وثيقة رقم 2 ، إجازة عثمانية إعدادية ملكية ، ص 500 .
- 44- أحمد سراج الدين ، حركة التربية وتطورها في سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر ، مجلة الأبحاث ، المجلد الرابع ، الجزء الثالث ، بيروت : الجامعة الأمريكية ، 1951م ، ص 335 .
- 45- تيسير بن موسى ، 1988م ، ص 332 .
- 46- رأفت غنيمي الشيخ ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة ، بنغازي : دار الحقيقة ، 1972م ، ص 132 .
- 47- علي صادق حسين . 1990م ، من الوثائق التركية . الضباط الليبيين في الجيش العثماني ، مجلة الوثائق والمخطوطات العدد الخامس ، طرابلس : مركز دراسات جهاد الليبيين ، 1990م ، ص 12- 14 .
- 48- محمد الكوني بلحاج ، 2009م ، التحديث العثماني في ولاية طرابلس الغرب ، طرابلس : منشورات جامعة السابع من ابريل ، ص 92 .
- 49- مهدي البستاني ، 1997م ، (العدد 87 - 88) ، ص 405 .
- 50- أحمد عزت : تولي حكم ولاية طرابلس الغرب ثلاث مرات الأولى عام 1849م والثانية عام 1858م والثالثة عام 1879م ويبدو انه كان يتمتع بمميزات خاصة جعلت الدولة تستعين به أكثر من مرة للمزيد راجع ، على محمد جهان ، 2007م ، ص 140 .
- 51- للمزيد راجع الوثائق المنشورة ، نقلا عن كتاب عبد المنصف البوري ، الاحتلال الإيطالي لليبيا ، حيث يشير إلى أنواع المدارس الإيطالية المنتشرة في الولاية ، ص 266 .
- 52- فرانثيسكو كورو ، 1984م ، ص 101 .
- 53- محمد الكوني بلحاج ، 2000م ، ص 89- 92 .
- 54- علي محمد جهان ، 2007م ، ص 148 .
- 55- الطاهر أحمد الزاوي ، 1970م ، ص 274 .
- 56- تيسير بن موسى ، 1988م ، ص 75 .
- 57- حسين سالم أبو شويشة ، 2009م ، ص 114 .

- 58- ليون . جون فرانسيس ، 1976م ، من طرابلس إلى فزان ، تعريب مصطفى جودة ، طرابلس : دار الفرجاني ، ص20.
- 59- رأفت غنيمي الشيخ ، 1972م ، ص 88 .
- 60- مابل لومس تود ، 1968م ، ص 179 .
- 61- نجم الدين غالب الكيب ، 1978م ص 60 .
- 62- حسين سالم أبوشويشة ، 2009م ، ص 125 .
- 63- فرانثيسكو كورو ، 1971م ، ص 35 .
- 64- مابل لومس تود ، 1968م ، ص 222.
- 65- مصطفى عبد الله بعيو ، 1975م ، ص 35 .
- 66- حسين أبو شويشة ، 2009م ، ص 137 .
- 67- الري : هو عندهم الرجل التقى الذي له الحق فقط في الذبح الذي يكون عند اليهود .
- 68- المجلس الروحي : مجلس يهودي غرضه حل كل مشاكل الطائفة .
- 69- حسين سالم أبو شويشة ، 2009م ، ص 138 .
- 70- أحمد صدقي الدجاني ، 1971م ، ص 277 .
- 71- علي مصطفى المصري ، صحافة ليبيا في نصف قرن 2000م ، ص 38 .
- 72- فليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، بيروت : المطبعة الأدبية ، المجلد الثاني ، 1913م ، ص 246 .
- 73- للمزيد راجع ، علي مصطفى المصري ، لمحات أدبية عن تاريخ ليبيا ، طرابلس : المطبعة الحكومية ، 1956م .
- 74- محمد الكوني بالحاج ، 2007م ، ص 142 .
- 75- ياسين شهاب الموصللي . 2005م ، سالمات ولاية طرابلس الغرب أهميتها في دراسة التاريخ الليبي الحديث ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول ، طرابلس : مركز دراسات جهاد الليبيين ، 2005م ، ص 48 .
- 76- عبد العزيز سعيد الصويعي ، 1989م ، ص 145 .
- 77- نيكولاي بروشين ، 1991م ، ص 370 .

- 78- علي عياد : أحد مثقفي مدينة طرابلس ولد في منطقة جنزور عام 1868م ثم هاجر إلى بلاد الشام حيث وافته المنية هناك راجع محمد مسعود جبران ، 2008م ، ندوة أحمد بك النائب ، ص 193 .
- 79-فرانثيسكو كورو ، 1984م ، ص 130 .
- 80-فيليب دي طرازي ، 1913م ، ص 246 .
- 81-علي مصطفى المصري ، 2000م ، ص 88 .
- 82-محمد بك الأنصاري : ابن المؤرخ أحمد النائب نشأ في بيت من أعراق بيوت مدينة طرابلس درس اللغات وأجاد العربية والتركية والفرنسية ، راجع عبد الحميد الهرامة ، 2008م ، ندوة احمد النائب ، ص 93 .
- 83-أحمد إبراهيم ذياب ، 1982م ، 2 : 622.
- 84-محمد الكوني بالحاج ، 2007م ، ص 156 .
- 85-محمد الهاشمي المكّي : ولد في مدينة توزر التونسية عام 1881م درس في جامع الزيتونة وكان والده من شيوخ ومدرسي الجامع اشتهر هذا الصحفي بالسخرية الشديدة على الأوضاع التي تمر بها بلاده ، مما دعاه إلى الهجرة إلى طرابلس ثم إلى إندونيسيا حيث أنشأ مدرسة للتعليم اللغة العربية وأصدر صحيفة باللغة العربية (يورو بدورو) توفي عام 1944م أثناء الحرب العالمية الثانية ، راجع ، علي مصطفى المصري ، 2000م ، ص 112- 113 ، إضافة إلى نيكولاي بروشين ، 1991م ، ص 371 .
- 86-خليفة محمد التليسي ، 1988م ، ص 226 .
- 87-محمد فوزي : ولد في مدينة طرابلس درس فيها ثم أكمل تعليمه في اسطنبول حيث حصل على شهادة الحقوق واشتغل في المحاماة ثم أستاذاً بمدرسة البوليس ونائباً عاما في محكمة طرابلس ثم مدير لمدرسة الفنون والصنائع الإسلامية ، راجع المصري 2000م ص 119 .
- 88-أحمد صدقي الدجاني ، 1971م ، ص 283 .
- 89-فيليب دي طرازي ، 1913م ، ص 246 .
- 90-أحمد الفساطوي : أحد أبناء الجبل الغربي درس في الأزهر مارس الكتابة الصحفية في العديد من الصحف في المهجر أمثال الأسد الإسلامي والترقي عمل في حزب الإصلاح والترقي سكرتير للحزب جمع بين التدريس والصحافة ، راجع المصري ، 2000م ، ص 123 .

- 91- مصطفى كامل : 1829م / 1908م أحد مؤسسي نهضة مصر الوطنية أحرز شهادة الحقوق في فرنسا ، قاوم الاستعمار الإنجليزي بخطبه ومقالاته ، أنشأ جريدة اللواء عام 1900م ، دعا إلى إنشاء الحزب الوطني عام 1907م وانتخب رئيساً له ، رجع خير الدين الزركلي ، الإعلام ، بيروت : دار العلم للملايين ، 2002م ، ص 238 .
- 92- المصري ، 2000م ، ص 135 .
- 93- عبد الكريم أبو شويرب ، 2008م ، ندوة أحمد النائب ، ص 214 .
- 94- محمود نسيم بن موسى : ولد في طرابلس عام 1876م درس فيها ثم التحق بالجامع الأزهر في مصر ونال شهادة العالمية عام 1906م ثم عاد إلى طرابلس وبدأ ميله للصحافة يزيد ويكبر ، درس في مسجد أحمد باشا القرماني وكان والده خطيباً في مسجد سالم المشاط ثم قاضياً في مدينة زوارة ، لكنه ترك ذلك واتجه إلى ممارسة الصحافة ، توفي عام 1937م ، راجع المصري ، 2000م ، ص 187-188 .
- 95- عثمان القيزاني : ولد في طرابلس ودرس فيها واشتغل أول أمره في صحيفة الترقى وساهم في الاجتماعات الأساسية أيام مرحلة الكفاح الوطني وخاصة مؤتمر غريان عام 1920م وكان من بين أعضاء الوفد الوطني الذي ذهب إلى روما للمفاوضة من أجل حرية الوطن وأن لم يسافر بسبب كتاباته السياسية التي عرضته للسجن عديد المرات ، راجع المصري 2000م ، ص 157-158 .
- 96- راجع مصطفى على المصري ، 2000م ، ص 203 .
- 97- على مصطفى المصري ، 2000م ، ص 213 .
- 98- محسن ظافر المدني : ولد عام 1891م في مصراته تخرج من المكتب الرشيدى العثماني ثم أرسل إلى اسطنبول لتحصيل العلم ونال شهادتي الإعدادي والسلطاني ثم عاد إلى طرابلس عام 1908م وعمل في إدارة البريد والتلغراف حتى عام 1910م ، راجع المصري ، 2000م ، ص 217 .
- 99- جمال الدين الميلادي : ولد عام 1882م درس في مكتب الرشيدية عمل مأموراً للجمرك ثم مديراً للمال في اغدامس برع في الأناشيد والتواشيع والموسيقا مع موهبته الصحفية هاجر إلى اسطنبول وبقي في مدينة أزمير حتى وفاته عام 1963م ، راجع المصري ، 2000م ، ص 236 ، 237 .

100- عبد الله عريبي بنون : ولد عام 1864م وهو أحد وجهاء مدينة طرابلس درس في مكتب الرشيدية ثم انخرط في دار المعلمين تقلد مناصب قضائية حيث عمل عضواً بمحكمة التجارة ثم رئيساً لها سافر إلى اسطنبول عام 1912م حيث عين موظفاً في ديار بكر ومديراً عاماً ثم عاد إلى طرابلس عام 1914م توفي عام 1938م ، راجع المصري ، تاريخ ليبيا ، ص 242-243

101- عمر المحيشي : ينحدر من مصراته عاش في بنغازي ودرس في مدرسة فرنسية في الإسكندرية عام 1913م ثم عاد إلى عام 1914م إلى بلاده ورافق أخاه محمد إلى الدراسة في إيطاليا ثم عاد واشتغل سكرتيراً في غرفة التجارة توفي عام 1942م ، راجع المصري 2000م ، ص 247 .

إتجاهات النمو الحضري لمدينة تrehونة ، ليبيا ، المشكلة والحل

المختار أحمد أحمد غيث

كلية الاداب والعلوم قصر الاخيار/ جامعة المرقب

مقدمة :

يعتمد النمو الحضري للمدن بما فيها من قطاعات سكنية وخدمية وإدارية وصناعية وغيرها سواءً كان هذا النمو رأسياً أم أفقياً إلى حدٍ كبير على الكثافة السكانية والتي ترتفع إما بالزيادة الطبيعية لسكان المدن ذاتها من ناحية ، أو بانتقال السكان المهاجرين إليها من ناحية ثانية ، وبما أن ليبيا إحدى دول العالم النامي فإن مدنها خاضعة للنمو المتزايد ، ومدينة تrehونة واحدة منها ، فهي تشبه في ظروفها بعض مدن العالم النامي.

ارتبطت مدينة تrehونة بمحيطها الريفي المجاور من خلال الاعتماد المتبادل للسلع والخدمات في الاسواق التي تميز المنطقة فارباضاً ذلك الموقع والموضع المناسب لمركز المدينة ، وقد اختار الباحث مدينة تrehونة لدراسة إتجاهات نموها لعدة أسباب أهمها انتماؤه لهذه المنطقة ، فضلاً عن أهمية الحزام الأخضر من الزيتون الذي يحيط بالمدينة والذي أصبح عرضة لتوسع المدينة ، ومعاناة مخطط المدينة من تجاوزات شوهت شكل المدينة ، وقلة الدراسات الأكاديمية عن مدينة تrehونة .

وقد تناولت هذه الدراسة النمو الحضري لمدينة تrehونة خلال فترات ماضية وما آلت إليه المدينة وكذلك العوامل التي أثرت في نموها واتجاهاته والاماكن المناسبة لتوسع المدينة .

الإشكالية : تكمن المشكلة الرئيسية التي أُعِدَّ هذا البحث لمحاولة إيجاد حلول لها في اتخاذ نمو منطقة الدراسة في إتجاهات تُعَرِّض الغطاء النباتي الطبيعي والمستزرع المحيط بالمدينة لخطر زحف العمران الحضري بشكل عشوائي .

الاهداف : يهدف هذا البحث الى تحقيق النقاط التالية :

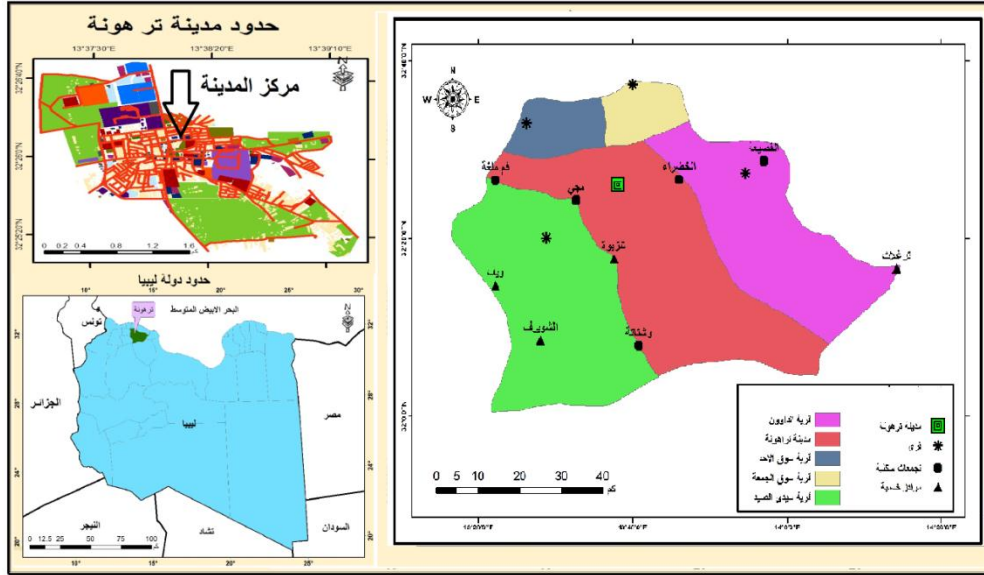
1. اعطاء نبذة عن نشأة وتطور مدينة ترهونة لاستيفاء جزء من المعلومات الحضريّة عنها .
2. تتبع اتجاهات النمو الحضري للمدينة في السنوات الماضية واثّر ذلك على الأوضاع المستقبلية لمخطط المدينة الذي ينعكس بدوره على الغطاء النباتي المحيط بها .
3. رصد الاتجاهات المناسبة التي تنمو المدينة نحوها والتشجيع على التوسع في تلك الاتجاهات.
4. محاولة ربط الأنشطة العمرانية بمخطط تنموية حتى يمكن تلافي أخطاء البناء العشوائي .

نشأة المنطقة وموقع مدينة ترهونة :

أ. موقع المدينة وتاريخها:

تقع ترهونة في شمال غرب ليبيا ، وكانت تتبع إدارياً محافظة الخمس أحد أقاليم طرابلس الفرعية الخمسة ، وتبعد عنها حوالي 70 كم ، ثم أصبحت بلدية منفصلة، وصارت بعد ذلك تابعة لمنطقة النغازة ، وانفصلت ثانية لتصبح مقرأً لشعبية ترهونة مسلاتة سنة 1999 عندما تم تغيير نظام مناطق ليبيا إلى شعبيات وأصبحت تتبعها كل من مسلاتة والقره بوللي وقصر الأخيار والعلوص ، ثم تغيرت هيكلية الشعبيات فصارت تتبع شعبية المرقب ومقرها مدينة الخمس في سنة 2005 وفي سنة 2013 وبعد التغير السياسي الذي طرأ على البلاد أصبحت بلدية مستقلة إدارياً ، وتوضح الخريطة (1) موقع منطقة الدراسة أما عن الموقع الفلكي لمدينة ترهونة فيمكن اعتبار التقاء خط طول 13.38° شرقاً ودائرة عرض 32.26° شمالاً نقطة مركز المدينة .

خريطة (1) موقع منطقة الدراسة .

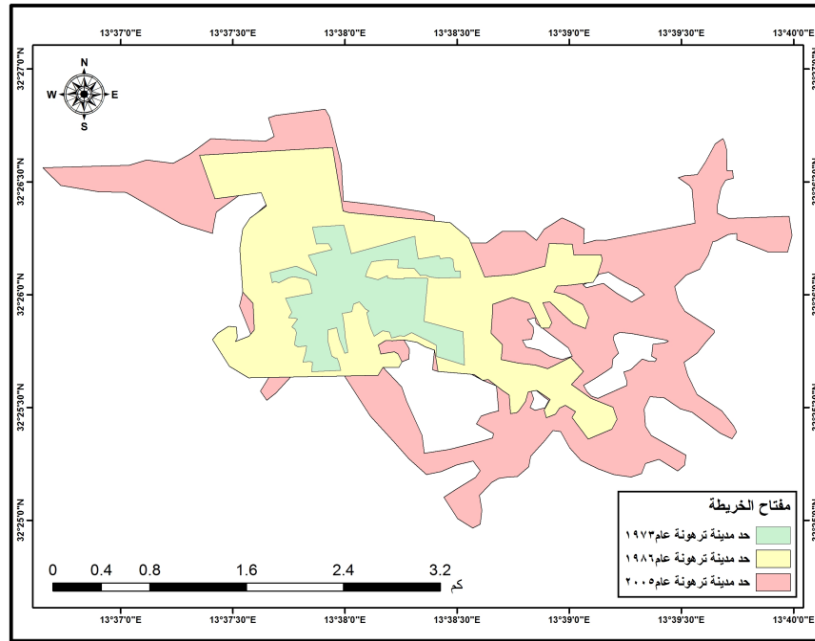


المصدر : إعداد الباحث من خريطة بلديات ليبيا بمقياس رسم 1 : 1000000 ومخطط المدينة ، بتصرف .

وبالنسبة لتسمية المدينة بترهونة يرجح أن يكون راجعاً إلى اسم أحد القبائل التي كانت تقطن ولا تزال في جزء صغير من وسط المدينة ، واسم هذه القبيلة هو (أولاد ترهون) ويتركزون في منطقة الشرشارة على هيئة تجمعات ريفية متباعدة الكثافة (الزاوي ، الطاهر ، 1968 ، ص 69) وهناك من يرجعها الى اصول بربرية من قبائل جَمِيْر القادمة من شبه الجزيرة العربية (Oates . 1951 . p 81). وكانت المدينة قديماً تعرف بالبويرات (تصغير الآبار) نسبة إلى مجموعة من آبار المياه التي كانت تشكل مركزاً مهماً تلتقي فيه عدد من طرق القوافل التجارية (شرف ، 1962 ، ص 46) ، وتشكل مصدراً لشرب مواشي التجمعات الريفية والبدو الرُّحْل في فصول الجفاف ، وقد عملت هذه الآبار كذلك على تكوين تجمع تجاري (سوق) ذكره الرحالة (جون ديمون) في كتابه (من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا) قائلاً: " ووجدت السوق غاصة بالليبيين الذين كانوا مشغولين ببيع وشراء الملح والتمر والخروب والبطاطس والشعير الذي كان ثمنه غالباً ، وكانت تُعرض في السوق خرفان كثيرة شديدة السمنة كثة الصوف (كثيفة الصوف) " (جون ديمون ، 1911 ، ص 158) .

وتأسست مدينة ترهونة في منتصف القرن التاسع عشر في منطقة قريبة من مساقط مياه الشرشارة (الشلال) إلى الشمال من المدينة الحالية وعلى بعد 3 كم ، حيث أقامت بها قبيلتان متباينتان اقتصادياً والدليل على عدم تجانسهما اقتصادياً إقامة سوقين ومركزين للاجتماعات أحدهما بالقرب من مساقط المياه والآخر في المدينة الحالية (بولسيرفس ، 1980 ، ص23) ، ويرجح أن تكون هاتان القبيلتان هما الدوليم والنعايجة ، لأن هاتين القبيلتين تتمركزان في أكبر مساحة من مخطط المدينة حالياً ، والخريطة (2) توضح تطور نمو مدينة ترهونة ما بين سنتي 1973 وحتى سنة 2005 .

خريطة (2) نمو مدينة ترهونة ما بين سنتي 1973 وحتى سنة 2005 .



المصدر : اعداد الباحث اعتماداً على الصور الجوية لسنتي 1973 و 1986 ،
والمرئية الفضائية "7" landsat لسنة 2005 .

ب. بلدة ترهونة قديماً :

كانت بلدة ترهونة (البويرات) زراعية الطابع ، ويدل على ذلك كثرة السدود والآبار ومعاصر الزيتون ومقاطع الخلفاء ، وذلك يؤكد أن سكانها ريفيون بالضرورة لأن اهتمامهم بالمياه ما هو إلا دليل على كونهم مزارعين وأرضهم خصبة (ناجي ، وفوزي ، 1973 ، ص94).

وتؤكد المصادر التاريخية انتشار أشجار الزيتون بالمنطقة ، إلا أنها اندثرت في فترة معينة ، وقد خلّفت قبائل (المنغال) خراباً كبيراً في البلدة بفعل هجماتها وغاراتها المستمرة في تلك الفترة (ناجي، وفوزي ، 1973 ، ص36) .

وكانت البلدة عامرة بالسكان ، وتدل الآثار على أن مدينة تrehone من المدن القديمة ، وهذه الآثار واقعة بالقرب من مركز المدينة الحالي تتمثل في المعابد ، وتوجد أطلال قلعة على الطراز العربي ترجع إلى القرن الثالث الميلادي (ناجي ، وفوزي ، 1973 ، ص96) ، وبني في شرق المدينة قصر روماني نقشت حوله بعض الرسومات منها أشكال لوحوش وحيوانات أخرى غريبة ، وتوجد أماكن لدور عبادة قديمة تقع قريبة من مركز المدينة الحالي ، وتظهر بمنطقة الشرشارة عند الشلال أكوام من الحجارة يدل وضعها على أنها حطام مباني ، وكذلك مقبرتان رومانيتان واضحتا المعالم ، كما أن مبنى الحكومة الرومانية يقع في نفس المنطقة وبجواره منازل كثيرة ، ويؤكد القصر الموجود في منطقة (دوغه) شمال شرق المدينة على بعد 10 كم تقريباً من مركز المدينة ، والمبنى الآخر فوق قمة أحد الجبال الشاهقة المعروف بـ (أبوطويل) في منطقة التله الشرقية شمال المدينة على بعد حوالي 8 كم على أن الحضارة الرومانية بترهونة لم تكن متركزة في مكان واحد .

جـ. منطقة تrehone أثناء حكم الأتراك (1551 – 1910) :

بعد احتلال مدينة طرابلس من قبل رجال الأسطول العثماني وطردتهم لفرسان القديس يوحنا فرض العثمانيون هيمنتهم على ضواحي مدينة طرابلس ، وتوسّع نفوذهم ليشمل بعض المدن المجاورة والتي منها بلدة (البويرات) تrehone ، وفي سنة 1711 تولى أحمد باشا القره مانللي حكم ولاية طرابلس الغرب وأتصف الحكم القره مانللي بالعنجهية والغطرسية والطمع مما دفعهم إلى فرض الضرائب لخزينة السلطان عن المواشي والحبوب كل عام ، وكانت تأتي إليها قافلة كاملة خاصة بجمع الضرائب من مجموعة أترك يمّطون خيولهم ويستعينون بدليل من سكان البلدة ، ويتصف الأتراك كما ذكر بالقوة والشدة والظلم .

وكان بلدة تrehone تجمع سكاني صغير به بعض المراكز الإدارية والخدمية للحكومة التركية كمقر المتصرفية ومقر الشرطة والمحكمة ، ولم تكن علاقة السكان وثيقة بالأتراك ، ولكن منهم من تعاون معهم في بعض الوظائف الإنتاجية والخدمية ، وقد أدخل الأتراك نظام الشيوخ والباشوات إلى البلاد ، ويقوم الشيخ بمساعدتهم في إمدادهم بالمعلومات والإحصائيات السكانية والإنتاجية والإشراف على السوق

والنظافة بالبلدة ، وجمع الضرائب من السكان الذين أنهكتهم هذه المبالغ مما أدى إلى تدني مستوى الإنتاج وتعددت أوجه الضرائب المدفوعة حتى أنهم كانوا يدفعون عن كل فرد قادر على الصيام ، واستحدثت في عام 1897 ضريبة الجهاد لسد نفقات الحرب التركية اليونانية (تيرسين ، 1988 ، ص 222) ، وتوجد بالمدينة في ذلك الوقت محكمة تعمل على فض النزاعات بين الناس تولأها أشخاص ذوي علم في الشريعة الإسلامية ، وكان القاضي يمتاز بمكانة رفيعة نابعة من الوازع الديني بالمنطقة آنذاك ، وكانت ببلدة ترهونة العديد من الزوايا لتعليم القرآن الكريم وأصول الدين ، ومنها الزاوية القديمة بمركز المدينة (زاوية البويرات) إضافة إلى العديد من الزوايا المنتشرة في ضواحي البلدة بالمناطق المجاورة مثل الخضراء والداوون ، وهناك مسجد قديم تتبعه زاوية في أحد المضارب المحيطة بالمدينة تعرف باسم (شيخ المدني) كما أن هناك مباني غرف حجرية قديمة متجهة إلى القبلة تؤكد أنها كانت مخصصة للصلاة (كاوير ، تعريب أنيس زكي حسن ، ص 57) ، وتمتاز خيام سكان ترهونة بالنظام والنظافة فقد كانت الخيمة مقسمة إلى جزء للرجال وآخر للنساء والمعيشة ، كما توجد بالمنطقة العديد من (المغارات) وهي بيوت محفورة تحت الأرض يسكنها الناس موسمياً وغالباً في فصل الحر الشديد ، وبصفة عامة اتسمت الحياة الاقتصادية والاجتماعية أثناء الاحتلال التركي بالركود .

د. ترهونة أثناء الاحتلال الإيطالي :

يصف الباحث (جون ديمون) مدينة ترهونة في كتابه (من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا) قائلاً : " تبدو ترهونة وكأنها راقدة في طية وادٍ واسع ، وهي بلدة مربعة الشكل بنيت بيوتها البيضاء حول سوق كبيرة ، وهي شبيهة ببلدة تونسية صغيرة ، وتختلف عن بقية مدن طرابلس الغرب من حيث السكان والبناء ، وبالمدينة قصر حكومي يطل على مساكنها وهو قصر تركي شامخ" (جون ديمون ، 1911 ، ص 158) ، وكان بالمدينة تجمع سكاني صغير به بعض المرافق منها مكتب البريد ومركز الشرطة ومتصرفية ومركز صحي ، وكان بالمدينة بعض المقاهي الصغيرة التي تُعَدُّ الشاي واللوز والفول السوداني (الككاوية) وبعض المطاعم الشعبية وبعض الفنادق الصغيرة المبنية من الأحجار المحيطة بالمدينة والمرممة بالطين والتبن وبها ساحات لربط الخيول والحمير والإبل المستعملة في النقل وتزدحم هذه الساحات والتي تحمل مسميات منها (فندق الحمير) ، (فندق هرودة) بالحيوانات يوم السوق (الباحث مقابلة مع السيد علي عمران أحد كبار السن بالمنطقة، 2004م).

وكان بالمدينة مهبط للطيران يقع بالقرب من الحامية ، يطلق على ذلك المهبط اسم (ساقية الطيار) وقد احتل الإيطاليون ترهونة يوم السادس من فبراير سنة 1923 ، وفي سنة 1936 بدأت مؤسسة (إنتي) الإيطالية بتنفيذ وبناء مراكز الاستيطان في المنطقة ، وتم استصلاح حوالي 5000 هكتار ، وبناء 620 مسكناً استيطانياً ، وحفر آبار ارتوازية بعمق حوالي 90 متر تقريباً (أبو شهاب ، 1981 ، ص 68) ، إضافة إلى ما تم بناؤه من إدارات عسكرية وخدمات حضرية أخرى منها ما هو موجود إلى هذه اللحظة .

2. العمران الحضري بالمدينة :

اهتم المختصون من مهندسين وجغرافيين وعلماء اجتماع بالتنمية الحضرية مع بداية الثورة الصناعية التي أدت إلى تطور المدن ، وهجرة أهل الريف إليها ، وامتداد هذه المدن رأسياً وأفقياً ، وما رافق ذلك من مشاكل اقتصادية واجتماعية وبيئية ناتجة عن التوسع العمراني وانعكاساته في كثير من المجالات الدراسية، الاقتصادية والاجتماعية التي تركزت على التجمعات الحضرية (H. Bartholoeo. 1975, p2.) ، وقد بدأت ظاهرة التحضر في الانتشار الواسع في العقد الأخير من القرن الثامن عشر ، حيث زاد حجم السكان الحضر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين على عدة مراحل مرت بها العديد من المدن الغربية .

والملاحظ أن النمو السكاني والنمو الحضري تزامنا في العالم المتقدم مع التطور الصناعي والعلمي والتقني ، وهذا ما افتقرت إليه مدن الدول النامية في نموها السكاني ، حيث كانت الزيادة السكانية كبيرة ولم يصاحبها تطوّر صناعي وتقني . ورغم أن ثلثي سكان العالم يعيشون في هذه الدول إلا أن نموها السكاني لم يلق ما لقيه نمو سكان الدول المتقدمة من اهتمام ، وقد واجهت البلدان النامية تغيرات كبيرة في نموها الحضري ، ويرجع السبب الرئيسي في نموها إلى ارتفاع معدل النمو للسكان الحضر ، حيث يتضاعف عدد سكان المدن الكبيرة فيها كل حوالي 14 سنة ، وقد شهدت مدن ليبيا عامة نمواً حضرياً سريعاً في النصف الأول من القرن الماضي ، فبينما كانت نسبة السكان الحضر في سنة 1911 تمثل حوالي 7% يتمركزون في أربعة مدن وهي طرابلس التي كان يسكنها ما بين 20 - 50 ألف نسمة ، ثم بنغازي ومصراتة والزواية والتي كان يسكن كل منها ما بين 5 - 20 ألف نسمة .

وقد أكد بعض الباحثين منهم، المصري والقزيري، على أن معدل النمو الحضري بالبلاد في تلك الفترة كان أسرع من نمو سكان البلاد بكاملها ، حيث وصل معدل نمو سكان الحضر 3.5% بينما زاد مجموع سكان البلاد بمعدل 2.1% في الفترة ما بين 1911-1954 (المصري ، 1986 ، ص 68).

وفي تعداد سنة 1954 تبين أن خمسة مدن أخرى فاق تعداد سكان كل منها 5000 نسمة ، وقد ارتفعت نسبة السكان الحضر إلى حوالي 25% من مجموع سكان البلاد ، وقد شكّل سكان الريف ما نسبته 49% ، والنسبة المتبقية 26% تمثلت في السكان الرّحل وشبه الرّحل (المصري ، 1986 ، ص 68) ، والملاحظ على الفترة اللاحقة بعد 1954 انخفاض معدل النمو السكاني مقارنة بمعدل النمو الحضري ، والسبب راجع إلى الهجرة من الأرياف إلى المدن من ناحية والأسباب السياسية المتمثلة في مخلفات الاحتلال الإيطالي والحرب العالمية الثانية من ناحية ثانية .

وشهد النصف الثاني من القرن العشرين ارتفاعاً ملحوظاً في نسبة السكان الحضر فبعد أن كانت حوالي 25% سنة 1954 إرتفعت إلى 45.7% سنة 1964 ، ووصلت نسبة السكان الحضر إلى 68.7% في سنة 1984 وتجاوزت 88% بعد سنة 1995 (القزيري ، تحرير أبو لقمة ، و القزيري ، ص 420) ، غير ان تقديرات الأمم المتحدة أكدت بأن نسبة التحضر في سنة 2006 بلغت حوالي 86% ، وإرتفع مستوى التحضر بشكل سريع ، ويرجع السبب في ذلك إلى استقلال البلاد سياسياً واكتشاف النفط واستثمار عوائده، وبالتالي التحسن الكبير في المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، وتم التركيز في عملية التنمية على المراكز الحضرية ، وتحسين مستوى الخدمات ، والتي من بينها الخدمات الصحية مما قلل من معدلات الوفيات خاصة بين المواليد بسبب الأمراض ، ودفع توفّر الخدمات وقيام المنشآت الاقتصادية في المدن سكان الريف والمهاجرين خارج البلاد أيام الاحتلال إلى العودة والتوجه إلى المدن بحثاً عن معيشة أفضل وفرص عمل جيدة ، وقد كانت مدينة ترهونة من بين المدن حديثة النشأة والتي كان اغلب سكانها يتصفون بالترحال وعدم الاستقرار ، ونشأت مدينة ترهونة كالكثير من مدن العالم حول موارد المياه ، حيث استقر سكانها بالقرب من مجموعة الآبار التي كان يطلق عليها اسم (البويرات) ، وكذلك بالقرب من مساقط مياه الشرشرة (الشلال) .

وبدأت المدينة بالتطور والنمو بشكل مكثف بعد ظهور النفط في فترة الستينيات من القرن العشرين، وأصبح لها دور إداري وخدمي نظراً لموقعها الهام ، ومناخها وتربتها الملائمين وهذا ما دفع بها إلى النمو ، حيث كان يقطنها حوالي 2400 نسمة سنة 1966 ، وارتفع العدد ليصل إلى حوالي 10000 نسمة سنة 1973 ، وحوالي 12000 نسمة في سنة 1980 (بولسيرفس ، 1980 ، ص23).
وقد وصل عدد سكان مدينة ترهونة بمحلاتها الحضرية الأربعة الأكوام وسيدي احمد والشرشارة والبلدية إلى حوالي 26269 نسمة سنة 1995 ، وقُدِّر عددهم سنة 2000 بنحو 30025 نسمة (تقديرات مكتب الإحصاء والتعداد فرع النقازة ، اعتماداً على معدل النمو السنوي بين تعدادي 1984-1995) ، ووصل عددهم في تعداد سنة 2006 الى حوالي 34205 نسمة.

ويرجع السبب في النمو المتسارع لمدينة ترهونة إلى عوامل عدة ، أهمها الهجرة والزيادة الطبيعية ، فعمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها البلاد خلال فترة الستينيات والسبعينيات وحتى الثمانينيات ساعدت على نشأة ونمو المراكز الحضرية حيث أنشئت الكثير من المرافق السكنية والخدمية ، واتسعت الرقعة الحضرية ، فقد كانت مساحة مدينة ترهونة تقدر بنحو 151.4 هكتار سنة 1980 وزادت لتصل إلى حوالي 687.5 هكتار سنة 2000 (بولسيرفس ، 1980 ، ص24 ، ص61).

جدول (1) المساحات الحضرية لبعض المدن الليبية لسنتي 1980-2000 ف

المدينة	المساحة بالهكتار	
	1980	2000
طرابلس	10271.3	19236.5
بنغازي	4500	12200
درنة	292.8	1750
مصراته	2611	8381
البيضاء	982	2660
غريان	461	1110
الزاوية	678.8	2270
نزهة	*151.4	*687.5
سرت	707.5	1197
بني وليد	250.8	1012

المصدر: سعد خليل القزيري، (التحضر في ليبيا) في كتاب الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، الدار العربية للنشر والتوزيع والإعلان سرت 1993 ص 440. * تقديرات المكتب الاستشاري لشركة بولسيرفس فاديكو .

أ. أنماط العمران الحضري:

وفي المجال العمراني تم إنفاق مبالغ طائلة في سبيل تنمية مختلف القطاعات وأهمها البنية التحتية ، حيث تم إنشاء أحياء سكنية متكاملة في غرب المدينة وشرقها ، منها المتعدد الطوابق (العمارات) والمساكن الشعبية ، وتمثل هذه المباني أكثر من ربع المباني السكنية بالمدينة ، كما تم منح القروض السكنية للمواطنين مما زاد في التوسع في بناء مساكن متباينة في طرازها المعماري فمنها المساكن الأرضية الصغيرة ومنها المباني متعددة الطوابق والكبيرة المساحة .

صورة (1) أنماط المنازل الخاصة بمدينة ترهونة .



المصدر: تصوير الباحث ، 2004 .

وتنتشر هذه المباني في وسط المدينة وأطرافها خاصة الجهة الجنوبية والغربية ، وتم تنمية وتطوير الوحدات الحضرية الخدمية المتمثلة في الخدمات الإدارية والتعليمية والصحية وغيرها من المرافق الخدمية ، وتمثل أهم الوحدات الخدمية بالمدينة في الوحدات التالية :

مركز المدينة القديم :

ويشمل المرافق التسويقية والخدمات العامة ، إلا أن جزءاً كبيراً منها تم هدمه ، وحلت محله حدائق ومباني أخرى بجوار الطريق الرئيسي الذي يمر بمنتصف المدينة .

الوحدات الإدارية :

وتتمثل في المجمع الإداري والمباني العامة مثل مبنى البلدية الذي يشمل أمانة المرافق الآن والسجل العقاري والمصرف العقاري والمركز الثقافي والمحكمة ، وتقع هذه الوحدات متجاورة في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة . صورة (2)

صورة (2) مركز الشرطة وسط المدينة .



المصدر: تصوير الباحث ، 2004 .

- وحدات الخدمات التعليمية والصحية :

تتركز هذه الوحدات قريبة من بعضها وأهمها العيادة الصحية الجامعة والمستشفى المركزي وبعض المؤسسات التعليمية لمختلف مراحل التعليم .

ويعد هذا التطور في العمران والانتساع في مساحة المدينة انعكاساً لطابع حضري قوي من حيث النمو والانتساع والانتشار بأطراف المدينة مما أوجد علاقة وظيفية للمدينة تجاه إقليمها ومحاورها .

ومقارنة الصور الجوية للمدينة في فترات السبعينيات والثمانينيات والصورتين الفضائيتين في سنتي 1990 و 2005 في الخريطة (2) يتضح الفارق الكبير في وضع المدينة من حيث العمران ونمطه والأراضي الفضاء التي تم استغلالها عمرانياً ، كما تظهر كذلك المباني التي كانت قائمة بالمدينة ، والتي تم هدمها واستغلال أراضيها في الأغراض الحضرية من مبانٍ وطرق عند تنفيذ المخطط الحديث ، كما يمكن ملاحظة التطور الواضح في مساحة المدينة ، فبينما كانت مساحتها سنة 1980 حوالي 151.4 هكتار تطورت هذه المساحة لتصل إلى حوالي 1020 هكتار حسب مساحة المدينة المقدرة من الصورة

الفضائية لسنة 1992 ، وقُدِّرت مساحتها من الصورة الفضائية لسنة 2001 بحوالي 1355 هكتار . ويتضح من خلال ذلك أن مدينة ترهونة آخذة في النمو الحضري السريع .

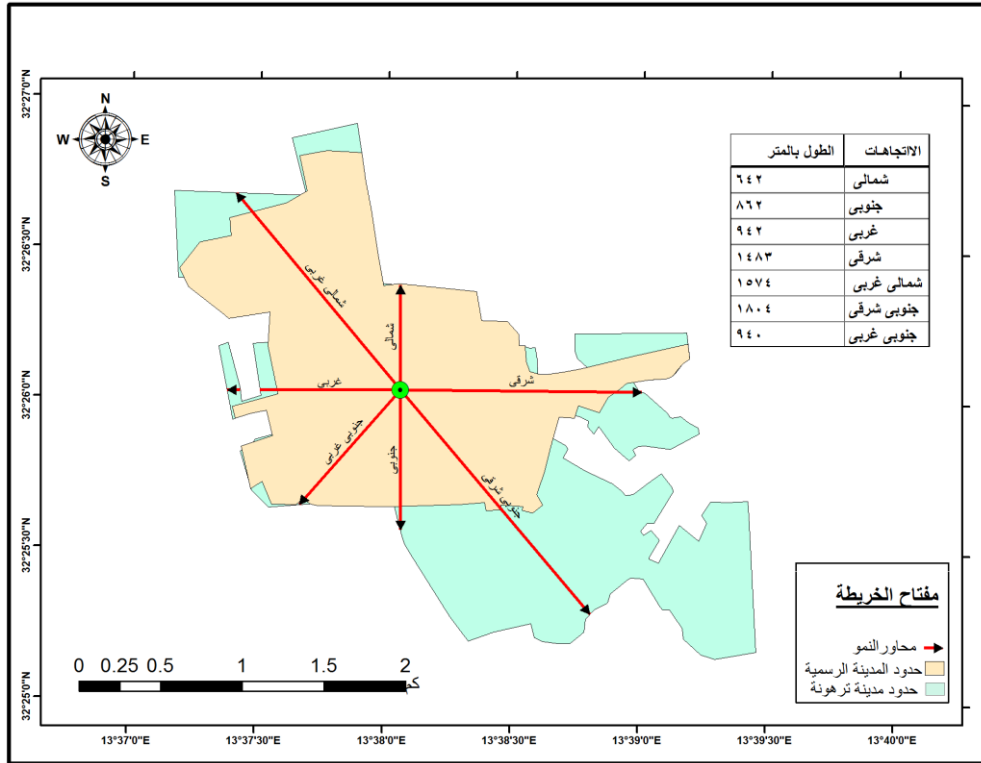
ب. أشكال النمو والتطور الحضري واتجاهاته بمدينة ترهونة :

إن أشكال النمو والانتساع المكاني للمدن تعد ظاهرة يمكن قياسها في الغالب بما كانت عليه قديماً وما هي عليه في الوضع الراهن ، ويتخذ الانتساع المكاني الناتج عن التزايد العمراني عدة أشكال أولها النمو المشتت "scattered form" وثانيها النمو الشريطي بأطراف المدينة "strung out pattern" ، الذي يمتد بمحاذاة الشوارع الرئيسية المتفرعة من وسط المدينة إلى أطرافها ، وغالباً ما يحتاج الأحزمة الخضراء والأراضي الزراعية بأطراف المدينة ، والشكل الثالث النمو النووي "nucleus form" الذي يظهر على شكل حلقات في المباني التراثية .

وتظهر هذه الأشكال الثلاثة من النمو في مدينة ترهونة ، خاصة في الضواحي والتجمعات السكنية والخدمية المنشأة حديثاً ، فيظهر الشكل المشتت في الأطراف الجنوبية من المدينة ، والشكل الشريطي في الأطراف الشرقية بمحاذاة طريق الخضراء ، والشكل النووي يتضح جلياً في الأطراف الشمالية والغربية من المدينة . وتوضح الخريطة (2) وضع المدينة والهيكل العام لمبانيها ومورفولوجيتها ، وقد طغت الأشكال السابقة من النمو على حدود مخطط المدينة بحيث اختلطت استعمالات الأرض الحضرية بمجاورات المدينة من التجمعات الريفية والأراضي الزراعية ، وتؤثر الزيادة السكانية وما يصاحبها من تباينات اجتماعية وتطور في التقنية وخاصة في مجال النقل والمواصلات والاتصالات في تداخل استخدامات الأراضي الحضرية بالأراضي الريفية والزراعية ، ويؤدي كذلك إلى انتشار بعض الخدمات التي تظهر بوضوح في تلك المناطق ، وأكثر آثار الزيادة السكانية وضوحاً هي تلك التباينات المورفولوجية بين المباني القديمة الطراز والحديث منها (بولسيرفس ، 1980 ، ص 141) ، ويسهم توزيع وكثافة استعمالات الأراضي بوسط المدينة وأطرافها في اتخاذ النمو العشوائي لشكل معين دون آخر . (Boyce . and Other , 1972 , p 353) ، فبينما تؤدي الكثافة المرتفعة في استعمالات الأرض بالمدينة إلى الانتشار بشكل مشتت كما هو الحال في الأطراف الجنوبية والشرقية من المدينة ، وبشكل منظم كما في الأطراف الشمالية ، ويؤدي التوزيع المنظم في استعمالات الأراضي الحضرية بالمدينة إلى النمو الموجه المخطط ، أما فيما يتعلق بالاتجاهات العامة لنمو المدينة فإن الاتجاهين الأساسيين لنمو مدينة ترهونة هما الشمال والجنوب ، والسبب في ذلك يرجع إلى ظروف البيئة الطبيعية حيث تحول الحواف الجبلية الشرقية دون نمو المدينة في ذلك الاتجاه ، كما منعت

الأراضي الزراعية المتمثلة في بساتين الزيتون واللوز بالمنحدرات الغربية للمدينة من النمو في ذلك الاتجاه ،
وتحد الأراضي الزراعية لمدينة من ناحية الجنوب الغربي ، وتوضح الخريطة التالية محاور واتجاهات نمو المدينة .

خريطة (3) محاور نمو مدينة ترهونة .



المصدر اعداد الباحث بناءً على حدود المدينة التي حددها البلدية والحدود الفعلية لمدينة ترهونة

ويظهر من خلال الملاحظة العينية النمو السكاني العشوائي في ذلك الاتجاه ، كما أن مخطط المدينة لعام 2000 المعد من قبل مؤسسة بولسيرفس يهدف إلى تحويل اتجاه النمو الحضري للمدينة ناحية الجنوب بينما لا يلق هذا الاتجاه قبولاً كبيراً من قبل المواطنين ، حيث أقيم حي جديد فيما لا يتجاوز الأربع سنوات في الجهة الشمالية خلف المستشفى ، وقد يكون السبب في ذلك راجعاً إلى الرغبة في القرب من الخدمات ومركز المدينة ، فالمنطقة الجنوبية تكاد تكون معزولة عن وسط المدينة ، حيث تحجب المنطقة الخاصة (المعسكر) والخدمات الإدارية بوسط المدينة تلك الجهات عن مركز المدينة المتمثل في شارع

الانطلاق وشارع الشرشارة ، كما أن تمركز قبيلتي الدوايم والنعايجة في تلك المنطقة بطابعهما الريفي ، وإقامة مشروع تأصيل الدواجن في منطقة الحزام الأخضر التي من المفترض أن تشكل حدود المخطط الجنوبية لا يحفزان على نمو المدينة في ذلك الاتجاه ، وبصفة عامة نجدها تنمو بشكل عشوائي في أغلب الاتجاهات صورة (3) .

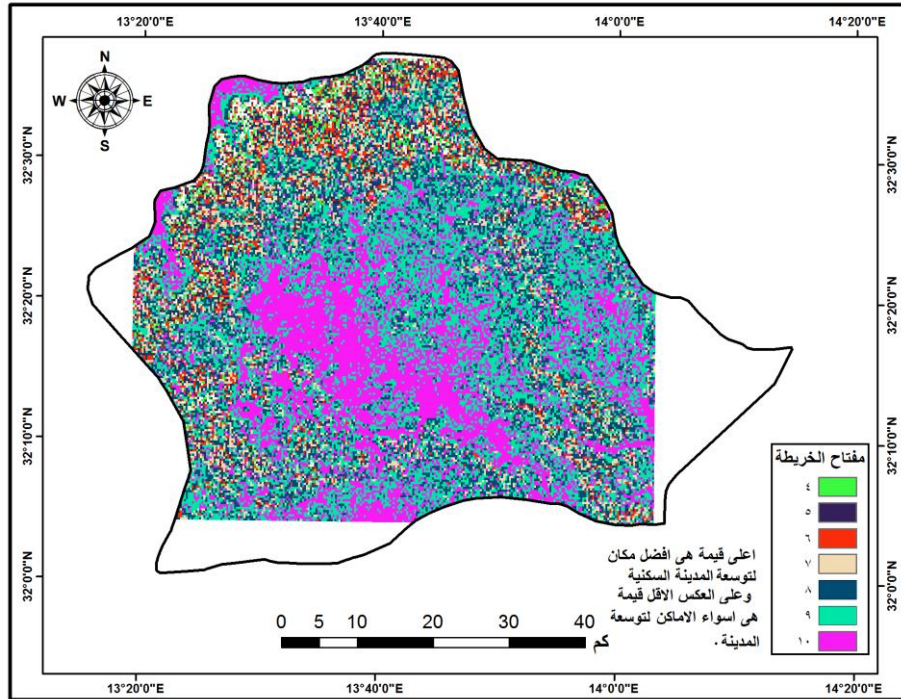
صورة (3) مبنى سكني في أحد الأحياء الحديثة جنوب المدينة .



المصدر: تصوير الباحث ، 2004 .

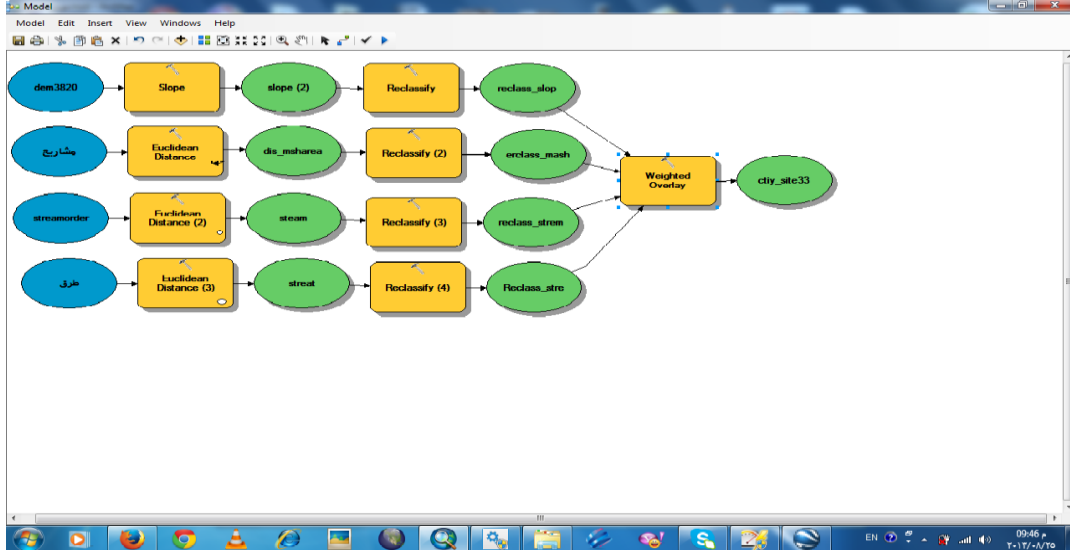
3. مقترح لحل مشكلة نمو المدينة على حساب الاراضي الزراعية المحيطة بها :
- كحل لمشكلة نمو مدينة ترهونة على حساب الاراضي الزراعية المجاورة لها فإن الخريطة (4) والتي تم اعدادها بالاخذ في الاعتبار اربعة شروط لنمو العمران هي :
- أ. ارتفاعات السطح بالمنطقة ومايتعلق بذلك من وعورة واتجاه للانحدار بما يتوافق مع امكانية البناء والتوسع العمراني .

- ب. توزيع الأنشطة الزراعية وهذا ذو أهمية كبيرة لأنه من أجل ذلك قام مقترح البحث عن أماكن ملائمة للعمارة لا تؤدي الغطاء النباتي الطبيعي والمزروع بالمنطقة .
- ج. توزيع شبكة تصريف المياه بالمنطقة من أجل تفادي التوسع العمراني بالمنطقة في مناطق احتطار السيول والفيضانات وما ينتج عنها من مشاكل بيئية .
- د. شبكة الطرق ولا يمكن إغفال دور الطرق وأهميتها الكبيرة في توزيع العمران وكثافته بسبب ما تؤديه من مهمة ربط المراكز العمرانية سواء داخل منطقة الدراسة أو خارجها .
- والى جانب هذه الشروط الأربعة التي يقوم عليها اقتراح المواقع المناسبة للعمارة بمدينة ترهونة فإن هناك بعض العوامل الأخرى التي لا يمكن إغفال دورها في توزيع العمران بالمنطقة كالمناخ والجيولوجيا والتربة وغيرها ، غير أن دور هذه العوامل الأربعة يعد أكثر تأثيراً واشد ارتباطاً بالعمارة .
- خريطة (4) الأماكن الملائمة لنمو وتطور مدينة ترهونة ومراكز العمران الأخرى بمنطقة الدراسة.



المصدر : اعداد الباحث من خلال المرئية الفضائية لسنة 2005 ، عن طريق برنامج Arc GIS.10.1 .

شكل (1) نموذج او تصميم "modeling" للخطوات المتبعدة لتحليل المرئية الفضائية لسنة 2005 ، من اجل اختيار الاماكن المناسبة لنمو وتطور مدينة ترهونة في منطقة الدراسة .



المصدر : اعداد الباحث من خلال برنامج " Arc GIS.10.1 " .

نتائج تحليل خريطة الاماكن الملائمة لنمو وتطور العمران في مدينة ترهونة :

وبتحليل خريطة الاماكن الملائمة لنمو وتطور العمران في مدينة ترهونة تبين ان افضل اماكن نمو العمران تتركز في اغلبها في الجزء الجنوبي الغربي من وسط منطقة الدراسة اي جنوب المدينة بمسافة تتراوح بين 6 الى 10 كم تقريباً ، وهذا ايجاز لمجموعة من المميزات التي تقترح الدراسة ان تُنشأ بموجبها مدينة يمكن ان يطلق عليها "مدينة ترهونة الجديدة" وفق شروط تتوافق مع ما يعرف بالمدن الصحية أو البيئية ، ومن أهم هذه المميزات التي تجذب السكان والعمران لهذا المكان:

1. ايجاد نشاط صناعي او تجاري او خدمي ، وبالنسبة لمنطقة الدراسة فإن البدء في انشاء مركب جامعي في ذلك المكان ووجود مصنع الاحذية المتوقف هناك قد يشكل سبب جذب للعمران .
2. وجود اراضي فضاء ملك للدولة في ذلك المكان بامكانها استغلالها في انشاء مخطط عمراني عليها كما أن اسعار الاراضي هناك لم تصل الى ما هي عليه بالقرب من المدينة ما يشجع على امكانية شراء الدولة للأراضي واستعمالها في توسعة ذلك المخطط.
3. قرب مصادر المياه المتمثلة في محطة توزيع المياه ومنضومة النهر الصناعي .

4. قرب محطة معالجة مياه الصرف الصحي من الموقع المقترح مما يوفر الكثير من الجهد والمال مقارنة بموقع المدينة الحالي الذي يتم تجميع مياه الصرف الصحي في صهاريج أرضية شمال المدينة ثم ضخها لمسافة 8 كم جنوب المدينة إلى محطة المعالجة المذكورة بواسطة مضخات .
5. وجود شبكة طرق جيدة تربط المكان المقترح للمدينة بمعظم اطراف منطقة الدراسة الاخرى في اتجاهات عدة وكذلك تسمح بنية المكان من تضاريس وتربة بإنشاء شبكة طرق نموذجية .

خلاصة :

بناء على ما تم التوصل إليه لوضع المدينة من مؤشرات اقتصادية وبيئية كانت وراء نشأة وتوسع المحيط الحضري أهمها حركة التجارة وموارد المياه والنشاط الزراعي والرعي للريف المحيط بالمدينة قديماً إلى الأسباب الديموغرافية المتمثلة في الزيادة الطبيعية والهجرة من الريف المجاور كعامل رئيسي للنمو الحضري ، وقد عملت بعض الظروف الطبيعية والبشرية لإتحاذ ذلك النمو اتجاهات دون غيرها ، وخلص هذا البحث إلى أن منطقة الدراسة تعاني من غياب الخريطة الموجهة للنمو الحضري والتي أثرت في شكل العمران الحضري ونسقه واتجاهاته نتيجة لطبيعة السطح والغطاء النباتي الطبيعي والمستزرع خاصة حقول الزيتون المحيطة بالمدينة .

المراجع :

1. أبوشهاب ، محمد علي ، مراحل الاستعمار الاستيطاني الإيطالي في ليبيا، 1911-1943. مجله الشهيد، العدد 2 أكتوبر 1981م.
2. أبولقمة، الهادي مصطفى، القزيري، سعد خليل، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، 1995م.
3. بولسيرفس - ترهونة المخطط الشامل 2000م التقرير النهائي تقرير ط ن 40 وارسو بولندا 1980 م.
4. ديمون ، جون ، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا 1911م، تحقيق وترجمه وتقديم محمد عبدا لكرتم الوافي دار الفرجاني طرابلس ، بدون سنة نشر .
5. الزاوي ، الطاهر احمد ، معجم البلدان الليبية ، مكتبة النور ، طرابلس ، 1968
6. شرف ، عبد العزيز طريح ، جغرافية ليبيا ، مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية، 1962م.
7. كاوبر ، ه . س ، تعريب أنيس زكي حسن ، مرتفع آلهات مكتبة الفرجاني، بدون سنة نشر.

8. المصري ، احمد. تحويل الأراضي للاستعمال الحضري أثره وطبيعته في ليبيا ، مجله الفكر العربي معهد الإنماء العربي، العدد 43 بيروت، 1986م.
 9. مكتب الإحصاء التعداد منطقة النقازة تعدادي 84 – 1995م.
 10. موسي ، تيرسين ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، 1988م .
 11. ناجي ، محمد ، محمد فوزي ، طرابلس الغرب ترجمه أكمل الدين محمد إحسان دار مكتبه الفكر طرابلس ليبيا 1973 م .
 12. مقابلة مع السيد علي عمران أحد كبار السن بالمنطقة ، بتاريخ 2004/2/26 م .
- المراجع الاجنبية :

1. Bartholoeo. H. “The land use survey” – inmayer, n.m, Kohn EF, reading in urban graphy. (eds) , 1975 .
2. Boyce , R. and Other , Socio – economic mode is in Geographic London , 1972 .
3. Oates . The Tripolitania Gebel settlement of the roman Period Around Gaser Eldauun , Tripoli . 1951 .

النبات الطبيعي (سيدي عمير-قصر اخيار-غنيمة) نموذجاً

أ.علي محمد نجاح

كلية الآداب والعلوم-قصر الاخيار/ جامعة المرقب

الملخص:

تتكون الحياة النباتية في منطقة الدراسة من نباتات بعضها دائم الخضرة كالأحراج والشجيرات، وبعضها فصلي ينمو في موسم الأمطار، وبعضها الآخر حولي ينمو في فصل المطر ثم يجف في فصل الجفاف، ولكن جذوره تبقى في الأرض حتى تعاود نموها من جديد عند حلول فصل المطر اللاحق. وبشكل عام فإنّ منطقة الدراسة توجد بها الكثير من المراعي الطبيعية والغابات وبالخصوص على الشريط الساحلي في غرب المنطقة. وتؤثر عوامل مختلفة في توزيع النباتات الطبيعية مثل المناخ والتربة والتضاريس، وهناك عوامل تؤثر في حياة النبات من حيث نموه وتكاثره وفترة إزهاره وجفافه. وهي تضم التوزيع الفصلي للحرارة والتوزيع الفصلي للمطر ونوع التربة والتضاريس، ففيما يتعلق بالمناخ فإنّ العناصر المناخية السائدة في منطقة الدراسة لها دور في توزيع النبات الطبيعي واختلاف تواجدته بين فترة وأخرى، أما التربة فهي العامل الثاني في التأثير لأنها تستمد خواصها من المناخ، فقد تتدخل في نمو النبات لمحتواها من الرطوبة وبالتالي تتباين كثافة النباتات وانتشارها في ترب مختلفة، لذلك ينمو نبات الرتم والحميضة والشيح في الترب الرملية والطينية، بينما توجد نباتات المشنان والبلوز في الترب الملحية والحجرية، والعامل الأخير المؤثر في توزيع النبات هو القرب والبعد عن ساحل البحر. وعموماً فإنّ نباتات منطقة الدراسة متشابهة في الشكل والتركيب فهي في العادة عبارة عن حشائش قصيرة متفرقة سريعة النمو وقصيرة العمر ولكنها تتميز بعدة مميزات تمكنها من التكيف مع ظروف بيئتها الطبيعية المحلية مثل الديس والسبط اللذان يتمتعان بأوراق إبرية، ونبات الرتم يتمتع بجذور تتعمق في التربة بحثاً عن المياه، ونبات الصبار يحمل أوراق تخزن العصارة للتحايل على الجفاف، ونبات الفرعون جذوره درنية والمشنان يتمتع بأوراق صغيرة وخيطية.

التمهيد

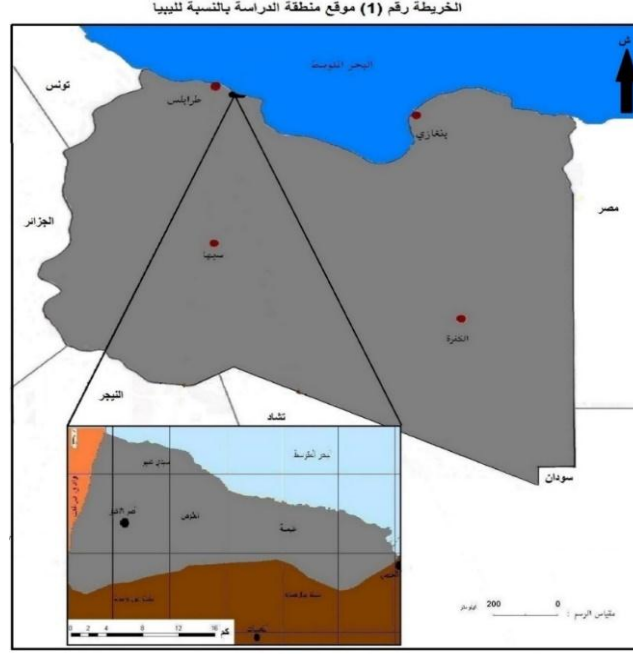
في منطقة الدراسة تنقسم النباتات إلى نباتات إقليم ساحلي استبس بحري مثل الصبار والبلوز والقزاح، أما نباتات الإقليم الداخلي استبس صحراوي وتتمثل في نبات شوك الإبل والخرشوف البري والشديدة (عمار، 2003م، 15). كما تلعب التضاريس دورًا هامًا، ولكن على المستوى المحلي في توزيع صور الأحياء النباتية وطبيعتها، كما تؤدي المناطق العالية إلى انخفاض في درجات الحرارة مما يعطي للبيئة المرتفعة ظروفًا رطبة مغايرة إلى حد ما عن المناطق المنخفضة المجاورة، وما يصاحب هذا من اختلاف في صورة الأحياء النباتية. هذا وتلعب الأحواض والأودية دورًا مهمًا في تنوع الأحياء النباتية، ففي المناطق الجافة وشبه الجافة تصبح المنخفضات (الأحواض والأودية) مناطق تجمع لأكثر قدر ممكن من الرطوبة بالقياس مع المناطق المجاورة. كما يعتبر الانحدار عاملاً طبوغرافيًا هامًا ومؤثرًا في نمو النباتات وتنوعها، إذ تميل السفوح شديدة الانحدار إلى أن تكون أكثر جفافًا من السفوح الأقل انحدارًا، ويرجع السبب في ذلك إلى أن السفوح شديدة الانحدار تعمل على انسياب وجريان المياه فوق السطح بسرعة، ومن ثم لا تتيح الفرصة لمياه التساقط لكي تتوغل أو تتسرب بكثرة داخل مسامات التربة.

• الموقع الجغرافي:

تقع منطقة الدراسة في الجزء الشرقي من إقليم سهل الجفارة. ويحدها من الشمال البحر المتوسط، ومن الجنوب سلسلة جبال ترهونة ومسلاته، ويحدها من الشرق رأس المسن، ومن الغرب وادي ترغت.

• الموقع الفلكي:

تقع منطقة الدراسة بين دائرتي عرض (30° 32' O) و (45° 32' O) شمالاً، وبين خطي طول (13° 45' O) و (14° 15' O) شرقاً.



المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على الأطلس الوطني ، أمانة التخطيط ، مصلحة المساحة ، ص 101 .

• الدراسات السابقة

تناول غبور (1992) (غبور، 1992م، ص 46) في دراسته بعنوان ((صيانة البيئة والموارد الطبيعية))، وقد تعرضت هذه الدراسة إلى الحلقات الغذائية في النظام البيئي، وأشارت إلى عملية انتقال الطاقة بين الحلقات.

وقد أجرى الدقاق (1994) (الدقاق، 1994م، ص 71) دراسة بعنوان ((اقتصاديات حماية البيئة في الإسلام))، حيث اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لتحقيق أهداف الدراسة، وإظهار المنهج الإسلامي المتكامل في حماية البيئة، والحفاظ عليها وتنمية مواردها، وتعويض المتضرر منها نتيجة إساءة الاستخدام والاعتماد على الضوابط والقواعد الفقهية.

وفي دراسة أخرى قام بها غرادية في سنة (2009 م) (غرادية، 2009م، ص 23) تناول فيها ((وضع المراعي الطبيعية في شمال غرب سهل الجفارة ومدى تأثيرها على الحياة الحيوانية)) حيث أشار بأن المنطقة تشهد ظروفًا طبيعية قاسية كان لها التأثير على المراعي الطبيعية من حيث الزيادة والنقصان وكما أوضح بأن الأمطار من أهم العوامل التي تتحكم في التوزيع المكاني للمراعي خاصة أن أمطار المنطقة في تناقص مستمر مما أثر بدوره على الحياة الحيوانية وكما أشار أيضا بأن المراعي الطبيعية في تدهور مستمر نتيجة للظروف الطبيعية القاسية من قلة أمطار وارتفاع معدلات درجة الحرارة مما أدى إلى اختفاء العديد

من النباتات الهامة بالنسبة للإحياء الحيوانية وكما أكد بأن الغطاء النباتي أصبح لا يلبي الاحتياجات الغذائية للحيوانات وأن أغلب المزارعين يعتمدون في تغذية قطعانهم على الأعلاف نتيجة لعدم جودة المراعي بالمنطقة.

• الدراسة التصنيفية للغطاء النباتي في منطقة الدراسة

تصنّف النباتات إلى نباتات زهرية ونباتات غير زهرية، وتنقسم النباتات الزهرية إلى نباتات ذات الفلقة الواحدة ونباتات ذات الفلقتين، وبدورها تنقسم إلى رتب وتنقسم الرتب إلى فصائل على أساس التشابه في التركيب الزهري، والعلاقات التطورية الأخرى، وكل فصيلة من الفصائل تضم عددًا من الأجناس النباتية وكل جنس يضم عددًا من الأنواع (العطيات، 1995م، ص 21).

• الفصائل النباتية في منطقة الدراسة

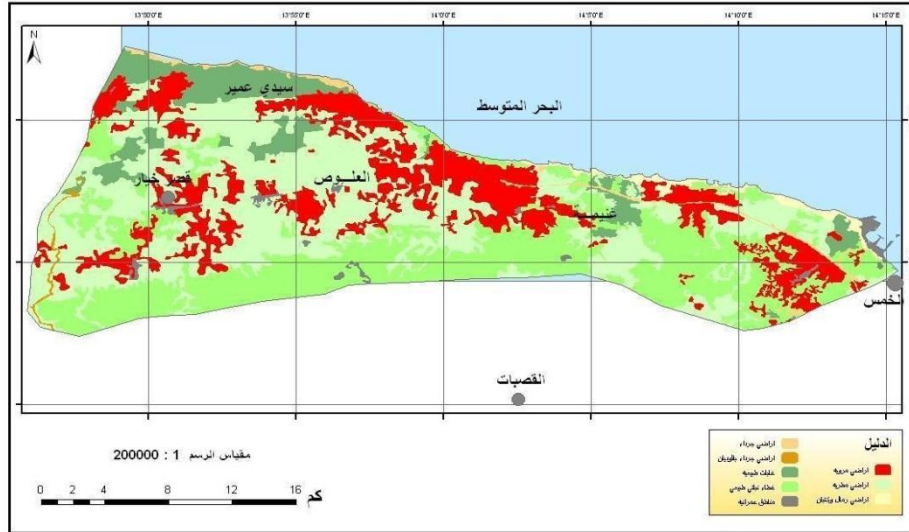
تتعدد الفصائل النباتية في منطقة الدراسة وتنوع وفيما يلي وصف إجمالي لأغلب الفصائل النباتية الشائعة في منطقة الدراسة:

1-الفصيلة الزنبقية: معظم نباتات هذه الفصيلة حولية، أوراقها لحمية سمكية شريطية ذات لون أخضر قاتم، توجد عليها طبقة شمعية لتقلل من عملية النتح، وتشمل الفصيلة على 200 جنسًا*، و 2000 نوعًا (سعد، 1994م، ص 263)، وتتكاثر بالريزومات والدرنات والكورمات والأبصال، وأهم النباتات الشهيرة التي تضم الفصيلة الفرعون والبلوز وأغلبها تنمو في التربة الرملية، وتنتشر في كافة أجزاء منطقة الدراسة.

2-الفصيلة الحريقية: نبات هذه الفصيلة عبارة عن أعشاب حولية، أوراقها متقابلة تتغطى بأوبار لاسعة توجد مادة لبنية في نسيجها، وتشمل على 42 جنسًا، 600 نوع (سعد، 1994م، ص 302)، وفي ليبيا يوجد منها 4 أجناس و 11 نوعًا (الشف، 2005م، ص 71) معظمها ينمو في المناطق الحارة والمعتدلة مثل نبات الحريقة، وتنتشر أنواع هذه الفصيلة في الشمال من منطقة الدراسة.

3-الفصيلة اللبئية: تسمى هذه الفصيلة باللبئية لان نباتاتها تحتوي على مادة لبنية مثل نبات الخروع، وهي مختلفة، منها أعشاب اللبئية (العضيضة) ومنها شجيرات كالخروع وتكون أوراقها مفصصة، تشمل 283 جنسًا و 7300 نوعًا (سعد، 436) وفي ليبيا ينتشر حوالي 15 جنسًا و 52 نوعًا (الشف، 2005م، ص 90) ويكثر توزيعها في المناطق الساحلية والرملية، وتنتشر على وجه الخصوص في منطقة الدراسة في الوديان وفي المناطق التي تمارس فيها الزراعة البعلية.

الخريطة رقم (2) الغطاء النباتي لمنطقة الدراسة



المصدر: إعداد الباحث استناداً على مشروع التخطيط الزراعي، وزارة الزراعة، طرابلس

4-الفصيلة الخبازية: معظم نباتاتها أعشاب وأوراقها راحية مفصصة، تغطي السوق والأوراق بأوراق، والزهرة عنقودية، تتكاثر عن طريق البذور ذات الشكل القرصي، جذورها قريبة من السطح، وتشمل الفصيلة 82 جنساً و1500 نوعاً (سعد، 1994م، ص 470) وأشهر نباتاتها نبات الخبيزة الذي يكثر نموه في التربة الرملية، تنتشر أنواع هذه الفصيلة في جميع أنحاء منطقة الدراسة ويقتصر وجودها على موسم الأمطار.

5-الفصيلة المركبة: تعتبر هذه الفصيلة من أكثر العوائل النباتية رقيًا، لذلك فإنها أكثر العائلات النباتية أجناساً وأنواعاً، إذ تضم حوالي 950 جنساً و20000 نوع موزعة في جميع أنحاء العالم (العروسي، 1987م، ص 305) وتنتشر في منطقة الدراسة في أجزائها الجنوبية، وتضم الشيح، عشبة الأرنب، شجرة مريم

6-الفصيلة الباذنجانية: نباتات هذه الفصيلة أعشاب حولية مثل الداتوره والقنقيط، وشجيرات معمرة مثل عكّوز موسى، أوراقها متبادلة وحافة الورقة ذات تفصص كبير وواسع، وتشمل الفصيلة 85 جنساً و2200 نوعاً، وفي ليبيا 10 أجناس و24 نوعاً (الشف، 2005م، ص 96) تنتشر في التربة الرملية، وتنتشر في منطقة الدراسة في مجاري الوديان.

7-الفصيلة القرعية: تتكون من أعشاب حولية زاحفة، ذات سيقان طويلة، وأوراقها راحية مفصصة متبادلة مغطاة بشعيرات أو زغب على الساق، والأوراق والثمار نحيط بها أجزاء متشعبة، وأغصانها زاحفة على الأرض، وتنمو معظم نباتات هذه الفصيلة في الترب الرملية تتحمل الجفاف والحرارة العالية وأهم نباتاتها الحنظل والبيظ، وتنتشر نباتات هذه الفصيلة في منطقة الدراسة على حواف مجاري الوديان التي تخترق منطقة الدراسة مثل وادي ترغت ووادي مقdal.

8- الفصيلة النجيلية: أغلب نباتات هذه الفصيلة أعشاب حولية ، سيقانها جوفاء ، أوراقها متبادلة وقواعدها مغلقة ، الزهرة سنبل ، تضم حوالي 450 جنساً و 4500 نوعاً (سعد1994م، ص 232) منتشرة في جميع أنحاء العالم ، يوجد بها 94 جنساً ينمو برياً مثل النجم والنجيل و الزيون والسبط والديس وتنتشر في جميع أنحاء منطقة الدراسة.

9-الفصيلة الصليبية: أن أزهار هذه الفصيلة تشبه الصليب وهذا سبب تسميتها بالصليبية، ثمارها خردلية، وجميع نباتاتها أكثرها حولي مثل العسلوز والجرجير البري، وتغطي أوراقها بوبر أو زغب وشكل زهرتها عنقودية أو مشطية تبدأ موسم نموها عند سقوط الأمطار.

10- الفصيلة البصلية: تحتوي نباتات هذه الفصيلة على أبصال ، تنمو تحت التربة ، الأمر الذي يساعد على بقائها مدة طويلة لا تجف ، وتشمل الفصيلة نباتات حقلية مثل البصل والثوم ، والنوع البري منها مثل القازول ، وتتميز أوراقها بشكل شريطي ولونها أخضر ، وتكاثر عن طريق الأبصال والبذور.

11- الفصيلة البقولية: تُعدّ هذه الفصيلة من أكبر الفصائل ، لأنها تحتوي على مجموعة هائلة من النباتات التابعة لها أشهرها الرتم ، والقندول ، والشديدة ، وأزهارها على شكل فراشي ، يختلف الطول في نباتاتها وفي شكل أوراقها فمنها الأوراق الكبيرة والرقيقة ومنها ما يكون صغيراً وجافاً ، وجذورها في بعض النباتات وتدية وهي تنتشر في منطقة سيدي عمير وغنيمه.

12- الفصيلة الحمضية: نباتات هذه الفصيلة عبارة عن أعشاب ، والسيقان لها عقد متفخعة وقد تكون مفصلية ، ولها جذور شبيهة بالأبصال مثل نبات ضرس العجوز وأوراقها قلبية ذات لون أخضر قاتم، الثمار أحياناً تحتوي على أشواك لكي تساعد على الانتقال ، وتشمل 32 جنساً و 800 نوع (سعد، سعد1994م، ص 316) وفي ليبيا يوجد جنس واحد فقط و 3 أنواع (الشف، 2005م، ص 93) تنتشر أغلبها في المناطق المعتدلة ، وأشهر نبات الفصيلة نبات الحميض وهي تنتشر بشكل كبير في جميع أجزاء منطقة الدراسة .

13- الفصيلة الصبارية: نباتات متخشبة أو عشبية عصارية والساق عادة لحمية عمودية أو مخروطية أو مضلعة وتقريبا شبه كروية أو اسطوانية كثيرا ما تكون ذات ضلوع منضغطة و مسطحة و الوريقات مشوكة ومختزلة إلى حراشف والإزهار مفردة وجالسة وخنثي والثمرة لحمية لبية عديدة البذور عادة والفصيلة تضم 84 جنسًا و 2000 نوعا(الشف، 2005م، ص 73) وفي ليبيا يوجد جنسًا واحد وثلاثة أنواع مزروعة وتوجد على الطرقات في جميع أنحاء منطقة الدراسة .

وتتعدد النباتات الطبيعية في منطقة الدراسة من حيث توزيعها المكاني ، ففي الشريط الساحل ينمو استبس بحري مثل القازول والقندول والبلوز ، وفي الغالب تكون حولية والبعض منها فصلية ، وفي المنطقة الوسطى يكثر نمو نباتات السبط والديس لوجود الكثبان الرملية ، أما في المسافات البعيدة عن الساحل تنمو نباتات الإستبس القاري (الصحراوي) التي تتميز بقدرتها على تحمل الجفاف ، وأهم هذه النباتات الرتم والشعال وشوك الإبل.

ويوجد في المنطقة عدد هائل من الحشائش الموسمية التي سرعان ما تجف بانتهاء موسم سقوط المطر ، وأهم خصائصها قدرتها على تحمل ظروف المناخ، ومن هذا المنطلق تم تقسيم نباتات المنطقة إلى:

1 - نباتات دائمة الخضرة. 2 - نباتات موسمية. 3 - نباتات ملحية.

أولاً. النباتات دائمة الخضرة:

تنقسم النباتات إلى نوعين منها المقاوم للجفاف والآخر المتحمل له، وإن اختلفت الطرائق التي تنبناها النباتات لكلا النوعين ، لكي تحافظ على بقائها حية طول العام خاصة خلال فترات الجفاف الشديد ، نجد أن النوع الأول يقوم بالتقليل من معدلات التبخر بنفض أوراقه وإحلال أشواك بدلا منها ، أو تكون أوراقه سميكة مغطاة بشعيرات ، أو بتعميق جذورها في التربة رأسياً أو طرحها أفقياً لتستفيد بكميات أكبر من الرطوبة ، أما النوع الثاني : المتحمل للجفاف فهو الذي يستطيع البقاء جافاً ويبدو كأنه فقد الحياة لفترة طويلة ، ويكون شكل سيقانه كأنها خشبية قاسية ومجعدة تنمو وتزهر عند موسم الأمطار ، وتأخذ اللون القاتم أثناء الجفاف أو تأخذ الشكل التقزمي لتتحايل على الجفاف(جودة، 1996م، ص 260). ومن أمثلة هذه النباتات في منطقة الدراسة ما يلي:

1- نبات التففت (الشعال): *Artemisia campestris* وهو نبات شجري معمر ينتمي إلى العائلة المركبة ، ساقه قائم يتفرع بالقرب من سطح التربة ، طوله ما بين 20 . 60 سنتيمترًا أو أكثر والأوراق صغيرة ومتقابلة على الساق مع وجود اذينات تابعة للورقة ، وأزهاره صفراء دقيقة تخرج من إبط الورقة، ويتكاثر

بالبدور ، ويزهر في شهري يونيو ويوليو وأكثر الترب الملائمة له الترب الرملية، ينتشر في جميع الأجزاء الساحلية في منطقة الدراسة

2- نبات الرتم: *Reteam raetaum* نبات صحراوي ينتمي للعائلة البقولية وينمو بكثافة في المناطق الصحراوية شبه الجافة ، وهو دائم الخضرة ، شجري ومعمّر ، ويصل ارتفاعه إلى أكثر من المترين ، ذو أوراق صغيرة سريعة التساقط ، وشكل أزهاره فراشية ولونها بيضاء، الكأس الزهري أرجواني اللون ، تحتوي الثمار على بذرة واحدة فقط، يزهر من شهر ديسمبر إلى شهر يناير ، وأثناء فترات الجفاف تتحور أوراقه إلى سيقان ليقبل من عملية النتح، وينتشر في الأجزاء الساحلية من منطقة الدراسة وانتشاره بكثافة عالية

3- نبات عكوز موسى: *Nicotiana glauca graham* نبات شجري معمّر ينتمي إلى عائلة الباذنجانية ، ويكثر في الأماكن المهجورة، وعلى حواف الطرق ، ويصل طوله حوالي 5 أمتار ، وأوراقه بيضاوية إلى بيضاوية مستطيلة ، لونها أخضر ، وأزهاره صفراء إلى خضراء أنبوبية الشكل ، وتوجد أزهاره في مجاميع ، ثماره علب بيضاوية مقلوبة مستطيلة ، وساقه خشبي قائم متفرع يحمل أوراق بسيطة يزهر طول العام يتواجد في مجاري الوديان.

4- نبات الديس: *Imperata cylindrical* نبات معمّر ينتمي للعائلة النجيلية ، يبلغ طوله حوالي 20 سنتيمترًا ، وساقه عديدة التفرع ، والريزومات قوية النمو زاحفة ، والأوراق مفتوحة ، وشكل الزهرة دالية شبه سنبل ، ينمو في الترب الرملية ، ويزهر من فبراير إلى مايو، يتكاثر بالريزومات. ينتشر بشكل كبير في جميع أنحاء منطقة الدراسة.

5- نبات الخروع: *Ricinus communis linn* يعتبر الخروع من النباتات نادرة النمو، حيث تنمو في مناطق متفرقة من منطقة الدراسة، وهو من الأشجار دائمة الخضرة، يوجد نوع منها في منطقة الدراسة صغير الحجم ، وتعطي بذرة قليلة الزيت، يتراوح طوله من 1 إلى 5 أمتار (ابوزيد، 2000م، ص 72) ، أما من حيث البذرة فإنها تختلف في ألوانها فمنها الأبيض والرمادي والبني، وعادة ما توجد البذرة في مجموعات تصل في عددها إلى ثلاثة أو أربع حبات في الثمرة (ضو-محمد، 2006م، ص 93) ، ساقه خشبية قائمة جوفاء، وأوراقه مفلطحة مفصصة، أزهاره مجتمعة في نورات، ساقه أملس ملون بألوان خضراء وأرجواني باهتة وأزهاره خضراء مصفرة في شكل عنقيد.

6- نبات القندول: *Calycotome Villosa (poir) link* وهو نبات شوكي ينتمي للعائلة البقولية، يتحمل الحرارة العالية والجفاف، يزهر في فصل الربيع أزهارًا صفراء ذات رائحة زكية ويصل ارتفاعه إلى حوالي 150 سنتيمترًا (الزوام، 1984م، ص 119) وينمو في ترب رملية طينية، دائم الخضرة، السيقان

تحتوي على أشواك حادة، وفترة تساقط أوراقه في شهر أغسطس إلى ديسمبر، يتكاثر عن طريق البذور التي تبقى في التراب ثم بمجرد توفر الرطوبة تنمو وتظهر على السطح، يزهر في أواخر شهر ديسمبر إلى فبراير.

7- الخنظل: *Citrullus colocynthis* ينتمي إلى العائلة القرعية، وهو نبات زاحف على الأرض، يوجد في الأراضي الجرداء، ينمو في الترب الرملية والكلسية، وهو نبات كثير التفرع، فروعه مضلعة عليها زغب، أوراقه بها تفصص مغطاة بزغب خشن الملمس، أزهاره صفراء اللون، ثماره كروية مخططة بألوان مخضرة أو مصفرة، طعمها مر المذاق، يتكاثر خلال الربيع وأوائل الصيف (ابو زيد، 2000م، ص 273)، وفترة تزهيره من شهر مايو إلى يونيو، وينتشر في منطقة الدراسة في مجاري الوديان وفي الشريط الساحلي. والنبات الواحد يعطي عددًا كبيرًا من الثمار، وتجمع ثماره في أواخر الصيف، ويعد من النباتات التي تتحمل الجفاف إلى حد كبير بدليل إزهارها في فصل الصيف في أجف المناطق الصحراوية (البتانوي، 1992م، ص 87).

8- نبات الخروب: *Ceratonia silique* شجرة كبيرة دائمة الخضرة، جذعها كبير قائم كثير التفرع، الأزهار خنثي أو مذكرة، الثمرة الغضة خضراء، ثم تصبح بنية وحلوة المذاق عند النضج، تنمو في المناطق الساحلية لمنطقة الدراسة، وهو ذو أهمية اقتصادية متميزة منذ الحضارات القديمة لشرق حوض البحر المتوسط، ويستعمل كعلف للماشية (ابو خشيم، 1995 م، ص 312)، وقد يصل ارتفاع شجرة الخروب إلى ما يقارب من 6 أمتار، وهي من الأنواع التي تتحمل الجفاف (ضو-محمد، 2000م، ص 91).

9- نبات السدر: *Zizyphus lotus* شجرة صغيرة متساقطة الأوراق وعديدة الأغصان والأوراق جلدية بيضاوية متبادلة وتوجد شوكتان عند كل قاعدة ورقة، أزهارها ثنائية الجنس صغيرة وصفراء اللون، أما ثمارها رطبة صفراء إلى بنية محمرة وهي صالحة للأكل وتعرف محليًا بـ (النبق) وهي شجيرات تتحمل الجفاف والتربة الجيرية والرملية الفقيرة إضافة إلى تحملها ارتفاع نسبة الأملاح في التربة (الشف، 2005م، ص 224) يمكن الاستفادة من السدر في رعي الحيوانات كالماعز والإبل التي تتغذى على أوراقه وأغصانه الغضة وثماره، كما يستخدم السدر كسياج نباتي حول المزارع، إضافة إلى استعمال أوراقه في إعداد مستحضرات التنظيف (الشف، 2005م، ص 224)، ويمثل السدر مراعى جيدة للنحل في فترة الأزهار.

10- نبات القصب: *Phragmites commun* نبات خشن معمر يبلغ طوله نحو 5 أمتار، وتتميز الساق بالعقد وبانحاف غير متفرعة ناعمة الملمس، وأوراقها خضراء رمادية بطول 60 سم وعرض 3 سم

ومذبذبة القمة غير مغطاة بالشعر ولها عروق واضحة وأغصانها تلف الساق، أما السنبلة رمحية عديدة الأزهار وفترة أزهارها من شهر يناير إلى غاية شهر مايو (صالح، 1988م، ص 78)، وينمو نبات القصبية في منطقة بطن الوادي بالقرب من الشاطئ وبالمرتفعات حيث تتوفر الرطوبة بالتربة والمياه في مجرى الوادي وهو من النباتات المحبة للماء حيث يتكاثف قرب تجمع المياه في المنخفضات، ويمكن الاستفادة من أوراقها في غذاء الماشية والأغنام واستعمال سيقانها في أغراض صناعية عدة مثل السلال والحصر وغير ذلك .

11- نبات السرو: *Eucalyptus* وهو عبارة عن أشجار ضخمة دائمة الخضرة، وذات أوراق تتغير في شكلها من المستديرة إلى المستطيلة وأزهارها بيضاء وتزهر خلال فصلي الربيع والصيف، وثمارها عبارة عن كبسولة (الشف، 89) متخشبة لها عنق قائم وهي نصف كروية و ذات بذور بنية اللون، ينمو في جميع الترب وبدرجة أفضل في التربة الطينية الطميية العميقة، وهو يقاوم الانخفاض في درجات الحرارة حتى 5 م ولكن لا يتحمل نسبة تركيز الجير في التربة (الزني-عباس، 2006م، ص 178).

12- نبات الصنوبر: *Pinus* وهو عبارة عن شجرة مخروطية الشكل يصل ارتفاعها إلى 30 متراً، ذات أوراق أبرية، وهي تنمو في الترب الحمضية ومعدل أمطار يتراوح بين 300 إلى 350 ملم، وهو من الأنواع بطيئة النمو، كما يعتبر مقاوماً للجفاف والتربة الجيرية (الزني-عباس، 2006م، ص 213)، تستخدم في تثبيت التربة الفقيرة المنحرفة وعلى امتداد الطرقات والمزارع والمنزهات، بالإضافة إلى مساهمتها في التوازن البيئي من خلال امتصاصها غاز ثاني أكسيد الكربون وإنتاجها الأكسجين.

13- نبات الأثل: *Tamarix Articulata vahl* أشجار دائمة الخضرة ذات سيقان معوجة وبعض الأصناف مستقيمة قد يصل ارتفاعها إلى 15 متراً، الأوراق صغيرة وحرشفية، أزهارها في عناقيد ذات لون أبيض، الثمرة عبارة عن كبسولة لها خصلة من الشعر عند طرفها. وهو عادة ينمو بتربة رملية طينية ويمكنه النمو في جميع الترب بما في ذلك الترب المالحة ويتحمل الجفاف نسبياً تحت معدل أمطار من 220 إلى 300 ملم كما يمكن لجذوره الوصول إلى المياه الجوفية (الزني-عباس، 2006م، ص 248).

14- نبات البطوم: *palastina* شجرة محلية دائمة الخضرة ويصل ارتفاعها إلى 6 أمتار (الزني-عباس، 2006م، ص 12)، وتتميز بأوراق مركبة من وريقات جلدية سمكية وداكنة اللون، والأزهار مجمعة في عناقيد وعديمة البتولات وثمارها كروية جافة ذات بذرة واحدة، وتحمل شجرة البطوم ظروف الجفاف والتربة الجيرية تعتبر ثمار البطوم صالحة للأكل، كما يستفاد من أخشابها في صناعة الفحم وكحطب للوقود، بالإضافة إلى أنها نبات رعوي جيد وتسهم في تثبيت التربة.

15- نبات الجداري: *Rhus Oxyacantha* شجرة محلية شوكية كثيرة التفرع، أوراقها جالسة ومركبة من ثلاث وريقات، وتزهى خلال فصل الربيع بلون أصفر مخضر وثماره بنية غامقة تنضج في فصل الخريف، وينمو الجداري فوق الترب الرملية الطينية الحصوية، وفي منطقة الدراسة يلاحظ وجوده بالقرب من مجاري الوديان حيث توفر الرطوبة بالتربة يعتبر من النباتات التي ترعاها الماشية والأغنام حيث تتغذى على أوراقه وأطرافه الطرية الغضة والتي لها القدرة السريعة على النمو ثانية بعد أكلها، كما يستخدم في تثبيت الكتبان الرملية وتستخدم أخشابها في إنتاج الفحم كما تستعمل جذورها ولحاءها في دباغة الجلود (الزني-عباس 2006م، ص 16).

16- نبات السبط: *Stpagrostis ungens* نبات معمر ريزومي خشبي طويل، أوراقه أسطوانية وملتهفة، النورة عنقودية مركبة ومفتوحة (الشريف، 1995م، ص 52) وهو من النباتات الرعوية التي ترعاها الماشية والأغنام وخاصة أطرافه الطرية أثناء فصل الربيع .

17- نبات التين الشوكي: *Opuntia ficus indica var inermis* شجيرة مستوردة قد يبلغ ارتفاعها 3 أمتار وتتركب الأجزاء من عصارات مستديرة بيضوية ذات سمك يتراوح 2-4 سم الأجزاء السفلى ملتصقة وتكون جدعا اسطوانيا والأوراق الحقيقية والتي هي صغيرة جدا ولحمية تسقط بسرعة بعد تكونها بفترة قصيرة والإزهار صفراء جالسة كبيرة الحجم والثمار كبيرة بشكل بيضاوي وقد لوحظ من خلال الزيارة الميدانية لمنطقة الدراسة زراعته في المنطقة كمصدات للرياح. ينتشر نبات التين الأملس (الهندي) في المناطق شبه الجافة ذات الحد الأدنى للإمطار السنوية المطلوب هو 200 ملم/سنة ويوجد في الأراضي ذات الترب العميقة وفي متوسط حرارة تقل عن 3 درجات مئوية (الزني - بيوي، 40) ترعاها الحيوانات العاشبة حيث تقبل عليها الماعز والإبل والأبقار نظرا لصفة انعدام الأشواك لدى هذا النوع من التين .

18 - نبات الزعتر: *Thymus* وهو من النباتات المعمرة، ويتراوح ارتفاع النبتة ما بين 15سم - 25 سم، أغصانه كثيفة، وأوراقه صغيرة، والأزهار زرقاء أو بيضاء توجد في قمة الفروع على هيئة كتل قرنفلية الشكل، ويتركز وجوده بشكل كبير في المنطقة، حيث تتوفر الرطوبة، ويتركز وجوده على وجه الخصوص في منطقة الدراسة على الشريط الساحلي وفي مجاري الوديان الجافة مثل وادي مق달 ووادي غنيمة ووادي قريم ووادي بسيس حيث تتوفر الرطوبة .

ثانيًا - النباتات الموسمية:

هي نباتات سريعة النمو وسريعة الزوال، معظمها أعشاب تبقى جذورها في التربة حامدة طول فترة الجفاف، وتعود إلى الحياة عند سقوط المطر في المواسم اللاحقة، وقد يكمل دورة حياته خلال شهر ونصف أو شهرين، وأهم مميزاتها أنها لا تحتاج إلى مياه كثيرة لنموها، ويتوقف طول موسمها على مدى توفر الرطوبة (جودة، 264).

ومن النباتات الموسمية في منطقة الدراسة ما يلي:

- 1- نبات عنب الديب: نبات عشبي، ينتمي للعائلة الباذنجانية، ينمو في التربة الرملية، وينتشر في الأراضي الزراعية وعلى جوانب الطرق، ويتراوح ارتفاعه من 10 سم إلى 50 سم، جذره وتدي، ساقه قائم متفرع، أوراقه بيضاوية رقيقة وملساء، أزهاره بيضاء في نورات عنقودية، وثماره عناقيد كروية سوداء عند النضج وخضراء قبل النضج، تظهر أزهاره في شهر مارس ويونيو، ويتكاثر بالبذرة.
- 2- نبات العسلوز (الشلطام): Mustard wild radish نبات عشبي ينتمي للفصيلة الصليبية، ينمو في فترة الربيع من كل عام، أي فصل توفر الرطوبة، يوجد في الترب الرملية، يبلغ طوله 70 سم، ساقه متفرع مغطى بشعيرات وشكل الوردة أعناق قصيرة، والورقة مستطيلة لها حواف مسننة، الأوراق العليا شريطية، أزهاره صفراء تزهر عند حلول شهر يناير ومارس، ثم تتحول إلى اللون الأبيض بقدم فصل الجفاف، بعد تساقط بذوره في التربة تبقى فيها لتنمو في الفصل الممطر التالي من جديد.
- 3- نبات الفجل البري: Raphanus raphinistrum نبات عشبي ينتمي إلى العائلة الصليبية، ينمو في الترب الرملية الرطبة، يبلغ طوله حوالي 60 سنتيمتر، ساقه متفرع خالي من الشعر، أوراقه السفلى معنقة، والعليا صغيرة، أزهاره تظهر من فبراير إلى مايو، شكل زهرته عنقودية، ويتكاثر بالبذور.
- 4- نبات الحبيز: Malva parviflora وهو نبات عشبي ينتمي إلى العائلة الحبابية، ينمو في الترب الرملية، الشكل العام للنبات ساقه أفقي إلى قائم، أوراقه كلوية مفصصة، أزهاره في مجاميع عنقودية صغيرة الحجم، لونها أبيض إلى بنفسجي تظهر خلال فبراير إلى مايو (القاضي-عنيات، 1986م، 97) بذرتها على شكل قرصي يتكاثر عن طريقها النبات.
- 5- نبات الحريقة: Urticaurens نبات عشبي ينتمي للعائلة الحريقية، ينمو في الترب الرملية والرملية الطينية، ويكون على صنفين من حيث البذور منها ما يشبه ثمار التوت ومنها صغير، طوله يبلغ حوالي 20 إلى 25 سنتيمترًا، أوراقه خضراء مسننة من الحواف، لاسعة تؤلم اليد بمجرد ملامستها، أزهاره صغيرة خضراء تكون في شكل عناقيد، والثمار بيضاوية، يبدأ النبات في الظهور من شهر فبراير ويزهر في نفس

الفترة ويموت بانتهاء فصل المطر في مايو حيث تتساقط البذور الناضجة وتبقى في التربة لتعود إلى الحياة في الموسم التالي.

6- نبات ضرس العجوز: *Emex spinosus* نبات عشبي ينتمي للعائلة الحمضية، ينمو في ترب رملية، يبلغ طوله حوالي 60 سنتيمتر، الجذر وتدي متفرع، والساق قائم أجوف أخضر اللون، يبدو قصيراً في المرحلة الأولى من النمو وبعدها يصبح مفترشاً في الأطوار المتقدمة من النمو، أوراقه السفلى قلبية وحافتها مموجة أعناقها طويلة والأوراق العليا صغيرة، قصيرة الأعناق، أزهارها خضراء، الثمرة لونها محمر عند النضج ولها ثلاثة أشواك، يزهر من مارس إلى أبريل، ويتكاثر بالبذور.

7- نبات البابونج (الفلية): نبات عشبي يتراوح ارتفاعه ما بين 10 إلى 20 سنتيمتر (أبو رجيح- حجاوي، 2000م، 166)، له ساق متفرعة مائلة تنتصب فيما بعد، وله أوراق ريشية طويلة، ورؤوس زهرية تشبه زهرة الربيع، أزهاره صفراء تتجمع على رأس شبه كروي أصفر اللون داخله أجوف، وأوراقه ناعمة، تبدأ في التزهير من أبريل إلى يونيو، لها رائحة مميزة وتكاثر بالبذور.

8- الجرجير البري: نبات يتبع الفصيلة الصليبية، يتميز بأوراق شريطية خيطية، ثمارها خردلية على هيئة قرون، كل ثمرة في حجرة مفصولة بغشاء حاجب رقيق، أزهاره ذات لون أصفر، تخرج في شهر يناير إلى فبراير، ويتكاثر عن طريق البذور، وينمو في الترب الرملية.

9- نبات القانول: *Allium roseum* نبات عشبي ينتمي إلى العائلة البصلية، ينمو متداخلاً مع الأعشاب الأخرى، يبلغ طوله حوالي 65 سنتيمتر، ساقه قرصي، أوراقه شريطية، زهرته قمعية منشقة، بها أزهار على شكل خيمة، تزهر في الفترة من مارس إلى أبريل، ويتكاثر عن طريق الأبصال الموجودة في التربة.

10- نبات السكران (القنقيط): *Hyoscyamus Albus* نبات عشبي ينتمي إلى الفصيلة الباذنجانية، طوله حوالي 60 سنتيمتر، أوراقه بيضوية مفصصة، والساق قائم أجوف مغطى بطبقة ناعمة من الشعيرات وشكل الأوراق متبادلة على الساق، حافتها مسننة مغطاة بشعيرات والأزهار قوسية لونها أصفر فاتح، والثمرة كبسولية، تحيط بها كأس يحتوي على بذور صغيرة بنية، يزهر في فبراير حتى أبريل، يتكاثر بالبذور (القاضي-الرماح، 1997م، 109).

11- نبات الحميضة: *Rumex bucephalophorus* نبات عشبي ينتمي إلى العائلة الحامضية، طوله 20 سنتيمتر ساقه أخضر به احمرار، أوراقه مفلطحة، مذاقه شديد الحموضة، وأزهاره صغيرة حمراء مصفرة إلى صفراء يكثر وجوده في التربة الرملية (القاضي-الرماح، 93).

12- نبات الرويبيا: *Marrubium* نبات معمر أبيض اللون صوفي الملمس أوراقه صغيرة بيضاء اللون، يكثر في المناطق الساحلية المزروعة وفي الجبل الغربي (أبو خشيم، 304)، يصل ارتفاعها إلى حوالي 60 سنتيمتر (القاضي-الرماح، 46) ساقه متفرع مغطى بطبقة وبرية كثيفة، الأوراق مستديرة سطحها كثير التجاعيد، الأزهار على شكل عناقيد كروية تفصلها مسافات لوفا بيضاء.

13- نبات النجم: *Cynodon dactylon* نبات زاحف معمر ينتمي إلى العائلة النجيلية، ساقه يمتد تحت سطح التربة، جذوره عرضية لها عدة أفرع، تصعد عمودياً وأوراقه طويلة تزهر في شهر مايو بأزهار دقيقة تتجمع في سنابل ذات فروع نجمية يميل لوفا إلى الاحمرار، يتكاثر عن طريق البذور، لذلك يكون انتشاره في مساحات واسعة، ويستطيع توسيع دائرة وجوده.

14- نبات الشديدة: *Genista Microcephala* نبات عشبي ينتمي للعائلة البقولية، يتراوح طوله 5 إلى 30 سنتيمتر، ساقه قائم كثير التفرع، يغطي بورقات مسننة في الأعلى لون الساق يبدو باللون الأخضر إلى الأخضر المصفر، الأزهار صفراء والثمرة قرنية، لوفا أخضر فاتح تنمو في الترب الرملية الرطبة، وتزهر خلال مارس وتستمر في التزهير حتى أبريل وتتكاثر بالبذور.

15- نبات الفرعون: *Urginea maritime* نبات عشبي معمر أبصاله كبيرة تكسوه الأوراق الشريطية من الأبصال في الشتاء والربيع وتجف في الصيف ينمو في الأقاليم الساحلية من منطقة الدراسة، ينتمي إلى العائلة الزنبقية، تظهر أزهاره في فبراير تبدو باللون الأبيض وتستمر في التزهير حتى مارس (القاضي-الرماح، 97)، الثمرة عبارة عن علبة بيضاوية لوفا أصفر فاتح إلى رمادي، ينمو في الترب الرملية والحجرية، وعادة ما يستخدم في منطقة الدراسة لتقسيم ملكية الأراضي.

16- نبات البلوز: *Asphodelus* نبات عشبي ينتمي إلى العائلة الزنبقية، ينمو في الترب الرملية الرطبة عندما توفر الرطوبة، يبلغ طوله حوالي 15 - 20 سنتيمترًا، أوراقه متعددة تخرج من القاعدة خضراء زغبية، ويبدو قويًا ناعمًا وخشبيًا عند النضج، أزهاره وردية ثمرة علبة بيضاء ذات بذور بنية إلى سوداء تخرج الأزهار بحلول ديسمبر وتستمر حتى أبريل.

17- نبات المريخ: *Centaurea* نبات عشبي حولي أو ثنائي الحول يبلغ طوله من 20 سم إلى 70 سم الجذر وتدي الساق عشبي صوفي ذو أخاديد غير منتظمة كثيرة التفرع والأوراق ريشية والأزهار لوفا أزرق غامق إلى قرمزي محمر وينمو في مجموعات قريباً من سطح الأرض محدود الانتشار في منطقة الدراسة يوجد في التربة الرملية والرملية السليسية أو الطميية الغنية بالعناصر الغذائية وهذا ما يفسر وجوده في المنطقة الشمالية حيث التربة المتميزة بارتفاع محتواها من الرطوبة نتيجة لغزارة الأمطار، في حين يقل انتشاره كلما

اتجهنا جنوبا ويرجع ذلك إلى قلة الأمطار والتطرف الحراري خاصة في أقصى جنوب المنطقة يزهر خلال شهر يونيو حتى أكتوبر (أحمد، 204) تفضله بعض الحيوانات كغذاء ويوجد في مجموعات كبيرة وقرية من بعضها وهذا ما تم ملاحظته من خلال الدراسة الميدانية.

18- نبات العفينة: ينتمي هذا النبات إلى الفصيلة المرامية، أوراقه خضراء ذات لون قاتم، تكون بوضع متقابل، الأزهار صغيرة الثمار متراكمة على الساق، يصل ارتفاع النبات إلى 25 سنتيمتر، يزهر في أواخر ديسمبر إلى فبراير يتسم بطبيعة عشبية يكثر في الترب الرملية .

19- نبات القرطم: *Carthamus* نبات عشبي حولي أو ثنائي الحول ذو جذر وتدي متعمق، ارتفاعه من 50 إلى 100 سم الساق طويلة متفرع مغطى بأشواك حادة، أوراقه مستطيلة مجزأة ريشيا وأجزاءها ذات حواف دقيقة وشائكة والنوارة هامية صفراء اللون ومحمية بأوراق شائكة، يزهر ويتكاثر بالبذور المنتشرة بواسطة الرياح (أحمد، 202)، وينتشر في منطقة الدراسة في بطون الأودية.

20- نبات البلعلع: *Centaurea* نبات عشبي معمر، يبلغ طوله من 15 سم إلى 20 سم ويتميز بجذر وتدي غليظ، والساق بسيطة وقائمة لها فروع قليلة، أوراقه عريضة مقسمة ريشياً، والزهرة مرتفعة إلى أعلى منفردة وصفراء اللون، وتزهر خلال شهر مارس إلى غاية شهر مايو، وينمو بمنطقة السهل والجبل ذات التربة الرملية والسلتية الطميية، ويعتبر من النباتات الشائعة الانتشار والتي قد تشكل غذاء مناسبة للحيوانات مثل الإبل.

21- نبات اللبد: *Carduus argentatus* نبات عشبي حولي يبلغ طوله من 30 سم إلى 50 سم الجذروتدي غليظ، الساق قائمة، ومغطى بأشواك، أوراقه شائكة والنوارة مرتفعة إلى أعلى، منفردة على الساق وتزهر في الفترة من شهر مارس إلى شهر مايو وينمو نبات اللبد في منطقة السهل والمرتفعات ذات التربة الرملية السلتية والطميية، ويمكن أن تعتمد عليه الحيوانات في غذائها.

22- نبات الخرشوف: *Cynara cardunculus* نبات معمر جذوره وتدية، وأوراقه بسيطة مفصصة ريشي بحواف شوكية وأزهاره عبارة عن نورات هامية بيضاء أو بنفسجية، وقد لوحظ تركيزها النبات في منطقة الدراسة في الأودية ومنحدراتها حيث تكون هناك رطوبة متوفرة بالتربة، وهو مرعى جيد للماعز والإبل .

23- نبات البهما: نبات حولي متفرع من أسفل، أوراقه خيطية ملتوية، والنوارة عنقودية مركبة وملفوفة بغمد الورقة، وفترة نموها خلال فصل الربيع، وهو من النباتات التي ترعاها الحيوانات.

24- نبات سبول الفار: *monspeliensis* نبات حولي، ساقه منفردة أو عنقودية لا تغطيها الشعيرات، أوراقه ألبية، والنوارة عنقودية مركبة ومضغوطة في شكل سنبل، وينمو عقب سقوط الأمطار، وهو من النباتات التي ترعاها الماشية والأغنام.

25- نبات البوشرنتة: *Bromus rigidus* نبات حولي يبلغ طوله حوالي 80 سم، ويتميز الساق بشكله الأبرى وبدون شعيرات، أوراقه شريطية يصل طولها 20 سم، وغمدتها يلف الساق، والنوارة عنقودية مركبة والسنبله تضم من 6 إلى 8 زهرات (الشريف، 143)، تنمو عقب سقوط الأمطار وتمثل غذاء للماشية والأغنام فترة الربيع.

26- نبات الزيون: *Cutandia memphitica* نبات حولي الساق قائمة ومتفرعة لا تحتوي على شعيرات، الأوراق خيطية ملفوفة، والنوارة عنقودية مركبة ذات فروع ثنائية التشعب، والسنبله تضم من 2 إلى 3 زهرات لا تحتوي على شعيرات، وفترة نموه عقب سقوط الأمطار خلال فصل الربيع وانتشاره كبيراً في المنطقة، ويمثل غذاء هاماً كمادة خضراء وجافة للحيوانات.

27- نبات الرقما: *Erodium laciniatum* نبات عشبي حولي طوله 50 سم، أوراقه بسيطة ذات عنق طويل وهي قاعدية ذات تقسيم ريشي مسننة الحواف أحياناً مغطاة بزغب، أما النوارة بها من 4 إلى 9 زهرات صغيرة وبلون قرمزي، وينمو في تربة رملية أو سلتية أو طميية (أحمد، 268).

28- نبات العليق: *Convolvulus arvensis* نبات عشبي يبلغ طوله 180 سم، والجذر وتدي متعمق جداً في التربة ويخرج من السوق جذور عريضة، والساق ملساء مضلعة زاحفة أو ملتفة أو متسلقة، وهي جرداء وأحياناً مغطاة بزغب، أوراقه بسيطة معنقة مستطيلة أو رمحية، والأزهار على شكل مثلث وذات لون أبيض أو قرمزي تزهر خلال شهر مارس وإلى شهر أغسطس، والثمار عبارة عن كبسولة بيضاوية عارية من الشعر تحتوي على أربعة بذور بلون بني إلى مسود، وينمو العليق في التربة الرملية والرملية السلتية الرطبة، وهو نبات شائع ومنافس قوي للمحاصيل الزراعية (الشف، 97).

29- نبات فولية الكلب: *Wlthania Sommifera* نبات شجري مغطى بشعيرات كثيفة، أوراقها عريضة، وأزهاره خضراء اللون، الثمرة عنبية حمراء زاهية توجد داخل كأس جاف منتفخ في مجموعات على الساق، وينمو في الأقاليم الرطبة قرب الساحل يصل (أبو خشيم، 307)، يتراوح ارتفاعه ما بين 20-30 سنتيمتراً.

30- نبات العضيضة: *Launea resedifolia* نبات عشبي وهو من الفصيلة المركبة، وتدي الساق قائمة متفرعة، الأوراق متغيرة فهي عريضة أو ضيقة الأزهار صفراء اللون الثمرة فقيرة ذات زوائد زغبية

أطول من الثمرة لها عصارة لبنية وهي واسعة الانتشار في منطقة الدراسة ويرجع إلى ملائمة الظروف الطبيعية بمنطقة الدراسة لنموه يوجد في التربة الرملية أو الرملية السلتية ويزهر خلال شهر مارس حتى شهر مايو يتكاثر بالبذور ويتخلل الحقول الزراعية (مرفوعة، 2007م، 90) ومن خلال الدراسة الميدانية تم ملاحظة نموه بكثرة في المناطق الرطبة والمنخفضة خاصة في شمال المنطقة، وتفضله بعض الحيوانات كغذاء مثل الأغنام والماعز.

31- الأقحوان: *Chrysanthemum* نبات عشبي حولي يبلغ طوله من 30 سم إلى 80 سم يتميز بساقه القائمة قليلة التفرع وأوراقه مقسمة رشيا عريضة الشكل والزهرة هامية منفردة قطرها 4 سم ذات إزهار شعاعية صفراء اللون يزهر على مدار الفصل الشتاء خاصة في ظروف رطوبة جيدة (أحمد، 2012)، وأوسع الانتشار في منطقة الدراسة خاصة في المنطقة الشمالية، يزهر خلال الفترة الممتدة من شهر مارس إلى شهر يوليو ينمو فوق التربة الرملية والرملية السلتية والطميية في منطقة الدراسة وترجع أهميته الاقتصادية في أنه مراعى جيدة للأغنام والماعز ويستخدم أيضا في الطب الشعبي وكمادة للصبغة في الصناعة (فهيم وآخرون، 1977م، 99).

32- نبات الريانة: *Chamomilla* نبات عشبي حولي يبلغ طوله 16 سم إلى 55 سم الجذر وتدي الساق صلب ذو أفرع كثيرة والأوراق مقسمة رشيا مرتين والنورة ذات أعناق طويلة تحيط بها الزهور البيضاء وأما الثمرة أزهارها صفراء، ينمو النبات في السهول والمرتفعات ذات التربة الرملية الرطبة أو الرملية السلتية ويزهر خلال شهر أبريل ويتكاثر بالبذور ويعتبر من النباتات الشائعة ويعد منافس للمحاصيل الزراعية (الشف، 93) ويعد النبات من النباتات الطبية والعطرية يتمتع برائحة مميزة مما زاد من أهميته الاقتصادية حيث يدخل في العديد من الصناعات.

33- نبات اللسل: نبات عشبي حولي ينتمي إلى الفصيلة الصليبية، يبلغ طوله 80 سم والساق قائم إلى مائل متجه إلى الأعلى وأحيانا عديدة يكون متفرع ومغطى بزغب خفيف وشعيرات متفرعة والأوراق مقسمة ريشيا وكل جزء شريطي إلى مستطيل ضيق والنورة عنقودية والأزهار ذات لون أبيض أو قرنفلية إلى بنفسجية والثمرة خردلية (المرمي، 2008م، 87) تحتوي على بذرة واحدة ينمو في السهول والمرتفعات ذات التربة الرملية السلتية أو الطميية ويبدأ في النمو في فصل الرطوبة ويزهر أثناء شهر فبراير إلى أبريل ويعتبر من النباتات الشائعة الانتشار وبالتالي فهو منافس قوي للمحاصيل الزراعية (أحمد، 134) وهو وأوسع الانتشار في منطقة الدراسة ويرجع ذلك إلى ملائمة الظروف الطبيعية السائدة في المنطقة لنموه.

34- نبات خلال الغولة: نبات عشبي معمر، بلغ طوله حوالي 40 سم ، الجدر وتدى عليه درنات اسطوانية، الأوراق ذات أعناق منضغطة مكسوة بشعيرات دقيقة، الحافة متعرجة لها اذينات مستطيلة بيضاوية، الزهرة خيمية عليها من 4-6 أزهار قرنفلية الى قرمزية اللون. ينمو النبات في السهول والمرتفعات المتوسطة ذات التربة الرملية السلتية أو الحجرية، يزهر خلال يناير إلى أبريل، ويتكاثر بالبذور وينتشر عن طريقها بواسطة الإنسان والحيوان والرياح والماء (أحمد، 264)، ينتشر بمنطقة الدراسة وخاصة في الجزء الشمالي من المنطقة. يعتبر النبات من الأعشاب الشائعة ومتوسطة المنافسة للمحاصيل الزراعية، ويعتبر علف جيد للأغنام والأبل.

35- نبات الجلبان: *Vicia tetrasperma* نبات عشبي حولي، يبلغ طوله من 10 سم إلى 50 سم، الجدر وتدي رقيق متفرع، الساق رفيع جدًا، عاري ومتفرع، والأوراق مركبة وريشية ، تتكون من 3-4 أزواج من الوريقات وأحيانًا 8 أزواج، الوريقة مستطيلة الشكل الأزهار فراشية ذات لون أزرق، والكأس له أسنان مثلثة الشكل مغطى بالشعر، قرن شريطي الشكل منضغطة لونه بني فاتح به من 2 - 6 بذور رمادية إلى بنية اللون (أحمد، 304). ينمو هذا النبات في السهول والمرتفعات المتوسطة ذات التربة الرملية السلتية أو الطميية أو الطينية، يزهر خلال فبراير إلى مايو، ويتكاثر بالبذور، وينتشر في الجزء الشمالي من منطقة الدراسة، ويعتبر غذاء لحوانات المنطقة.

ثالثًا- النباتات الملحية:

هي نباتات لها القدرة على تحمل معدلات عالية من الملوحة، لأنها مزودة بخصائص تمكنها من النمو، إمّا بتنظيم حياتها خلال مواسم الأمطار التي تخفيف من تركيزات الأملاح وأمّا أن تمتلك غدّدًا تعمل على طرد الأملاح السامة إمّا أن تكون مكتسبة خاصية التملح (جودة، 265). ومن هذه النباتات التي تنتشر في منطقة الدراسة ما يلي:

1- نبات المشان: *Thymelaea Hirsuta* شجرة صغيرة ذات أغصان بيضاء قطنية، وأوراق صغيرة، وأزهار صفراء، يكثر في الأقاليم الجافة الساحلية، وينتشر على الشريط الساحلي في منطقة الدراسة، يزهر في مارس حتى مايو، شكل أوراقه بيضيه متشحمة، والثمار تبرز عند النضج خارج الكأس .

2- نبات القزّاح: *Pituranthos* شجيرة محلية معمرة صحراوية، قائمة جرداء يصل ارتفاعها إلى 60 سم، ذات أغصان متفرعة بما عقد ولون ساقها أزرق مخضر أو مبيض، ولها رائحة مميزة عند كسرها أو حرقها، وتتفرع ثنائيا، أوراقها تتساقط بسرعة بذلك يقوم الساق مقامها في عملية التمثيل

الضوئي (مرفوعة، 115) والإزهار صغيرة لونها أصفر مخضر أو أبيض كريمي، والشمار شبه كروية، يبدأ في النمو في فصل الخريف ويستمر نموها شتاء ويزهر في فصل الربيع وتنضج بذوره في أواخر نفس الفصل، وينمو عادة في المناطق الجافة وشبه الجافة وتفضل المناطق ذات الشتاء الدافئ، ويوجد في الترب الرملية كما أنه يتواجد في الترب الكلسية والجبسية المغطاة بطبقة رملية وكذلك بالترب السلتية الطميية والرملية المغطاة بطبقة جبسية ولها القدرة على تكوين نتوءات من الجذور القوية والتي تصل إلى أعماق كبيرة نسبياً الأمر الذي يجعلها مقاومة للجفاف (الزبي-يومي 2006م ص 24) وتعتبر الأغصان الخضراء مستساغة من قبل الأغنام والماعز والإبل وترعاه الحيوانات في فصلي الخريف والشتاء وكما يستعمل النبات في الإغراض الطبية.

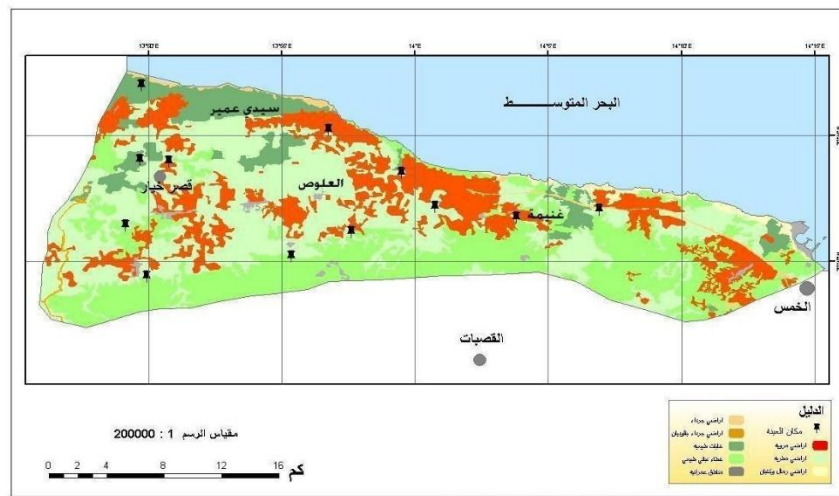
3. نبات عشية الأرنب: نبات عشبي، ينتمي إلى الفصيلة المركبة يتراوح ارتفاعه من 10 سم إلى 20 سم، أوراقه صغيرة متراكبة على الساق، ذات لون أخضر هافت، أزهارها صفراء تزهر عند مايو ويونيو، ويتكاثر النبات بالبذور.

1 - الموقع الأول - المنطقة الشمالية الغربية (منطقة سيدي عمير): يمتد هذا الموقع بالتحديد من ساحل البحر في الشمال إلى مسافة 6 كم نحو الداخل ونتيجة إلى ذلك يتميز بغزارة أمطاره واعتدال مناخه، وكثافة غطاءه النباتي ويغطي سطح هذا الموقع الترب الرملية الطينية المتميزة بالمحتوى الرطوبي المرتفع نتيجة لغزارة الأمطار، بسبب وقوعها بالقرب من ساحل البحر، ويتميز هذا الموقع أيضاً بتربة رملية جافة، ويتراوح ارتفاع هذا الموقع ما بين 28 - 97 م فوق مستوى سطح البحر . ويقع هذا الموقع بين خطي طول 45 49 13 شرقاً وخط طول 47 56 13 شرقاً ويقع بين خطي عرض 32 39 43 شمالاً ، وخط 01 47 32 شمالاً .

2 - الموقع الثاني - المنطقة الجنوبية الغربية (منطقة قصر اخيار): يمتد هذا الموقع جنوب الموقع السابق، الذي يتمثل في منطقة قصر الأخيار، ويبعد عن البحر بمسافة 6 - 12 كم ويتراوح ارتفاعه من 131 - 136 م فوق مستوى سطح البحر، وتغطي سطحه التربة الرملية الجافة وتتخللها التكوينات الصخرية في بعض الجهات ذات السطح المنحدر من الجنوب إلى الشمال، ويقع فلكياً بين خط طول 08 49 13 شرقاً وخط طول 37 57 13 شرقاً ، ويقع بين خط عرض 25 39 32 شمالاً وخط عرض 11 41 32 شمالاً .

3 - الموقع الثالث - المنطقة الشرقية (منطقة غنيمه) : يقع هذا الموقع في الجزء الشرقي من منطقة الدراسة وبالتحديد في منطقة غنيمه، ويبعد عن البحر بمسافة تتراوح بين 3 - 6 كم، ويتراوح ارتفاعه ما بين 58 - 90 م فوق مستوى سطح البحر، ويتغذى معظم سطح هذا الموقع بالتربة الرملية الحصوية، مع طبيعة سطح وعرة على هيئة ارتفاعات وانخفاضات، ويقع هذا الموقع فلكيًا بين خطي طول 31 59 و 13 57 و 06 14 وخطي عرض 46 41 و 32 33 و 43 32.

الخريطة رقم (3) مواقع العينات النباتية في منطقة الدراسة



المصدر : إعداد الباحث استناداً على مشروع التخریط الزراعي ، وزارة الزراعة ، طرابلس

الجدول رقم (1) نباتات المنطقة الشمالية الغربية (سيدي عمير) الموقع رقم (1)

الاسم المحلي	الاسم العلمي	الكثافة النباتية 10/مربع	الكثافة النسبية %	التكرار	النسبة %	الوفرة النباتية عدد/مربع	الوفرة النسبية %
الشعال	Artemisia Campestris	37.3	5.27	83	4.20	44.8	3.10
الرتم	Reteam raetaum	40.25	5.69	91	0.96	43.90	3.04
عكوز موسي	Nicotiana glauca graham	6.91	0.97	25	1.26	27.66	1.91
الدیس	Imperata cylindrical	53.58	7.57	75	3.79	71.44	4.94
الخروع	Ricinus communis	1.33	0.18	16	0.80	8	0.55

						linn	
1.10	16	2.93	58	1.31	9.33	Calycotome Villosa (poir) link	القندول
0.20	3	0.80	16	0.07	0.5	Citrullus colocynthis	الحنظل
0.06	1	0.40	8	0.01	0.08	Ceratonia siliqua	الخروب
0	0	0	0	0	0	Zizyphus lotus	السدر
0	0	0	0	0	0	Phragmites commun	القصب
0.17	2.5	1.62	33	0.11	0.83	Eucalyptus	السرول
0.27	4	0.40	8	0.04	0.33	Pinus	الصنوبر
0	0	0	0	0	0	Tamarix Articulata vahl	الأثل
0	0	0	0	0	0	palastina	البطوم
0	0	0	0	0	0	Rhus Oxyacantha	الجداري
1.66	24.1	4.20	83	2.83	20.08	Stpagrostis ungens	السيط
3.11	45	0.80	16	1.06	7.5	Opuntia ficus indica var inermis	التين الشوكي
1.06	11	1.26	25	0.38	2.75		عنب الديب
1.33	19.25	1.67	33	0.90	6.4	Mustard wild radish	العسلوز
0.34	5	1.26	25	0.17	1.25	Raphanus raphinastrium	الفجل البري
3.28	47.5	1.67	33	2.23	15.83	Malva parviflora	الخبيز
1.54	22.25	1.67	33	1.04	7.41	Urticaurens	الحريقة
3.05	39.83	2.53	50	2.78	19.71	Emex spinosus	ضرس العجوز
4.39	63.5	4.20	83	7.48	52.91		البابونج
0.51	7.5	0.80	16	0.17	1.25		الجرجير

البرّي							
القازول	Allium roseum	3.33	0.47	8	0.40	40	2.77
القنقيط	Hyoscyamus Albus	0	0	0	0	0	0
الحميضة	Rumex bucephalopho rus	6.66	0.94	41	2.07	16	1.10
الروبيبا	Marrubium	3.16	0.44	25	1.26	12.66	0.87
النجم	Cynodon dactylon	19.58	2.79	58	2.93	33.57	2.32
الشديدة	Genista Microcephala	8.08	1.14	33	1.67	24.25	1.67
الفرعون	Urginea maritime	2.16	0.30	41	2.07	5.2	0.36
البلوز	Asphodelus	9.16	1.29	25	1.26	36.66	2.53
المريير	Centaurea	7.08	1.00	16	0.80	42.5	2.94
العفينة		1.33	0.18	8	0.40	16	1.10
القرطم	Carthamus	11.16	1.57	66	3.34	16.75	1.16
البلعلع	Centaurea	3.83	0.54	25	1.26	15.33	1.06
اللبد	Carduus argentatus	5.66	0.80	50	2.53	11.33	0.78
الخرشوف	Cynara cardunculus	2.41	0.34	25	1.26	9.66	0.66
البهما		2.83	0.40	25	1.26	11.33	0.78
سبول الفار	monspeliensis	13.08	1.84	41	2.07	31.4	2.17
البوشرننة	Bromus rigidus	38.33	5.42	83	4.20	46	3.18
الزويوان	Cutandia memphitica	37.08	5.24	58	2.93	63.57	4.40
الرقما	Erodium laciniatum	16.25	2.29	25	1.26	65	4.50
العليق	Convolvulus arvensis	4	0.56	25	1.26	16	1.10
فولية	Wlthania	31.66	4.47	25	1.26	126.66	8.77

						Sommifera	الكلب
2.07	27	3.79	75	2.86	20.25	Launea resedifolia	العضيضة
3.52	50.90	4.60	91	6.59	46.66	Chrysanthemu m	الأقحوان
1.52	22	1.26	25	0.77	5.5	Chamomilla	الريبانة
1.09	11.5	0.80	16	0.27	1.91		اللسلس
5.51	79.58	5.06	100	11.25	79.58		خلال الغولة
2.44	35.37	3.34	66	3.33	23.58	Vicia tetrasperma	الجلبان
0.65	9.5	1.67	33	0.44	3.16		عشبة الأرنب
0.31	4.5	0.80	16	0.10	0.75	Pituranthos	القزاح
0.55	8	0.80	16	0.18	1.33	Thymelaea Hirsuta	المشان
3.34	48.33	1.26	25	1.70	12.08	Thymus	الزعر
100	1443.78	100	1976	99.77	707.16	56	المجموع

المصدر : عمل الباحث استنادًا على الزيارات الميدانية 2015

• نباتات المنطقة الشمالية الغربية (سيدي عمير) الموقع رقم (1)

ومن خلال القراءات والقياسات لهذا الموقع تبين أن التنوع النباتي فيه قليل حيث بلغ 0.005 متمثلة في حوالي 50 نوع (الدراسة الميدانية، 2015م) ، أما من حيث الكثافة النباتية فقد بلغ متوسطها 12.62 نبات/مربع، وقد اختلفت كل كثافة نباتية من نوع إلى آخر، وقد كان نبات خلال الغولة أكثر كثافة في هذا الموقع فقد بلغت نسبة كثافته حوالي 11.25%، ثم بعد ذلك نبات الديس الذي بلغت نسبة كثافته حوالي 7.57%، يليه نبات خلال الغولة ونبات الديس في نسبة الكثافة هو نبات البابونج (الفلية) الذي قد بلغت نسبة كثافته 7.48% حيث يكاد يتساوي مع نبات الديس في نسبة الكثافة، ثم يأتي نبات الاقحوان الذي بلغت نسبة كثافته حوالي 6.59%، يليه نبات الرتم بنسبة كثافة حوالي 5.69%، وبعده نبات البوشرنقة الذي بلغت نسبة كثافته حوالي 5.42%.

ولقد بلغت أدنى نسبة كثافة نباتية في هذا الموقع 0.01% التي تحصل عليها نبات الخروب، يليه نبات الخروب في أدنى نسبة كثافة هو نبات الصنوبر الذي بلغت نسبة كثافته 0.04% ويليها نبات

الحنظل الذي بلغت نسبة كثافته حوالي 0.07، ثم نبات القزاح بنسبة بكثافة قدرها 0.10%، كما يشترك نبات السرول في أقل نسبة للكثافة بنسبة قدرها 0.11%، ويليه نبات الجرجير البري ونبات الفجل البري بنسبة كثافة 0.17%، ثم يأتي نبات المشنان ونبات العفينة بنسبة كثافة تكاد أن تكون متساوية مع الجرجير البري و الفجل البري حيث بلغت 0.18%.

أما من حيث التكرار فكان نبات خلال الغولة من أكثر النباتات تكرار في هذا الموقع بنسبة 5.06%، ثم يليه نبات الاقحوان بنسبة تكرار 4.60%، ثم يليه نبات البوشرنقة ونبات البابونج ونبات السبط ونبات الشعال بنسبة تكرار متساوية بلغت 4.20%، ثم يأتي بعد ذلك نبات الديس ونبات العضيضة بنسبة تكرار بلغت حوالي 3.79%، ويليه نبات الجلبان ونبات القرطم بنسبة تكرار 3.34%، كما تحصل نبات القندول ونبات النجم ونبات الزيوان على نسب تكرار متساوية بلغت حوالي 2.93%.

كما سجل أقل تكرار في هذا الموقع لنبات العفينة ونبات القازول والصنوبر والخروب بنسبة تكرار بلغت حوالي 0.40%، ويليه نبات المشنان والقزاح واللسلس والمرير والجرجير البري والتين الشوكي والخروع بنسبة تكرار مقدارها 0.80%.

أما فيما يخص الوفرة النباتية لهذا الموقع كان نبات فولية الكلب الذي قد سجل أكبر نسبة للوفرة النباتية حيث كانت بمقدار 8.77%، ويليه نبات خلال الغولة بنسبة 5.51%، ثم نبات الديس بنسبة 4.94%. وقد بلغت أدنى نسبة للوفرة النباتية في هذا الموقع إذ سجلت 0.06% لنبات الخروب، ويليه نبات السرول حيث سجلت نسبة وفرته النباتية 0.17%.

الجدول رقم (2) نباتات المنطقة الجنوبية الغربية (قصر اخيار) الموقع رقم (2)

الاسم المحلي	الاسم العلمي	الكثافة النباتية 10/مربع	الكثافة النسبية %	التكرار	التكرار النسبي %	الوفرة النباتية عدد/مربع	الوفرة النسبية %
الشعال	Artemisia Campestris	32.5	9.95	91	5.51	45..35	5.68
الرتم	Reteam raetaum	4.41	1.35	50	3.03	8.83	1.10
عكوز موسي	Nicotiana glauca graham	4.33	1.32	41	2.48	10.4	1.30

7.33	58.6	2.48	41	7.47	24.41	Imperata cylindrical	الديس
1.84	14.75	2	33	1.50	4.91	Ricinus communis linn	الخروع
3.52	28.16	3.03	50	4.31	14.08	Calycotome Villosa (poir) link	القتدول
1.25	10	0.48	8	0.25	0.83	Citrullus colocynthis	الحنظل
0.50	4	0.48	8	0.10	0.33	Ceratonia silique	الخروب
4.88	9.75	2	33	0.99	3.25	Zizyphus lotus	السدر
0.37	3	0.48	8	0.07	0.25	Phragmites commun	القصبية
0.12	1	0.48	8	0.02	0.08	Eucalyptus	السرو
0.43	3.5	0.97	16	0.17	0.58	Pinus	الصنوبر
0.12	1	0.48	8	0.02	0.08	Tamarix Articulata vahl	الأثل
0.37	3	0.48	8	0.07	0.25	palastina	البطوم
0.81	6.5	0.97	16	0.33	1.08	Rhus Oxyacantha	الجداري
1.96	15.66	3.03	50	2.39	7.83	Stpagrostis ungens	السبط
1.83	14.66	1.51	25	1.12	3.66	Opuntia ficus indica var inermis	التين الشوكي
0.40	3.25	2	33	0.33	1.08		عنب الديب
0.50	4	0.97	16	0.20	0.66	Mustard wild radish	العسلوز
0.37	3	0.48	8	0.07	0.25	Raphanus raphinastrium	الفجل البري
2.50	20	0.48	8	0.50	1.66	Malva parviflora	الخبيز
1.50	12	0.48	8	0.30	1	Urticaurens	الحريقة
1.65	13.25	2	33	1.35	4.41	Emex spinosus	ضرس العجوز
1.83	14.66	6.06	100	4.48	14.66		البابونج
0	0	0	0	0	0		الجرجير البري
1.50	12	0.48	8	0.30	1	Allium roseum	القازول

0.50	4	1.51	25	0.30	1	Hyoscyamus Albus	القتقيط
1.25	10	0.48	8	0.25	0.83	Rumex bucephalophorus	الحميضة
0.43	3.5	2	33	0.35	1.16	Marrubium	الروبيا
1.98	15.87	4	66	3.24	10.58	Cynodon dactylon	النجم
1.80	14.4	2.48	41	1.83	6	Genista Microcephala	الشديدة
0.71	5.71	3.51	58	1.01	3.33	Urginea maritime	الفرعون
1.02	8.2	2.48	41	1.04	3.41	Asphodelus	البلوز
7.51	60	1.51	25	4.59	15	Centaurea	المرير
2.63	21	0.97	16	1.07	3.5		العقينة
5.90	47.14	3.51	58	8.42	27.5	Carthamus	القرطم
0.62	5	0.48	8	0.12	0.41	Centaurea	البللع
1.18	9.5	3.03	50	1.45	4.75	Carduus argentatus	اللبد
0.37	3	0.48	8	0.07	0.25	Cynara cardunculus	الخرشوف
3.55	28.42	3.51	58	5.07	16.58		البهما
4.59	36.66	3.03	50	5.61	18.33	monspeliensis	سبول الفار
3.33	26.66	3.03	50	4.08	13.33	Bromus rigidus	البوشرنقة
1.50	12	0.48	8	0.30	1	Cutandia memphitica	الزيوان
3.56	28.5	0.97	16	1.45	4.75	Erodium laciniatum	الرقما
1.12	9	3.03	50	1.37	4.5	Convolvulus arvensis	العليق
0	0	0	0	0	0	Wlthania Somnifera	فولية الكلب
1.75	14	3.03	50	2.14	7	Launea resedifolia	العضيضة
1.54	12.33	1.51	25	0.94	3.08	Chrysanthemum	الأقحوان
0.37	3	0.48	8	0.07	0.25	Chamomilla	الريبانة
1.25	10	0.48	8	0.25	0.83		السلس

3.78	30.18	5.51	91	8.47	27.66		خلال الغولة
1.50	12	0.48	8	0.30	1	Vicia tetrasperma	الجلبان
4.42	35.33	1.51	25	2.70	8.83		عشبة الأرنب
1.25	10	0.48	8	0.25	0.83	Pituranthos	القزاح
1.94	15.5	0.97	16	0.73	2.41	Thymelaea Hirsuta	المثنان
4.07	32.5	2	33	3.31	10.83	Thymus	الزعر
100	798.37	100	1649	100	326.51	56	المجموع

المصدر: عمل الباحث استنادا على الزيارات الميدانية 2015 م .

• نباتات المنطقة الجنوبية الغربية (قصر اخيار) الموقع رقم (2)

ومن خلال الدراسة الميدانية لهذا الموقع وتطبيق القياسات الإحصائية على البيانات التي تم تجميعها من هذا الموقع تبين أن التنوع النباتي فيه قد وصل 0.014 متمثلة في حوالي 55 نوعاً، ويلاحظ أن هذا الموقع بلغ فيه التنوع النباتي أكبر من الموقع السابق ويرجع السبب إلى أن هذا الموقع يتميز بطبيعة سهلية وجبلية في نفس الوقت مما أدى إلى تنوع النباتات فيه، ومن حيث الكثافة النباتية لهذا الموقع فقد بلغ متوسطها 5.83 نبات/مربع ، أما من حيث أكبر نسبة كثافة النوع الواحد وصلت في هذا الموقع بمقدار 9.95% وهو نبات الشعال ، ثم يليه نبات خلال الغولة الذي وصلت نسبة الكثافة فيه إلى 8.47% ثم يحتل نبات القرطم المرتبة الثالثة من حيث نسبة الكثافة التي بلغت 8.42% ، ثم نبات الديس ووصلت نسبة كثافته نحو 7.47%، ووصلت نسبة الكثافة في نبات سبول الفار 5.61% ، وكانت نسبة الكثافة في كل من نبات البهما ونبات المرير والبابونج والقندول والبوشرنقة والزعر قد سجلت عي التوالي 5.07%، 4.59%، 4.48%، 4.34%، 4.08%، 3.31% . وبلغت أدنى قيمة لنسبة الكثافة النباتية 0.08% التي كانت لنبات السرول ونبات الأثل، ويليه نبات القصب ونبات البطوم ونبات الفجل البري والخرشوف والريانة بكثافة نسبية مقدارها 0.07%، ثم نبات الخروب بنسبة كثافة وصلت إلى 0.10%، ويليه نبات البللع بكثافة نسبية مقدارها 0.12% ، وتحصل نبات الصنوبر على نسبة كثافة 0.17% ، ثم نبات العسلوز بكثافة نسبية وصلت إلى 0.20% .

أما من حيث التكرار فكان نبات البابونج قد سجل أعلى نسبة تكرار في هذا الموقع لقد وصلت إلى 6.06% ، وبعدها كانت نسبة التكرار متساوية بين نبات الشعال ونبات خلال الغولة ونبات عشبة الأرنب حيث وصلت إلى 5.51% ، ثم بعد ذلك سجل نبات النجم نسبة تكرار 4% ، ثم نبات الفرعون ونبات القرطم ونبات البهما حيث وصلت نسبة التكرار فيهن إلى 3.51% ، ثم بعد ذلك وصلت نسبة التكرار إلى 3.03% في كل من نبات العضيضة ونبات البوشرنقة والعليق وسبول الفار والبلد والسبط والقندول والرتم.

أما أقل نسبة تكرار في هذا الموقع فقد كانت 0.48% لكل من نبات القزاح ونبات الجلبان ونبات اللسلس والريانة والزويون والفجل البري والخرشوف والبللع والحميضة والقازول والحريقة والخبيز والبطوم والأثل والسرو والقصبة والخروب والحنظل.

أما فيما يخص نسبة الوفرة النباتية لهذا الموقع فلقد وصلت أكبر نسبة للوفرة النباتية خلال نبات المرير هي 7.51% ، يليه نبات الديس بوفرة نباتية نسبتها 7.33% ، ثم يليها نبات القرطم بنسبة وفرة نباتية مقدارها 5.90% ، ثم بعد ذلك نبات الشعال بنسبة 5.68% . وقد سجلت أدنى نسبة للوفرة النباتية لهذا الموقع هي 0.12% لنبات الأثل ونبات السرو ، ثم نبات الريانة ونبات الخرشوف ونبات الفجل البري بنسبة وفرة نباتية مقدارها 0.37%.

الجدول رقم (3) نباتات المنطقة الشرقية (غنيمة) الموقع رقم (3)

الاسم المحلي	الاسم العلمي	الكثافة النباتية 10/مر بع	الكثافة النسبية %	التكرار	التكرار النسبي %	الوفرة النباتية عدد/مربع	الوفرة النسبية %
الشعال	Artemisia Campestris	13.9 1	3.03	91	4.49	15.18	1.92
الرتم	Reteam raetaum	13.5	3.00	75	3.94	18	2
عكوز موسي	Nicotiana glauca graham	3.75	0.83	50	2.63	7.5	0.83
الديس	Imperata cylindrical	22.7 5	5.05	75	3.94	30.33	3.37
الخروع	Ricinus communis linn	1.75	0.38	25	1.31	7	0.77

1.29	11.6	2.15	41	1.07	4.83	Calycotome Villosa (poir) link	القندول
0.77	7	0.84	16	0.25	1.16	Citrullus colocynthis	الحنظل
0.44	4	1.31	25	0.22	1	Ceratonia silique	الخروب
0.22	2	1.31	25	0.11	0.5	Zizyphus lotus	السدر
1.14	1.33	1.31	25	0.07	0.33	Phragmites commun	القصب
0.16	1.5	1.84	16	0.05	0.25	Eucalyptus	السرول
0.24	2.2	2.15	41	0.20	0.91	Pinus	الصنوبر
0.37	3.33	1.31	25	0.18	0.83	Tamarix Articulata vahl	الأثل
0.37	3.33	1.31	25	0.18	0.83	palastina	البطوم
0.33	3	1.31	25	0.16	0.75	Rhus Oxyacantha	الجداري
1.36	12.25	3.47	66	0.51	2.33	Stpagrostis ungens	السبط
0.52	4.75	1.73	33	0.35	1.58	Opuntia ficus indica var inermis	التين الشوكي
0.33	3	0.42	8	0.05	0.25		عنب الديب
2.37	21.33	1.31	25	1.18	5.33	Mustard wild radish	العسلوز
0.51	4.66	1.31	25	0.25	1.16	Raphanus raphinastru m	الفجل البري
5.90	53	1.73	33	3.92	17.6 6	Malva parviflora	الخبيز
2.06	18.5	1.84	16	0.68	3.08	Urticaurens	الحريقة
1.64	14.75	1.73	33	1.09	4.91	Emex spinosus	ضرس العجوز
4.11	36.91	0.05	1	8.20	36.9 1		البابونج
0.50	4.5	1.73	33	0.33	1.5		الجرجير البري
2.81	25.25	1.73	33	1.86	8.41	Allium roseum	القازول

0.33	3	0.42	8	0.05	0.25	Hyoscyamus Albus	الفتقيط
2.94	26.4	2.15	41	2.44	11	Rumex bucephalophorus	الحميضة
0.69	6.2	2.15	41	0.57	2.58	Marrubium	الروبيبا
3.41	30.62	3.47	66	4.53	20.41	Cynodon dactylon	النجم
0.46	4.2	2.15	41	0.38	1.75	Genista Microcephala	الشديدة
0.24	2.2	2.15	41	0.20	0.91	Urginea maritime	الفرعون
0.96	8.7	1.84	16	0.31	1.41	Asphodelus	البليوز
0.48	4.33	1.31	25	0.24	1.08	Centaurea	المرير
0.27	2.5	1.84	16	0.09	0.41		العفينة
2.48	22.28	3.05	58	2.88	13	Carthamus	القرطم
1.42	12.75	1.73	33	0.94	4.25	Centaurea	البلع
2.13	19.16	0.02	0.5	2.12	9.58	Carduus argentatus	اللبد
1.78	16	0.42	8	0.29	1.33	Cynara cardunculus	الخرشوف
1.44	13	1.31	25	0.72	3.25		البهنا
3.42	30.75	3.47	66	4.55	20.5	monspeliensis	سبول الفار
8.72	78.3	4.36	83	14.50	65.25	Bromus rigidus	البوشرنقة
6.47	58	2.15	41	5.36	24.16	Cutandia memphitica	الزويوان
1.44	13	1.31	25	0.72	3.25	Erodium laciniatum	الرقما
3.48	31.33	1.31	25	1.74	7.83	Convolvulus arvensis	العليق
2.50	22.5	1.84	16	0.83	3.75	Wlthania Sommifera	فولية الكلب
1.44	13	1.73	33	0.96	4.33	Launea resedifolia	العضيضة
6.88	61.77	3.94	75	10.29	46.3	Chrysanthemum	الأقحوان

0.83	7.5	1.84	16	0.27	1.25	3 mum Chamomilla	الريانة
1.05	9.5	1.73	33	0.70	3.16		السلس
5.02	45.11	3.94	75	7.51	33.83		خلال الغولة
2.89	26	2.15	41	2.40	10.83	Vicia tetrasperma	الجلبان
0	0	0	0	0	0		عشبة الأرنب
0.22	2	1.84	16	0.07	0.33	Pituranthos	القزاح
0.05	0.5	1.84	16	0.01	0.08	Thymelaea Hirsuta	المثنان
1.22	11	1.73	33	0.81	3.66	Thymus	الزعر
100	897.8	100	1899.5	100	449.92	56	المجموع

المصدر: اعداد الباحث استنادا على الدراسة الميدانية 2015 م

• نباتات المنطقة الشرقية (غنيمة) الموقع رقم (3)

ومن خلال الدراسة الميدانية تبين أن التنوع النباتي في الموقع قد وصل إلى 0.010 متمثلة في حوالي 55 نوعاً، ومن حيث الكثافة النباتية لهذا الموقع تبين أن متوسطها وصل إلى 8.03 نبات /مربع، أما من حيث أكبر نسبة للكثافة النباتية قد وصلت في هذا الموقع إلى 14.50% متمثلة في نبات البوشرنتة، ويليه نبات الأقحوان بنسبة كثافة نباتية مقدارها 10.29%، ثم بعد ذلك قد وصلت نسبة كثافة نبات البابونج إلى 8.20%، أما النسبة التي تليها هي 7.51% متمثلة في نبات خلال الغولة، ثم بعد ذلك قد سجلت نسبة الكثافة النباتية في كل من الزيوان ونبات الديس ونبات سبول الفار ونبات النجم والخبيز والشعال والرتم والقرطم 5.36%، 5.05%، 4.55%، 4.53%، 3.92%، 3.03%، 3.0%، 2.88% على التوالي .

أما أقل نسبة للكثافة النباتية سجلت في هذا الموقع بلغت حوالي 0.01% لنبات المثنان وهذا يدل على أن انتشاره محدود في هذا الموقع، ويليه في أقل نسبة كل من نبات السرول ونبات عنب الديب ونبات القنقيط الذي بلغت نسبة كثافتهم حوالي 0.05%، ثم بعد ذلك نبات القزاح ونبات القصبية

بنسبة كثافة قدرها 0.07%، ويليه نبات العضيضة الذي قد وصلت نسبة كثافته حوالي 0.09%، ثم بعد ذلك نبات السدر بنسبة كثافة وصلت إلى 0.11%، ويليه نبات الجداري بنسبة كثافة مقدارها 0.16%، ثم بعد ذلك سجلت نسبة كثافة مقدارها 0.18 في كل من الأثل و البطوم.

وفيما يخص التكرار النباتي لهذا الموقع فقد سجلت أعلى قيمة لنسبة التكرار في نبات الشعال بنسبة تكرار وصلت إلى 4.49%، ويليه نبات البوشرنقة بنسبة تكرار تساوي 4.36%، وبعد ذلك كل من نبات الرتم ونبات الديس ونبات الأقحوان ونبات خلال الغولة بنسبة تكرار وصلت إلى 3.94%، وسجلت النسبة التي تليها بقيمة مقدارها 3.47% لكل من نبات السبط ونبات النجم ونبات سبول الفار، ثم نبات القرطم بنسبة تكرار 3.05%، ويليه نبات عكوز موسى بنسبة تكرار وصلت إلى 2.23%.

أما أقل نسبة تكرار للأنواع النباتية في هذا الموقع قد سجلت في نبات اللبد بقيمة 0.02%، ويليه نبات البابونج بنسبة تكرار 0.05%، ثم نبات عنب الديب ونبات القنقيط ونبات الخرشوف بنسبة تكرار وصلت إلى 0.42%، ثم نبات الحنظل بنسبة مقدارها 0.84%.

ومن خلال دراسة الوفرة النباتية لهذا الموقع أتضح أن أكبر نسبة للوفرة النباتية سجلت فيه من خلال نبات البوشرنقة حيث سجلت نسبة وفرته النباتية حوالي 8.72%، ويليه في المرتبة الثانية نبات الأقحوان بنسبة وفرة نباتية مقدارها 6.88%، ثم بعد ذلك نبات الزيوان بنسبة وفرة نباتية وصلت إلى 6.47%، ثم يليه كل من نبات الخبيز ونبات خلال الغولة ونبات البابونج والعليق وسبول الفار والنجم 5.90%، 5.02%، 4.11%، 3.48%، 3.42%، 3.41%، على التوالي.

أما من حيث أقل نسبة للوفرة النباتية قد سجلت في موقع المنطقة الشرقية (منطقة غنيمة) تحصل عليها نبات المثنان بنسبة وفرة نباتية وصلت إلى حوالي 0.05%، ويليه نبات السرول بنسبة وفرة نباتية مقدارها 0.16%، ثم بعد ذلك نبات السدر ونبات القزاح بنسبة وفرة نباتية قد سجلت 0.22%.

النتائج

1 - تتميز أمطار المنطقة بالتذبذب وعدم الانتظام، ووجود علاقة عكسية بين الزمن بالسنوات وكميات الأمطار الساقطة على منطقة الدراسة في فصول الصيف والشتاء والربيع وعلاقة طردية في فصل الخريف (تبين من خلال التحليل الإحصائي).

- 2 - وجود علاقة طردية بين الزمن بالسنوات ودرجات الحرارة في جميع الفصول في منطقة الدراسة (تبين من خلال التحليل الإحصائي).
- 3- لوحظ من خلال الدراسة الميدانية للمنطقة أن النباتات الموسمية أكثر انتشارًا من النباتات المعمرة، وهذا يفسر ارتباط النباتات بعنصر المطر، كما أن النباتات الموسمية ترتبط في وجودها مع مواسم الأمطار ثم تختفي مع انقضاء فصل الشتاء .
- 4 - ومن خلال دراسة الغطاء النباتي والتحليل الكمي في منطقة الدراسة تبين أن التنوع النباتي قليل جدًا فقد بلغ حوالي 0.029 متمثل في حوالي 56 نوعًا من النباتات، وتبين أيضًا من خلال حساب الكثافة النباتية أن الكثافة النباتية على الشريط الساحلي في موقعي سيدي عمير وغنيمية عالية حيث وصلت الكثافة النباتية إلى 707.16 نبات/مربع و449.92 نبات/مربع على التوالي، بينما تقل الكثافة النباتية كلما اتجهنا إلى الداخل حيث وصلت الكثافة النباتية في موقع قصر اخيار إلى حوالي 326.51 نبات/مربع، وقد كانت النباتات الأكثر انتشارًا والأكثر كثافة تتمثل في نبات خلال الغولة ونبات الديس ونبات البابونج (الفلية) .
- 5 - كما اوضحت الدراسة الميدانية أن نبات خلال الغولة ونبات الاقحوان ونبات البوشرنقة والفلية والسبب هي النباتات الأكثر تكرارًا في الموقع الأول (سيدي عمير)، وفي الموقع الثاني (قصر اخيار) كانت النباتات الأكثر تكرارًا هي البابونج والشعال والبوشرنقة والرتم والديس وعشبة الأرنب والنجم والفرعون والقرطم والبهماء، وفي الموقع الثالث (غنيمية) كانت أعلى نسبة سجلت للتكرار النباتي في نبات الشعال والبوشرنقة ونبات الرتم والديس ونبات الاقحوان وخلال الغولة .
- 6 - من خلال الدراسة الميدانية للغطاء النباتي في المنطقة تبين أن الموقع الأول (سيدي عمير) الذي يقع على الشريط الساحلي هو الأكثر في الوفرة النباتية حيث سجل مجموع الوفرة النباتية لجميع الأنواع النباتية 1443 نباتًا ، أما الموقع الثاني الذي يقع في الداخل من منطقة الدراسة (قصر اخيار) أي جنوب المنطقة قد سجل فيه مجموع الوفرة النباتية لجميع الأنواع النباتية 798 نباتًا، وفي الموقع الثالث الذي يقع في الشرق من منطقة الدراسة (غنيمية) قد وصل فيه مجموع الوفرة النباتية لجميع الأنواع النباتية إلى حوالي 897 نباتًا ، وهذا يعني أن الغطاء النباتي يقل كلما اتجهنا نحو الداخل، بسبب الاختلاف في الظروف المناخية والتربة .
- 7 - لقد لوحظ من خلال الدراسة الميدانية والكمية للغطاء النباتي في منطقة الدراسة أن في الأجزاء الشمالية من المنطقة تسيطر عليها النباتات الموسمية مثل نبات خلال الغولة والخيز وضرس العجوز ونبات

العسلوز والبلعلع والزبون والبوشرنقة، أما في الأجزاء الداخلية من منطقة الدراسة تسيطر عليها أنواع النباتات المعمرة (دائمة الخضرة) مثل الرتم والشعال والبطوم والجداري والديس والسبط.

8 - وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية في الكثافة النباتية بين منطقة سيدي أعمير ومنطقة قصر الأخيار.

9 - وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية في التكرار بين منطقة سيدي أعمير ومنطقة قصر الأخيار.

10 - وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية في التكرارين منطقة سيدي أعمير ومنطقة غنيمه.

11 - وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية في مجموع النباتات بين منطقة سيدي أعمير ومنطقة قصر الأخيار.

12 - عدم وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية في الوفرة النباتية بين مناطق الدراسة.

التوصيات :

إيماناً بأهمية الغطاء النباتي وأخطار اختلاله، وإدراكاً بالتهديدات التي تواجه هذا الغطاء في هذا الوقت الحالي وفي المستقبل، وإسهاماً في تعزيز ونشر المعلومات حول هذه القضية، وإيماناً بحق المواطنين في الاستفادة من كافة التقنيات الحديثة خاصة فيما يتصل بعلوم دراسة البيئة يوصي الباحث بما يلي :

1- دعم البحوث المتعلقة بدراسة البيئة ومشكلاتها من جميع الجوانب الاقتصادية والبيئية وتنظيم الدورات ، والمؤتمرات ، والندوات في مجال حماية البيئة والغطاء النباتي وتوعية وترشيد المواطن للمحافظة على الموارد الطبيعية ، وإعداد البرامج المرئية للفت انتباه المواطنين بأهمية البيئة.

2- إصدار تشريعات صارمة وقابلة للتطبيق ، وتلقى قبولاً لدى المواطنين لحماية البيئة، ومنع التوسع الزراعي على حساب الأراضي الطبيعية .

3- التركيز على الانتشار الرأسي في العمران بدلاً من الانتشار الأفقي، لأن هذا يساهم في توفير مساحات من الأراضي في المنطقة .

4- إعادة تأهيل الغطاء النباتي الطبيعي ؛ وذلك بإنشاء المحميات الطبيعية التي تحتوي الأنواع النباتية ، والحيوانية المهددة بالانقراض ، ودعمها ، وتطويرها .

5- تنظيم حملات لتوعية المواطنين بهدف التعرف على أهمية الغابات بصفة عامة، وضرورتها لتوازن البيئة واستقرار الإنسان الاهتمام بنشر الوعي البيئي بين السكان وتعريفهم بالمشكلات البيئية الناجمة عن قطع وحرق الأشجار، والرعي الجائر، والقضاء على الغطاء النباتي الطبيعي، وكيفية المحافظة على البيئة النباتية،

عن طريق الملصقات في مناطق الغابات والمراعي الطبيعية وعن طريق وسائل الإعلام ومراحل التعليم المختلفة .

6- تعتبر حرفة الرعي من الحرف الرئيسية في المنطقة لذا يجب مراعاة الحمولة الرعوية للمرعى ، بمعنى إمكانية تحقيق الموازنة بين عدد القطيع وطاقة المرعى لأن زيادة أعداد الحيوانات ستؤدي إلى استنزاف وتدهور المرعى رغم وجود مقاومة من بعض النباتات اتجاه هذا النوع من الرعي ، ألا أن تلك النباتات لن يصل تجددتها الطبيعي إلى مرحلة الذروة التي كانت قبل تعرضها للرعي .

7- الحد من التوسع الزراعي على حساب مساحات الغطاء الطبيعي، لأنه يؤدي في نهاية الأمر إلى التصحر عند نفاذ أو قلة المياه واختيار تركيبة محصوليه مناسبة لإمكانيات التربة والمياه في المنطقة .

7- إدخال أصناف من النباتات والأشجار إلى المنطقة والتي تساهم في حماية التربة من الانجراف وتكون الأنواع ملائمة لظروف الطبيعية لمنطقة .

• المراجع :

1. احمد الفرج العطيات البيئة و علم النبات ، وزارة الثقافة الاردنية، عمان، 1995
2. احمد صالح أحمد، الأعشاب في ليبيا، مركز البحوث الزراعية، طرابلس، 1988م.
3. آمال بشير محمد المرمي ، أثر الحرارة والأمطار علي تنوع الغطاء النباتي الطبيعي في شعبية الزاوية ، دراسة في الجغرافية الحيوية ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السابع من أبريل ، مركز البحوث والدراسات العليا ، قسم الجغرافيا ، 2008 م .
4. بو لقمة، الهادي مصطفى . القزيري، سعد خليل ، الجماهيرية دراسة في الجغرافية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1995م
5. جمال الدين فهمي احمد وآخرون، النباتات الطبية والعطرية، جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، مصر ، 1977 .
6. جودة حسنين جودة، جغرافية الأراضي الجافة الطبعة الثالثة، دار النهضة للطباعة، بيروت، 1996م .
7. حسين العروسي . عماد الدين وصفي، المملكة النباتية، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، مصر ، 1987م .

8. سالم محمد الزوام، الجبل الأخضر دراسة في الجغرافية الطبيعية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، 1984م .
9. سمير إبراهيم غبور، صيانة البيئة والموارد الطبيعية، الجمعية الجغرافية المصرية، بحث مقدم ندوة عن الجغرافيا ومشكلات تلوث البيئة، مصر، 1992م.
10. السنوسي عبد القادر الزني، محمد عباس محمد بيومي، الأشجار و الشجيرات الهامة المحلية و المستوردة بالجبل الأخضر ليبيا، الدار الأكاديمية للطباعة و النشر، طرابلس، 2006.
11. الشحات نصر أبو زيد، النباتات والأعشاب الطبية، الطبعة الثانية، الدار العربية للنشر، 2000م .
12. شكري إبراهيم سعد، النباتات الزهرية نشأتها وتطورها وتصنيفها، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1994م .
13. ضو، محمد سالم - محمد، سعد جاسم، دراسة في الجغرافية الطبيعية للأراضي الليبية وظواهرها الكبرى، دار شموع الثقافة، الزاوية، 2006م .
14. طلال أبو رجيع - غسان حجاوي، علم العقاقير (النباتات الطبية)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000م.
15. عبد الحميد احمد مرفوعة، التوزيع المكاني للنبات الطبيعي واستعمالاته الطبية في غريان، رسالة ماجستير غير منشورة، اكااديمية الدراسات العليا، قسم الجغرافيا، 2007م .
16. عبد الرزاق الصادق الشريف، النجيليات في ليبيا، منشورات elga، مالطا، 1995.
17. عبد العزيز طريح شرف، الجغرافية النباتية، الطبعة التاسعة، دار الجامعة المصرية، الإسكندرية، 1983م .
18. عبد الله عبد الحكيم القاضي. أبو البشر محمد عنيات، النباتات السامة في ليبيا، دار الكتب الوطنية طرابلس، ليبيا، 1986م .
19. عبد الله عبد الحكيم القاضي- صفية محمد الرماح، استعمالات بعض النباتات في الطب الشعبي الليبي، الطبعة الخامسة، الجزء الأول، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 1997م.
20. علي بن محمد الدقاق، اقتصاديات حماية البيئة في الإسلام، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1994م .

21. كريمة مصطفى عمار ، تحليل والواقع المكاني للغطاء النباتي في شعبية الزاوية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة السابع من أبريل ، الزاوية ، العدد الخامس ، 2003م .
22. كمال الدين حسن البتانوني ، بيئة صحراوية ، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح ، القاهرة ، مصر ، 1992م .
23. محمود المبروك غرداية ، التوزيع المكاني للمراعي الطبيعية في الجزء الشمالي الغربي لسهل الجفارة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، أكاديمية الدراسات العليا ، قسم الجغرافيا ، 2009م .
24. نجاة بلعيد محمد الشف ، دراسة تصنيفية لنباتات منطقة كعام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة المرقب ، الخمس ، قسم الأحياء ، شعبية النبات ، 2005م .

دراسة ديدان البلهارسيا بأحواض عين تاورغاء

*د. الطاهر عبدالواحد الجهيمي **أ. صالح محمد بيكي

كلية الآداب والعلوم قصر الاخير/جامعة المرقب

S_beke2003 @ yahoo.com

alguhime@ g-mail.com

الملخص

أجريت هذه الدراسة بأحواض عين تاورغاء على ديدان البلهارسيا التي تصيب الإنسان مخلفة أمراض خطيرة تؤدي إلى الوفاة في بعض الأحيان كم تم التعرف على المسبب للمرض والمتمثل في قواقع من نوع بيومفلاريا الكسندرينا و بولينس ترنكاتس والاخير اقل انتشار بمنطقة تاورغاء ومن خلال النتائج المتحصل عليها يتضح إن المصابين بمنطقة تاورغاء والدين تم حصرهم من خلال المدارس يصل عددهم إلى (179) مصاب , بينما المصابين بمنطقة الدراسة والدين تم حصرهم من خلال المستشفيات يصل عددهم إلى (72) مصاب و المصابين بمنطقة الدراسة والدين تم حصرهم من خلال الجولات الميدانية للقطنين بالقرب من أحواض العين يصل عددهم إلى (120) مصاب وبالنظر إلى حالة المصابين الذين تماثلوا للشفاء بمنطقة الدراسة والدين تم حصرهم من خلال الاستبيان يصل عددهم إلى (324) مصاب وضمت الدراسة جميع الشرائح العمرية من كلا الجنسين ذكور و إناث وتكمن شدة الإصابة في الحوض الأول رقم (1) حيث منبع مياه العين. والهدف من هذه الدراسة حصر وتصنيف الحالات المصابة بمرض البلهارسيا والتعرف على أنواع البلهارسيا بمنطقة الدراسة وطرق المكافحة .

الكلمة الدالة : ديدان البلهارسيا , مرض , مكافحة.

المقدمة :

البلهارسيا مرض طفيلي ينتج عن إصابة الإنسان بديدان البلهارسيا و هي ديدان طفيلية تعيش في المياه الراكدة أو المستنقعات و هو مرض لا يعد قاتلا إلا أنه يؤدي إلى سرعة استهلاك جسد المصاب ، و قد سميت بهذا الاسم نسبة إلى تيودور بلهارس مكتشف هذا المرض سنة 1851 م يأتي مرض البلهارسيا بعد مرض الملاريا من حيث الطفيليات ذات الأهمية من الناحية الاقتصادية و الصحية و

الاجتماعية التي تؤثر على المجتمع في المناطق الحارة، يوجد 5 أنواع من طفيل البلهارسيا التي تصيب الإنسان من أهمها :-

- أ- البلهارسيا الأمعائية *mansoni* وهي تصيب الكبد بالتليف
 ب- البلهارسيا البولية *haematobium* وهي تصيب المثانة بالتليف وتعرضه لسرطان المثانة و الفشل الكلوي (8, 9).
 الهدف من الدراسة :

- التعرف على أنواع البلهارسيا والقواقع بالأحواض المائية لعين تاورغاء
- حصر وتصنيف الحالات المصابة بمرض البلهارسيا.

مشكلة البحث :

تكمّن في وجود كائنات مائية مرتبطة ببعضها البعض (عائل وسيط) تهاجم الإنسان لإكمال دورة حياتها داخل الجسم مسببة له مشاكل صحية لعل أهمها مرض تليف الكبد وتضخم في الأحشاء والمثانة (4).

أهمية البحث :

هذه الدراسة مهمة للتعرف على الأنواع المسببة للأمراض (العائل والوسيط) ومدى تطورها ومحاولة إيجاد أنجع الحلول للحد من قدرتها على إكمال دورة حياتها قبل دخولها جسم الإنسان بالإضافة إلى عمل الإجراءات الوقائية بالمكافحة المبكرة لإحداها أو كلاهما .

منطقة الدراسة :

تقع منطقة تاورغاء بليبيا بين خطي عرض ($E 15.19.021$ _ $N32.12.794$) و ($E15.32.849$ _ $N 31.34.944$) وتتميز بيئاتها الطبيعية النادرة دائمة الخضرة والغنية بالتنوع الحيوي، وعلى الأخص التنوع النباتي الذي يغطي المنطقة . (2,3)

طبيعة المنطقة :

وهي واحدة من أكبر الأراضي دائمة الخضرة بالساحل الليبي وشمال أفريقيا، وتشغل مساحة كبيرة تقدر بأكثر من 8500 كم مربع تقريباً بالمنطقة الوسطى من ليبيا والمناخ المتوسط يميزها، بالمقابل يتغير المناخ إلى صحراوي كلما اتجهنا في اتجاه الجنوب، التغير الكبير في درجات الحرارة بين فصل الشتاء والصيف يصل نطاقه بين (0. 40) درجة مئوية. (1, 2, 3)

عين تاورغاء :

توجد بالمنطقة عين مياه عذبة تصرف المياه بمعدل 3م²/ الثانية وعمقها أكثر من 2500 م تقريباً وعمرها أكثر من 3000 سنة وتوجد بها خزانات أو أحواض ترابية ضخمة تحجز المياه ويعاد توزيعها بواسطة ترع إلى المنطقة والفائض من المياه يذهب باتجاه الأراضي الرطبة و باتجاه البحر. ويحجز كل خزان أكثر من 30 ألف لتر مكعب. (1, 4)

طفيل البلهارسيا :

ينتمي طفيل البلهارسيا الى الديدان المفلطحة والتي تضم حوالي 10.000 نوع تقريباً وهي من الالاسيلوميات وتوصف بأنها جانبية التماثل ثلاثية الطبقات (الاكتوديرم والاندوديرم و الميزوديرم) وهي من طائفة ثنائيات العائل وهي ديدان منفصلة الجنس ولكن في اغلب الأحيان تكون في حالة احتضان داخل جسم العائل . (5, 8, 9)

معيشة الكائن :

ديدان البلهارسيا تعيش متطفلة وتكون داخل عائلين وهما :-

1- الإنسان والثدييات والطيور

2- القواقع ويوجد منها نوعين :-

أ- قوقع بيومفلاريا الكسندرينا ذات الشكل الدائري .

ب - قوقع بوليس ترنكاتس ذات الشكل المخروطي (4)

مرض البلهارسيا :

يعد هذا المرض من الأمراض المتوطنة يسببه طفيليان من البلهارسيا وهما سيستوسوما مانسوني و سيستوسوما هيماتوبيوم .

أ - سيستوسوما مانسوني *mansoni*

الطفيل يعيش في الاوردة المسارية ويضع البيض في المستقيم ليمر في الخارج مع البراز و العائل هو قوقع بيومفلاريا الكسندرينا ذات الشكل الدائري

ب - سيستوسوما هيماتوبيوم *haematobium*

الطفيل يعيش في المثانة البولية ويضع البيض الذي البول وتصيب المجاري البولية و العائل هو قوقع بوليس ترنكاتس ذات الشكل المخروطي . .

ج- سيستوسوما جابونيكم

وتسبب مرض البلهارسيا اليابانية أو الآسيوية (9,7,6)

التوزيع الجغرافي :

سيستوسوما هيماتوبيوم : يوجد هذا الطفيلي بمعظم الدول الأفريقية وينتشر بصفة أساسية في شمال وشرق القارة الأفريقية ويوجد في جنوبها وغربها أيضاً , يلاحظ وجوده بجمهورية مصر العربية خاصة في المناطق الريفية ويوجد أيضاً ببعض المناطق بدول كالا من فلسطين وسوريا والعراق والسعودية واليمن. (8,5)

سيستوسوما مانسوني : وهو اقل انتشار في القارة الأفريقية ويوجد في مصر ووسط وغرب أفريقيا وكذلك في أمريكا الجنوبية . (5)

دورة حياة البلهارسيا :

تخترق الطفيلية جلد الإنسان و من ثم تبدأ طور حياتها الآخر بإفراز بويضاتها بكميات كبيرة تترسب في الكبد و المثانة مسببة تليفا فيهما ، و تخرج هذه البويضات مع فضلات المريض ، فإذا تبرز المريض بجوار مصدر مائي راكد ، فتفقس البويضات عن يرقات تنمو و تكبر لتكتمل دورة حياتها لتصيب إنسان آخر لامس جلده هذه المياه

طريقة العدوى :

لا يمكن أن تنتقل عدوى البلهارسيا مباشرة من الشخص المريض إلى السليم و لا تنتج الإصابة عن شرب الماء الملوث بالسركاريا، على عكس الاعتقاد السائد عند العامة، ففي هذه الحالة تموت السركاريا تماما نتيجة حموضة المعدة، ولكن ربما تحدث العدوى إذا تمكنت السركاريا من اختراق الغشاء المخاطي للفم قبل وصولها للمعدة وطريق الإصابة تأتي أيضا عن طريق الاستحمام أو الوقوف مدة طويلة في البرك والمستنقعات أو المياه الراكدة، أو الأجزاء الساكنة من الماء، وهكذا يجد طور "السركاريا" طريقه إلى الإنسان عن طريق أي تشقق جلدي خصوصا بين أصابع الأقدام، في خلال ربع ساعة تخترق الجلد و منه للأوعية الدموية حيث تفقد ذنبها (ذيلها) ويحملها تيار الدم عبر الأوعية الدموية للنصف الأيمن من القلب ثم الرئة، وتتحول لما يسمى الدودة الصغيرة وتستمر في رحلتها العجيبة داخل جسم العائل مختقة أنسجته المختلفة ومسببة للعديد من الأضرار في حوالي 5 أيام، ثم تنطلق حسب نوعها إلى الكبد أو المثانة عبر شرايين الدم ، وتبدأ في إفراز البيض بكميات كبيرة مما يسبب التليف.(5,8,9)

أعراض المرض :

تشمل الأعراض المصاحبة لهذا المرض ما يلي :-

1- **عند اختراق السركاريا الجلد :** في الغالب يكون ذلك غير محسوس و لكن بعض الأشخاص قد يعانون من حكة و رغبة بالهرش في الجلد حول منطقة الاختراق.(5, 9, 8)

او قد يحدث فيه التهاب وقد يشعر المريض بحكة بالجلد مع ظهور بثور بالأطراف تزول بعد فترة وجيزة (8).

2 - **عند إفراز البيض :** في الغالب يكون ذلك غير محسوس ، و لكن بعض الأشخاص يعانون من ارتفاع في درجة الحرارة و حكة (رغبة في الهرش) بالجلد قد يصاحبه ارتفاع بنسبة كريات الدم البيضاء في الدم .

3- **عند ترسب البيض في الكبد :** يسبب تليفاً في أنسجة الكبد و الطحال وتليف الرئتين يتم ذلك بدون إحساس المريض بأية أعراض ، حتى تبدأ مرحلة متقدمة بأعراض ارتفاع ضغط الدم البابي ، و تبدأ وظائف الكبد بالتدهور ، يتبع ذلك نزيف معوي و تضخم بالبطن بسبب السوائل(9,8)

4- عند ترسب البيض في المثانة : يتسبب في تليف جدارها ، و خلال هذه الفترة يحصل نزيف مع البول مما يجعله يتلون باللون الأحمر ، و قد يحدث انسداد في الحالب من إحدى الكليتين أو من كليهما مما يؤدي إلى فشل كلوي في بعض الحالات ، و قد يتطور الأمر إلى حدوث سرطان في المثانة لذلك فالأعراض تتدرج حسب طور نمو الطفيل في جسم المريض بداية من الطفح الجلدي و الحكة مروراً بارتفاع درجة حرارة الجسم و الرعشة و تورم الغدد الليمفاوية و تكرار التبول عن المعتاد مع حرقان أثناء التبول و خروج دم مع البول حتى تضخم و فشل الكبد و الطحال و سرطان المثانة و دوالي المريء وغالباً ما يعاني المريض من مرض الصفراء *Jaundice* نظراً لارتفاع نسبة البيلوروبين في الدم *Bilirubin* مما يسبب إصفرار الجلد و بياض العينين. (5, 9, 8)

طرق الوقاية و المكافحة :

1- الوقاية :

- الابتعاد عن المياه الراكدة والمستنقعات وعدم ملامسة الجلد
- ردم المياه الراكدة، والتعاون مع وزارة الزراعة للتخلص من القواقع إن وجدت.
- التخلص من الفضلات الآدمية بعيداً عن مصادر المياه.
- أخذ العلاج اللازم عند وصف الطبيب له.
- إقامة الحمامات الصحية بالمناطق الريفية بشكل كافٍ والعمل على حسن استخدامها وصيانتها الدورية
- استخدام المياه النقية الصالحة للشرب والغسيل والاستعمالات اليومية المختلفة. (5, 7).

2- المكافحة :

للقضاء على الأمراض المتوطنة ومسبباتها يتطلب تكاتف الجهود بمكافحة شاملة يشارك فيها المواطن والجهات الحكومية الرسمية وغير الرسمية بأستخدام :

- الطرق الهندسية الميكانيكية .. حيث يتم تنظيف أحواض المياه بشكل دوري وإزالة الأعشاب والحشائش. (5, 9, 8)
- الطرق البيولوجية : والتي تمنع تكاثر القواقع (9).

- الطرق الكيميائية : حيث يتم مكافحة القواقع بالمبيدات الكيميائية مثل المولونكس والفريكون والبايلوسيد وكبريتات النحاس برشها داخل المياه وحول المنطقة المحيطة لفترات معينة وبتكريرات معلومة (5, 9)

3- علاج المرضى :

يعطى العلاج للتخلص من ديدان البلهارسيا ومنع فرص تلويث المياه ببويضاتها بالإضافة إلى تخليص المرضى من أضرار البلهارسيا ومضاعفاتها ومن العقاقير المستعملة لعلاج البلهارسيا عقار يسمى الطرطير المقيئ ويعطى حقنا بالوريد والاستبيان والانتبومالين والهايكانتون وتعطى بالحقن عضليا والنيريدازول والميراسيل وتعطى عن طريق الفم (5, 7, 9) وفي مراحله الأولية يوجد علاج فعال مضاد للطفيليات للقضاء على البلهارسيا ويتكون من حبوب أو شراب مثل أقراص ديستوسيد 600 مجم (يعطى بمعدل 40 مجم من الدواء لكل كجم من وزن الجسم كجرعة واحدة) وفي المراحل المتأخرة من المرض يجب علاج مضاعفات المرض بالإضافة إلى علاج البلهارسيا السابق كما يلي:-

-علاج دوالي المريء بالجراحة التصلبية

-استئصال الطحال جراحيا إذا لزم الأمر

-العلاج الكيماوي و الإشعاعي للسرطان إذا وجد

-علاج تليف الكبد أو زراعة كبد بديل إذا لزم الأمر (8, 9)

4 -التثقيف والتربية الصحية .

يتم توعية المواطنين بأضرار البلهارسيا وأثارها الصحية , ويتم إرشادهم إلى السلوك السليم لتجنب تلويث المجاري المائية وبالتالي تجنب الاصابه بالبلهارسيا ويتم استخدام كافة الوسائل الإعلامية المسموعة والمقروءة والمحاضرات وورش العمل والمؤتمرات وغيرها من وسائل التثقيف المتاحة . (9)

المواد وطرق العمل :

استخدمنا معدات هامة للقيام بالعمل ومنها :-

مختبر تحاليل طبية - انايب بلاستيكة لأخذ العينات - قفازات - ادوية علاجية - مطهرات تعقيم - شاش معقم - حافظات - جهاز قياس الضغط والحرارة - ميزان كيلوجرامات - جهاز حاسوب - آلة تصوير .

جمع و تحليل العينات :

بدئنا في الدراسة بمسح مبدئي للمنطقة والمواقع المستهدفة في جمع العينات لتحديد البؤرة الرئيسية للمرض وقد تم جمع العينات اللازمة وحفظها للتحليل وفق الطرق المتبعة ونقلها إلى مختبر التحليل لإجراء الاختبارات , وتم التركيز على (القواقع و البلهارسيا والمصابين)

1- القواقع

يوجد بالمنطقة نوعان من القواقع السائدة والتي تعيش بالمياه العذبة بكثرة في الأحواض المائية وهي :-

قوقع بيومفلاريا الكسندرينا ذات الشكل الدائري .

قوقع بولنيس ترنكاتس ذات الشكل المخروطي (6,7)

2- البلهارسيا

يوجد بمنطقة الدراسة عدد نوع (1) من أنواعها السائدة والتي أهمها سيستوسوما مانسوني الطفيل يعيش في الاوردة المساريقية ويضع البيض في المستقيم ليمر في الخارج مع البراز و العائل هو قوقع بيومفلاريا الكسندرينا ذات الشكل الدائري وتسمى البلهارسيا الحشوية حيث تصيب احشاء الجسم . (6,7)

3 - المصابين

تم التعرف على المصابين و المتوقع اصابتهم بمرض البلهارسيا بعدة وسائل منها:-

- المتابعة للحالات الواردة الى المستشفى والمراكز الصحية
- الجولات الميدانية الى المدارس بمنطقة الدراسة
- الجولات الميدانية للقاطنين بالقرب من منبع العين تاورغاء .
- استبيان وتم توزيعه على كافة الشرائح لمعرفة مراجعة الحالات المصابة السابقة والحديثة .

التشخيص المعملّي :

يتم تشخيص المرض بإجراء فحص على عينة بولية أو براز تحت الميكروسكوب للعثور والتعرف على بويضات البلهارسيا الأمامية او الطرفية الشوكية (سيستوسوما هيماتوبيوم) او على بويضات البلهارسيا الجانبية الشوكية (سيستوسوما مانسوني) ، وفي المراحل المتقدمة بأخذ عينة من المستقيم أو الكبد أو المثانة، يوجد تحليل للدم يبين ما إذا كان الإنسان قد تعرض للبلهارسيا من قبل أو لا، ولكن لا تثبت المرض . (9,8,7.4)

النتائج :

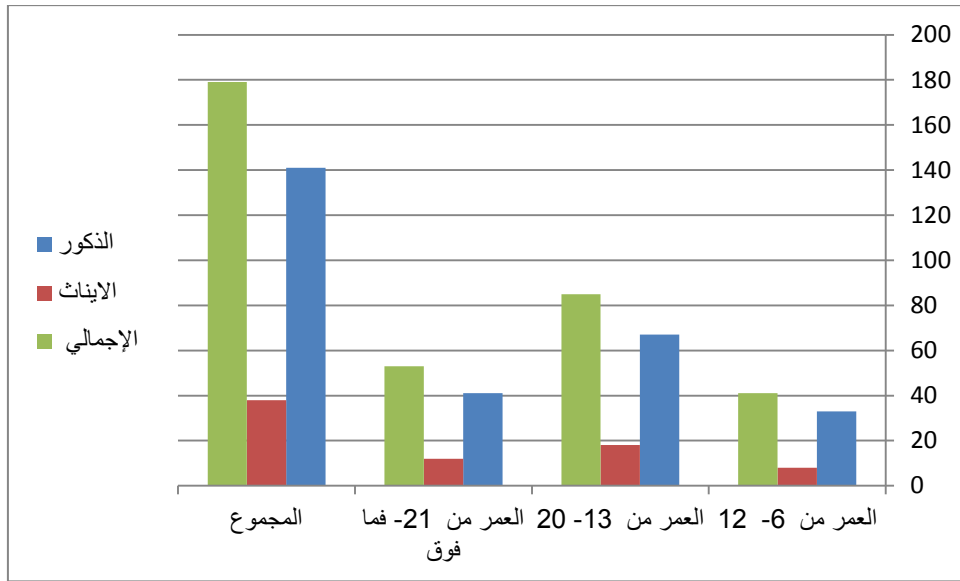
من خلال المسوحات والتحليل التي أجريت تحصلنا على نتائج هامة نوضحها في الجداول والأشكال التالية :

1 - جدول يوضح اهم انواع القواقع الموجودة بمنطقة الدراسة

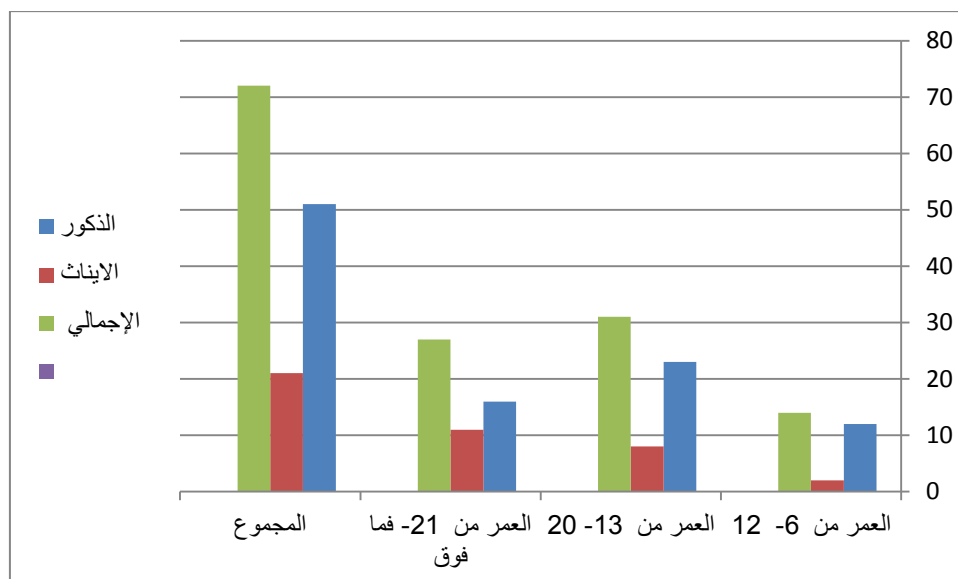
م	الحوض	نوع
أ	1	بيومفلاريا الكسندينا
ب	1	بولينس ترنكاتس
ج	2	بيومفلاريا الكسندينا
د	3	بيومفلاريا الكسندينا
هـ	4	بيومفلاريا الكسندينا

2 - جدول يوضح اهم انواع البلهارسيا الموجودة بمنطقة الدراسة

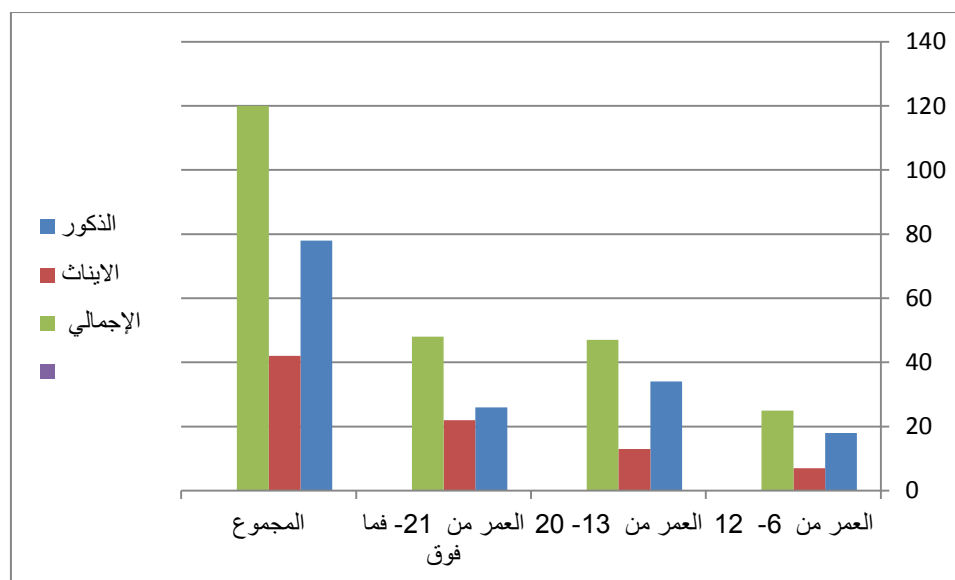
م	نوع	مكان التواجد (الحوض)
أ	سيستوسوما مانسوي	1
ب	سيستوسوما مانسوي	2
ج	سيستوسوما مانسوي	3
د	سيستوسوما مانسوي	4



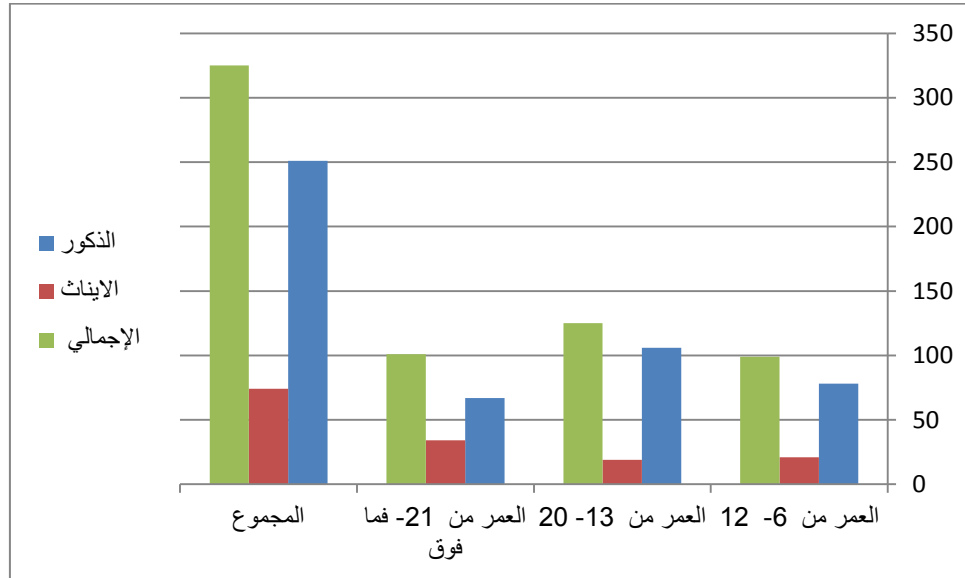
شكل (1) يوضح المصابين بمنطقة الدراسة والذين تم حصصهم من خلال المدارس



شكل (2) يوضح المصابين بمنطقة الدراسة والذين تم حصرهم من خلال المستشفيات



شكل (3) يوضح المصابين بمنطقة الدراسة والذين تم حصرهم من خلال الجولات الميدانية للقاطنين بالقرب من أحواض العين



شكل (4) يوضح المصابين وتمثلوا للشفاء بمنطقة الدراسة والدين تم حصرهم من خلال الاستبيان

المناقشة :

يتضح من خلال النتائج إن المنطقة يوجد بها عدد كبير من المصابين من مختلف الفئات العمرية للجنسين ذكور و إناث , ونجد إن الذكور هم الأكثر إصابة بالمرض ونلاحظ إن الفئة العمرية من (13 - 20) سنة من الذكور هي الأكثر إصابة تليها الفئة العمرية من (6 - 12) سنة من الذكور أيضا تم تليها الفئة العمرية من (21 سنة - فما فوق) من الذكور أيضا , بينما الإناث اقل بكثير من الذكور من حيث الإصابة بالمرض والفئة العمرية من (21 - فما فوق) هي الأكثر إصابة من الفئات الأنتوية الأخرى

الخلاصة :

تبين من خلال هذه الدراسة أن الإصابة تكمن في المنطقة القريبة من أحواض العين ويرجع أسبابها إلى الاستعمال المباشر للمياه من قبل القاطنين وطلبة المدارس والزائرين وغيرها وتكمن شدة الإصابة بالمنطقة رقم (1) الحوض الأول حيث منبع مياه العين وتقل كلما ابتعدنا أكثر من 2 كم .

ومن خلال النتائج التي تحصلنا عليها يتضح أن المصابين هم من الفئة التي تستعمل المياه بشكل يومي ومباشر في كافة مجالات الحياة .

التوصيات :-

- نشر الوعي البيئي بين المواطنين والاهتمام بتوعية أولياء الأمور تجاه أبنائهم بإقامة الندوات والمحاضرات والكتيبات الإرشادية وكافة الطرق الإعلامية المعروفة .
- تشجيع الباحثين ودعمهم من خلال الجهات ذات العلاقة. وتمكينهم من المشاركة في كافة المحافل العلمية بالداخل والخارج .
- العمل على تفعيل دور برنامج مكافحة الشاملة وتذليل كافة الصعوبات التي تواجهه.
- إنشاء مراكز متخصصة بآماكن انتشار المرض لمكافحة ومعالجة مثل هذه الأمراض ومدها بكافة الإمكانيات اللازمة.
- التشجيع على القيام بمثل هذه الدراسات مستقبلا .

المراجع :

1. هيركه ، ح . بيكي ، ص (2006) دراسة الأهمية البيئية (لأسماءك البلطي) بعين تاورغاء , المجلة الأكاديمية لتنمية البيئة . مصر
2. بيكي ، ص. (2008) دراسة الأهمية البيئية (للأراضي الرطبة) , المجلة الأفريقية للبيئة . مصر
3. بيكي ، ص. (2009) دراسة الطيور المهاجرة للساحل الليبي (المنطقة الوسطى) المجلة الأفريقية للبيئة . مصر
4. بيكي ، ص . هيركه ، ح (2010) أهمية الغطاء النباتي بمنطقة تاورغاء , المجلة الأكاديمية لتنمية البيئة . مصر
5. شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)
6. تقارير من مستشفى تاورغاء العام 2010
7. تقارير مركز مكافحة البلهارسيا والشلل الشلثاني تاورغاء 2010
8. محمود ، ع . وآخرون (1997) الالافقاريات . مكتبة الانجلو . مصر
9. الشاذلي ،أي . وآخرون . مبادئ علم الحيوان العام . دار المطبوعات الجديدة . مصر

زراعة الزيتون في شمال إفريقيا خلال العصر الروماني

أ. حميدة عوادات القماطي

كلية الآداب والعلوم قصر الاخيار / جامعة المرقب

الملخص

تناول الدراسة موضوع زراعة الزيتون في شمال أفريقيا خلال الفترة الرومانية ، فقد كان للزيتون أهمية كبيرة في الحياة الاقتصادية سواء في منطقة شمال أفريقيا أو الإمبراطورية الرومانية ، وكان من بين أسباب التوغل الروماني في أراضي شمال إفريقيا غرباً وجنوباً وذلك بتوسيع زراعة الزيتون و سن قوانين تشجع على استصلاح المزيد من الاراضي ، وإن أثار المعاصر التي يعج بها الريف وبعض المدن ما هي إلا دليلا على النشاط الكثيف الذي عرفته هذه الزراعة .

المقدمة :

كان الشمال الإفريقي في القدم يعتمد اعتماداً كلياً على الزراعة حين كانت حضارته الأولى قائمة عليها ، والتي بدورها تعتمد أساساً ، على المياه وخصوبة الأرض ، بالإضافة إلى الظروف المناخية الملائمة لذلك ، فكلما كانت هذه الظروف أكثر ملائمة كلما ساهمت بشكل كبير في انتشار حضارة الشعوب وذلك بفضل الزراعة ، إذ تعتبر المنطقة من أحصب الأراضي من حيث التربة ، وهذا ما أشارت إليه المصادر القديمة و من بين المحاصيل الزراعية ذو الأهمية الكبيرة في المنطقة هو الزيتون ، حيث يعتبر ذا أهمية اقتصادية لديهم ، لدى أهتموا به وبزراعته ، وقد أولوه عناية خاصة إذ كان يمثل منتوجاً استهلاكياً أساسياً لديهم ، وعندما سيطر الرومان على المنطقة أكثروا من زراعته وتطويره وسن قوانين تشجع على استصلاح المزيد من الاراضي ، وإن أثار المعاصر التي يعج بها الريف وبعض المدن ما هي إلا دليلا على النشاط الكثيف الذي عرفته هذه الزراعة ، ولذلك سنحاول في هذا البحث أن نسلط الضوء على زراعة أشجار الزيتون في منطقة شمال أفريقيا خلال الفترة الرومانية .

زراعة الزيتون

أشارت المصادر التاريخية إلى وجود زراعة الزيتون في إفريقيا منذ القدم
 Aristoles,V,XXLV,Z;Theophrasus,IV,3;Diodour
 (Siculus,III,50;Pliny,XVIII,LI,22) غير أن التوسع في زراعتها قد عرف تطور ملحوظا
 خلال الفترة الرومانية بشكل كبير خاصة أواخر القرن الثاني وبدايات القرن الثالث الميلادي، وينبغي
 الإشارة من أن إفريقيا قبل هذه الفترة قد سجلت محاولات في التوسع الزراعي لهذه الشجرة ، فقد اخبرنا
 المؤرخ أوريليوس فكتور Aurelius Victor أن القائد القرطاجي حنبعل* Hannibal (247-
 182 ق.م) بعد أمضاء قرطاج لمعاهدة سنة 201 ق.م مع الرومان قد وجه جنوده إلى استصلاح
 الأراضي وزراعة الزيتون لإلحاقهم عن القيام بأي محاولة انقلاب أو إثارة فوضى في البلاد Aurelius
 (Victor, 1997,P.126) .

يتضح مما سبق ذكره إن حنبعل فعلا قد أولى اهتماماً كبيراً بالزراعة ، لدرجة أنه وجه جنوده لها ، ليست
 فقط لألحائهم وإنما تعد احد أهم متركزات الاقتصاد القرطاجي وخصوصاً بعد خسارة قرطاج في حروبها
 مع روما وخسارة مستعمراتها فأصبحت بذلك تتجه زراعياً لأجل توفير التزامتها المالية إتجاه روما** .

* حنبعل ، هو أعظم القادة العسكريين في التاريخ ، ولد حنبعل في قرطاج عام 247 ق.م ، والده "
 هميلكار باركا " كان أيضاً قائد الجيوش القرطاجية ، للمزيد ينظر :

OCD, PP . 665- 666 .

** حول نتائج الحرب البونية الثانية ينظر :

Polyblu ,XV ,18;LiVY ,XXX,37 ;Goldsworhy,A,PP.286.

اهتمت روما بزراعة أشجار الزيتون في شمال إفريقيا منذ القرن الثاني الميلادي ، وذلك لعدة أسباب أهمها:

تراجع إنتاج الزيتون في روما وشبه جزيرة إيطاليا ، بحيث تراجعت المساحات المخصصة لها ، وبالتالي تراجع إنتاج الزيت ، حتى أن شبه جزيرة إيطاليا ، أصبحت عاجزة عن تلبية حاجياتها من الزيت بعد أن كانت تكفي ذاتيا ، وتصدر جزء منه (بشارى ، 2013، ص ص 269 – 270) .

شجعت الظروف والعوامل الطبيعية والمناخية الملائمة لشمال إفريقيا على زراعة الزيتون ، وخاصة انه اقل تكلفه من المزروعات الأخرى (اندیشه ، 2004، ص 143) لأن شجرة الزيتون تنمو جيدا في مثل هذه الظروف لما لها من مميزات لمقاومة الجفاف ، وقد أشار بلىنى Pliny (25-79م) في كتابه " التاريخ الطبيعي " إلى المناخ المعتدل لهذه الزراعة (Pliny, xv,2) وكونها تحتاج ماء أقل من الحبوب وخاصة القمح ، إذ أن ري القمح يتطلب ستة الاف متر مكعب من الماء لري هكتار من أشجار الزيتون (شارن ، 2001 ، ص 111) .

نتيجة لتوسع العمراني والتمدن في شمال أفريقيا خاصة في عهد الانطونيين و السيويرين ، مما جعل الطلب على الزيت يزداد ، ولذلك حدث التوسع الكبير زراعة الزيتون (شينتي 1984 ، ص ص 91-92) .

ارتفاع عدد السكان وتوفر اليد العاملة (المحجوبي ، 2001، ص 130؛ شنيقي ، 2003 ، ص 172) ، وظهور تشريعات مرنة تشجع على نمو هذا النشاط الفلاحي (العربي ، 2003 ، ص 120).

وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية زيت الزيتون باعتباره عنصر أساسي منذ العصور القديمة في تركيبة الغذاء الإنساني (Foxhall.L,p.129) واستعمل كوقود للمصابيح التي كانت هي المصدر الوحيد للإضاءة في العالم القديم آن ذاك (عبد ربه ، 2005، ص 439) ، بالإضافة إلى استخدامه في أغراض علاجية (حارش ، 1985، ص 147) ، كما يعد مادة أساسية للعديد من مستحضرات الصابون وزيت البشرة والطيب والعطور ومستحضرات التجميل (Mattingll.D,J,p,225)، وإستخدامه في إقامة الشعائر الدينية (شكل 1).

كان الرومان قد تخلوا في بداية عهدهم بإفريقيا عن استثمار الزيتون ، وقد انصبت عنايتهم على زراعة القمح المرحبة ، غير أن هذا التحلي لم يعق الأهالي عن مواصلة زراعة الزيتون التي ورثوها عن أسلافهم منذ زمن غابر (شنيقي ، 2012، ص 130) ، وكان قد ساهموا في تطوير تلك الزراعة ، بدليل جهود عالم الزراعة ماجون* .

كما أن مملكتي نوميديا وموريتانيا كانت مواظبتين على العناية بفلاحة الزيتون ، لما كان له من أهمية في غذاء السكان اليومي (شنيقي ، 2012 ، ص 130) ، وتؤكد وفرة هذه الزراعة من خلال الضريبة السنوية المقدرة قيمتها بثلاثة ملايين رطل من زيت الزيتون (Plutarch ,55;Caesar,97)

*ماجون القرطاجي الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثالث إلى النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد ، وكتب كتاب عن الزراعة ، ويتضمن خبرات ميدانية في هذا المجال ، وهي خبرات الفلاح الإفريقي دون ريب ، وقد اعتبره كولوميل أبا الفلاحة، (Columelle XII, 4,2) ، للمزيد ينظر:-

العربي ، 2013 م ، ص ص 253 - 255 .

التي فرضها يوليوس قيصر* Iulius Caesar (100-44 ق.م) في عام 46 ق.م على مدينة لبدة الكبرى** Leptis Magna، ويعتقد أن هذه الغرامة كانت تدفع من قبل المدن الثلاث لبدة وأويا وصبراتة حيث أن المدينتين الأخيرتين كانتا تابعتين لمدينة لبدة الكبرى (عيسي، 1992، ص 45).

وابتداء من أواخر القرن الأول اخذت الإدارة المركزية للإمبراطورية الرومانية على عاتقها مهمة توجيه الفلاحة في جميع الولايات، وتحويل اقتصادها الزراعي بما يتلاءم واحتياجات الإمبراطورية في الميدان الاقتصادي (شنييتي، 2012، ص 130).

اعتبر بعض المؤرخين القرن الثاني هو فترة توسع وازدهار المساحات المزروعة بالزيتون (حارش، 1992، ص 204؛ محمد، 2015، ص 32)، وبدأت بوادر الإنتاج والازدهار الاقتصادي والحوافز المشجعة على زيادة الإنتاج والتوسع في مساحات زراعته (بورني، 2001، ص 84)، مما أدى إلى

* يوليوس قيصر، ولد عام 100 ق.م من أسرة نبيلة وقتل عام 44 ق.م، وكانت لأسرته علاقة وطيدة بالسلطة والسياسة أن ذلك، فعمته هي جوليا Jalia زوجة ماريوس، وقد تقلد عدداً من المناصب، وألف العديد من الكتب، للمزيد ينظر:-

OCD, PP . 780 – 782.

** لبدة الكبرى: هي إحدى المدن الفنية التجارية أو ما يسمى الإمبوري، وقد أسسها الفنيقيون حوالي 600 ق.م أو قبلها بقليل، وتحتوي المدينة على العديد من الآثار المعمارية مثل السوق، والمسرح وغيرها، للمزيد ينظر:-

OCD , PP. 844 – 485

انتشار زراعته وعلى نطاق واسع بتشجيع من الأباطرة الرومان خاصة زمن الإمبراطور هادريانوس* Hadrianus (117-138م) فبعد الزيارة التي قام بها إلى إفريقيا عام 128م (عيساوي ، 2010، ص 369) وذهل لمساحة الأراضي المهملة وغير المستغلة (شنيقي ، 1985 ص 81) ، ووجد عملية غرس أشجار الزيتون ضئيلة ولم تول اهتماماً كبيراً، وربما السبب راجع في ذلك إلى استغلال الأراضي التي لم تزرع فيها الحبوب كمناطق رعوية (قوراري ، 2012، ص 86) ، فعمل هادريانوس جاهد لاستغلال هذه الأراضي من خلال قانونه الذي منح بموجبه عدة امتيازات للفلاحين كتشجيع لهم ليحولوا أراضيهم إلى أراضي صالحة للزراعة ومنح زارعي الزيتون والأشجار المثمرة امتيازات خاصة (بشاري ، 2007 ، ص 65) ، كما قام الإمبراطور قسطنطين** Constantine (306 – 337 م) ، بعدة أعمال للنهوض بزراعة الأشجار ومنها : قيامه برفع الرسوم والخدمات الجمركية عن آلات الفلاحة، و اعفي العمال عن بعض الخدمات التي تجبرهم الحكومة فيها عند العجز عن أداء الضريبة ، كما أنه منع الأغنياء من استغلال الفلاحين الصغار بحجة عدم إيفائهم دفع القروض التي عليهم ، فيأخذون أراضيهم أو عبيدهم أو حيواناتهم أو آلاتهم (دغمان ، 2009، ص 85).

* هادريانوس، تولى الحكم بين عام (117 - 138م) ، وهو ابن أخت الإمبراطور تراجانوس ، كان مهتماً بأمور المستعمرات الرومانية وخاصة شمال إفريقيا لما لمسه من خيارات اقتصادية وفيرة ، للمزيد ينظر :

. 662- 663 . OCD ,PP .

** قسطنطين ، إمبراطور روماني عاش في الفترة ما بين 306-337م ، ومن أهم الأعمال التي قام بها هي اعترافه بالديانة المسيحية ، ونقل عاصمة الامبراطورية من روما إلى روما الجديدة والتي سميت بأسمه القسطنطينية ، للمزيد ينظر :-

. 378 - 380 . OCD, PP .

كانت زراعة الزيتون على العموم أكثر انتشار بحيث شملت مختلف المناطق ، ومن نتائج قوانين مانكيانا* Lex Manciana وهدريانا** Lex Hadrianus توسع زراعة الزيتون بشكل ملحوظ (محمد ، 2005، ص 70) ، فبعد أن كانت شمال إفريقيا حتى القرن الأول الميلادي أرض القمح أصبحت ابتداء من القرن الثاني تنتج الزيتون جراء التوسع الروماني نحو الجنوب وفرض استغلالها والاستفادة منها ، ومن ثم تشجيع الفلاحين وإعطائهم تسهيلات (بشاري ، 2007 ، ص) ، وكنتيجة لهذا تم اخضاع الشعوب واستغلالها ونهب خيراتها وتمتع الرومان بها وزيادة ثرواتهم على حساب الأهالي (قوراري ، 2012، ص 69) .

ادى توسع زراعة الزيتون إلى انتشار المعاصر على التراب الإفريقي (شكل2) ، ففي سببلة وحدها وجدت آثار بعدد هام من تلك المعاصر (ما بين 15 و20 معصرة) تعود إلى القرنين الثاني و الخامس وقد تم جرد 400 معصرة أما في المدن الثلاث كشفت الآثار عن 500 معصرة ، فقد دلت المعاصر و الصور الفسيفسائية بالمنطقة على طرق التصنيع (العربي ، 2003، ص 125) ، ومن الملاحظ ايضا ان المعاصر الإفريقية تتفاوت في حجمها (شكل 3) والقدرة الانتاجية لها فهي على العموم ثلاثة انواع :

*سمي هذا القانون نسبة إلى شخص لم يتوصل الباحثون إلى تحديد الصفة القانونية والمهنية التي كان يشغلها، وقد رجح رستوفتزف أن يكون مبعوثا خاصا لأحد الفلافيين، و قد يكون حاكما أو موظف للإمبراطور أو قاضيا قنصليا كلف بمهمة وضع قوانين لتنظيم عملية الاستغلال الزراعي خلال عهد الأسرة الفلافية ومن المحتمل خلال فترة حكم الإمبراطور فسباسيانوس، روستوفتزف ، 1957، ص 343 .

**قانون هديانا هو عبارة عن اصلاحات أمر بها الامبراطور هديانوس بعد أن زار بعض المناطق بأفريقيا فلم يطمئن للحالة التي وجد عليها الاراضي ، للمزيد ينظر : العربي ، 2003 ، ص ص 84 – 85 .

- 1- منشأة صناعية (Entreprise industrielles): ويتكون من 21 مصطبة عصر وكل مصطبة لها ثقالتان (شكل 4) .
- 2- معاصر حضرية (Huileries Urbaines) : وجدت في مناطق الإنتاج الوفير في كل مدن البروقنصلية و في كويكول و مادور و ويلي (العربي ، 2003، ص 124).
- 3- معاصر ريفية (Installations rurales) : ولا تكاد تخلو فيلا (Villa) من معصرة لغرض الاستهلاك العائلي والباقي يتم تسويقه (Camps ,H.F,1974,P.26) .

صناعة الزيت :-

أدى اتساع زراعة شجرة الزيتون إلى انتشار هذه الصناعة ، فقد دعمت الأبحاث الأثرية ما جاء في المصادر الأدبية عن ثراء إفريقيا بالزيت ، وكانت نوعية الزيت وجودته تتبع نوع الزيتون ودرجة نضجه وكذلك أدوات وطريقة عصره ، لأن العصرة الأولى للزيتون نصف الناضج هي التي تعطي الزيت الجيد ، ولا ريب أن الزيت الجيد للاستهلاك البشري ، أما الأقل جودة فيوجه للأغراض الصناعية و الصحية و على الخصوص الاضاءة (العربي ، 2003 ، ص 125) .

لقد اصدر العديد من الباحثين حكماً قاسياً بخصوص جودة الزيت الإفريقي حيث اعتبروه ذا نوعية رديئة لذا يستعمله الرومان في إنارة المصابيح وفي الحمامات ، والسبب حسبهم يعود إلى عدم حرص الأفارقة على صنع بطريقة جيدة واعتمادهم على وسائل بدائية في إنتاجهم له بالإضافة إلى حرصهم على وفرة المحصول أكثر من حرصهم على جودته (Camps,H.F.1953,p63) ، مستنديين على حكمهم هذا

إلى قصيدة الشاعر جوفينال* Juvenal (47-127م) الذي وصف فيها الزيت الإفريقي الذي عكف أبناء ميسيسا على إرساله إلى روما بأنه زيت جعل حمامات روما مقرقة وأنه لشدة حموضته وردائه يدفع حتى سموم ولسعات الثعابين (Juvenal ,V,86-91) ، سواء صدق هذا الشاعر أم بالغ، فإن الإنتاج تحسن مع مرور الوقت، حتى أصبح فيما بين 80 / 270 م ينافس زيوت بلاد الغال وبتيكا بإسبانيا ، ويعتقد أن هذا التطور يعود إلى تحكم المعمرين المقيمين بها في صناعتها ، لكن أحد الباحثين يرى أن روما اقتبست طريقة صناعة الزيت من إفريقية وبلاد الغال ومن غيرها من البلدان المتوسطية ، وهذا

بديهي مادامت هذه الصناعة وجدت في المنطقة قبل الاحتلال الروماني (Camps.H.F,1953,73).

بعد جني الزيتون وعصره يُوجه القسط المخصص إلى المخازن (Horrea) المخصصة له ؛ ففي البداية يوجه إلى المخازن القريبة تم إلى المخازن التي تقع عادة على الطرقات الرئيسية ثم إلى مخازن المدن الداخلية لتموين الجيش والمقاطعة ، أو باتجاه الموانئ القريبة لشحنة إلى روما عبر الناقلات البحرية (شكل 5)، وكانت الموانئ المكلفة بشحن الزيت باتجاه روما عديدة (Camps.H.F,1953,pp79-82) منها لبدة وتكلات (المسعودي ، 1988 ، ص 25)

* شاعر روماني ، تلقى تعليمه في فن البلاغة ، عاش في الفترة ما بين (47 - 127 م) للمزيد ينظر

:-

OCD, PP . 804- 805 .

ويستقبله الرومان في ميناء أوستيا* (Ostia) فعلي العموم كانت الكمية الموجهة إلى روما من الزيت الإفريقي معتبرة ، ومثلاً على ذلك تعتبر صناعة زيت الزيتون من أكثر الصناعات في إقليم المدن الثلاث ، حتى أن هدية الإقليم للإمبراطور سبتيميوس سويروس** Septimus Severus (193 – 211 م) ، كانت عبارة كميات كبيرة من زيت الزيتون كشكر له على منحه الحقوق الإيطالية ، واستمر إعطاء هذه المنحة حتى عهد قسطنطين (ورمقن ، 1994 ، ص ص 92-93) ، علماً بأن مادة الزيت أصبحت واحدة من مواد الترميم المجاني لسكان روما منذ عهده (بشاري ، 2012 ، ص 22) ، ولاشك في ذلك كان وراء تشجيع هذا الإمبراطور على غراسة الزيتون ، فقد اصدر الامبراطور سويروس قانوناً يعني غارس الزيتون من الضرائب لمدة عشر سنوات (رمضان ، 1990 ، ص 138) ، ويعتبر زيت الزيتون من أهم صادرات المدن الثلاث خلال العهد السويري ، ويتضح ذلك من خلال مجموعة الجرار(الأمفورات) الخاصة بحمل زيت الزيتون ، التي تنتمي إلى المدن الثلاث في

*أوستيا ، هي ميناء قديم أقيم عند مصب نهر التيبر ، وكانت تبعد عن روما بستة عشر ميلاً ، وقد كانت لها أهمية كبرى بالنسبة إلى مدينة روما ، نظراً لكونها المنفذ الخاص بها ، أثناء الحروب البونية الثانية (218-202 ق م) أصبحت أوستيا قاعدة بحرية هامة ، وسرعان ما خرجت من نطاق أسوارها ، وتحولت إلى مركز تجاري مزدهر واسع النشاط ؛ وفي عهد الامبرور كلاوديوس ، بنى ميناءً جديداً تماماً على بعد ثلاثة أميال شمال الميناء القديم ، وأقيم رصيفان و منارة وتم عمل قناة تربط بينه و بين نهر التيبر ، وللمزيد من الحماية ، اضاف تراجانوس حوض داخلي سداسي الشكل ، وتوسعت المدينة توسعاً كبيراً في عهد هديانوس ، للمزيد ينظر :

OCD,pp.1080-1081

**سبتيميوس سويروس ، ولد في مدينة لبة الكبرى عام 146م ، واثم فيها مراحل تعليمه الأولى قبل انتقاله لروما عام 160م ، وهناك تلقى تعليمه في مجال القانون ، ومن ثم تدرج في سلم الوظائف الحكومية ، للمزيد ينظر :

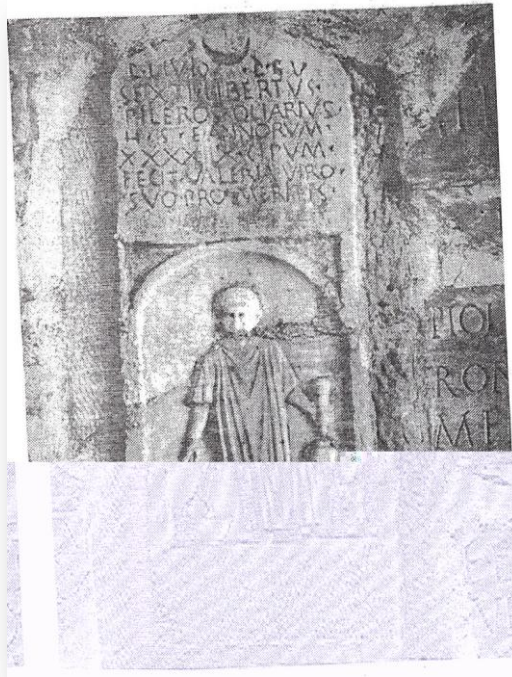
Birley,A,R.,2002,pp.23-36

روما ، وكذلك في ميناء أوسيتا في جنوب إيطاليا حيث ينتمي معظمها إلى الربع الأول من القرن الثالث الميلادي ، وقد تم التعرف على اثنين وستين نوعاً من أختام هذه الامفورات يرجع أغلبها إلى الربع الأول من القرن الثالث الميلادي ، وما يدل على كثرة الزيت الذي تصدره مناطق الإقليم كبر وسعة الامفورات التي كان يحمل فيها الزيت ، والتي تسع حوالي 50 لتراً ، وبعضها تجاور هذه السعة حتى وصلت إلى 52.50 لتراً (بن حسين ، 2009، ص 155) .

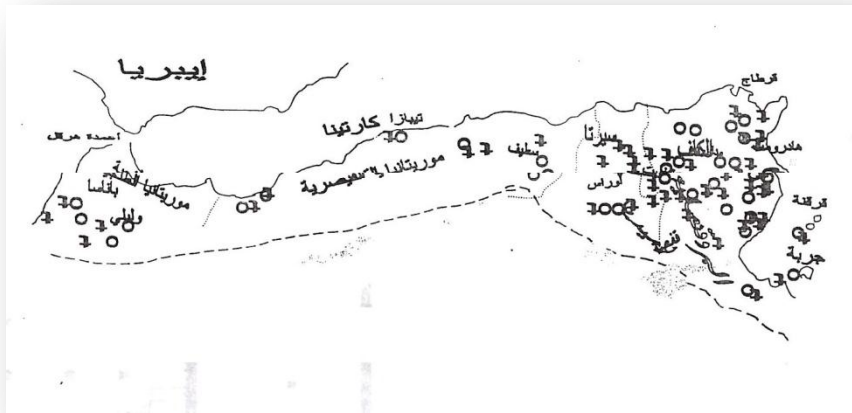
إن تحسين نوعية الزيت الإفريقية وتضاعف إنتاجها مرات عديدة سمحت بروج تجارتها حتى قيل أن إفريقيا وحدها ، كانت تزود كل الشعوب بما ذلك روما التي كانت حاجتها في تزايد مستمر (شارن ، 2011، ص ص 112-113 ؛ بشاري ، 2007 ، ص 171) ، حتى أنها خصصت لها أسطولا لتأمين استيرادها وبلغ إنتاجها في أواخر عهد الإمبراطورية أقصاه ، حتى أن مصابيحها كانت تبقي مشتعلة طوال الليل خلافا لروما التي كانت تبيت في الظلام الدامس ، ويتضح ذلك من شهادة القديس أوغسطين* st . Augustine . بين سنتي 386 / 387 م حيث أشار أنه لم يتمكن من الكتابة والمطالعة ليلا خلال زيارته مدينة ميلانو ، حيث أن الإيطاليين بما فيهم الأغنياء لا يشغلون الأضواء في الليل لقلّة الزيت ، خلافا لما كان عليه الوضع في هيبوا حيث وفرة الزيت ، والملاحظ أن تقشف الإيطاليين في استعمال الزيت يعود إلى نقصه وغلائه ، (شارن ، ص 114) .

* القديس أوغسطين ، كاتب لاتيني ولد في مدينة تافست ، من أب وثني وأم مسيحية ، اشتغل بالتعليم وتدرّس البلاغة حيث انتقل في عام 382 م من قرطاج إلى روما ومنها إلى ميلان، للمزيد ينظر : -

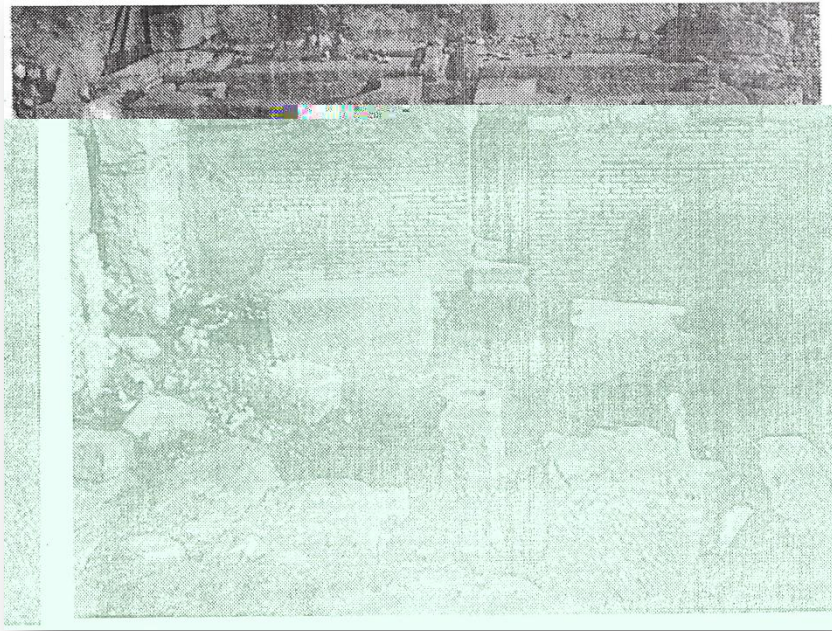
لم تكن الفترة الرومانية فقط هي الفترة الوحيدة التي ازدهرت زراعة هذه الشجرة بل استمر ذلك إلى ما بعد هذه الفترة بقرون ، ومن الواضح أن الازدهار الذي عرفته إفريقيا خلال فترة الفتوحات الإسلامية كما وصف لنا ابن عبد الحكم (ابن عبد الحكم ، 2001 ، ص 248) ، قد كان استمرار للقرون التي قبلها خصوصا إذا علمنا أن شجرة الزيتون من الأشجار التي تعمر أكثر من 500 سنة .



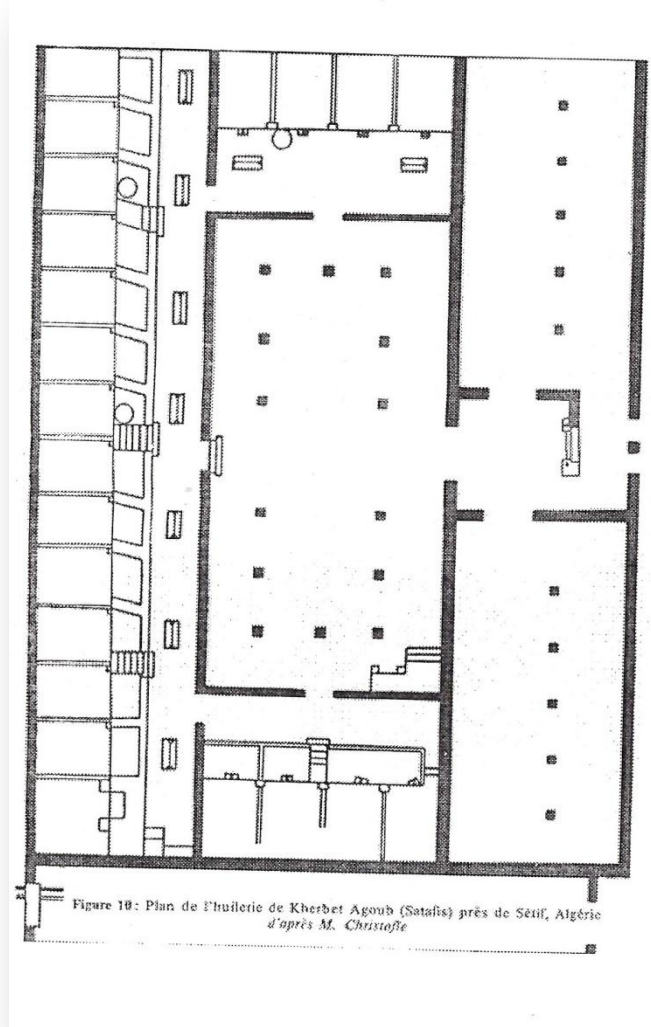
(1) تقدم الزيت قربانا للإله ساتورن ، العربي ، 2003، ص 128



شكل (2) خريطة توضح معاصر الزيت في أفريقيا القديمة - العربي ، 2003، ص 105 .

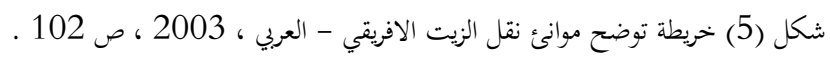


شكل (3) معصرة زيت من الفترة الرومانية - Camps, H.F., 1974, p.27



شكل (4) مخطط مبني ورشة صناعة الزيت

العربي ، 2003 ، ص 122 .



قائمة المصادر والمراجع

أولا : - المصادر

- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر ، ج1، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2001.
- Aristoles , History of Animals , Trans by Cresswell , R . , London , 1883 .
- Caesar , African War , Trans by way , A . G , L . C . L , London , 1955 .
- Columella , ON Agriculture , trans by Asl , H. B , L . C . L , London , 1960 .
- Diodoru , Siculus , Trans by oldfather , C. H , L . C . L , London , 1953 .
- Herodotus, tray by Godley .A.D., L.C.L.London, 1975.
- Juvenal , Satire , Trans by Ramsay , G , L . C . L , London , 1928 .
- Ramsay , G.L.L.C.L, London, 1928.
- Livy, Trans by moore, F.G, London, 1967.
- Pliny , Natural History , trans by Rhckham, H . R . L . C . L , London , 1960.
- Plutarch , Trans by Perrir , B . , L . C . L , London , 1967 .
- Polybins, The Histories , Trans. by paton, W.R, L.C.L, London, 1991.
- Sexti Aurelius Victor , RÖmischen Kaiser (Liber de Cassaribus); Überestzt fuhrmann , M , Germany , 1997 .
- Theophrastus , Enquir Into Plants , trans by Hort , A., L . C . L , Londn, 1950.

ثانيا : - المراجع العربية

- 1- انديشة، أحمد محمد ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث في ليبيا ، دار ومكتبة الشعب للنشر والتوزيع ، مصراته ، 2004 .
- 2- حارش ، محمد الهادي ، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1992 .
- 3- رستوفتريف ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعية والاقتصادي ، ج1 ، ترجمة ومراجعة زكي علي سليم سالم مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1957 .
- 4- شينتي ، محمد البشير ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 .

- أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث ودراسات) ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2003 .
-، نويميدا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال ، الجزائر 2012 .
- العربي ، عقون محمد ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003.
- محمد ، بن عبد المؤمن ، مدينة بورتوس ماغنوس بطيوة دراسة في تاريخها القديم ، منشورات المخبر للبحث التاريخي ، جامعة وهران ، 2005.
- المحجوبي ، عمار ، أفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويدي 146 ق.م - 235م ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 2001 .
- ورمقن ، ب . هـ ، تاريخ ولايات شمال أفريقيا الرومانية من دقلديانوس إلى الاحتلال الوندالي ، ترجمة عبد الحفيظ الميار ، طرابلس، 1994 .

ثالثا : - المراجع الأجنبية

- Birley , A . R . , septmius Severus The Afircan Emperor , London , 2002.
- Camps , H . f . , Lolivier et L Huile dans ^L Afrque Romaine , Alger , 1953.
- Foxhall , L . , Olive Cultivatn in Ancient Greece : Seeking the Economy , Oxford , 2007 .
- Goldsworthy,A.,The Fall Of Carthage The Punic wars 265 – 146 Bc , Landon , 2003 .
- Mattingly , D . , Tripolitania , London , 2005 .
- The Oxford Classical Dictionary , Oxford , 1996 .

رابعا : - المقالات

- بشاري ، محمد الحبيب ، " التوسعات الرومانية و انعكاساتها على الزراعة المغاربية " ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 14 ، جامعة الجزائر ، 2012.

- ، " سياسة روما الزراعية القديمة (نوميديا وموريتانيا القيصرية) " ، المدينة و الريف في الجزائر القديمة ، أعمال الملتقي الوطني الأول المنعقد يومي 6-7 نوفمبر ، جامعة معسكر ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2013 .
- عبد ربه ، مفتاح عثمان ، " زراعة الزيتون في قورينائية في العصر الكلاسيكي " ، مجلة الاتحاد العام للآثار بين العرب ، العدد 2 ، القاهرة ، 2005 .
- عيسى ، محمد علي ، " تبليط شوارع لبدة وثورة تاكقارنياس " ، مجلة آثار العرب ، العدد 5 ، طرابلس ، 1992 .
- العربي ، عقون محمد ، " موسوعة الفلاحة الأفريقية الهوية والأهمية " ، المدينة والريف في الجزائر ، أعمال الملتقي الوطني الأول المنعقد يومي 6-7 نوفمبر ، جامعة معسكر ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2013 .
- Camps , H . f , Oliveie et Son importance economique dans L' Afrique antque, paris, 1974

خامسا :- الرسائل العلمية

- بشارى ، محمد الحبيب ، دور المقاطعات الافريقية في اقتصاد روما ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 2007.
- بن حسين ، محمود فرج سالم ، أباطرة الأسرة السورية وعلاقتهم بمنطقة المدن الثلاث (لبدة الكبرى - ويات - صبراتة 193-235م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة طرابلس ، طرابلس ، 2009.
- بورنى ، دليلة ، تطور النظام الضريبي الروماني في شمال افريقيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 2001.
- محمد الهادي ، حارش ، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء مسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203-46ق.م ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، 1985 .
- رمضان ، نسعديت ، الإصلاحات السفيرية في بلاد المغرب القديم 195 - 235م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 1990.
- دغمان ، نادية جمعة ، النشاط الاستيطاني الزراعي الروماني في ولايات شمال إفريقيا للفترة (133ق.م- 337م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة طرابلس ، طرابلس ، 2009 .

- شارن، شافية، النشاط التجاري في نوميديا وموريتانيا أثناء الاحتلال الروماني (العهد الأول)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر ، 2001 .
- عيساوي ، مها ، المجتمع اللوبي في المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2010 .
- مباركة ، قوراري ، السلم الروماني في المقاطعات الأفريقية في عهد الأباطرة الأوائل للأسرة الانتونية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر2 ، الجزائر ، 2012 .
- محمد ، قاسم ، الوضعية الاجتماعية و الديمغرافية لغرب موريطانيا القيصرية من 42م إلى سنة 284م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة وهران ، 2015.
- المسعودي ، أسيا ، التبادل التجاري بين إيطاليا والمغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأول (القرن الأول - القرن الثالث) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 1990 .

مسميات علم العقيدة حتى بداية القرن الخامس الهجري

د. إبراهيم عبد الله سلطان

أستاذ مشارك، كلية علوم الشريعة جامعة المرقب

المقدمة :

للعقيدة الإسلامية أسماء عند أهل السنة، تُرادفها، وتُدلُّ عليها، منها: الفقه الأكبر، والسُّنَّة، والإيمان والشريعة، والتوحيد، وأصول الدِّين، وتعد تسمية العلم الذي يتناول المسائل العقيدية باسم: علم العقيدة تسمية متأخرة نسبياً، اشتهرت مع بداية القرن الخامس الهجري، ذلك أن من الكتب التي وصلتنا مسماة بالعقيدة:

1- كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لِلْكَائِي (ت 418هـ).

2- كتاب الاعتقاد للبيهقي (ت 458هـ).

3- كتاب الاعتقاد لابن أبي يَعْلَى (ت: 526هـ).

غير أن هناك من يطلق على علم العقيدة تسميات أخرى منها: علم الكلام، والفلسفة الإسلامية، وهي تسميات يرى بعض المختصين أنها غير شرعية، ولهذا فإن مشكلة البحث تتناول مسألة تسمية العقيدة بأسماء شرعية، وأسماء غير شرعية، ويمكن صياغة إشكالية البحث من خلال الأسئلة الآتية:

1- ما الأسماء الشرعية للعقيدة الإسلامية؟

2- ما الأسماء غير الشرعية التي تطلق على العقيدة الإسلامية؟

3- كيف يمكن معالجة المشكل في إطار علمي إقناعي؟

أهداف البحث

يهدف البحث طبقاً لإشكاليته إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- بيان الأسماء الشرعية للعقيدة الإسلامية.

2- بيان الأسماء غير الشرعية التي تطلق على العقيدة الإسلامية.

3- بيان كيفية معالجة المشكل في إطار علمي إقناعي.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في معالجة إشكالية تتعلق بأسماء المعتقد، وبيان الشرعي منها وغير الشرعي وفق الكتاب والسنة، ورأي صالح سلف الأمة، وضرورة استعمال المفاهيم الصحيحة، ومعالجة

الخلافات بين المسلمين أنفسهم، في إطار إقناعي، بالنظر إلى ما وصلت إليه الاتجاهات الإسلامية من تشردم، حتى صاروا يكفرون بعضهم بعضاً، أو يفسقونهم ويدعونهم، تاركين لغيرهم حرية العمل في كثير من بقاع العالم الإسلامي.

منهج البحث

تم استخدام المنهج الاستقرائي، من خلال دراسة تسميات العقيدة بغية الكشف عن الشرعي وغير الشرعي منها عبر التاريخ، كما استخدم منهج التحليلي، وهو البحث عن المعلومات الموجودة الدقيقة داخل التسمية والتفسير الدقيق للمفاهيم التي يحتويها الاسم، والتعبير عنها بوضوح وموضوعية وشمولية ودقة.

هيكلية البحث

يتكون البحث بعد المقدمة من مبحثين، وخاتمة.

فالمقدمة: تتضمن إشكالية البحث، وأهدافه، وأهميته، ومنهج الدراسة، وهيكلية البحث.

المبحث الأول: يتناول الأسماء الشرعية للعقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني: يتناول الأسماء غير الشرعية لها.

الخاتمة: تتناول نتائج البحث.

المبحث الأول: الأسماء الشرعية للعقيدة الإسلامية

الكتب التي تتكلم على علم العقيدة قبل بداية القرن الخامس الهجري تسمي العقيدة بمسميات

متعددة منها:

أولاً- الفقه الأكبر:

من تسميات العقيدة الإسلامية: الفقه الأكبر؛ وسمي أكبر؛ لكونه يتناول القواعد التي ينطلق منها الدين؛ ولتعلقه بأعظم معلوم، وهو الباري -جل ذكره- والفقه الأكبر يقابله الفقه الأصغر، وهو فقه الأحكام العملية؛ فالفقه الأكبر يتعلق بالاعتقاد، والتوحيد، الذي لا مجال فيه للاجتهاد، أما الفقه الأصغر؛ أي: فقه الفروع فيتعلق بالشرائع والأحكام من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج... التي يمكن فيها الاجتهاد، وأول من استعمل هذا الاسم الإمام أبو حنيفة النعمان (ت 150هـ) (الغرياني، 2010، 10) فقد شاع وانتشر أن للإمام أبي حنيفة كتاباً في العقيدة سماه: الفقه الأكبر، وقد نسب إليه بعض الأجلاء من العلماء منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ) في كتابه: درء تعارض العقل والنقل؛ حيث يقول: «وقال أبو حنيفة في كتاب الفقه الأكبر -المعروف المشهور عند أصحابه- الذي روه

بالإسناد عن أبي مطيع، الحكم بن عبد الله البلخي؛ قال، قال: أبو حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء، أم في الأرض؟ فقال: قد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]. وعرشه فوق سبع سموات، قال أبو مطيع: قلت فإن قال: إنه على العرش ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء، أم في الأرض؟ قال هو كافر؛ لأنه أنكر أن يكون في السماء؛ لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يُدعى من أعلى، لا من أسفل، وفي لفظ قال: سألت أبا حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء، أو في الأرض؟ قال: قد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]. وعرشه فوق سبع سموات، قال فإنه يقول: على العرش استوى، ولكنه لا يدري العرش في الأرض أم في السماء؟ قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر». (ابن تيمية، 1997، 263/6)

فابن تيمية يذكر في هذا النص أن كتاب: الفقه الأكبر معروف مشهور عند أصحاب أبي حنيفة وأنهم رَووه بالإسناد عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي (ت 199هـ). ويقول بدر الدين بن جماعة (ت 733هـ): «بعد أن كتب التابعي الجليل الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - الفقه الأكبر - الذي لا يزيد على ست صفحات من أصول مسائل الاعتقاد - رأينا بعد ذلك من توسع فيه - تبعاً للحاجة - فشرح الموجود وأضاف ما يراه من البحوث والموضوعات التي لها علاقة بعلم التوحيد» (ابن جماعة، 1990، 8/1).

كما نسب كتاب الفقه الأكبر إلى الإمام أبي حنيفة ابن القيم (ت 751هـ) حيث يقول: «وقال أبو حنيفة - رحمه الله -: الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم، ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه - سبحانه - خير من أن يجمع العلم الكثير. قال أبو مطيع قلت: فأخبرني عن أفضل الفقه، قال: يتعلم الرجل الإيمان، والشرائع والسنن، والحدود، واختلاف الأئمة، وذكر مسائل في الإيمان، ثم ذكر مسائل في القدر» (ابن القيم، 1408، 2/5).

كما نسب إليه أيضاً ابن أبي العز الحنفي (ت 792هـ) في شرح العقيدة الطحاوية؛ حيث يقول: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ عِلْمُ أَصُولِ الدِّينِ أَشْرَفَ الْعُلُومِ؛ إِذْ شَرَفُ الْعِلْمِ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ، وَهُوَ الْفَقْهُ الْأَكْبَرُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى فَقْهِ الْفُرُوعِ، وَلِهَذَا سَمَّى الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ - رحمه الله تعالى - مَا قَالَهُ، وَجَمَعَهُ فِي أَوْرَاقٍ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ "الْفَقْهُ الْأَكْبَرُ" وَحَاجَةُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ، وَضُرُورَتُهُمْ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَا حَيَاةَ لِلْقُلُوبِ، وَلَا نَعِيمَ، وَلَا طُمَأْنِينَةَ، إِلَّا بِأَنْ تَعْرِفَ رَبَّهَا، وَمَعْبُودَهَا، وَقَاطِرَهَا بِأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَيَكُونَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِمَّا سِوَاهُ، وَيَكُونُ سَعْيُهَا فِيمَا يُقَرِّبُهَا إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ. وَمَنْ الْمُحَالِ أَنْ تَسْتَقِلَّ الْعُقُولُ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَإِدْرَاكِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ؛ فَافْتَضَتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ أَنْ بَعَثَ

الرُّسُلَ بِهِ مُعَرِّفِينَ، وَإِلَيْهِ دَاعِينَ وَلِمَنْ أَجَابَهُمْ مُبَشِّرِينَ، وَلِمَنْ خَالَفَهُمْ مُنْذِرِينَ، وَجَعَلَ مِفْتَاحَ دَعْوَتِهِمْ، وَزُيْنَةَ رِسَالَتِهِمْ، مَعْرِفَةَ الْمُعْبُودِ -سُبْحَانَهُ- بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ؛ إِذْ عَلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ تُبْنَى مَطَالِبُ الرِّسَالَةِ كُلُّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا» (ابن أبي العز، 2013، 123-124) ويقول أيضا مشيرا إلى أخذ الإمام أبي جعفر الطحاوي عقيدته عن السلف، وعن أبي حنيفة وصاحبيه: « فأخبر -رحمه الله- عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ، وَنَقَلَ عَنِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ التُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتِ الْكُوفِيِّ، وَصَاحِبِيهِ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَمِيرِيِّ الْأَنْصَارِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- مَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، وَيَدَّيْنُونَ بِهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ» (ابن أبي العز، 2013، 130).

وقال مثبتا كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة: «فَمِنْ كَلَامِ أَبِي حَنِيفَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي الْفَقْهِ الْأَكْبَرِ: لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يَشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ. ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: وَصِفَاتُهُ كُلُّهَا خِلَافُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ يَعْلَمُ لَا كَعِلْمِنَا، وَيَقْدِرُ لَا كَقُدْرَتِنَا، وَيَرَى لَا كَرُؤُوتِنَا. انْتَهَى» (ابن أبي العز، 2013، 194).

غير أنه رغم نسبة علماء أجلاء كبار مثل ابن تيمية، وبدر الدين بن جماعة، وابن القيم، وابن أبي العز لكتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة فإن هناك من يدَّعون أن نسبة الكتاب إليه لا تصح من حيث إسناد، الأمر الذي يفرض علينا تحرير المسألة وبيان نسبة الكتاب إليه من عدمها. وفي هذا السياق يمكن الاستفادة من بحث ممتاز للشيخ محمد الخميس في كتابه: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة كتاب الفقه الأكبر المنسوب إليه، فذكر أن من المؤلفات التي تنسب إلى أبي حنيفة:

1- الفقه الأكبر برواية حماد بن أبي حنيفة (ت 176هـ).

2- الفقه الأكبر برواية أبي مطيع البلخي (ت 199هـ)، ويسمى بالفقه الأيسر (محمد الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، 115/1).

ثم تناول كتاب الفقه الأكبر برواية حماد بن أبي حنيفة فقال: «وهي رسالة تشتمل على أصول الدين كمسائل الصفات، والإيمان، والقدر، والنبوة، والمعاد، بعبارة سهلة وجيزة، من غير أدلة تفصيلية إلا في موضعين:

الأول: في صفة الكلام؛ حيث استدلل بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء،

الآية: 164].

والثاني: في بيان أن صفاته ليست مثل صفات المخلوقين؛ فاستدل بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، الآية: 11] (محمد الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، 115/1).

ثم بين الشيخ محمد الخميس أن هذه الرسالة نالت شهرة واسعة، فتصدى لشرحها غير واحد من أهل العلم، حتى بلغ عدد شروحاتها خمسة عشر شرحاً (حاجي خليفة، كشف الظنون، 1287/2، بروكلمان، 1995، 237/3، فؤاد سركين، 1977، 31/2) لا زال كثير منها مخطوطاً، ما عدا شرحي علي القاري، والمغنيساوي؛ فهما مطبوعان (محمد الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، 115/1) ثم تحدث محمد الخميس عن ذكر هذا المؤلف من المصنفين، فذكر منهم:

- 1- ابن النديم في الفهرست (ابن النديم، الفهرست، 256).
- 2- البغدادي في الفرق بين الفرق (البغدادي، الفرق بين الفرق، 220) وأصول الدين. (البغدادي، 1400هـ، 308).

3- أبو المظفر الإسفرائيني في كتاب التبصير في الدين (الإسفرائيني، 1950، 113-114).

4- أبو اليسر محمد البرذوي في كتاب أصول الدين (البرذوي، 1388هـ، 7/1-8).

5- علاء الدين البخاري في كشف الأسرار شرح أصول البرذوي.

6- ابن تيمية في مجموع الفتاوى (ابن تيمية، 2005، 46/5).

7- ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ابن القيم، 1408هـ، 2/5).

8- الذهبي في المشتبه (الذهبي، المشتبه، 137/1).

9- ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية (ابن أبي العز، 2013، 194).

10- إسماعيل البغدادي في هدية العارفين (إسماعيل البغدادي، 1955، 495/2).

11- حاجي خليفة في كشف الظنون (حاجي خليفة، كشف الظنون، 1287).

12- محمود شكري الألوسي في غاية الأمان (شكري الألوسي، غاية الأمان، 448).

ثم ذكر لنا محمد الخميس معلومة مهمة تؤكد نسبة هذه الرسالة إلى أبي حنيفة، فقال: «وقفتُ على إسناده هذا المؤلف في نسخة خطية محفوظة ضمن المجموعة رقم (234) بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة، وهي من رواية نصر بن يحيى، عن ابن مقاتل، عن عصام بن يوسف، عن حماد بن أبي حنيفة، عن أبيه» (محمد الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، 115/1).

ثم عرف برواة هذه الرسالة بطريقة ممتازة لا يتسع المقام لذكرها (محمد الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة 116/1-118):

ومن جهة أخرى بيّن الشيخ محمد الخميس أن ممن تكلم في نسبة الكتب المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة من الكتاب المعاصرين الألماني كارل بروكلمان (بروكلمان، 1995، 237/3) فقد نفى نسبة هذه الكتب كلها إلى أبي حنيفة وتبعه على ذلك تلميذه فؤاد سركين (فؤاد سركين، 1977، 31/2-32) التركي الأصل؛ حيث يرى أن هذه الكتب من عمل تلامذة أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- سوى رسالته إلى عثمان البتي، فإنها من عمل يده، أما أرندجان ونسك (محمد بن أيوب، عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي، 116، 123) فقد نفى صحة كتاب الفقه الأكبر، وصحح نسبة الفقه الأبسط إليه، وتابعه الشيخ محمد أبو زهرة (أبو زهرة، أبو حنيفة وآراؤه الكلامية، 186، 187) في التشكيك في نسبة الفقه الأكبر إلى الإمام أبي حنيفة، أما أحمد أمين (أحمد أمين، ضحى الإسلام، 198/2) فيرى أن الفقه الأكبر الذي بين أيدينا أساسه صحيح النسبة إلى أبي حنيفة، وأنه زيد عليه، وهذا ما يراه الباحث ويرجحه.

ثانياً- السنة:

تعتبر السنة المصدر الثاني من مصادر التشريع. وتطلق في الشرع، ويراد بها المعنى العام؛ فتعم النبي ﷺ وأصحابه في القول والعمل والاعتقاد. ومن ذلك قول النبي ﷺ: «من رغب عن سنتي فليس مني» وقوله: فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي» (البخاري، 1987، 5063، ومسلم، صحيحه، 1401) يقول أبو الحسن الكرجي: «فَاعْلَمْ أَنَّ السُّنَّةَ طَرِيقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالتَّسَنُّنُ بِسُلُوكِهَا وَإِصَابَتُهَا، وَهِيَ أَقْسَامٌ ثَلَاثَةٌ: أَقْوَالٌ، وَأَعْمَالٌ، وَعَقَائِدٌ، نقله ابن تيمية في الفتاوى» (ابن تيمية، 2005، 180/4).

يقول ابن تيمية: «السُّنَّةُ هِيَ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ اعْتِقَادًا، وَافْتِصَادًا، وَقَوْلًا وَعَمَلًا» (ابن تيمية، 2005، 111/5) ويقول أيضا: «وَلَقَدْ " السُّنَّةُ " فِي كَلَامِ السَّلَفِ يَتَنَاوَلُ السُّنَّةَ فِي الْعِبَادَاتِ، وَفِي الْإِعْتِقَادَاتِ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرٌ مِمَّنْ صَنَّفَ فِي السُّنَّةِ يَفْصِدُونَ الْكَلَامَ فِي الْإِعْتِقَادَاتِ، وَهَذَا كَقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-: «افْتِصَادٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ اجْتِهَادٍ فِي بَدْعَةٍ» (اللالكائي، 1402، 88/1، ابن تيمية، 2005، 111/5).

وقال ابن رجب الحنبلي: «والسنة: هي الطريقة المسلوكة؛ فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الرّاشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله» (ابن تيمية، 2005، 111/5).

ولهذا سميت بعض كتب العقيدة باسم السنة؛ لأنها جمعت الأحاديث والسنن الواردة في الاعتقاد

ومن أوائل الذين ألفوا في هذا المجال ونسبت إليهم كتب بهذا المسمى:

- 1- الإمام أبو بكر الحميمي (ت 219هـ) صاحب كتاب: أصول السنة.
- 2- ابن أبي شيبة (ت 235هـ) صاحب كتابي: المسند والمصنف.
- 3- الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ) صاحب كتاب: السنة.
- 4- إسماعيل بن يحيى المزني (ت 264هـ) صاحب كتاب: شرح السنة.
- 5- أبو داود (ت 275هـ) صاحب: السنن.
- 6- حرب الكرماني بالفتح والكسر (ت 280هـ) صاحب كتاب: السنة والجماعة.
- 7- ابن أبي عاصم (ت 287هـ) صاحب كتاب: السنة.
- 8- عبد الله بن حنبل (ت 290م) صاحب كتاب: السنة.
- 9- محمد بن نصر المروزي (ت 294هـ) صاحب كتاب: السنة.
- 10- الإمام أبو بكر الخلال (ت 311هـ) صاحب كتاب: السنة.
- 11- الإمام البرهاري (ت 329هـ) صاحب كتاب: شرح السنة.
- 12- الطبراني (ت 360هـ) صاحب كتاب: السنة.
- 13- محمد ابن أبي زمنين المالكي (ت 399هـ) صاحب كتاب: أصول السنة.

ومن هذا الباب يقول سفيان بن عيينة: «السنة عشرة؛ فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنة: إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراف، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، وعذاب القبر، والبعث يوم القيامة، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم». (اللاكثي، 1402هـ، 155/1).

يقول الإمام الشافعي: «القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها -أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم- مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء» (ابن القيم، 1408هـ، 31/5).

ويقول الإمام أبو بكر الحُمَيْدِي: «السُّنَّة:

1- أن يؤمن الرجل بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ذلك كله قضاء من الله عز وجل.

2- وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل وقول إلا بنية، ولا قول وعمل بنية إلا بسنة.

3- والترحم على أصحاب محمد كلهم، فإن الله -عز وجل- قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر 10].

فلم يؤمر إلا بالاستغفار لهم؛ فمن يسبهم أو ينقصهم أو أحداً منهم، فليس على السُّنَّة، وليس له في الفيء حق، أخبرنا بذلك غير واحد عن مالك بن أنس أنه قال: "قسم الله تعالى الفيء فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الحشر: 8] قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾ [الحشر 10] الآية، فمن لم يقل هذا لهم فليس ممن له الفيء.

4- والقرآن: كلام الله، سمعت سفيان يقول لي: القرآن كلام الله، ومن قال (مخلوق) فهو مبتدع لم نسمع أحداً يقول هذا. وسمعت سفيان يقول: الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص. فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد، لا تقل: ينقص. فغضب، وقال: "اسكت يا صبي، بل حتى لا يبقى منه شيء.

5- والإقرار بالرؤية بعد الموت.

6- وما نطق به القرآن والحديث، مثل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة 64] ومثل: ﴿السَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: 67]، وما أشبه هذا من القرآن والحديث لا نزيد فيه ولا نفسره. نقف على ما وقف عليه القرآن والسُّنَّة. ونقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] ومن زعم غير هذا فهو مُعْطَلٌ جَهْمِيٌّ.

7- وأن لا نقول كما قالت الخوارج: «من أصاب كبيرة فقد كفر». ولا تكفير بشيء من الذنوب إنما الكفر في ترك الخمس، التي قال رسول الله: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت» (البخاري، 1987، 11/1 ومسلم، صحيحه، 45/1).

فأما ثلاث منها فلا يناظر تاركها: من لم يتشهد، ولم يصل، ولم يصم؛ لأنه لا يؤخر من هذا شيء عن وقته، ولا يجزئ من قضاؤه بعد تفريطه فيه عامداً عن وقته.

فأما الزكاة، فمتى ما أداها أجزأت عنه، وكان آثماً في الحبس.

وأما الحج، فمن وجب عليه، ووجد السبيل إليه، وجب عليه، ولا يجب عليه في عامه ذلك حتى لا يكون له منه بد، متى أداها كان مؤدياً، ولم يكن آثماً في تأخره إذا أداها، كما كان آثماً في الزكاة؛ لأن الزكاة حقٌ لمسلمين مساكين، حبسه عليهم، فكان آثماً حتى وصل إليهم. وأما الحج فكان فيما بينه وبين ربه، إذا أداها فقد أدى، وإن هو مات، وهو واحد مستطيع، ولم يحج، سأل الرجعة إلى الدنيا أن يحج، ويجب لأهله أن يحجوا عنه، ويرجو أن يكون ذلك مؤدياً عنه، كما لو كان عليه دين فقضي عنه بعد موته» (الحميدي، أصول السنة، 1-4).

ولهذا كثرت مصنفات أئمة أهل السنة الموسومة: بـ "السنة" كما كان من الإمام أحمد، وحرب الكرماني، وابن أبي عاصم، وعبد الله بن حنبل، ومحمد بن نصر المروزي، والإمام الخلال... إلخ. ومنها ما سمي بأصول السنة، كما كان من الإمام الحميدي، والإمام ابن أبي زمنين المالكي وغيرهما. ومنهم من سماها بشرح السنة، كما كان من الإمام المزني، والإمام البرهاري وغيرهما، يقول ابن تيمية: «السُّنَّةُ هِيَ مَا قَامَ الدَّلِيلُ الشَّرْعِيُّ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، سَوَاءً فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ فَعَلَ عَلَى زَمَانِهِ أَوْ لَمْ يَفْعَلْهُ، وَلَمْ يَفْعَلْ عَلَى زَمَانِهِ؛ لِعَدَمِ الْمُفْتَضِي حِينَئِذٍ لِفَعْلِهِ، أَوْ وُجُودِ الْمَانِعِ مِنْهُ» (ابن تيمية، 1997، 317/21، وابن تيمية، 1406هـ، 457/3-458).

ثالثاً- الإيمان:

الإيمان لغة الإقرار والتصديق المصاحب للإذعان. وفي اعتقاد أهل السنة والجماعة اعتقاد بالجنان وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان. يقول ابن تيمية: «وَالْمَأْثُورُ عَنْ الصَّحَابَةِ وَأُئِمَّةِ التَّابِعِينَ وَجُمْهُورِ السَّلَفِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَهُوَ الْمُنْسُوبُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَأَنَّهُ يَكُونُ الْإِسْتِثْنَاءُ فِيهِ، كَمَا قَالَ عُمَيْرُ بْنُ حَبِيبٍ الْخَطَمِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ: الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ فَقِيلَ لَهُ: وَمَا زِيَادَتُهُ وَنَقْصَانُهُ؟ فَقَالَ: إِذَا ذَكَرْنَا اللَّهَ وَحَمَدْنَاهُ وَسَبَّحْنَاهُ فَيَلِكْ زِيَادَتُهُ. وَإِذَا غَفَلْنَا وَنَسِينَا وَضَيَعْنَا فَذَلِكْ نَقْصَانُهُ» (ابن تيمية، 1997، 505/7).

ويطلق اسم الإيمان على العقيدة؛ باعتبار أن أصوله السنة التي عليها تقوم العقيدة، ومن مصنفات أئمة السنة في هذا المجال:

- 1- كتاب الإيمان ومعامله وسننه واستكمال درجاته لأبي عبيد القاسم ابن سلام (ت 224هـ).

- 2- كتاب الإيمان لابن أبي شيبة (ت 235هـ).
- 3- كتاب الإيمان لمحمد بن يحيى العدني (ت 243هـ).
- 4- كتاب الإيمان لابن مندة (ت 395هـ).
- 5- كتاب الإيمان لأبي يعلى (ت 458هـ) (الغرياني، 2010، 10).

رابعاً- الشريعة:

يرى ابن الأثير أن العقيدة تعني الشريعة؛ فهو يقول: «وهو ما شرع الله لعباده من الدين» (ابن الأثير، 1979، 460/2).

ويقول ابن تيمية: «فَالسُّنَّةُ كَالشَّرِيعَةِ هِيَ: مَا سَنَّهَ الرَّسُولُ، وَمَا شَرَعَهُ؛ فَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا سَنَّهَ وَشَرَعَهُ مِنَ الْعُقَايِدِ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا سَنَّهَ وَشَرَعَهُ مِنَ الْعَمَلِ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ كِلَاهُمَا؛ فَلَقِطُ السُّنَّةِ يَفْعُ عَلَى مَعَانٍ كَلَفِطُ الشَّرْعَةِ وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿شَرَعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48] سُنَّةً وَسَبِيلًا. فَفَسَّرُوا الشَّرْعَةَ بِالسُّنَّةِ وَالْمِنْهَاجِ بِالسَّبِيلِ. وَاسْمُ السُّنَّةِ وَالشَّرْعَةِ قَدْ يَكُونُ فِي الْعُقَايِدِ وَالْأَقْوَالِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي الْمَقَاصِدِ وَالْأَفْعَالِ» (ابن تيمية، 1997، 307/19-308) وقد صنف فيها:

- 1- الإمام أبو بكر الآجري (360هـ) كتابه: الشريعة.
- 2- الإمام ابن بطة العكبري (387هـ) كتابه: الإبانة عن شريعة الفرق الناجية.

خامساً: التوحيد:

التوحيد لغة: جعل الشيء واحداً، قال في القاموس: التوحيد إيمان بالله وحده؛ أي: التصديق بما جاء به النبي ﷺ من الخبر الدال على أن الله -تعالى- واحد في ألوهيته لا شريك له. وشرعا: «إفراد المعبود بالعبادة، مع اعتقاد وحدته ذاتا، وصفات، وأفعالا» (السفاري، 1982، 57/1). وتعتبر تسمية العقيدة بالتوحيد من باب تسمية الشيء بأشرف أفراده، ومن أمهات كتب العقيدة المسماة بالتوحيد:

- 1- كتاب التوحيد من صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ).

- 2- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب -عز وجل- لابن خزيمة (ت 311هـ).
 - 3- كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن مندة (ت 395هـ).
- وفي الحقيقة: يعتبر التوحيد فقها أكبر، وهو علم العقيدة، ولهذا يقول الله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: 122] فأول الفقه في الدين هو الفقه في التوحيد، وكذلك

في قوله: ﷺ «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» (البخاري، 1987، 27/1) فأول مراحل التفقه وأعظمها هو التفقه في توحيد الله عز وجل.

يقول ابن تيمية: «وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ: وَهُوَ أَنْ لَا يَشْرُكُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِيمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ وَكُلُّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ فَهُوَ مُتَّصِفٌ بِهَا، عَلَى وَجْهِ لَا يُمَاتِلُهُ فِيهِ أَحَدٌ؛ وَلِهَذَا كَانَ مَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَثَمَتِهَا إِبْثَاتُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الصِّفَاتِ، وَنَقْيُ مُمَاتِلَتِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ» (ابن تيمية، 1997، 74/3).

ويقول ابن القيم: «وهو التوحيد الذي حقيقته إثبات صفات الكمال لله وتنزيهه عن أضدادها وعبادته وحده لا شريك له» (ابن القيم، 1998، 329/3) ويقول كذلك: «وأما توحيد الرسل فهو إثبات صفات الكمال له سبحانه، وإثبات كونه فاعلاً بمشيئته وقدرته واختياره، وأن له فعلاً حقيقة، وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد ويخاف ويرجى ويتوكل عليه؛ فهو المستحق لغاية الحب بغاية الدل، وليس لخالقه من دونه وكيل، ولا ولي، ولا شفيع، ولا واسطة بينه وبينهم في رفع حوائجهم إليه، وفي تفريج كرباتهم وإغاثة لهفاتهم، وإجابة دعواتهم، وبينه وبينهم واسطة في تبليغ أمره ونهيهِ وخبره إليهم، فلا يعرفون ما يحبه ويرضاه ويغضه ويسخطه، ولا حقائق أسمائه وتفصيل ما يجب له ويمتنع عليه ويوصف به إلا من جهة هذه الواسطة» (ابن القيم، 1998، 333/3-334).

سادساً- أصول الدين:

أصول الدين لفظ مستعمل في عبارات بعض أئمة أهل السنة والجماعة، ومن ذلك ما ورد عَنْ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، قَالَ: «سَأَلْتُ أَبِي، وَأَبَا زُرْعَةَ عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أَصُولِ الدِّينِ، وَمَا أَدْرَكَ عَلَيْهِ أئِمَّةُ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَا: أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأُمُصَارِ: حِجَازًا وَعِرَاقًا وَمِصْرَ وَشَامًا وَمِنَّا؛ فَكَانَ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ: أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ. وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى مُنْزَلٌ؛ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، يَجْمَعُ جِهَاتِهِ، وَالْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللَّهِ -عز وجل- وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم- وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِتٌ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ بِأَلَا كَيْفٍ. أَخَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، وَأَنَّهُ سَبْحَانَهُ يُرَى فِي الْآخِرَةِ؛ يَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِأَبْصَارِهِمْ، وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَهِيَ مَخْلُوقَتَانِ لَا يَفْنِيَانِ أَبَدًا» (اللاكثاني، 1402، 176/1، وابن تيمية، 2005، 223/3).

ومن كتب العقيدة المؤلفة تحت هذا المسمى:

1- الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري (ت 324هـ)

2- الأصول إلى معرفة الأصول لأبي عمر الطلمنكي (ت 429هـ).

3- أصول الدين للإمام محمد البرذوي (ت 493هـ).

غير أن ابن تيمية ينتقد إدخال بعض المسائل الكلامية تحت مسمى أصول الدين فيقول: «وَهَذَا كَمَا أَنَّ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ يُسَمِّي مَا وَضَعَهُ "أَصُولُ الدِّينِ" وَهَذَا اسْمٌ عَظِيمٌ، وَالْمُسَمَّى بِهِ فِيهِ مِنْ فَسَادِ الدِّينِ مَا لِلَّهِ بِهِ عَلِيمٌ. فَإِذَا أَنْكَرَ أَهْلُ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ ذَلِكَ، قَالَ الْمُبْطِلُ: قَدْ أَنْكَرُوا أَصُولَ الدِّينِ. وَهُمْ لَمْ يُنْكِرُوا مَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى أَصُولَ الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنْكَرُوا مَا سَمَّاهُ هَذَا أَصُولَ الدِّينِ، وَهِيَ أَسْمَاءُ سَمَّوْهَا هُمْ وَآبَاؤُهُمْ بِأَسْمَاءٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ؛ فَالَّذِينَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ بَيَّنَّ أَصُولُهُ وَفُرُوعُهُ، وَمِنْ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ قَدْ بَيَّنَّ فُرُوعَ الدِّينِ دُونَ أَصُولِهِ كَمَا قَدْ بَيَّنَّا هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ» (ابن تيمية، 2005، 56/4).

المبحث الثاني: الأسماء غير الشرعية للعقيدة الإسلامية

للعقيدة عدة أسماء شرعية، كما سبق أن بينا؛ فهي الفقه الأكبر، وهي علم التوحيد، والسنة والشرعة والإيمان، وأصول الدين، غير أن بعض الناس يسمونها أحيانا تسميات أخرى يرى غيرهم أنها غير شرعية على النحو الآتي:

أولاً- علم الكلام:

وفي هذا السياق نود أن نتناول رأي عالمن محدثين مجتهدين للاسترشاد برأييهما؛ أحدهما زعيم النهضة الحديثة في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس (ت 1940م) والآخر زعيم النهضة الحديثة في تونس، الشيخ الطاهر ابن عاشور (ت 1973م).

فمنهج ابن باديس سلفي العقيدة؛ فهو لا يقبل بعلم الكلام، ولم يتطرق إلى تعريفه، ولم يدخل في مناقشة مختلف الآراء الكلامية؛ لأنه لا يقبل بطرائق المتكلمين أصلاً، ويرى أن اليقين في إثبات العقائد لا يوجد إلا في القرآن وصحيح السنة.

أما ابن عاشور فهو أشعري العقيدة، ويقبل بعلم الكلام، ويرى أنه كان له دور مهم في إثبات العقائد الإسلامية والدفاع عنها، وقد ظل يقوم بهذا الدور منذ نشأته -في صدر الإسلام- إلى عدة قرون -فيما بعد- ولذلك يعرفه بقوله: «يراد من علم الكلام: العلم الذي يعرف به إثبات العقائد الإسلامية بإثبات الحجج ودفع الشبه. ومن المصطلحات التي تطلق بإزائه ما وراء الطبيعة، أو الإلهيات عند اليونان، وعلم العقيدة والتوحيد عند جمهور كبير من المسلمين» (ابن عاشور، 1967، 205).

وسنلاحظ أن تعريف ابن عاشور لعلم الكلام قريب من تعريف الإمام الإيجي (ت756هـ) -صاحب المواقف- الذي يعرف علم الكلام بأنه: «علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه» (الإيجي، 40/1) أما ابن خلدون (ت 808هـ) فيعرفه بأنه: «علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة» (ابن خلدون، 1990، 458).

ويمكن القول بأن كلاً من الإيجي وابن عاشور قد جعلوا علم الكلام يقوم على نصرة العقيدة الإسلامية دون تمييز بين الفرق الإسلامية، في حين نجد أن تعريف ابن خلدون لعلم الكلام بهذه الطريقة يكشف عن أنه يجعل من وظائف هذا العلم الرد على الفرق المخالفة في الرأي لما عليه السلف وأهل السنة وهو بذلك يجعل علم الكلام مقصوراً على بعض الفرق المنتمية للعلم -لا سيما السلف والأشاعرة⁽²⁸⁾ والماتريدية⁽²⁹⁾ دون سواهم من الفرق الأخرى- وهذا غير مسلم له؛ لأن هذا العلم شامل -كذلك- لغيرهم من الفرق: كالمعتزلة، الذين لا تخرجهم مخالفتهم للأشاعرة والماتريدية من نطاق هذا العلم -إذ كانوا السابقين إلى ظهوره (حسن الشافعي، 1991، 18).

ولذلك فإن تعريف علم الكلام عند ابن عاشور يعكس هذا الدور، الذي من أجله أنشئ؛ فهو يرى أنه قد عرف بالتبيز في المناظرات متكلمون من المعتزلة والشيعة، الذين كانوا يعتقدون المجالس لمناظرة أهل الديانات الأخرى والزنادقة، ويناقشونهم في دعاوهم المخالفة لعقيدة الإسلام، حتى إنهم كانوا يشدون الرحال إلى الآفاق لمناظرة زنديق مشهور، أو ذهري بارز، ولذا فأخرجهم من دائرة علم الكلام أمر غير مقبول (عبد الحميد مذكور، 2003، 16-24. وعبد المجيد النجار، 1992، 107).

ومن ناحية أخرى فإن ذهاب بعض العلماء القدامى كالغزالي (ت 505هـ)، والإيجي (ت 756هـ) وابن خلدون (ت 808هـ)، وأمثالهم إلى تجويز دراسة علم الكلام لاستخدامه عند الضرورة إذا كان المحادل لا يرتدع إلا به، فإن موقفَي الشيخين ابن باديس وابن عاشور لا يخرجان عن رأيين هما:

28- ينسب الأشاعرة إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري الشافعي ولد سنة 260هـ، من نسل أبي موسى الأشعري الصحابي المشهور. تلقى مذهب المعتزلة حتى صار عالماً فيه، ثم رجع عن الاعتزال وجاهر بخلافهم، مكوناً مذهباً سنياً جديداً عرف باسمه. بلغت مصنفاته نحو ثلاثمائة مؤلف، من أهمها الإبانة عن أصول الديانة، ورسالة أهل الثغر، واللمع في الرد على أهل الزيغ، ومقالات الإسلاميين. توفي سنة 324هـ. (ابن خلكان، 1988، 284/3. وابن قاضي شهبه، 1407هـ، 113/2).

- تنسب الماتريدية إلى الشيخ أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي الحنفي كان من كبار العلماء، له كتاب التوحيد وكتاب المقالات 29 وكتاب بيان أوهام المعتزلة وكتاب تأويلات القرآن. توفي بسمرقند سنة 333هـ. ينظر (ابن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، 130/1).

الرأي الأول: الذي يمثل أهل السلف، ومن سار على نهجهم، ممن لا يرتضون علم الكلام وينتقدونه ويرون أنه لا يوصل إلى الإيمان السليم؛ ومن ثم فلا ضرورة لدراسته وبهذا الرأي يأخذ ابن باديس.

الرأي الثاني: ويمثل الذين يقبلون بهذا العلم، ويرون أن دراسته ضرورية للدفاع عن العقيدة - في كل عصر - وبه تعرف دقائق أصول الدين، وبه يدافع عنها، وبهذا الرأي يأخذ ابن عاشور.

وما يمكن ترجيحه في المسألة هو أن علم الكلام يمكن القبول به، ويكون مفيداً إذا أحسن استعماله في دفع شبهات خصوم الدين، وكان عاملاً من عوامل صيانة العقيدة، والدفاع عنها، وتوحد الأمة، أما إذا استخدم في غير ما أنشئ لأجله، من الدفاع عن الدين، بأن جرّ مفسدة، كإثارة الخصومات الداخلية والشبهات في العقيدة، وصار عاملاً مفرقاً للأمة، فيصبح غير مفيد، ودون جدوى. وهذا يعني أنه ينبغي استعماله في الأحوال التي تستوجب، إضافة إلى أنه يجب فصل علم العقيدة عند دراسته عن الفلسفة وعلم الكلام؛ بحيث يُدرس كل على جهة مفصلة؛ فهذه عقيدة وتلك فلسفة أو علم كلام.

ومن هنا تأتي فائدة التأصيل لهذا العلم وكيفية نشأته وأسبابها، وهل كان ترفاً فكرياً؟ أو أنه نشأ ضرورة للدفاع عن العقيدة وحراستها؟ ذلك أنه يمكن القول بأن علم الكلام هو علم الدفاع عن العقيدة، وليس العقيدة نفسها، فهو وسيلة للدفاع عنها، وليس غاية في حد ذاته؛ فهو نوع من الجدل الداخل في الدفاع عن العقيدة، بينما العقيدة هي الغاية المطلوب الوصول إليها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الجدل في علم العقائد يسمى كلاماً» (ابن تيمية، 1997، 160/1) ويقول شمس الدين السُّفَارِينِي (ت 1188هـ): «وعلم الكلام هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية؛ أي المنسوبة إلى دين النبي ﷺ وإن لم تكن مطابقة للواقع؛ لعدم إخراج الخصم من المعتزلة والجهمية، والقدرية والخيرية، والكرامية وغيرهم، عن أن يكون من علماء الكلام. وهذا ما جعلهم يعرفون علم الكلام بأنه العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية؛ أي: العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية، سواء توقفت على الشرع كالسمعيات أم لا، وسواء كانت من الدين في الواقع ككلام أهل الحق أو لا، ككلام المخالف، واعتبر في أدلتها اليقين؛ لأنه لا عبرة بالظن في الاعتقادات؛ بل في العمليات، وموضوعه هو المعلوم؛ من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية؛ إذ موضوع كل علم ما يبحث في ذلك العلم عن عوارضه الذاتية، ولا شك أنه يبحث في هذا العلم عن أحوال الصانع، من القدم والوحدة، والقدرة، والإرادة وغيرها؛ ليعتقد ثبوتها له تعالى، وأحوال الجسم

والعرض من الحدوث والافتقار، والتركيب من الأجزاء، وقبول الفناء؛ ونحو ذلك ليثبت للصانع ما ذكر مما هو عقيدة إسلامية، أو وسيلة إليها» (السفاري، 1982، 4/1-5).

وينتقد الإمام أحمد علم الكلام فيقول: «عليكم بالسنة والحديث، وما ينفعكم الله به، وإياكم والخوض والجدال والمرء، فإنه لا يفلح من أحب الكلام، وكل من أحدث كلاماً لم يكن آخر عمره إلا إلى بدعة؛ لأن الكلام لا يدعو إلى خير، ولا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال، وعليكم بالسنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمرء، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا، ويجانون أهل الكلام وعاقبة الكلام لا تقول إلى خير، أعاذنا الله وإياكم من الفتن، وسلّمنا وإياكم من كل هلكة» (ابن بطة، 1995، 539/2، السفاري، 1982، 108/1-109) ويقول كذلك: «من تعاطى الكلام لم يفلح، ومن تعاطى الكلام لم يخل من أن يتجهّم» (ابن بطة، 1995، 539/2) أي: يصير جهمياً نسبة إلى الجهم بن صفوان السمرقندي⁽³⁰⁾ وهو من أوائل من قال بالجير؛ أي: أن الإنسان مجير في جميع أعماله؛ فهو مسير لا مخير، وهم أيضاً ممن ينكرون الصفات لله تعالى.

وهكذا، يمكن القول بأن موقف الصحابة، ومن بعدهم من السلف في مسألة البحث في العقائد كان -في الواقع- موقفاً حكيماً؛ ذلك أنهم -في الحقيقة- كانوا يؤمنون بعقائد الإسلام إيماناً قوياً، لا تشوبه شائبة كيف لا؟ وهم كانوا يقتبسون من أنوار النبوة. وكلما استشكل عليهم أمر من أمور العقائد، أو الأحكام العملية لجأوا إلى الرسول ﷺ في حال حياته، وإلى سنته من بعده، فكانوا متحققين بالإيمان -علماء وتطبيقاً-.

ومن هذا شأنه لا يستسيغ -في الحقيقة- جدلاً عقلياً حول مسائل الإيمان، وهذا يفسر لنا لم لم يحتج الصحابة -ومن تبعهم- إلى التعمق، والبحث الجدلي العقلي في أمور الاعتقاد. وقد يعترض معترض فيقول: كيف يكون موقف الصحابة -كذلك- في الوقت الذي دعا فيه القرآن نفسه إلى اصطناع الجدل في تبليغ الدعوة؟

- جهم بن صفوان: إليه تنسب الجهمية، وهو من القائلين بالجير الخالص، وأنه لا فعل، ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب³⁰ الأعمال للمخلوقين على المجاز، ورغم قوله بالجير فهو يتفق مع ما يقول به القدرية الأوائل ثم المعتزلة، من القول بخلق القرآن، ونفي الصفات، ويزيد عليهم أنه لا يجوز وصف البارئ تعالى بصفة يوصف بها خلقه؛ لأن ذلك يقتضي التشبيه، وقد ظهرت بدعته بترمد، وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر أيام بني أمية سنة 128هـ، بعد أن اتفق على تكفيره، وكان قد خرج على السلطان. وجهم بن صفوان هو تلميذ الجهد بن درهم أول من ابتدع القول بخلق القرآن، وتعطيل الصفات، وقد قتل سنة 124هـ بتهمة الزندقة والإلحاد. (عبد القادر البغدادي، الفرق بين الفرق، 199-200. والشهرستاني، 1404هـ، 86/1).

يرد الشيخ مصطفى عبد الرزاق (ت 1966هـ) في كتابه: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية على مثل هذا الاعتراض قائلاً: «ومهما يكن في القرآن من تعرض للجدل، ومن دعوة إلى الجدل برفق عند الحاجة في مثل قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل الآية: 125]. فإن القرآن ليس كتاباً جدلياً، ولم تقم دعوته إلى الإيمان على الجدل. وقد مضى زمن النبي ﷺ والمسلمون على عقيدة واحدة؛ هي ما جاء في كتاب الله -لأنهم- كما يقول طاش كبرى زاده-: «أدركوا زمن الوحي، وشرف صحبة صاحبه، وأزال نور الصحبة عنهم ظلم الشكوك والأوهام» (مصطفى عبد الرزاق، 1959، 272).

يضاف إلى ما تقدم أن الصحابة خشوا أن يؤدي البحث العقلي الاجتهادي في مجال العقائد إلى انقسام المسلمين -بعضهم عن بعض- فنهوا عن ذلك، وحرصوا على توحيد الكلمة؛ بأن يكونوا على منهاج واحد في أصول العقائد، وإن كان ثمة خلاف بينهم فهو في فروع الأحكام الشرعية؛ بمعنى أنهم لم يختلفوا في الذات الإلهية، من حيث وحدانيتها، وتنزيهها، وإنما اختلفوا -أحياناً- في فروع المسائل الفقهية المتعلقة بالأحكام الشرعية؛ كالميراث مثلاً، وهو يفسر لماذا ظهرت المدارس الفقهية في الإسلام (عبد القادر البغدادي، الفرق بين الفرق، 14). وهذا نتيجة اجتهاد كل منهم بالرأي.

وبهذا يتبين -مما سبق- أن فهم النصوص الدينية نفسها كانت من العوامل التي أدت إلى ظهور الخلاف في العقائد؛ إما لأن بعض هذه النصوص قد أثار بطبيعته في عقول بعض المسلمين حب البحث في العقائد الإسلامية، والتقصي للعقائد المخالفة لها، أو لأن بعض هذه النصوص من قبيل المتشابه الذي لا يُدرك كنه معناه، كبعض آيات الصفات، وقد أدى تأويل بعض أهل الأهواء لمثل هذه النصوص المتشابهة إلى مشكلات عقدية عويصة، كانت -فيما بعد- موضوعاً لذلك العلم.

وهكذا يمكن القول بأنه تبع ضعف العقيدة الضعف العام في الفرد، وفي الأسرة، وفي المجتمع، وفي الدولة، وفي كل جانب من جوانب الحياة، وأخذ هذا الضعف يَدْبُ في كل ناحية، حتى أصبحت الأمة عاجزة عن النهوض بتبعاتها، والاضطلاع بمسئولياتها داخلياً وخارجياً، ولم تَبْقِ الأمة كما أمرها الله أن تكون صالحة لقيادة الأمم وهداية الشعوب.

وإذا كان سبب تخلف الأمة عن غاياتها الكبرى هو ضعف العقيدة، فإنه من الضروري أن نسعى جاهدين إلى غرس العقيدة في نفوسنا، وأن نترسم الخطة التي رسمها الرسول ﷺ وأصحابه من بعده في تعهدها بالتربية والتنمية حتى تبلغ غايتها من القوة، وتصل إلى النهاية من اليقين الذي يدفعنا إلى مجد الحياة ويرفعنا إلى أسمى درجات العز والشرف في الدارين.

خلاصة القول عن تسمية العقيدة بعلم الكلام أمر لا يُسلّم به كثير من العلماء؛ باعتبار أن علم الكلام هو علم الدفاع عن العقيدة وليس العقيدة نفسها؛ بل هناك من يرى أن علم الكلام هو الذي أدخل عن طريقه اللبس إلى علم العقيدة أو التوحيد، وأدخل الخوف عند بعض الناس، وهو ما سنشير إليه -إن شاء الله- في طريقة تعليم العقيدة أو التوحيد؛ ذلك أن الخطأ الذي وقع فيه بعض العلماء السابقين -رحمهم الله- أنهم فعلاً ما أحسنوا طريقة تعليم العقيدة أو التوحيد، حينما جعلوها علم كلام، وجعلوها جدلاً، ودخلوا في قضايا لا تنفع عامة الناس، وإنما صار الموضوع دائراً في حلقة بين علماء خاصة، أو -إن صح التعبير- بين خاصة الخاصة ولم يغنهم شيئاً.

بينما لو أخذوا بطريقة القرآن في عرض قضايا العقيدة أو التوحيد وإثباته، وبيان مكملاته، وبيان ضده الذي هو الشرك، وكذلك توابع الشرك؛ لكان هذا أوضح من حيث البرهان والحجة، ومن حيث البيان والوضوح، ومن حيث التأثير والقبول، ومن حيث مخاطبة جميع الناس، سواء البدوي في باديته أو الفلاح في مزروعاته، أو الصانع في مصنعه، أو العالم في درسه، أو الصغير في محضنه؛ كل هؤلاء يخاطبون والقرآن قد خاطب الجميع.

ثانياً: الفلسفة الإسلامية

أُطلق اسم الفلسفة على العقيدة الإسلامية، وهو الآن منتشر في بعض الكليات والجامعات في العالم كما هو الحال في كليات دار العلوم بمصر، وأقسام الفلسفة الإسلامية في كثير من جامعات العالم حالياً غير أن إطلاق هذا اسم على العقيدة الإسلامية لا يُسلّم به كثير من علماء الأمة منذ القدم، فهذا ابن تيمية يقول: «ثم إنه لما عُرِّبَت الكتب اليونانية في حدود المائة الثانية، وقبل ذلك وبعد ذلك، وأخذها أهل الكلام وتصرفوا فيها من أنواع الباطل في الأمور الإلهية ما ضل به كثير منهم، وفيها من أمور الطب والحساب مالا يضر كونه في ذلك، وصار الناس فيها أشتاتاً: قوم يقبلونها، وقوم يحلون ما فيها، وقوم يعرضون ما فيها على أصولهم وقواعدهم، فيقبلون ما وافق ذلك دون ما خالفه، وقوم يعرضونها على ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة، وحصل بسبب تعريبها أنواع من الفساد والاضطراب مضموماً إلى ما حصل من التقصير والتفريط في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة حتى صار ما مدح من الكتاب والسنة من مسمى الحكمة يظن كثير من الناس أنه حكمة هذه الأمة أو نحوها من الأمم كالأندلس وغيرهم، ولم يعلموا أن اسم الحكمة مثل اسم العلم، والعقل، والمعرفة، والدين، والحق، والباطل، والخير والصدق، والمحبة، ونحو ذلك من الأسماء التي اتفق بنو آدم على استحسان مسمياتها ومدحها، وإنما تنازعوا في تحقيق مناطها، وتغيير مسمياتها، فإن كل أمة من أهل الكتب وغير أهل الكتب تسمي بهذه الأسماء ما

هو عندها كذلك من القول والعمل، وإن كانت في كثير من ذلك أو أكثره إن تتبع: ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: 23] ولهذا قال تعالى وتقدس: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: 231] أي: إنما يفصل النزاع بين الآدميين كتاب منزل من السماء، ولهذا أمر الله تعالى المؤمنين عند تنازعهم بالرد إليه، كما قال تعالى وتقدس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59] وهذا ونحوه مبسوط في غير هذا الموضع.

وإنما المقصود هنا أن الناقلين للمقالات وأهل الجدل صاروا يعبرون باللفظة المعربة من (سوفسقا) وهي (سوفسطا) عن هذا المعنى الذي يتضمن إنكار الحق وتمويهه بالباطل، وظن من ظن أن هذا قول ومذهب عام لطائفة في كل حق، وليس الأمر كذلك، وإنما هو عارض لبني آدم في كثير من أمورهم؛ فكل من جحد حقا معلوما وموه ذلك بباطل فهو مسفسط في هذا الموضع، وإن كان مقرا بأمر أخرى، وهو معاند سوفسطائي إذا علم ما أنكره، قال تعالى وتقدس: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14] فهؤلاء سفسطائيون في هذا الجحد، وإن كانوا مقرين بأمر أخرى، وقال تعالى وتقدس: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33] ولهذا كان جمهور من كذب بالحق الذي بعث به رسله من ذوي التمييز هم من الجاحدين المعاندين، وهم من شر السفسطائين» (ابن تيمية، بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، 323/2-324). ويقول كذلك: «ومعلوم أن أهل الكتاب أقرب إلى المسلمين من الجوس⁽³¹⁾ والصابئين⁽³²⁾ والمشركون، فكان أول

– الجوسية : ديانة شرك، ووثنية، فهم يعبدون النار، وزرادشت (660-583 ق. م) هو منشئ الطائفة الجوسية، وخلاصة رأيه³¹ الحمد لله الذي ﴿تمثل في وجود إلهين: إله النور، أو الخير، وإله الظلام، أو الشر، وقد رد القرآن بإبطال هذين الإلهين في قوله تعالى: [الأنعام: 1]. (ابن حزم، 1395، 35/1). ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ والشهرستاني، 1404هـ، 231/1).

– الصابئة: الباقي منهم إلى اليوم طائفة المندائية، وتعتبر يحيى نبيا لها، ويقصدون الكواكب والنجوم، يتجهون نحو القطب الشمالي، 32 «إن الصابئة نوعان: صابئة حنفاء وصابئة مشركون؛ فالحنفاء بمنزلة من كان متبعا لشريعة والتعميد في المياه الجارية، يقول ابن تيمية: وأما الصابئة المشركون: فهم قوم يعبدون. التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل، وهؤلاء حمدهم الله تعالى وأثنى عليهم الملائكة، ويقرأون الزبور، ويصلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية، ومنهم من يعتبرون أنفسهم أتباعا لنوح عليه السلام، منهم من ويتواجدون اليوم، في العراق وإيران». . لفق له مذهباً من بين اليهودية والنصرانية، ومنهم من لفق له مذهباً من بين اليهودية والجوسية ابن تيمية، الرد على المنطقيين، 456/1. والموسوعة الميسرة في الأديان، 136.

ما ظهر من البدع فيه شبه من اليهود والنصارى. والنبوة كل ما ظهر نورها انطفت البدع؛ وهي في أول الأمر كانت أعظم ظهوراً؛ فكان إنما يظهر من البدع ما كان أخف من غيره.⁽³³⁾ كما ظهر في أواخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة الخوارج⁽³⁴⁾ والتشيع⁽³⁵⁾، ثم في أواخر عصر الصحابة ظهرت القدرية⁽³⁶⁾ والمرجئة⁽³⁷⁾، ثم بعد انقراض أكابر التابعين ظهرت الجهمية⁽³⁸⁾، ثم لما عربت كتب الفرس والروم ظهر التشبه بفراس والروم. وكتب الهند انتقلت بتوسط الفرس إلى المسلمين، وكتب اليونان انتقلت بتوسط الروم إلى المسلمين، فظهرت الملاحدة الباطنية، الذين ركبوا مذهبهم من قول المجوس واليونان، مع ما أظهروه من التشيع.

- الخوارج: هم في الأصل من خرج عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وهم جماعة ممن كان معه في حرب صفين سنة 33 (35هـ)، وتطلق الخوارج عموماً على كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، فيسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان ومكان، وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار. ينظر: الملل والنحل: الشهرستاني، 113/1 وما بعدها.

- التشيع: أي صاروا شيعة، وهم الذين شابعوا علي بن أبي طالب بعد معركة صفين سنة (35هـ) القائلون بأحقية في الخلافة بعد 34 وأن الخلافة مسألة دينية تتم بالنص وليس دنيوية. (الشهرستاني، 1404، 145/1. الرسول ﷺ)

- القدرية هم (أوائل المعتزلة) القائلون بالاختيار، وبقدرة العبد على خلق أفعاله، وقد ذكر البغدادي ما نصه: «ثم حدث في زمان³⁵ المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية في القدر والاستطاعة من معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، والجعد بن درهم، وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة؛ كعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة وابن عباس، وأنس بن مالك، وعبد الله بن أوفى، وعقبة بن عامر الجهني، وأقرانهم». (البغدادي، الفرق بين الفرق، 14/1-15).

وغيرها من الأمور العقديّة، وقالوا بأن كل من الكبيرة في مرتكب الخوارج والمعتزلة وأهل السنة - المرجئة: فرقة إسلامية، خالفوا رأي³⁶ ، مهما كانت الذنوب التي يوم القيامة تعالى وحده الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر؛ لأن الحكم عليه يرجأ إلى الله آمن بوحداية اقتربها، وتكاد تتفق فرق المرجئة في أصولها على أن الإيمان هو التصديق أو المعرفة بالقلب أو الإقرار، وأن العمل ليس داخلياً في حقيقة الإيمان، ولا هو جزء منه، مع أنهم لا يغفلون منزلة العمل من الإيمان تماماً إلا عند الجهم بن صفوان ومن تبعه في غلوه. وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأن التصديق بالشيء والحزم به لا يدخله زيادة ولا نقصان. وأن أصحاب المعاصي مؤمنون كاملو الإيمان بكمال (البغدادي، الفرق بين الفرق، 190/1). والشهرستاني، 1404، 138/1. تصديقهم وأنهم حتماً لا يدخلون النار في الآخرة

- الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي (ت 128هـ) وهو من أوائل من قال بالجبر؛ أي: أن الإنسان مجبر في جميع³⁷ أعماله فهو مسير لا مخير، وهم أيضاً ممن ينكرون الصفات لله تعالى وجهم هو من القائلين بالجبر الخالص، وأنه لا فعل، ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال للمخلوقين على المجاز، ورغم قوله بالجبر فهو يتفق مع ما يقول به القدرية الأوائل ثم المعتزلة، من القول بخلق القرآن، ونفي الصفات، ويزيد عليهم أنه لا يجوز وصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه؛ لأن ذلك يقتضي التشبيه، وقد ظهرت بدعته بترمد، وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرور في آخر أيام بني أمية سنة 128هـ، بعد أن اتفق على تكفيره، وكان قد خرج على السلطان. وجهم بن صفوان هو تلميذ الجهم بن درهم أول من ابتدع القول بخلق القرآن، وتعطيل الصفات، وقد قتل سنة 124هـ بتهمة الزندقة والإلحاد. (البغدادي، الفرق بين الفرق 199/1-200). والشهرستاني، 1404، 86/1.

وكانت قرامطة⁽³⁸⁾ البحرين أعظم تعطيلًا وكفراً، كفرهم من جنس كفر فرعون، بل شر منه» (ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، 375/2). ويقول ابن القيم: «الفلاسفة: اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها، وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه، وأخص من ذلك أنه في عرف المتأخرين اسم لأتباع أرسطو⁽³⁹⁾، وهم المشاءون⁽⁴⁰⁾ خاصة.

- القرامطة: حركة باطنية هدامة، تنتسب إلى حمدان بن الأشعث، الملقب بقرمط؛ لقصر قامته وساقه، فارسي مجوسي، من 38 خوزستان في الأهواز، ثم رحل إلى الكوفة. وبدأ دعوته سرا سنة 258هـ وجهر بها سنة 278هـ إلى أن توفي سنة 293هـ، وفي الوقت نفسه بدأ عبد الله بن ميمون الفداح رأس الأفعى القرمطية نشر الإسماعيلية في جنوب فارس سنة 260هـ وقد اعتمدت الإسماعيلية حركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت، وتنسب إلى إسماعيل (ت 143هـ) بن جعفر الصادق (ت 148هـ) وحقيقتها الإلحاد والإباحية، وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية؛ فهم كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون المجوسية؛ فبعد هو الإمام، وعرفوا إسماعيل بن جعفر حدث انشقاق في الصف الشيعي؛ فهناك من اعتبر للشيعة الإمام السادس جعفر الصادق وفاة لتمييزهم عن الإسماعيلية، الإمام السابع، ويسمون بالاثني عشرية؛ موسى الكاظم بن جعفر، وهناك من اعتبر بالإسماعيلية فيما بعد لملاحه، الحجاز إماما، واضطروا للخروج من محمد بن إسماعيل بايع الإسماعيليون ويمثلون أغلبية الشيعة اليوم، ويسمون بالجعفرية، العباسيين لهم، واختفوا لتبدأ حملة سرية واسعة لنشر العقيدة الإسماعيلية الباطنية باسم إسماعيل الغائب، الذي قيل إنه المهدي المنتظر، وعند عودته سوف تملأ الأرض عدلا، ويمثل القرامطة في البحرين فرع الإسماعيلية في الشرق، مقابل الفرع العبيدي الفاطمي في المهديّة بتونس الذي تأسس على يد عبيد الله المهدي سنة 297هـ وتحول إلى القاهرة سنة 358هـ ليستقر بها حتى نهاية الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي سنة (567هـ). (الموسوعة الميسرة، في الأديان 87/1-88).

- فيلسوف يوناني قدم عاش في الفترة ما بين (384-322 ق. م) كان أحد تلاميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر. 39 (الفلسفة المختصرة، 1963م، 32).

40- المشائية: نسبة إلى مشي أرسطو أمام طلابه في أثينا، وبعد وفاته أصبحت المشائية اصطلاحاً لفلسفته، وقد انتقلت فلسفته إلى المسلمين، ومثل أرسطو عندهم الاتجاه العقلي، ولم يحصر الفلاسفة المسلمون فكرهم داخل الإطار الأرسطي فقط، بل أضافوا إليه من أفلاطون وأفلوطين، وقاموا بالتوفيق والمزج بين عدة آراء في مركب واحد يحمل ملامح التفكير اليوناني والروح الإسلامية. حاولت المشائية الإسلامية إيجاد صيغة مشتركة بين الدين والفلسفة وإن كانت رؤيتها إلى الفلسفة أميل، ولجأت إلى التأويل لترسيخ ملامح التوفيق، وكان منطلقها في ذلك أن النص الديني يخاطب بظواهره جمهور الناس، أما الخاصة فينبغي أن يكون لهم تصوراتهم الخاصة، مع الإيمان بأن في النص ثنائية، وأول علم من أعلام المشائية العربية الكندي (ت 260هـ) الذي الجمع بين الدين والفلسفة، جاء بعده الفارابي (ت 339م) الذي أطلق عليه لقب المعلم الثاني خلفاً لأرسطو المعلم الأول، وجاء بعده ابن سينا (ت 428هـ) في المشرق، فهم لا يمثلون المشائية الخالصة، بل أضافوا إليها مؤثرات أخرى، وقد هاجم الغزالي هذه المشائية المشرقية في كتابه (تهافت الفلاسفة) وحصر آراءهم في عشرين مسألة، كفرهم في ثلاث منها، وكان لهذا الكتاب أثره في زعزعة الفلسفة في المشرق. انتقلت المشائية من المشرق إلى المغرب وأخذ بها ابن باجة (ت 533هـ) وابن رشد (ت 595هـ) الذي دافع عن الفلسفة ضد هجمة الغزالي في كتابه (تهافت التهافت) إلا أنه لم ينجح بصورة عامة في دفع التهمة عن المشائية، وظلت بعد ذلك من العلوم المكروهة في بلاد الأندلس. يُعدُّ ابن رشد الممثل الخالص للفكر المشائي، وأعظم شارحي فلسفة أرسطو في العصور الوسطى، إذ هاجم كل انحراف عن فلسفة

وهم الذين هذب ابن سينا⁽⁴¹⁾ طريقتهم، وبسطها وقررها، وهي التي يَعْرِفُهَا؛ بل لا يعرف سواها المتأخرون من المتكلمين، وهؤلاء فرقة شاذة من فرق الفلاسفة، ومقاتلتهم واحدة من مقالات القوم، حتى قيل إنه ليس فيهم من يقول بقدوم الأفلاك غير أرسطو وشيعته؛ فهو أول من عُرِفَ أنه قال بقدوم هذا العالم، والأساطين قبله كانوا يقولون بحدوثه، وإثبات الصانع ومباينته للعالم، وأنه فوق العالم، وفوق السموات بذاته، كما حكاها عنهم أعلم الناس في زمانه بمقالاتهم أبو الوليد ابن رشد:

«(القول في الجهة): وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله - سبحانه - حتى نفتها المعتزلة⁽⁴²⁾، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية؛ كأبي المعالي (ت 478هـ)، ومن اقتدى بقوله» إلى أن قال: «لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء، وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السموات نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ حتى قرب من سدره المنتهى، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء، كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك» (ابن رشد، فلسفته، فصل المقال، 93-94).

ثم ذكر تقرير ذلك بالمعقول، وبين بطلان الشبهة التي لأجلها نفتها الجهمية، ومن وافقهم إلى أن قال: «فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل، وأنه الذي جاء به الشرع، وانبنى عليه وأن يبطل هذه القاعدة إبطال للشرائع» (ابن رشد، فلسفته، فصل المقال 96). ولا يخفي ابن القيم إعجابه بابن رشد؛ إذ يعلق على ذلك بقوله: «فقد حكى لك هذا المطالع على مقالات القوم الذي هو أعرف بالفلسفة من ابن سينا وأضرابه: إجماع الحكماء على أن الله سبحانه في السماء فوق العالم» (ابن القيم، 1975، 257/2-261).

أرسطو، وهاجم الفارابي وابن سينا فيما نسبوه إلى أرسطو من آراء، ورفض كل خروج عن نص أرسطو، وتمسك تمسكا شديدا بآراء أرسطو. ولابن رشد الفضل الأكبر في إيضاح نص أرسطو المترجم إلى العربية، وهو أمر تأثر به فلاسفة العصور الوسطى في أوروبا وعلى رأسهم ألبرت الكبير، وكانت شروح ابن رشد مصدرا أساسيا لفهم فلسفة أرسطو. وبعدها أخذت المشائية في الانحسار. الموسوعة الفلسفية العربية 1988، (المشائية) بقلم ماجد فخري.

41- الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، الفيلسوف الرئيس، له تصانيف في الطب والمنطق والطبيعية والإلهيات. أصله من بلخ، وولد في بخارى. ونشأ وتعلم فيها، اتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همدان، ومات بها سنة 428هـ. قال ابن القيم (كان ابن سينا - كما أخبر عن نفسه - هو وأبوه، من أهل دعوة الحاكم، من القرامطة الباطنيين). وقال عنه ابن تيمية: (تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات، والنبوات، والمعاد، والشرائع، لم يتكلم فيها سلفه. (الزركلي، 2002، 241/2).

42- المعتزلة: أتباع القدريّة الأولى وقد سموا بالمعتزلة، لأن زعيمهم واصل بن عطاء الغزال (ت 131هـ) اعتزل مجلس الحسن البصري ومن أصولهم أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، وأن الإنسان قادر على خلق أفعاله، ويقولون بخلق القرآن، وبعدم رؤية الله تعالى مطلقا. (الشهرستاني، 1404هـ، 32/1).

ثم يفرق ابن القيم بين المتطفلين على الفلسفة وبين أساطينها؛ فينقل عن أبي البركات البغدادي⁽⁴³⁾ ما يراه مناسباً فيقول: «المتطفلون في حكايات مقالات الناس لا يحكون ذلك إما جهلاً، وإما عمداً وأكثر من رأيناه يحكي مذهبهم ومقالات الناس متطفل، وكذلك الأساطين منهم متفقون على إثبات الصفات والأفعال وحدوث العالم، وقيام الأفعال الاختيارية بذاته - سبحانه - كما ذكره فيلسوف الإسلام في وقته أبو البركات البغدادي وقال: لا يستقيم كون الرب سبحانه رب العالمين إلا بذلك، وأن نفي هذه المسألة ينفي ربوبيته، قال: والإجلال من هذا الإجلال والتنزيه من هذا التنزيه أولى» (ابن القيم، 1975، 257/2-261).

ثم يذكر فصلاً ينقل فيه عن بعض الفلاسفة تعظيمهم للرسل والشرائع ووجوب اتباعهم فيقول: «فصل: وكذلك كان أساطينهم ومتقدموهم العارفون فيهم، معظمين للرسل والشرائع، موجبين لاتباعهم خاضعين لأقوالهم، معترفين بأن ما جاءوا به طورا آخر وراء طور العقل، وأن عقول الرسل وحكمتهم فوق عقول العالمين وحكمتهم، وكانوا لا يتكلمون في الإلهيات، ويسلمون باب الكلام فيها إلى الرسل ويقولون: علومنا إنما هي الرياضيات والطبيعات وتوابعها، وكانوا يقرون بحدوث العالم، وقد حكى أرباب المقالات أن أول من عرف عنه القول بقدوم هذا العالم أرسطو، وكان مشركاً يعبد الأصنام، وله في الإلهيات كلام كله خطأ من أوله إلى آخره، وقد تعقبه بالرد عليه طوائف المسلمين، حتى الجهمية، والقدرية، والمعتزلة، والرافضة وفلاسفة الإسلام أنكروه عليه، وجاء فيه بما يسخر منه العقلاء، وأنكر أن يكون الله سبحانه يعلم شيئاً من الموجودات وقرر ذلك بأنه لو علم شيئاً لأكمل بمعلوماته، ولم يكن كاملاً في نفسه، وبأنه كان يلحقه التعب والكلل من تصور المعلومات؛ فهذا غاية عقل هذا المعلم والأستاذ» (ابن القيم، 1975، 257/2-261).

ثم يستدل ابن القيم بكلام فيلسوف الإسلام - كما يسميه هو - أبو البركات البغدادي فيقول: «وقد حكى ذلك أبو البركات البغدادي وبالع في إبطال هذه الحجج وردّها؛ فحقيقة ما كان عليه هذا المعلم لأتباعه: الكفر بالله - تعالى - وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ودرج على أثره أتباعه من الملاحدة ممن يتسترون باتباع الرسل، وهو منحل من كل ما جاءوا به، وأتباعه يعظمونه فوق ما يعظم به الأنبياء ويرون عرض ما جاءت به الأنبياء على كلامه؛ فما وافقه منها قبلوه، وما خالفه لم يعبأوا به شيئاً،

- هبة الله بن علي بن ملكا، أبو البركات، المعروف بأوحد الزمان، طبيب، فيلسوف من سكان بغداد. يسمى بفيلسوف 43 العراقيين، ادعى أنه نال رتبة أرسطو. كان يهودياً وأسلم في آخر عمره. من كتبه المعتر في الحكمة، توفي في سنة 560هـ (الزركلي، 2002، 74/8).

ويسمونه المعلم الأول؛ لأنه أول من وضع لهم التعاليم المنطقية، كما أن الخليل بن أحمد أول من وضع عروض الشعر» (ابن القيم، 1975، 257/2-261).

وفي هذا السياق يقول الحافظ بن حجر العسقلاني: «فمما حدث تدوين:

1- الحديث.

2- ثم تفسير القرآن.

3- ثم تدوين المسائل الفقهية المولدة عن الرأي المخض.

4- ثم تدوين ما يتعلق بأعمال القلوب.

فأما الأول فأنكره عمر⁽⁴⁴⁾ وأبو موسى⁽⁴⁵⁾ وطائفة، ورخص فيه الأكثرون.

وأما الثاني فأنكره جماعة من التابعين، كالشَّعْبِي⁽⁴⁶⁾.

وأما الثالث فأنكره الإمام أحمد وطائفة يسيرة، وكذا اشتد إنكار أحمد للذي بعده.

ومما حدث أيضا تدوين القول في أصول الديانات؛ فتصدى لها المثبتة والنفاة؛ فبالغ الأول حتى شبهه، وبالع الثاني حتى عطّل، واشتد إنكار السلف لذلك، كأبي حنيفة، وأبي يوسف، والشافعي، وكلامهم في ذم أهل الكلام مشهور، وسببه أنهم تكلموا فيما سكت عنه النبي ﷺ وأصحابه، وثبت عن مالك أنه لم يكن في عهد النبي ﷺ وأبي بكر، وعمر شيء من الأهواء؛ يعني بدع الروافض، والقدرية، والمعتزلة، والخوارج، وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلا يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل، ولو كان مستكرها، ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولها بالتحصيل وأن من لم يستعمل ما اصطلاحوا عليه فهو عامي جاهل. فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدثه الخلف، وإن لم يكن له منه بد فليكتف منه بقدر الحاجة، ويجعل الأول المقصود بالأصالة. والله الموفق» (ابن حجر، 1379هـ، 546/13).

44 - عمر بن الخطاب: أحد كبار الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - أمير المؤمنين، توفي مقتولا، طعنه أبو لؤلؤة فيروز الجوسي، غلام المغيرة بن شعبه سنة ثلاث وعشرين للهجرة. (ابن الأثير، أسد الغابة، 4/166).

على زيد وعدن، وولاه عمر بن ﷺ - أَبُو مُوسَى الشَّعْبِيُّ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ، الفقيه المقرئ، أحد كبار الصحابة، ولّاه النبي 45 يوم صفين من بين حزنه علي بن أبي طالب الخطاب على البصرة، وولاه عثمان بن عفان على الكوفة، وكان المحكّم الذي اختاره توفي سنة 44هـ. (الذهبي سير أعلام النبلاء، 3/336).

46 - الشَّعْبِيُّ: عَامِرُ بْنُ شَرَّاحِيلَ بْنِ عَبْدِ بْنِ ذِي كَبَارٍ، وَدُو كَبَارٍ: قَيْلٌ مِنْ أَقْبَالِ الْيَمَنِ، أَبُو عَمْرِو الهَمْدَانِيُّ، ثُمَّ الشَّعْبِيُّ، تابعي وفقيه ومحدث من السلف، ولد في خلافة عمر بن الخطاب، توفي سنة 100هـ. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 7/329).

وهكذا يمكن الاستنتاج من خلال استعراض الآراء السابقة أنه يمكن معالجة مشكلة البحث في إطار علمي إقناعي باتباع ما جاء به القرآن والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، وبخاصة أصحاب القرون الثلاثة الأولى، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث على النحو الآتي:

- 1- الأسماء الشرعية للعقيدة الإسلامية: الفقه الأكبر، والسُّنَّة، والإيمان والشرعية، والتوحيد، وأصول الدِّين.
- 2- الأسماء غير الشرعية للعقيدة الإسلامية: علم الكلام، والفلسفة.
- 3- الفقه الأكبر الذي بين أيدينا أساسه صحيح النسبة إلى أبي حنيفة وله روايتان.
- 4- علم الكلام هو علم إثبات العقيدة والدفاع عنها وليس العقيدة نفسها، فهو وسيلة للدفاع عنها.
- 5- يوجد رأيان تجاه علم الكلام: رأي يرفضه، ويمثل أهل السلف، ومن سار على نهجهم، فهم لا يرتضونه، ويرون أنه لا يوصل إلى الإيمان السليم؛ ومن ثم فلا ضرورة لدراسته. ورأي يقبل به، ويرون أن دراسته ضرورة للدفاع عن العقيدة - في كل عصر - وبه تعرف دقائق أصول الدين، وبه يدافع عنها.
- 6- يجب الفصل بين علم العقيدة وعلمي الكلام والفلسفة أثناء الدراسة؛ لاختلاف ماهية كل منها عن الآخر.
- 7- يمكن معالجة المشكل في إطار علمي إقناعي بحت يفصل علم العقيدة عن الكلام وعن الفلسفة بحيث تدرس العقيدة لوحدها ويدرس العلمان منفصلان عن العقيدة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- 1- الإبانة الكبرى، لابن بطة، تح: رضا بن نعيان وآخرون، دار الراجعية بالرياض، ط1، 1995م.
- 2- الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، ط 2002، 15م.
- 3- أبو حنيفة، حياته وعصره، آراؤه الفقهية، لمحمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربي، الطبعة الثانية.

- 4- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم، تحقيق د. عبد الله المعتق ط1، 1408هـ، مطابع الفرزدق الرياض، طبعة أخرى، دار الكتب العلمية.
- 5- أرسطو عند العرب، لعبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، ط2، سنة 1968م.
- 6- الاستقامة، لابن تيمية، تح: د. محمد رشاد سالم، جامعة محمد بن سعود، المدينة، ط1، 1403هـ.
- 7- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، تحقيق علي معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 8- أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، لمحمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، السعودية.
- 9- أصول الدين، لعبد القادر البغدادي، طبعة دار الكتاب العلمية الثانية 1400هـ.
- 10- أصول الدين، للبرذوي، حققه وقدم له، د. هانز بترلانس، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه، القاهرة 1388هـ.
- 11- أصول السنة، للحميدي، تح: عبد الله بن يوسف الجديع.
- 12- إغاثة اللفهان لابن القيم، دار المعرفة، تح: محمد حامد الفقي، بيروت، ط2، 1975م.
- 13- أليس الصبح بقريب، لابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1967م.
- 14- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، لابن جماعة، تح: وهي الألباني، دار السلام، مصر، ط1، 1990.
- 15- بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية، مؤسسة قرطبة.
- 16- تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995.
- 17- تاريخ التراث لفؤاد سزكين، ترجمة محمود فهمي وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.
- 18- التبصير في أصول الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، لأبي المظفر الإسفراييني، تح: كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، طبعة أخرى بتحقيق الكوثري، مطبعة الأنوار. القاهرة 1950م.
- 19- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، لمصطفى عبد الرازق، تمهيد القاهرة 1959م.

- 20- تمهيد لدراسة علم الكلام، لعبد الحميد مذكور، دار الهاني للطباعة والنشر، 2003م.
- 21- الجامع الصحيح، للبخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير اليمامة بيروت، ط3، 1987م.
- 22- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1408هـ.
- 23- الجواهر المضوية في طبقات الحنفية، ابن أبي الوفاء القرشي، مير محمد كتب خانة، كراتشي.
- 24- درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لابن تيمية، تح: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- 25- الرد على المنطقيين، لابن تيمية دار المعرفة، بيروت.
- 26- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تح: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
- 27- شرح أصول أهل السنة والجماعة، للآللكائي، تح: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، 1402.
- 28- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، تح: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط3، 2013.
- 29- صحيح، البخاري، حسب ترقيم فتح الباري، دار الشعب، القاهرة، ط1، 1987.
- 30- صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- 31- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، لابن القيم، تح: د. علي بن محمد، دار العاصمة، الرياض، ط: 3، 1998م.
- 32- ضحى الإسلام، لأحمد أمين، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت.
- 33- طبقات الشافعية، ابن قاضي شعبة، تحقيق عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ.
- 34- عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي، لمحمد بن أيوب، طبعة المؤسسة الإسلامية دكا بنجلادش.
- 35- العقيدة الإسلامية، للصادق الغرياني، مكتبة بن حمودة، زليتن ليبيا، ط2، 2010م.

- 36- غاية الأمان في الرد على النبهاني، محمود الألوسي، طبعة دار إحياء السنة بالإسكندرية.
- 37- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، تح: أحمد بن علي بن حجر، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
- 38- الفرق بين الفرق لعبد القادر البغدادي، تح: محمد محيي الدين، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده مصر.
- 39- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1395، طبعة أخرى تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار عكاظ للنشر والتوزيع سنة 1402هـ.
- 40- الفقه الأبسط، لأبي حنيفة، تحقيق محمد زاهد الكوثري، طبعة مطبعة الأنوار، القاهرة 1368هـ.
- 41- الفقه الأكبر، لأبي حنيفة، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، سنة 1404هـ.
- 42- فلسفة ابن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال والكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، - صححه وراجعاه وضبط أصوله مصطفى عبد الجواد عمران، المكتبة المحمودية التجارية، مصر.
- 43- الفلسفة المختصرة، ترجمة د. فؤاد كامل وآخرون، مكتبة الأنجلو الأمريكية 1963م.
- 44- الفهرست، لابن النديم، تح: رضا تحددي، طبعة أخرى دار المعرفة، بيروت.
- 45- كشف الأسرار شرح أصول البرذوي، لعلاء الدين البخاري، طبعة دار الكتاب العربي . بيروت.
- 46- كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، لحاجي خليفة، دار العلوم الحديثة . بيروت.
- 47- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، للسفاري الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط2، 1982م.
- 48- مباحث في منهج الفكر الإسلامي، لعبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992م.
- 49- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تح: أنور الباز، وعامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 2005م.
- 50- المدخل إلى دراسة علم الكلام، لحسن الشافعي، مكتبة وهبة، ط2، 1991م.

- 51- المشتبه، للذهبي، تح: علي البجاوي، طبعة دار إحياء الكتب العربية . القاهرة.
- 52- المعجم الفلسفي، لجميل صليبا، دار الكتاب اللبناني بيروت سنة 1982 م.
- 53- المعجم الفلسفي، لمراد وهبة وآخرون، دار الثقافة الجديدة القاهرة، ط 2، سنة 1971م.
- 54- المقدمة، لابن خلدون، تدقيق عبد الله البستاني، مكتبة لبنان ط4، 1990م.
- 55- الملل والنحل، للشهرستاني، تح: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت، 1404هـ.
- 56- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تح: محمد رشاد سالم 1406هـ، طبعة جامعة الإمام بالرياض، طبعة أخرى مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.
- 57- المواقف، لعضد الدين الإيجي: نشر دار الباز للطباعة والنشر، دار عالم الكتب . بيروت.
- 58- الموسوعة الفلسفية العربية، لماجد فخري، نشر دار الإنماء العربي، بيروت، مج 2 القسم الثاني مادة (المشائية) ط1، 1988م.
- 59- الموسوعة الميسرة، في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، والمقدمة مضافة للموسوعة إتماماً للفائدة. من كتاب "فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام" للشيخ غالب عواجي.
- 60- موقف المشائية الإسلامية من النص الديني، لإنشاد محمد على، القاهرة سنة 1991م.
- 61- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تح: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م.
- 62- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل البغدادي، طبعة دار العلوم الحديثة، بيروت، سنة 1955م.
- 63- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1968م.

الصمود النفسي والخلافات الزوجية

"عينة من الليبيات المتواجدات بمصر"

د.زهرة سالم على قشقش

كلية الاداب والعلوم مسالته - جامعة المرقب

ملخص الدراسة :

تهدف الدراسة إلى معرفة الفروق بين مرتفعي ومنخفضي الدرجة في الخلافات الزوجية في ضوء الصمود النفسي, وفي ضوء المتغيرات الديموجرافية, ولتحقيق هذا الهدف طبق مقياس (الصمود النفسي- الخلافات الزوجية) على (ن = 87) زوجة, وقد توصلت نتائج الدراسة إلى عدم وجود فروق بين مرتفعي ومنخفضي الدرجات في الصمود النفسي في مقياس الخلافات, فضلاً عن أن الصمود النفسي لا يختلف باختلاف المتغيرات الديموجرافية.

مشكلة الدراسة ومحدداتها:

يعتبر الصمود النفسي هو أحد المفاهيم الحديثة والذي يعكس تكوين نفسي قوي لا يؤمن بالحظ أو الصدفة بل بالإصرار والمبادرة, ويعد الصمود تصوراً متعدداً في معانيه, ومتبائناً من حيث زاوية الرؤية إليه, حيث يفيد التحدي Challenge والمبادأة Lnitaive والإيجابية Positivenes والقدرة على الإنحناء بدون إنكسار, والقدرة على التكيف الشديد مع المواقف الضاغطة حتى يعود الفرد إلى نقطة الثبات, كما أن الأزواج المعرضين للشدائد ينظر إليهم على أساس لديهم بعض القدرات على الصمود (Walsh, 1996, PP.261 – 281). وقد بينت دراسة (Neff & Broady, 2011) أن القدرة على تنظيم الضغوط بصورة مبكرة في سنوات الزواج المبكرة ربما تجعل العلاقات الزوجية أكثر صموداً في مواجهة ضغوط المستقبل ، وهذا ماأكدت عليه دراسة (Conger,P.D, Rueueted, 1999) حيث وجدت علاقة بين الصمود الزوجي والقدرة على مواجهة الضغوط الإقتصادية. (Conger, P,D, Rueueted, 1999, 54). ويلاحظ أن مفاتيح الصمود الأسري بأنها تستطيع تنظيم المعتقدات والأنماط التنظيمية وعمليات الاتصال, كما أنها تتضمن معنى الشدائد ووجود توقعات إيجابية نحو الحياة والتمتع بجانب روحاني (Walsh, F., 1998, P.79).

كما أن التوتر في كثير من الأحيان يعمل على إعاقة العلاقة الزوجية، كما يمكن التغلب على الضغوط الصغيرة في وقت مبكر من العلاقة والتي قد تساعد الزوجين في تطوير القدرة على مواجهة أكبر للضغوط في المستقبل. (Baumeister, 2006, P.74)

كما أن الصمود الزواجي يتطور عبر الزمن في إطار التعرض للشدائد. (Staudinger, 1993, P.541)

فضلاً عن أن الصمود النفسي للزوجين إلتزام زواجي مركزي يرتبط بطبيعة الإلتزامات المتعلقة بالجنس والأدوار الاجتماعية، والعناية الزوجية، والتركيز على السياق والعلاج الضمني للأزمات الزوجية، والتمكن من مهارات الإدارة الزوجية القائمة على التأزر، والتمسك بالأدوار العادلة للزوجين، والمساندة الزوجية في أوقات انخفاض الظروف المالية للأسرة. (Steven, W. & Walin, S., 1993, P.320).

ويذهب البعض أن عدم الصمود النفسي للزوجين ينصب على المبادئ الأخلاقية، والإعتقادات والتصورات الخاطئة عن الزواج والخوف من الفشل الزواجي والطلاق، والشعور بأن هناك قيوداً مفروضة من الزوج أو الزوجة، وعدم الشعور بالألفة في تواجد الطرف الآخر وما يترتب على ذلك من عدم استقرار العلاقة الزوجية (Hamilton, M., 1993, P.180)، والصمود النفسي في الزواج يعتمد على السعة النفسية، والوضوح والدقة في التحدث والإستماع للشريك في الزواج والولاء والثقة والإحترام والإهتمام بإجبايات الطرف الآخر لصيانة العلاقة الزوجية. (Hamilton, 1993, P.182).

ويوضح (Mark, & Neils, 1989) في عرضهما لنظرية إضطراب العلاقات الشخصية والإكتئاب أن الأزواج المكتئبين يتسمون بعدم الصمود في التفاعل مع البيئة الاجتماعية بما فيها العلاقة الزوجية وليس لديهم الكفاية الذاتية في حل مشكلاتهم الزوجية، وغالباً ما تكون توقعاتهم سلبية بالنسبة للخبرات التي يمرون بها. (Mark, & Neils, 1989, P.186)، كما أن الصمود إلتزام يجبر الفرد على تكريس نفسه لمقاومة الضغوط الداخلية والخارجية للأسرة، والتضحية من أجل الطرف الآخر، وعدم الشعور بالإستياء والكراهية مع استمرارية هذه الضغوط وفي النهاية فهي استثمارات بنائية للإرتقاء بالمستوى الإجتماعي والإقتصادى الثقافى للزوج والأسرة في المستقبل (Hamilton, M., 1993, P.177).

أما (Tsipora, 1987) فقد وجدت أن النساء المتزوجات اللاتي يتسمن بالصمود الزواجي قد حصلن على تقديرات عالية في كل من الإنتاج والدكاء، وفي نفس الوقت قد حصلن على درجات مرتفعة من الخضوع والمحافظة والتقليدية، وهذا ما تؤكد عليه نظرية الزواج المغاير الذى يجذب تغاير الزوجين

في الشخصية، أي أن المتناقضين يتجاذبان، بعكس نظرية الزواج المتماثل الذي يجذب تماثل أو تقارب الزوجين في الشخصية أي أن الشخص يحب مثيله في الشخصية ، ويلاحظ أن الذكاء الإجتماعي والإتزان الإنفعالي لهما دور هام في إكتساب الصمود الزواجي من خلال عملية التنشئة الإجتماعية وتعلم الأنماط السلوكية الخاصة بالتفاعل الزواجي بواسطة التعلم المقصود والتلقائي وعن طريق عمليات التوحد مع النموذج خاصة مع الوالدين وبعض الأقارب (Tsipora P.R., 1987,P.1026).

ويؤكد (Reinhart, G.E.,1977) أن القادرين على الإتصال الزواجي الناجح لديهم القدرة على التعبير عن وجهات النظر المختلفة مع تقبل وجهات النظر المختلفة مع تقبل وجهات نظر الشريك الآخر، والقدرة على التفاوض والمشاركة والإستماع إلى الرأي الآخر (Reinhart, G.E., 1977, PP: 2883 – 2883).

وبناء على ما سبق يمكن تحديد مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

- 1- هل توجد فروق بين مرتفعي ومنخفضي الدرجة علي مقياس الصمود النفسي في الخلافات الزوجية ؟.
- 2- هل يختلف الصمود النفسي باختلاف المتغيرات الديموغرافية (العمر - مدة الزواج - عدد الأبناء - المستوى التعليمي) ؟.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى معرفة الفروق بين مرتفعي ومنخفضي الدرجة في الخلافات الزوجية في ضوء الصمود النفسي، وفي ضوء المتغيرات الديموغرافية.

أهمية الدراسة: تبرز أهمية الدراسة في ضوء الأهمية السيكولوجية لمفهوم الصمود والخلافات الزوجية، كذلك فإن دراسة متغير إيجابي وقائي حديث نسبياً (الصمود النفسي) لم ينل ما يستحقه من الأهتمام، فضلاً عن إعداد مقياسين أحدهما لقياس الصمود النفسي والآخر لتشخيص الخلافات الزوجية.

مصطلحات الدراسة :

تعريف الصمود النفسي إجرائياً بأنه: قدرة الزوجين على مواجهة أي خلافات بأسلوب إيجابي متضمن المرونة في حل المشكلات والقدرة على التواصل الإيجابي وضبط الإنفعالات حتى لا يتسلل الملل أو الخلافات بين الزوجين.

أما عن تعريف الخلافات الزوجية إجرائياً: فتعني عجز أحد الزوجين أو كلاهما عن الوفاء بوظائفهما المحددة، فضلاً عن إختلافهما في ثوابت ومتغيرات الحياة. الدراسات السابقة الخاصة بالصمود والخلافات الزوجية: نحمل فيمايلي الدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة :

عن الخلافات الزوجية والمشكلات السلوكية جاءت دراسة (Jean,M.k,1994) وقد طبقت الأدوات على(ن=65) زوج وزوجة وقد استخدمت الباحثة استبيان الرضا الزوجي والصمود النفسي وقائمة المشكلات السلوكية وتشير نتائج الدراسة إلى أن الخلافات الزوجية ترتبط بنقص الصمود وعدم الرضا عن العلاقة الزوجية، وأن الارتباط إيجابي بين المشكلات السلوكية كالعدوان والغيرة والكذب.

وفي نفس السياق اهتم (Gail,K.& Beelek,O,2002) بدراسة العدوان الزوجي وطبقت الأدوات على (ن=614) زوج وزوجة تتراوح أعمارهم ما بين 62 : 65 سنة ومتوسط مدة الزواج 36 سنة، وقد أوضحت النتائج أن هناك علاقة سلبية بين عدم الصمود الزوجي والإتصال الإنفعالي والقدرة على حل المشكلات والرضا الزوجي كما ترتبط العدوانية الزوجية وعدم الصمود النفسي بالعنف وتحطيم القيم والتهديدات المختلفة لطرفي العلاقة الزوجية.

بينما قام (Froma,W,2003) بالكشف عن فعالية برنامج علاجي لزيادة فعاليات الصمود الزوجي ووضع نموذج للصمود الشخصي كسمة من سمات الشخصية ومدى تأثيرها على بعض وظائف الأسرة، وقد استخدم فيها برنامج علاجي من خلال مشاهدة لعب الأدوار الزوجية، وقد استعان الباحث بمقياس سمات الشخصية واستبيان الصمود الأسري Family Resilience Inventory على عينة من المتزوجين الذين يعانون من مشكلات زوجية وعددها 20 متزوجاً كمجموعة تجريبية 20 متزوجاً كعينة ضابطة وتبين النتائج أن تنمية الصمود يرتبط بأنظمة المعتقدات الزوجية وتنظيم الحياة الأسرية والاتصال الوجداني وحل المشكلات والممارسة الإكلينيكية كان لها دورها الأساسي في تكوين بنية المفاهيم الزوجية، التي تدعم الصمود في العلاقة الزوجية والجهود القوية لمواجهة تحديات الحياة الزوجية الخطيرة.

كما طبق (Claudine,E.D,1996) عن العوامل الاجتماعية التي تؤثر على التوافق الأسري والإنفعالي لدى الأزواج والزوجات من ثلاث جنسيات منها الفرنسية، والهندية والأمريكية، واستخدام الباحث مقياس أيديولوجيات الدور الجنسي، ومقياس التوافق الأسري الإنفعالي ومقياس المساندة الاجتماعية، واقتصرت العينة على مجموعة من الأزواج وزوجاتهم من المهاجرين لمجتمعات أخرى من أجل

زيادة الدخل الأسري، وقد توصلت الدراسة إلى أن هناك ارتفاع في مستوى الصمود الزواجي لدى الزوجات الهنديات برغم فقدان المساندة من الأصدقاء وأعضاء الأسرة في المجتمعات الجديدة، وقلة خبرة الزوجات في التكيف مع المجتمع الجديد نظراً لقضاء الأزواج وقت طويل في العمل، وقد وجد أن من أهم محاور الصمود الزواجي هي المساعدة وترشيد الإستهلاك، وتوافر المعلومات من خلال شبكات المساندة الإنفعالية والإجتماعية وقوة بذل الجهد مع الأزواج، وزيادة توافق المستوى الأسري من خلال شبكة المساندة الزوجية، والإهتمام بالموارد الزوجية، والثراء السريع، والتوافق بنجاح مع ظروف الحياة الجديدة.

وفي دراسة (Linda,B,C,2001) والتي هدفت إلى استخدام أساليب لعب الأدوار الزوجية على مجموعة من الأزواج والزوجات الذين يعانون من ضغوط زوجية وبعد التدخل العلاجي وجد أن تنمية الصمود الزواجي من خلال أساليب لعب الأدوار أدت إلى إنخفاض مستوى الغضب والعنف الأسري والصراعات الوالدية وعدم الرضا الجنسي والنجاح في القيام بالدور الزواجي مع ضغوط العمل لدى الزوجين.

وعن مدى تأثير الصمود والسعادة الإنفعالية في التغلب على الصعوبات الأسرية لدى المتزوجين والمتزوجات ذوى المستوى الإجتماعى والإقتصادى المنخفض، طبق (Thomas,B,2000) الأدوات على (ن=300) زوج وزوجه، استبياناً ظروف الحياة الصعبة القدرة على الإحتمال الأسري، ومقياس الصمود في السعادة الإنفعالية، وتوصلت النتائج أن الأزواج من أصل أفريقي أكثر نشاطاً في القيام بأدوارهم الزوجية وأن الزوجات يتمتعن بالإيجابية وأكثر استسلاماً وخضوعاً لأدوارهن الزوجية ويظهر ذلك من خلال قيام أزواجهن بوظائفهم الأسرية والمشاركة الفعالة في الأنشطة الأسرية كما وجدت علاقة بين الأنماط السلوكية ونموذج الصمود الزواجي وتوضح النتائج مدى تأثير التقارب الأيكولوجي والثقافي بين الزوجين وعلاقته بالمنظور الدينامي للسعادة الإنفعالية واستراتيجيات المشكلات الزوجية والتغلب على الصعوبات الأسرية والسعادة الانفعالية والصمود التنبؤى لدى أزواجهن والنجاح في مواجهة الصعوبات الأسرية.

وفي دراسة (Cameron,J,2002) عن العلاقة بين الصمود الأسري والضغط الأنفعالي والقلق والإكتئاب والمشكلات الصحية، طبقت الأدوات على (ن=150) من الآباء والأمهات لديهم أبناء مرضي بالورم الليفي، وتبين النتائج وجود علاقة بين الصمود الأسري وأسلوب مواجهة الضغوط الأسرية والتعامل مع مصادر التوتر

والحن المتزايدة على الأسرة والتخفيف من حدة المشكلات الصحية، وتبين النتائج أن إرتفاع المرونة الأسرية لها تأثيرها الإيجابي في إنخفاض مستوى القلق والإكتئاب والضغط الإنفعالي للوالدين والأبناء.

وعن العلاقة بين تماسك الهوية في سن البلوغ ومرونة الأنا لدى الأقران في الزواج، والتغير في سمات الشخصية، حيث أجرى (Jennifer,P,1999) دراسة على (ن=200) زوج وزوجة، تراوحت أعمارهم ما بين 21 : 27 سنة، وتوضح النتائج أن هناك علاقة إيجابية بين مرونة الأنا وتطور الهوية في الحياة الزوجية لدى النساء، وأن مرونة الأنا ترتبط إيجابياً بمفهوم الذات والتغير الإيجابي في السمات الشخصية في السنوات الأولى من الزواج كما وجد أن الخبرات التي يكتسبها الأزواج والزوجات من الوالدين ذات علاقة إيجابية بنمو الهوية وتماسكها في الزواج، وتبين أن النجاح الزواجي يرتبط بتماسك الهوية وزيادة مرونة الأنا في العلاقة الزوجية في المرحلة العمرية ما بين 21 : 27 سنة، وتشير النتائج أن مرونة الأنا تمثل متغير وسيطاً بين تغير السمات الشخصية في الزواج وتماسك الهوية والرضا الزواجي.

وفي دراسة (Carol,A,B,1987) عن الإكتئاب والعلاج الأسري للعلاقة الزوجية، وطبق فيها مقياس بيك للإكتئاب، وبرنامج إرشادي للصمود الزواجي، ومقياس لوك للتوافق الزواجي، وقد أوضحت النتائج انه توجد علاقة بين الإكتئاب والتفاعلات السلوكية السلبية بين الزوجين، والتي تحتوي على المشكلات الزوجية، ونقص الإتصال الإيجابي بين الزوجين وعدم المساندة الإنفعالية والشعور بالإستحسان بين الزوجين، وأن علاج الإكتئاب يتطلب علاج السلوك الزواجي وعلاج استراتيجيات الزواج لتنمية الصمود الزواجي.

وفي دراسة قام بها (J.Lynhoden,2003) بهدف الكشف عن التماسك الزواجي والمرونة والإتصال في الزواج دراسة مقارنة بين 274 من الزوجات التقليديات والزوجات غير التقليديات عن الأزومات التي تؤدي إلي عدم الإستقرار الأسري في الحياة الزوجية وأشارت النتائج إلى العديد من التشابه بين العنيتين، ولكن المرأة غير التقليدية أظهرت مرونة أكبر في زواجها، وأساليب عملية في التعامل مع الأزواج (Rhoden, 2003, P. 248). وعن دراسة عواطف صالح 2004، والتي هدفت الكشف عن المرونة الزوجية وعلاقتها بالحاجات الإنفعالية الإجتماعية والإكتئاب لعينة بلغت (180) من الأزواج، ممن تراوح أعمارهم (24 : 58) في حين تراوحت الأعمار لعينة المتزوجات ما بين (19: 50) سنة استبيان المرونة الزوجية، وقد اسفرت النتائج إلى وجود علاقة إرتباطية بين المرونة الزوجية والحاجات الإنفعالية، وكذلك توجد

فروق بين المتزوجين والمتزوجات في المرونة الزوجية وجود علاقة ارتباطية موجبة بين كل من الصمود وحل المشكلات الخاصة بالدور الزواجي.

وعن فحص العلاقة بين الصمود لدى المتزوجين والمطلقين والتوافق لدى الأطفال، أجريت دراسة (Wesley, 2001, D.Z.) حيث تم ضبط متغير مدة الزواج بتحديد مدة عشر سنوات على مرور الزواج سواء بالنسبة للزيجات المستمرة أو المطلقة، وقد أوضحت النتائج أن هناك علاقة بين السعادة الزوجية والصمود لدى الزوجين، كما وجدت علاقة بين الصمود والتوافق النفسي لدى الأطفال، وتبين الدراسة أن أداء الدور الزواجي بنجاح يرتبط بالإحساس والاتصال الوجداني، وحل الخلافات الزوجية، والتوافق الجنسي الإيجابي والرؤية المدعمة لصمود كسمة شخصية في الأزواج، وأن هذه الزيجات لديها خبرات الإدراك المدعم للشخصية.

الدراسات السابقة دراسة تحليلية: بتحليل الدراسات السابقة نستخلص مايلي:

1- أن هناك شبه إجماع بين الدراسات التي تناولت كلاً من الصمود والخلافات على أن هناك علاقة ارتباطية بين المتغيرين وأن الصمود النفسي قد يرتبط سلباً أو إيجابياً بكل من (الإكتئاب- الضغط الإنفعالي- القلق- المشكلات الصحية- مفهوم الذات- تحقيق الذات- العوامل الاجتماعية- الدخل) أن الصمود النفسي والخلافات الزوجية يتباين كلاً منهما بتباين المتغيرات الديموغرافية.

2- أما عن الجديد الذي تضيفه هذه الدراسة فيتمثل في إعداد مقياسين أحدهما لتشخيص الصمود النفسي والآخر لقياس الخلافات الزوجية، فضلاً عن تناول الصمود في علاقاته بالخلافات الزوجية في إطار الثقافة العربية.

فروض الدراسة: في ضوء الدراسات السابقة تصوغ فروض هذه الدراسة كمايلي :-1 يوجد فروق

بين مرتفعي ومنخفضي الدرجة على مقياس الصمود النفسي في الخلافات الزوجية.

2- يختلف الصمود النفسي باختلاف المتغيرات الديموغرافية (العمر- مدة الزواج - عدد الأبناء- المستوى التعليمي) لعينة الدراسة.

منهج الدراسة وإجراءاتها: ويتمثل منهج الدراسة وإجراءاتها فيمايلي :

أولاً: منهج الدراسة: تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي لكونه أكثر مواءمة لتحقيق أهداف الدراسة والتحقق من فروضها.

ثانياً: عينة الدراسة: تكونت عينة الدراسة (ن=87) من المتزوجات تراوحت أعمارهن ما بين (20-42) سنة، وكان مستوى تعليمهن ما بين (المتوسط - العالي) ويمكن بيان الخصائص الديموجرافية للعينة من خلال الجدول التالي:

جدول (1) الخصائص الديموجرافية لعينة الدراسة (ن = 87)

النسبة	العدد	القيمة الإحصائية المتغيرات	
		النوع	إناث
%100	87	العمر	20 - 30 سنة
%41.1	36		31 - 42 سنة
%58.6	51	مدة الزواج	1 - 9 سنوات
%77.0	67		10 - 18 سنة
%23.0	20	عدد الأبناء	0 - 4 أبناء
%89.7	78		5 - 8 أبناء
%10.3	9	المستوى التعليمي	تعليم متوسط
%14.9	13		تعليم عالي
%85.1	74		

يتضح من الجدول السابق أن عينة الدراسة تكونت من (ن=87) زوجة ممن تراوحت أعمارهن ما بين (20-42) سنة، وكانت مدة الزواج من (1-8) سنوات وكان مستوى تعليمهن ما بين (المتوسط - العالي) وتم إختيار المتغيرات الديموجرافية وفقاً لما تناولته بعض الدراسات السابقة نذكر منها دراسة كلاً من (عواطف صالح, 2004), (Jennifer, P., 1999), (Gail, K, & Beelck, O, 2000), كما أن بعض الأدبيات السيكولوجية تذكر بأن مستوى التعليم والذكاء والعمر يقلل من الصراعات ويساعد على الصمود الزواجي, (Wayne, & share, 1997. p111).

ثالثاً: أدوات الدراسة: لتحقيق أهداف الدراسة تم إعداد الأدوات الآتية:

مبررات إعداد المقاييس: تم بناء هذين المقياسين بهدف توفير أدوات مستمدة من البيئة العربية بما يتناسب مع طبيعة العينة، وقد تم إعدادها وفق خطوات علمية منهجية و تم تفصيلها لتلائم مع محتوى الدراسة وعينتها، وفيما يلي توضيح مراحل إعداد المقاييس وحساب الكفاءة السيكمترية لها.

أولاً: مقياس الصمود النفسي: مر إعداد مقياس الصمود بمراحل نبلورها فيما يلي:

1- دراسة وتحليل النظريات والدراسات السابقة: عادة ما يعتمد القياس النفسي على نظريات تفسره، وبحوث ميدانية تختبر صلاحيته وكفاءته، ومن ثم جاءت ضرورة تحليل النظريات والبحوث المرتبطة بالصمود، وذلك بهدف معرفة وجهات النظر المختلفة في تفسير هذه السمة، مما يساعد على استخلاص مجالات ومكونات الظاهرة وتحديد التعريف الإجرائي، ويعد ذلك خطوة أساسية لبناء القياس وتحديد مكوناته. (Froma,w,2003), (Lind,B,C,2001), (Thomas,B,2000).

2- الإطلاع على المقاييس السابقة: التي تناولت الصمود كوسيلة مساعدة لتحديد مكونات المقياس، والإحتكام إلى النماذج السابقة كمعيار صدق بالإضافة للتعرف بصورة عملية على كيفية كتابة بنود المقياس، وما إلى ذلك من فنيات بناء المقياس، وفيما يلي سوف نشير لبعض المقاييس التي تم الإطلاع عليها والإستفادة منها، وذلك على النحو التالي:

مقياس (محمد عثمان، 2010) يتكون من أربعة مكونات وسبعون عبارة، (كارولين ويكس، 2005) يتكون من أربعة مكونات وإثنان وأربعون عبارة، (ولاء اسحق، 2009) يتكون من خمسة مكونات وسبعة وخمسون عبارة، (سامي فنجان، 2010) يتكون من أربعة مكونات وستون عبارة، (محمد الخطيب، 2007) يتكون من أربعة مكونات وخمسة وخمسين عبارة، (عواطف صالح، 2004) مكونان وثلاثون عبارة، (هبه ابراهيم، 2009) ثلاثة مكونات وأربعين عبارة.

3- إعداد استبانة مفتوحة: ثم تصميم استبانة مفتوحة طبقت الأسئلة على عينة (ن=30) من الزوجات وقد تضمنت الاستبانة الأسئلة التالية: **س1-** هل تجدين بعض الصعوبات في حل الخلافات التي تواجهك في حياتك الزوجية؟ **س2-** هل لك أن تذكر بعض الأساليب التي تستخدمينها أثناء حل الخلافات؟ **س3-** هل تواجهين صعوبات في أداء الأدوار المطلوبة منك كزوجة؟.

4- تحديد مكونات المقياس: من خلال الدراسة الإستطلاعية وتحليل الدراسات والأطر النظرية والمقاييس السابقة التي تم الإشارة إليها، ثم بلورة مكونات المقياس في ثلاثة مكونات فرعية، كما تم تحديد المفهوم الإجرائي لكل مكون وذلك على النحو التالي:

أ- المرونة في حل المشكلات: القدرة على حل المشكلات الزوجية المتعلقة بالزواج والأبناء وتقديم بعض التنازلات الخاصة بالعلاقة الزوجية في المواقف الضاغطة.

ب- ضبط الإنفعالات: قدرة الأزواج على ضبط النفس وتقبل الأخطاء والقدرة على التكيف إزاء أحداث الحياة.

ج- التواصل الإيجابي الفعال: توظيف المهارات المختلفة للحد من السلوك السلبي من أجل إنجاح العلاقة الزوجية.

5- صياغة عبارات المقياس: تم صياغة المقياس في ضوء مصادر المعرفة السابقة، وبناء على التعريفات الخاصة بكل مكون، فقد بلغ المقياس في صورته الأولية (35) مفردة، وقد صيغت عبارات المقياس بلغة عربية سهلة وواضحة غير موحية أو مزدوجة المعني.

6- تحكيم المقياس: تم التحكيم بعرضه على عينة من اساتذة في علم النفس بجامعة عين شمس وذلك لبيان مدى مناسبة كل عبارة من مقياس المكون، وبيان ما إذا كانت العبارات مناسبة وواضحة، وقد أسفرت نتائج التحكيم عن الإبقاء على العبارات التي حصلت على موافقة (80%) من المحكمين وبناء عليه تم حذف بندين، كما تم صياغة ستة بنود.

7- الصورة النهائية للمقياس: يتكون المقياس في صورته النهائية من (33) عبارة موزعة على ثلاثة مكونات فرعية تتعلق بالصمود بعضها إيجابي وبعضها سلبي، يوجد أمام كل منها ثلاثة اختيارات هي (دائماً- أحياناً- أبداً) تحصل الدرجات الإيجابية منها على الدرجات (1- 2- 3) على التوالي، أما العبارات السلبية فتكون عكس ذلك، وتدل الدرجة المرتفعة على معدل مرتفع من الصمود والعكس صحيح.

8- حساب الكفاءة السيكمترية: ويقصد بها التحقق من صدق وثبات المقياس، وقد تم حساب صدق وثبات المقياس على عينة قوامها (87) زوجة على النحو التالي:

أولاً: الصدق: تم حساب الصدق بعدة طرق نوضحها فيما يلي:

1- صدق المحكمين: تم عرض المقياس في صورته الأولى على مجموعة من المحكمين، وقد تم تعديل وصياغة البنود في ضوء مقترحاتهم، ومن ثم فقد تحقق صدق المحكمين.

2- صدق البناء والمحتوي: ولتحقيق هذا النوع من الصدق، فقد تم تحديد مكونات المقياس و صياغة بنوده في ضوء تحليل المقاييس والنظريات والدراسات السابقة المعنية بدراسة الصمود عند الزوجات، وبالتالي فإن المقياس يكون صادقاً من حيث المحتوى والبناء، وأن مفرداته ثم إشتقاقها من الأطر النظرية والميدانية .

3- القدرة التمييزية للمقياس: حيث تم حسابها بإعتماد اختبار "ت" للعينات المستقلة على عينة بلغ حجمها (81) بإعتماد الوسيط

جدول (2) القدرة التمييزية للمقياس

القيم الاحصائية المتغيرات	حجم العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة "ت"	مستوي الدلالة
الصمود النفسي	الادني	43	67,81	5,319	10,832	0,001
	الاعلي	38	78,07	2,561		

وبالنظر للجدول السابق يتبين لنا أن قيمة $t = 10,832$ وهي دالة عند مستوي الدلالة 0,01 وهذا يعني أن المقياس لديه القدرة على التمييز بين المرتفعي ومنخفضي الصمود النفسي.

ثانياً: ثبات المقياس: يتمتع هذا المقياس بمعدلات ثبات مرتفعة حيث بلغ معامل الثبات بطريقة الفاكرونباخ (0.686) وبطريقة التجزئة النصفية (0.621) وبطريقة الإتساق الداخلي فقد بلغ معامل الثبات لمكونات المقياس الصمود النفسي كالاتي: المرونة في المشكلات (0.755) ضبط الإنفعالات (0.781) التواصل الإيجابي الفعال (0.722) وهي جميعاً دالة عند مستوى (0.05). وقد تم الوفاء بمتطلبات المرغوبة الاجتماعية، حيث التوزيع العشوائي للمفردات كما هو وارد بالجدول التالي:

جدول (3) توزيع بنود المقياس علي المكونات

أرقام العبارات	مكونات المقياس
1-4-7-10-13-16-19-22-25-28-31-	المرونة في حل المشكلات
2-5-8-11-14-17-20-23-26-29-32-	ضبط الانفعالات
3-6-9-12-15-18-21-24-27-30-33-	التواصل الإيجابي الفعال

ثانياً: مقياس الخلافات الزوجية: مر إعداد هذا المقياس بنفس خطوات المقياس السابقة ونذكرها فيما يلي:

1- الإطلاع على الدراسات السابقة التي تناولت الخلافات الزوجية: وذلك بهدف التعرف على أسباب الخلافات الزوجية، وكيفية التعامل معها أو مواجهتها نذكر منها لا للحصر، (صفاء مرسى، 2005) (عبد الرزاق 1998)، (Smith&Suit, 2004).

2- الإطلاع على المقاييس السابقة والتي أهتمت بمقياس الخلافات الزوجية ونذكر منها لا للحصر، (Lloyd, 1990) يتكون من مكونان وواحد وأربعون عبارة، (صفاء مرسى، 2005) أربعة مكونات وستة وخمسون عبارة، (مرفت إمام، 2006) خمسة مكونات وتسعون عبارة (ريناد موسى، 2007) خمسة مكونات وثمانون عبارة

3- إعداد استبانة مفتوحة: تم تصميم إستبانة مفتوحة، طبقت الأسئلة على عينة (ن=30) من الزوجات، وكانت الأسئلة كالآتي: س1- ماهي أهم أسباب الخلافات الزوجية في تصورك؟. س2- ماهي السلوكيات التي تقومين بها لتشعري زوجك بالود والمساعدة والأهتمام؟. س3- في رأيك ماهي العوامل التي تجعل الزواج ناجحاً؟.

4- صياغة عبارات المقياس: تم صياغة مفردات المقياس في ضوء مصادر المعرفة السابقة، وبناء على التعريفات الخاصة بالخلافات الزوجية، وقد صيغت عبارات المقياس بلغة عربية سهلة وواضحة غير موحدة أو مزدوجة المعني.

5- تحكيم المقياس: تم تحكيم المقياس حيث عرض على عينة من اساتذة في علم النفس بجامعة عين شمس وذلك لبيان مدى مناسبة كل عبارة في مقياس المكون، وبيان ما إذا كانت العبارات مناسبة وواضحة، وقد أسفرت نتائج التحكيم عن الإبقاء على العبارات التي حصلت على موافقة (80%) من المحكمين.

6- الصورة النهائية للمقياس: يتكون المقياس في صورته النهائية من (17) عبارة، يوجد أمام كل منها ثلاثة اختيارات (دائماً - أحياناً - أبداً) وتدل الدرجة المرتفعة على معدل مرتفع من الخلافات الزوجية، والعكس صحيح.

7- حساب الكفاءة السيكمترية للمقياس: ويقصد بها التحقق من صدق وثبات المقياس وقد تم صدق وثبات المقياس على عينة قوامها (87) زوجة تتوفر فيها نفس خصائص العينة الأساسية للدراسة على النحو التالي:

أولاً: الصدق: تم حساب الصدق بعدة طرق نوضحها فيما يلي:

1- صدق المحكمين: تم عرض المقياس في صورته الأولية على عينة من المحكمين، وقد تم تعديل وصياغة البنود في ضوء مقترحات المحكمين.

2- الصدق المحتوي والبناء : ولتحقيق هذا النوع من الصدق، فقد تم تحديد بنود المقياس في ضوء تحليل المقاييس والنظريات، والدراسات السابقة المعنية بدراسة الخلافات الزوجية، وهذا يعني أن المقياس صادق من حيث بناء المحتوي .

ثانياً: ثبات المقياس: يتمتع هذا المقياس بمعدلات ثبات مرتفعة، حيث بلغ معامل الثبات بطريقة معامل ألفا كرونباخ (0.817) وكذلك بطريقة الإتساق الداخلي ونوضح ذلك في الجدول التالي:

يوضح جدول (4) معامل الإتساق الداخلي لمقياس الخلافات الزوجية

معامل بيرسون	رقم العبارة
538 **	1
572 **	2
635 *	3
493 **	4
119	5
343 **	6
631 **	7
634 **	8
590 **	9
055 *	10
614 **	11
568 **	12
703 **	13
640 **	14
633 **	15
576 **	16
550 **	17

ثالثاً: تطبيق أدوات الدراسة: تم تطبيق أدوات الدراسة (مقياس الصمود النفسي-الخلافات الزوجية) وذلك بصورة فردية على (ن=87) زوجة ليبية من المقيمتين بجمهورية مصر العربية لغرض الدراسة وذلك وفاء بماورد في عنوان الدراسة.

نتائج الدراسة ونستعرضها علي النحو التالي:

1- الفرض الأول: ونصه (تختلف الخلافات الزوجية لعينة الدراسة باختلاف الصمود النفسي)، وللتحقق من ذلك تم معالجة استجابات (ن=87) على مقياس الصمود النفسي ومكوناته، باستخدام اختبار (T.test) للعينات المستقلة ونوضح ذلك بالجدول التالي:

جدول (5) وقيمة (ت) ودلالاتها بين ذوى الدرجات المرتفعة وذوى الدرجات المنخفضة على مقياس الصمود في الخلافات الزوجية

القيمة الإحصائية المتغير	مرتفع الصمود (ن=22)		منخفض الصمود (ن=22)		قيمة (ت)	قيمة dr	مستوى الدلالة
	م	ع	م	ع			
الخلافات الزوجية	35,31	4,59	23,40	1,76	11,35	42	0.001

وبالنظر إلى المعالجة الإحصائية فإن قيمة (ت) بالنسبة لمقياس الخلافات الزوجية (11.35) وهى قيمة دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.01) كما بلغ المتوسط الحسابي مرتفعي الدرجة في الصمود (35.31) وانحراف معيارى (4.59) وعلى ذلك يمكننا القول أنه لا توجد فروق دالة إحصائياً بين مرتفعي ومنخفضي في درجة الصمود النفسي على مقياس الخلافات الزوجية وبمقارنة هذه النتيجة تختلف مع نتائج دراسة (Mark, W.A. & Neils, J.S., 1989) في عرضهما لنظرية اضطراب العلاقات أن الأزواج الذين يعانون من صمود منخفض لديهم نقص في القدرة على التحكم الداخلي والخارجي في الضغوط التي قد يتعرضون لها في الحياة الزوجية. كما أوضحت نتائج دراسة (Jean. M. K., 1994) بأن هناك ارتباط إيجابي الدلالة إحصائياً بين عدم الصمود النفسي وارتفاع معدل الخلافات وعدم الرضا عن الحياة الزوجية كذلك أوضحت نتائج دراسة (Goil, K & Beelek, O,

(2000) بأن هناك علاقة سلبية بين عدم الصمود النفسي للأزواج والاتصال الإنفعالي والقدرة على حل المشكلات والرضا الزوجي ويُعزى تفسير هذه النتيجة إلى أن معظم الزوجات اللواتي تحصلنا على درجات مرتفعة على مقياس الصمود قد يرجع إلى قدرتهن على الاتصال الزوجي الناجح والقدرة على التعبير عن وجهات النظر المختلفة مع تقبل وجهات نظر الشريك الآخر، والقدرة على التفاوض والمشاركة والاستماع إلى الرأي الآخر ومن ثم تصبح لديهن القدرة على الصمود النفسي لمواجهة الخلافات التي تواجه حياتهن الزوجية.

2- الفرض الثاني ونصه: يختلف كل من الصمود النفسي والخلافات الزوجية باختلاف المتغيرات الديموغرافية (العمر-مدة الزواج-عدد الأبناء-المستوى التعليمي).

وللتحقق من صحة هذا الفرض تم تطبيق المقاييس الآتية مقياس الصمود ومقياس الخلافات الزوجية وذلك على عينة (ن=87) زوجة وقد تمت معالجة البيانات باستخدام الإحصاء البارامترى متمثلاً في اختبار (T.test) للعينات المستقلة وذلك للتحقق من دلالة الفروض بين الزوجات وفقاً لمتغير العمر، وقد أسفر تطبيق هذا الاختبار عن النتائج المبينة بالجدول التالي:

جدول (6) وقيمة (ت) ودلالاتها بصدد إختلاف الصمود باختلاف العمر

مستوي الدلالة	قيمة (ت)	العمر من 31 - 42 (ن = 51)		العمر من 20 - 30 (ن = 36)		القيمة الإحصائية المتغير
		ع	م	ع	م	
.948	0.065	6.48	72.6	6.46	72.7	الصمود النفسي

يتضح من القيم المدونة بالجدول السابق عدم دلالة قيمة (ت) بالنسبة لمقياس الصمود النفسي وفقاً لمتغير العمر، بمعنى عدم إختلاف الصمود النفسي باختلاف متغير العمر، وهذه النتيجة لا تتفق مع دراسة (Jennifer, p, 1999) والتي تؤكد بأن نجاح الزواج يرتبط بالمرحلة العمرية ما بين (21-27) سنة .

أما بالنسبة للشق الثاني من الفرض الثاني: يختلف الصمود النفسي باختلاف مدة الزواج لدى عينة الدراسة وللتحقق من صحة هذا الفرض تم تطبيق اختبار (T.test) للعينات المستقلة وقد أسفر تطبيق هذا الإختبار عن النتائج المبينة بالجدول التالي:

جدول (7) وقيمة (ت) ودلالاتها بصدد إختلاف الصمود باختلاف مدة الزواج

مستوي الدلالة	قيمة (ت)	مدة الزواج من 10 - 18 (ن = 20)		مدة الزواج من 1 - 9 (ن = 67)		القيمة الإحصائية المتغير
		ع	م	ع	م	
.599	0.612	7.79	73.50	6.02	72.4	الصمود النفسي

يتضح من القيم المدونة بالجدول السابق عدم دلالة قيمة (ت) بالنسبة لمقياس الصمود النفسي وفقاً لمتغير مدة الزواج، وهذه النتيجة تختلف مع النتائج التي توصلت إليها دراسة (Wesley, D.Z., 2001) عن فحص العلاقة بين الصمود النفسي لدى المتزوجين والمطلقين حيث تم ضبط متغير مدة الزواج بتحديد مدة عشر سنوات على مرور الزواج سواء بالنسبة للزيجات المستمرة أو المطلقة، وقد

أوضحت النتائج أن هناك علاقة بين الصمود ومدة الزواج لصالح المتزوجين، كما أكدت دراسة Goil, (K & Beelck, O, 2000) أن هناك علاقة سلبية بين الصمود الزوجي ومدة الزواج، ويُعزى تفسير هذه النتيجة إلى أن معظم الزوجات مدة زواجهن أقل من العشر سنوات وقد يكون السبب راجع إلى قدرتهم على الاتصال الوجداني وحل المشكلات حيث تؤكد الأدبيات السيكلوجية أن القدرة على تنظيم الضغوط بصورة مبكرة في السنوات الزواج المبكرة ربما تجعل العلاقات الزوجية أكثر صموداً في مواجهة ضغوط المستقبل. (Neff&broadly,2011)

أما بالنسبة للشق الثالث من الفرض الثاني: يختلف الصمود باختلاف عدد الأبناء وللتحقق من صحة هذا الفرض السابق تم تطبيق اختبار (T.test) للعينات المستقلة وقد أسفرت تطبيق هذا الاختبار عن النتائج المبينة بالجدول التالي:

جدول (8) قيمة (ت) ودالتها بصدد اختلاف الصمود باختلاف عدد الأبناء

القيمة الإحصائية المتغير	عدد الأبناء من 4-0 (ن = 78)		عدد الأبناء من 5-8 (ن = 9)		قيمة (ت)	مستوى الدلالة
	ع	م	ع	م		
الصمود النفسي	6.35	72.38	6.80	75.6	1.45	.199

يتضح من القيم المدونة بالجدول السابق عدم دلالة قيمة (ت) بالنسبة لمقياس الصمود على متغير عدد الأبناء وهذه النتيجة تختلف مع النتائج التي توصلت إليه دراسة (Michel, D., 2002) أن الأزواج الذين يتمتعون بمستوى عالي من الصمود لديهم القدرة على حل المشكلات والخلافات وإحتفاظ كل من الزوجين بمكانته فيما يتعلق بالوظائف الأسرية والتوقعات المنتظرة منه مع الطرف الآخر، خاصة مع تواجد عدد كبير من الأطفال في الأسرة.

في حين نجد دراسة (Jean, M.K, 1994) تشير نتائجها إلى انخفاض مستوى الصمود النفسي للزوجين وارتفاع معدل الخلافات وعدم الرضا عن الحياة الزوجية يأتي نتيجة إلى رفض الزوجين إلى وجود

طفل في الأسرة، ويُعزى تفسير هذه النتيجة إلى أن معظم أفراد العينة من الزوجات اللواتي لديهن أقل عدداً من الأبناء الأمر الذي يساعد الزوجات في القيام بأدوارهن وتنظيم حياتهن بمرونة أكثر.

أما بالنسبة للشق الرابع من الفرض الثاني: يختلف الصمود باختلاف المستوى التعليمي وللتحقق من صحة هذا الفرض تم تطبيق اختبار (T.test) للعينات المستقلة وقد أسفر تطبيق هذا الاختبار عن النتائج المبينة بالجدول التالي:

جدول (9) قيمة (ت) ودلالاتها وفقاً لاختلاف الصمود باختلاف مستوى التعليم

القيم الإحصائية المتغير	المستوى التعليمي متوسط (ن = 13)		المستوى العالي (ن = 74)		قيمة (ت)	مستوى الدلالة
	م	ع	م	ع		
صمود النفسي	73.15	7.6	72.6	6.2	0.259	.825

يتضح من القيم المدونة بالجدول السابق عدم دلالة قيمة (ت) بالنسبة لمقياس الصمود النفسي وفقاً لمتغير مستوى التعليم وهذه النتيجة تختلف مع ما توصلت إليه دراسة

(Wayne, S.J. & Share, L.M., 1997) أن الصمود النفسي للزوجين يتأثر بتقارب مستوى التعليم وذكاء الزوجين بحيث يعمل التقارب بتقليل الصراعات بينما جاءت نتائج دراسة (Steven, W. & Walin, S., 1993) أن ضعف الصمود النفسي للزوجين يترتب عليها انخفاض الإنجاز الأكاديمي لدى بعض الأزواج وقد يرجع ذلك إلى نقص المهارات الاجتماعية، تُعزى تفسير هذه النتيجة إلى أن معظم الزوجات من ذات المستوى التعليمي العالي وهذا يمنح الزوجة فهماً أكثر لبعض الأمور التي تتعلق بالحياة الزوجية وكيفية حل بعض المشاكل والخلافات المتعلقة بالحياة الزوجية .

التوصيات والبحوث المقترحة

أولاً التوصيات وتتمثل في :-

- 1- أنشاء مكاتب إرشاد زواجي تساعد في حل المشكلات التي يتعرض لها الزوجان والتي تعمل على تنمية الصمود النفسي.
- 2- إثراء البرامج الإعلامية (المقرؤه- المرئية- المسموعة) بما يعمل على تعميق ثقافة الآخر، والتواصل البناء بين الأزواج .
- 3- إثراء البرامج التعليمية بما يساعد على تأهيل وتثقيف الشباب المقبل على الزواج والأختيار الصحيح للقرين .

ثانياً البحوث المقترحة:-

- 1- الصمود النفسي وعلاقته بالمعاناة الاقتصادية لدى المتزوجين من الجنسين .
- 2- النضج الإنفعالي وعلاقته بالصمود النفسي لدى الزوجين.
- 3- الذكاء الوجداني وعلاقته بالصمود النفسي لدى المتزوجين.
- 4- بعض المتغيرات النفسية والإجتماعية وعلاقتها بالصمود النفسي لدى المتزوجين ومن هذه المتغيرات العقم- تعدد الإنجاب - القلق- الذكاء - تقدير الذات - مستوى الطموح.
- 5- فاعلية برنامج إرشادي مقترح لتنمية الصمود النفسي وتخفيف مستوى الخلافات الزوجية.
- 6- دراسة تأثير متغيرات أخرى مثل الأصدقاء والأهل في تعزيز مستوى درجة الصمود النفسي لدى الأزواج.
- 6- دراسة مقارنة بين المتزوجين والمطلقين في استخدام أساليب وفيات الصمود النفسي.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- 1- ريناد عبد المنعم موسى (2007): المشكلات الزوجية وعلاقتها بالسلوك الأنفعالي للأبناء في المرحلة الابتدائية, رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة القاهرة.
- 2- سامي خليل فحجان (2010): التوافق المهني والمسؤولية الاجتماعية وعلاقتها بمرونة الأنا لدي معلمي التربية الخاصة, رسالة ماجستير, كلية التربية, الجامعة الإسلامية بغزة.
- 3- صفاء إسماعيل مرسى السيد (2004): بعض المتغيرات النفسية الاجتماعية المرتبطة بالأختلالات الزوجية, رسالة دكتوراه, كلية الآداب, جامعة القاهرة.
- 4- عواطف حسين صالح صالح (2004): المرونة الزوجية وعلاقتها بالحاجات الإنفعالية الاجتماعية والإكتئاب لدى المتزوجين من الجنسين, مجلة كلية التربية, المنصورة, العدد 56 سبتمبر.
- 5- كارولين ويكس (2005): مقياس المرونة متعدد الأبعاد, تعريب عيد محمد شحدة أبو عمرة (2008): المرونة وعلاقتها بالتوافق الدراسي وفاعلية الذات, رسالة ماجستير, جامعة القاهرة.
- 6- محمد جؤاد الخطيب (2007): الاحتراق النفسي وعلاقته بمرونة الأنا لدي المعلمين الفلسطينيين بمحافظة غزة, كلية التربية, جامعة الأزهر بغزة, بحث مقدم إلى المؤتمر التربوي الثالث الذي عقد في الجامعة الإسلامية, غزة, في الفترة من 30-31 أكتوبر.
- 7- محمد سعد حامد عثمان (2010): فاعلية برنامج إرشادي لتنمية المرونة الإيجابية, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية, جامعة عين شمس.
- 8- مرفت محمد إمام (2008): نمط التواصل اللفظي بين الزوجين, وعلاقته ببعدي الأنسباط والعصائية والتوافق الزوجي, وعلاقة ذلك بالسواء النفسي بالإطفال, رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة القاهرة.
- 9- هبه سامي محمد إبراهيم (2009): المرونة الإيجابية وعلاقتها بوجهة الضبط لدي عينة من الشباب الجامعي, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية, جامعة عين شمس.
- 10- ولاء اسحق (2009): فاعلية برنامج إرشادي مقترح لزيادة مرونة الأنا لدي طالبات, رسالة ماجستير, كلية التربية, الجامعة الإسلامية بغزة.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- 1- BanMeister, R.F., Gailliot, M., Dewall, C.N., Poaten, M. (2006): Self-regulation and Personality: How interventions increase regulatory success, and now depletion moderates the effects of traits on behavior journal of personality, 74, 1773 – 1802, doi.: 10 – 1111/j. 1467 – 6494. 2006. 00428.X
- 2- Carol A.B. (1987): Depression and families, journal of psychotherapy and the family, vol. 47, no. 33 – 47.
- 3- Conger, R. D., Rueter M. A., Elder G. H. Jr. (1999): Couple resilience to economic pressure. Journal of personality and social psychology, 76 (1), 54 – 71.
- 4- Forma, W. (2003): Family resilience: A frame work for clinical practice, family process, vil. 42, no.1: p.1 – 3.
- 5- Gail K. and Beelek, O. (2002): individual resiliency, Historical variables and relationship quality as predictors of aggression older marriages, Diss, Abs, inter, vol. 62, no. (H – B), 5431.
- 6- Hamilton, M. (1993): Resiliency in families, Beverly Hills, CA: sage.
- 7- Jean M.K. (1994): Resiliency and Vulnerability the role of parent child relationships in Association with Marital discord and girls adjustment Diss, Abs, inter Vol. 55, (10B), 4608.
- 8- Jennifer p.l. (1999): Identify consolidation in early adulthood relations with ego-resiliency, the context of marriage and personality change, journal of personality, vol. 67, no. 2: 295 – 329.
- 9- Linda B.C. (2001): The relationship between family resilience and the successful management of fibromyalgia, Diss, Abs, inter vol. 62, (7 – B).
- 10- Liody, s., A. (1990) behavioral self-report report technique for assessing conflict in close relationships, journal of social and personal relationships, 7, 265, 272.
- 11- Mark W.A and Neils J.S. (1989): Depression marital satisfaction and marital and personality measures of sex roles, journal of marital and family therapy, vol. 15, no. 2, 177 – 186.
- 12- Michel, D. (2002) L Strengthening family resilience in traumatic situations, therapy families, vil. 23, no. 3: 269 – 287.
- 13- Neff A.Lisa and Broady F.Elizabeth (2011): stress resilience in Early Marriage: can practice Make perfect? Journal of personality and Social psychology DoI:10.1037/a0023809.

- 14- Rnoden, Lyn (2003): Marital cohesion, flexibility and ccommunication in the marriages nontraditional and traditional women the family journal, vol. 11, no. p. 248 – 256.
- 15- Rutter, M. (2007): Resilience, competence and coping child abuse and neglect, 31 (3). 205 – 209.
- 16- Staudinger, V.M., Marsiske, M., of Batles, P.B. (1993): Resilience and levels of reserve capacity in later adulthood: perspectives from life-theory-development and psychopathology y, 5, 541 – 566.
- 17- Steven W. and Walin S. (1993): The Resilient self, New York, NY: Villiard Books.
- 18- Thomas B. (2000): The effects of stress on emotional, Well-being and resiliency through a mediating mechanisms of active coping skills and family hardness (coping), Diss, Abs, inter, vol. 60, (7 – A), 2382.
- 19- Timothy, J. (2008): Supply chain resilience: Development of A conceptual framework, An Assessment tool and an implementation process. Doctorate Thesis, The graduate school, Ohio University.
- 20- Tsipora P. R. (1987): Divorce and the adult life span: Alongitudin and adolescent using social climate and relationship styles, Diss., Abs., inter, vil. 38, vil. 6, no. 3, 2881 – 2882.
- 21- Walsh, F. (1996): The concept of family resilience: Crisis and challenge. Family process, 35, 261 – 281.
- 22- Walsh, F. (1998): Strengthening family resilience. New York: Cuilford.
- 23- Wesley, D.Z. (2001): The enduring marriages of adult children of divorce, Diss, Abs, inter, vol. 61, (05B), 2822.
- 24- Wayne,s,j. and Share,L.M.,(1997,perceived organizational Support and Leadermember exchange:A social exchange perspective academy of management journal, vol.82,no.4:111
- 25- Wicks, C. (2005): Resilience: an integrative framework for measurement (doctoral dissertation). Graduate school Loma Linda University.
- 26- Zucked, R., Wong, M., Puttler, L., of Fitzg et al., d, H. (2003): Relationship to developmental outcomes between early childhood and adolescence. United State of America: Cambridge University Ptess. 76 – 103.

ضغوط العمل في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ

د. عيسى أحمد إمام أبو عجيبة

المعهد العالي للمهن الشاملة سبها

أ. عبد المنعم ناجم أمحمد

كلية الاقتصاد جامعة سبها

الملخص

هدفت الدراسة إلى معرفة أثر المتغيرات الشخصية على ضغوط العمل في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتم استخدام قائمة الاستقصاء كأداة رئيسية لجمع البيانات، وقد بلغ مجتمع الدراسة (793) مفردة وتم اختيار عينة عشوائية طبقية وبلغ عدد الاستمارات التي تم تحليلها (218) استمارة واستخدم برنامج التحليل الإحصائي (SPSS) لإدخال ومعالجة البيانات، واختبار الفروض، وتوصلت الدراسة إلى أن الأطباء والمرضى والإداريين والعاملين بالمستشفيات العامة بوادي الشاطئ يشعرون بضغوط عمل بمستويات مختلفة، ويوجد اختلاف معنوي بين مستوى ضغوط العمل لعينة الدراسة يعزى إلى المتغيرات الشخصية باستثناء متغير (الخبرة).

الجزء الأول : الاطار العام للدراسة

تعد ضغوط العمل من أهم الموضوعات التي لقيت اهتمام كبير من قبل الباحثين، ففي الماضي كان ينظر إليها على أنها ظاهرة مرتبطة بالصحة العامة للفرد وضمن اختصاص الطب البشري وعلم النفس، وتناولته العديد من البحوث في مجال علم النفس الاجتماعي وعلم النفس المهني والتي أكدت في مجملها أنها مشكلة مهمة تتعلق بالعمل، وأن فهمها يتطلب فهم كل من شخصية الفرد وبيئة العمل، أما اليوم فموضوع ضغوط العمل يعد من الموضوعات المرتبطة بالسلوك التنظيمي وإدارة الموارد البشرية، ولقد شغل ولا يزال يشغل هذا الموضوع مساحة هامة في الفكر التنظيمي المعاصر، ولا يزال يحظى باهتمام متزايد من قبل المفكرين والاستشاريين والمديرين.

أولاً: الدراسات السابقة:

1- دراسة (Shamaila: 2010): هدفت الدراسة إلى: معرفة مستوى وتأثير ضغوط العمل

لدى الممرضات في المستشفى التعليمي بكراتشي وتوصلت الدراسة إلى أن 30% من الممرضات لديهن مستوى عالي من ضغط العمل بينما 43% لديهن مستوى متوسط من ضغط العمل، ولتنوع العمل والعمر أثر في ضغوط العمل وأهم مصادر ضغوط العمل (البيئة الفقيرة، عبء العمل الثقيل،

السلوك العدواني، المشاكل المتعلقة بالنقل، المخاطر المهنية) و ضغوط العمل لها تأثير حقيقي على الرعاية الصحية وجودة الأداء.

2- دراسة (Aoki: 2011): هدفت الدراسة إلى : معرفة مستوى ضغوط العمل الذي تتعرض له الممرضات بتايلند بالإضافة إلى معرفة أثر العوامل الشخصية وخصائص العمل والدعم الاجتماعي على مستوى ضغوط العمل، وتوصلت الدراسة إلى: أن الممرضات تعاني من ضغوط عالية حيث أن 26% من عينة الدراسة قد تم تصنيفها على أنها مجموعة ذات خطر مرتفع فيما يتعلق بضغوط العمل، وأن 70% من عينة الدراسة كانت أعباء العمل عليهن ثقيلة جداً مما سبب في ارتفاع ضغط العمل لديهن، وقد أوضحت الدراسة أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين كلاً من ضغوط العمل وعبء العمل، وأن لعلاقات العمل الجيدة والدعم الاجتماعي أثر كبير في تخفيف الشعور بضغوط العمل.

3- دراسة (Golubvic: 2012): هدفت الدراسة إلى: معرفة و تحليل ضغوط العمل المادية والاجتماعية وأثارها على الصحة النفسية والجسدية للممرضات العاملات في غرف العناية المركزة بصربيا، وتوصلت الدراسة إلى: وجود تأثير كبير لضغوط العمل الناتجة عن البيئة المادية على الصحة البدنية والنفسية للممرضات مقارنة مع الضغط الناتج عن البيئة الاجتماعية، مع فروق في مستوى الضغط يرجع للعوامل الشخصية والاجتماعية للمشاركات، وتعاني الممرضات الكثير من الامراض والألام الناتجة عن ضغوط العمل مثل (الصداع، الارق، التعب، ألأم اسفل الظهر، تقلب المزاج، ارتفاع ضغط الدم، السكري).

4- دراسة (Farquhason: 2013): هدفت الدراسة إلى: معرفة ضغوط العمل الوظيفية ومتطلبات الرعاية الصحية وأثرها على الصحة والأداء بإسكتلندا، وتوصلت الدراسة إلى: أن (30%) من عينة الدراسة تعاني من ضغوط عالية و (31%) لديهن النية في ترك العمل بسبب الضغوط و (16%) ستترك العمل في الوقت القريب مع اول فرصة للعمل في مكان آخر وتظهر أثار الضغوط في اعتلال الصحة الجسدية و النفسية وانخفاض الرضا الوظيفي وزيادة الغياب ودوران العمل وضعف في الأداء والانتاجية، و للضغوط علاقة وثيقة بالنية في ترك العمل، وان إجراء تغـيـرات في بيئـة العمل بهدف التحسين والتطوير وإعادة تنظيم المهام والتدريب على التكيف مع الضغوط، تعد من

ضمن استراتيجيات مواجهة الضغوط , وتساهم في الاحتفاظ بالعناصر الطبية والمرضات وبقائهن في العمل, ولها أثر في تحسين رعاية المرضى والأداء الوظيفي.

5- دراسة (2014: Namrata) هدفت الدراسة إلى: تقييم ضغوط العمل بين الممرضات العاملات في مستشفى الرعاية بدلهي وأثرها على الفرد والمنظمة, وجودة الرعاية الصحية للمرضى, وتوصلت الدراسة إلى أن نسبة الممرضات التي لديهن مستوى عالي من ضغوط العمل قد بلغت (49%), وأن أهم مصادر ضغوط العمل هي (عدم اليقين في العلاج, والتعامل مع المرضى, وعبء العمل, والصراع مع الأطباء والمشرفين, والعلاقة مع الزملاء, والتميز) و للضغوط تأثير سلبي مباشر على الفرد, من حيث الصحة والرفاه وعلى المنظمة من حيث التكاليف والغياب و دوران العمل والمناخ التنظيمي وجودة الرعاية الصحية.

6- دراسة (2015: Jones) هدفت الدراسة إلى: معرفة العلاقة بين ضغوط العمل والعوامل الشخصية والتنظيمية في غرف العناية المركزة بالمستشفيات الباريسية , وتوصلت الدراسة إلى : أن آثار الضغوط تظهر في صعوبة النوم وزيادة التعب والإرهاق , والنساء أكثر عرضة للتوتر من الرجال , والعمل في الليل أكثر صعوبة وضغط من النهار وللغوامل الشخصية والتنظيمية أثر في ضغوط العمل.

7- دراسة (2015: Psych) هدفت الدراسة إلى: معرفة ضغوط العمل واستراتيجيات تخفيف الضغوط عند الممرضات وأثر الضغوط على جودة الحياة الوظيفية ورعاية المرضى في دبلن وتوصلت الدراسة إلى: أن الضغوط تتمثل في نقص المواد وعبء العمل والهياكل التنظيمية والعمليات, وعدم وجود اختلافات كبيرة حول استراتيجيات التأقلم, وللتدخلات التنظيمية أثر في زيادة الإنجاز الشخصي ولضغوط العمل أثر على جودة الحياة الوظيفية ورعاية المرضى .

ثانياً: مشكلة الدراسة:

تعتبر مهنة الطب من المهن ذات الطابع الانساني, وتصنف من المهن الضاغطة, وهي لا تخلوا من المعوقات والضغوط التي تحول دون قيام الفرد بدوره المطلوب الأمر الذي يجعله غير قادر على أداء عمله بالمستوى المتوقع وتتمثل مشكلة الدراسة في ضغوط العمل التي يتعرض لها العاملين في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ وأثر المتغيرات الشخصية في ذلك ويكمن بلورة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

1- ما مستوى الضغوط التي يعاني منها الأطباء والمرضى والإداريين العاملين بالمستشفيات العامة بوادي الشاطئ .

2- ما مدى أثر للمتغيرات الشخصية على ضغوط العمل في المستشفيات قيد الدراسة.

ثالثاً: فرضية الدراسة:

لا يوجد اختلاف معنوي لمستوى ضغوط العمل وفقاً للمتغيرات الشخصية (النوع - العمر - الخبرة - المسمى الوظيفي - المستوى التعليمي) في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ .

رابعاً: أهداف الدراسة

1- التعرف على مستوى وحجم ضغوط العمل التي يعاني منها الأطباء والمرضى والعاملين في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ .

2- التعرف على أثر المتغيرات الشخصية على ضغوط العمل في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ .

خامساً: أهمية الدراسة

1- الأهمية العلمية:

أ- أن للضغوط الوظيفية العديد من النتائج والآثار السلبية ليس على شاغل الوظيفة فقط ولكن تتمدد هذه الآثار على المنظمة وعلى المجتمع بصورة عامة، وعادة ما تكون مكلفة.

ب- من خلال مراجعة الدراسات السابقة تبين قلة الدراسات المتعلقة بالبيئة اليبية في موضوع ضغوط العمل، رغم أهميته في المنظمات غير الهادفة إلى الربح وفي المستشفيات العامة خصوصاً وتأتي هذا الدراسة كإضافة علمية لهذا الموضوع.

2- الأهمية التطبيقية:

تنبع الأهمية التطبيقية للدراسة من أهمية المستشفيات اليبية كمجال للتطبيق مما يزيد من أهمية الوصول إلى نتائج وتوصيات تساعد في الاستخدام الفعال لمنهج وإدارة الضغوط وبالتالي المساهمة في تحسين الأداء في هذه المستشفيات.

الجزء الثاني : الإطار النظري للدراسة

أولاً: مفهوم ضغوط العمل:

تعتبر ضغوط العمل سمة عالمية والتشابه ليس فقط في ضغوط العمل من دولة إلى أخرى إنما التشابه في رد الفعل غير الملائم على هذه الضغوط مع تباين ضغط العمل بين الوظائف فبعض الوظائف بطبيعتها تتضمن ضغوط عالية مثل المدراء والأطباء والمرضى وما في حكمهم، وذلك لأن هذه

المهنة تحتاج الى قرارات خطيرة او تركيز مستمر في العمل في بيئة غير آمنة ، وتحتاج الى معاناة فكرية وتفاعل مستمر مع الاشخاص لإرضاء رغباتهم ، وزيادة تنامي هذه الظاهرة رغم التدابير الاحترازية المتخذة للحد منها.

ويمكن تعريف ضغوط العمل بأنها: حالة من التوتر والانفعال تصيب الفرد بدنياً ونفسياً وعقلياً ناتجة عن تعرضه لمواقف ومتطلبات بيئية أو وظيفية أو اجتماعية مفروضة عليه وإذا ما زادت عن قدرته وإمكانياته فإنها تسبب له أضرار متعددة (جاد الرب ، 2011 ، 398) .

كما يمكن تعريفه بأنه رد الفعل السلبي للأفراد على مطالب العمل المفروضة عليهم والتي تفوق طاقتهم (8 ، 2013 ، Sally) .

ومما ورد سلفاً فان الباحث يرى بأن ضغوط العمل هي ردة فعل لدى الفرد ناتجة عن مواجهة الفرد حوادث بيئية مزعجة قد تكون في العمل او خارجه ولا يستطيع التكيف معها مما تدفعه إلى سلوك غير طبيعي في ادائه لعمله.

ثانياً: مصادر ضغوط العمل:

تتعدد مصادر ضغوط العمل وقام الباحث بدراسة كلٍّ من:

1- طبيعة العمل : طبيعة العمل الذي يقوم به الفرد من حيث مدي تنوع الواجبات المطلوبة أو مدي أهمية العمل وكميته ونوعية المعلومات المرتدة من تقييم الأداء كلها من العوامل المحتملة أن تكون مصدراً أساسياً للإحساس بالضغوط (العميان ، 2005 : 161) .

2- غموض الدور: وهو عبارة عن مدي الجهل السائد في العلاقات الوظيفية بسبب نقص المعلومات أو جهل الأفراد بالسلوكيات المطلوبة لتأدية العمل مع عدم الإلمام بالنتائج المترتبة على ذلك (جاد الرب ، 2011 : 400) .

3- صراع الدور: يظهر صراع الدور إذا كان هناك تعارض بين جوانب أداء ذلك الدور ومعتقدات الشخص الدينية والأخلاقية فمن المعلوم أن الافراد يؤمنون بالعديد من القيم الدينية بالإضافة إلى العديد من قواعد الاخلاق والقيم، ففي بعض الأحيان يحدث هذا التعارض بين القيم والمعتقدات وطبيعة الدور الذي يقوم به الفرد وهذا التعارض يسبب صراعاً داخل الفرد مما يؤدي إلى شعوره بالضغوط (الكتي ، 2005 : 216) .

4- اختلال العلاقات الشخصية: تؤدي العلاقات الشخصية بين الفرد وزملائه في العمل دوراً هاماً في الحياة العملية فهذه العلاقات قد تتيح له إشباع حاجاته النفسية من احترام وتقدير وإذا ساء

استغلال هذه العلاقة فإنها بلا شك ستتصف بسمات العداء والكراهية وقد تتعمق إلى الحد الذي يشعر فيه الفرد بالاغتراب والانفصال.

5- زيادة أو انخفاض عبء العمل: إن تحميل الفرد بأعباء فوق طاقته يعتبر مصدراً من مصادر الضغوط وقد تكون زيادة الأعباء من الناحية الكمية حيث يطلب من الفرد القيام بأعمال أكثر مما يستطيع إنجازه في وقت محدد، كما قد تكون زيادة العبء في شكل نوعي كأن يطلب من الفرد القيام بأعمال لا تلائم استعداده وقدراته الخاصة أي المهارة المطلوبة لإنجاز مستوى أداء معين أكبر من قدرته، وكذلك انخفاض أعباء العمل يمثل مشكلة لكثير من الأفراد خاصة عندما يصبح ظاهرة مستمرة ويرجع ذلك إلى أن العمل لا يمثل تحدياً لقدراتهم ويدفعهم للملل.

ثالثاً: آثار ضغوط العمل

لا يعتبر ضغط العمل مرضاً في حد ذاته بقدر كونه أحد الأسباب التي تؤدي إلى الإصابة بالأمراض العضوية والنفسية ومن ثم فإن ضغط العمل والشعور به يمثل مقدمة لشعور الفرد في العمل بحالة من عدم التوافق الذاتي ومن ثم عدم التكيف مع بيئة العمل.

في دراسة أجرتها شركة "هاريس إنترأكتف" لأبحاث واستشارات السوق في نيويورك أن (70%) من العاملين في الولايات المتحدة يعتقدون أن الناس في مواقع العمل أصبحوا يتعرضون لضغط أكبر بالمقارنة مع سنوات الماضي، وقال (1) من كل (4) موظفين شملتهم الدراسة إنهم يشعرون بأنهم أهكوا عقلياً وجسدياً بنهاية يوم العمل، وكل هذه النسب تغذي التقرير الذي يذهب إلى أن ضغوط العمل النفسية والجسمانية تكلف الشركات الأمريكية (300) مليار دولار سنوياً، وفي دراسة عن المستشفيات البريطانية توصلت إلى أن (30%) من الممرضات تعاني من ضغوط عالية جداً و (31%) تفكر جدياً في ترك المهنة و (16%) تقول انهما ستترك العمل في هذه المستشفيات في اقرب وقت اذا ما وجدت وظيفة اخرى (Barbara, 2013: 43)، وفي دراسة استرالية (Holland: 2012) أن الفترة القادمة سيكون هناك عجز في الممرضات في استراليا بسبب دوران العمل الناتج عن الضغوط وأكدت الدراسة وجود تصور لدى الممرضات بأنها مقدرة بأقل من قيمتها الحقيقية وتفتقر إلى التقدير الذي تستحقه وأن (15%) سيتركون العمل في الفترة القريبة وذلك بسبب اعباء العمل المفرطة والعلاقات السيئة مع الإدارة والموظفين (Holland ' 2012 : 41)، والإحصائيات تشير إلى أن (40%) من الأشخاص الذين يتركون وظائفهم يفعلون ذلك بسبب الضغوط وقدرت شركة زيروكس أن تكلفة توظيف مدير تنفيذي

بديل في الإدارة العليا تتراوح بين مليون إلى مليون ونصف دولار، كما تشير الإحصائيات أن التكلفة الناتجة عن استبدال الموظفين العاديين تتراوح بين (3000) إلى (15000) دولار. كما ان لضغوط العمل تأثير على العلاقات الاسرية فقد اظهرت دراسة (Anafarta: 2011) أن العلاقة تبادلية حيث للضغوط و الصراع في العمل تأثير على العلاقات الاسرية كما أن للنزاعات العائلية للفرد تأثير على علاقاته وأدائه للعمل (4, 2011: Anafarta) .

الآثار السلبية للضغوط على الفرد:

لقد أهتم الكثير من كتاب الإدارة بالآثار الناجمة عن ضغوط العمل على أداء الفرد كالغياب، القلق، العدوانية، ضعف القدرة على التركيز مما يزيد من مخاطر تعرضهم للحوادث وذكرت دراسة (Salami:2010) أن ضغط العمل يحدث تأثيرات على الفرد مثل الخوف والغضب والقلق ولدى ينتج عنه ضعف في التركيز وضبابية في الفهم وضعف في مهارات اتخاذ القرار (249, 2010: Salami).

وفي تقرير لجمعية الرعاية والصحة المهنية (OSACH) ان رد الفعل الابرز يتمثل في الاستجابة السلبية المعتادة التي تنتج عن الشعور بالضغوط والتي يمكن رصدها من خلال مجموعة من الاشارات اهمها ما يظهر على السلوكيات التنظيمية للفرد مثل انخفاض الروح المعنوية، وتزايد حالات الغياب والشكوى والمشاحنات، وعدم القدرة على انجاز الاعمال المكلف بها الفرد، كما يظهر كمشكلة نفسية مثل السلوك الانتحاري، والاعتماد على الآخرين، والميل نحو العنف، كما تظهر الاعراض الجسمية مثل امراض الضغط والقلب وألام المعدة والنوبات العصبية. والآثار الاجتماعية ألتى منها الشعور بالاغتراب الوظيفي أو أداء العمل دون مستوى الكفاءة، كما يسبب الضغط الكثير من المشاكل الأسرية التي قد تؤدي في بعض الأحيان إلى الطلاق (3, 2006: OSACH) .

1- الآثار السلبية للضغوط على المنظمة :

أن آثار الضغوط على المنظمة تتمثل في ضعف مشاركة الفرد في العمل نتيجة الغياب ، التأخر عن العمل والشكاوي والتظلمات وما يترتب على ذلك من تدني في الانتاج وارتفاع نسبة الحوادث، وقلة الاستفادة من الخبرات والقدرات المتوفرة في العمل و ضعف الرضا الوظيفي و الشعور بالفشل وعدم الدقة في اختيار القرارات و تدني مستوى الخدمات وجودتها وسوء العلاقات بين أفراد المنظمة.

2- الآثار الإيجابية للضغوط :

يرى بعض الباحثين أنه يمكن اعتبار مقدار مناسب من ضغوط العمل يمثل الإثارة لحياة العامل لكي يشعر الفرد بالثقة والتحديد والتغير و التحدي ويمكن القول أنها الآثار الإيجابية للضغوط.

الجزء الثالث : منهجية الدراسة

أولاً: أسلوب الدراسة

تم الاعتماد في الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يهتم بدراسة الظاهرة وتحليلها للوصول إلى الاستنتاجات الدقيقة حول الظاهرة وتفسيرها , ولتحقيق أهداف الدراسة تم الاعتماد على مصدرين أساسيين للبيانات , ويمكن توضيحهما على كما يلي:

1- المصادر الثانوية: اعتمد الباحث في تكوين الإطار النظري على الكتب العربية والدراسات العربية والأجنبية، والدوريات والأبحاث العلمية، الموجودة في الجامعات، أو منشورة عبر الإنترنت والتي تناولت موضوع الدراسة أو بعض جوانبها.

2- المصادر الأولية: لقد قام الباحث بأعداد باستمارة الاستبيان حول موضوع الدراسة، صممت لهذا الغرض موجهة لمفردات عينة الدراسة في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ وذلك لاختبار صحة الفرض الخاص بالدراسة وذلك لأنها من أكثر وسائل جمع المعلومات كفاءة في الدراسات الاجتماعية وكانت على النحو التالي:

أ. المتغيرات الشخصية : (النوع , العمر, المؤهل العلمي, سنوات الخبرة, الوظيفة)

ب. المتغيرات المتعلقة بضغوط العمل وأبعادها الفرعية كما يلي:

- عبء العمل ويشمل على 6 عبارات بحثية.
- صراع الدور ويشمل على 6 عبارات بحثية.
- غموض الدور ويشمل على 5 عبارات بحثية.
- العلاقة مع الزملاء ويشمل على 5 عبارات بحثية.
- بيئة العمل ويشمل على 5 عبارات بحثية.

ثانياً : تحديد مجتمع وعينة الدراسة

يتمثل مجتمع الدراسة في جميع العاملين من الأطباء والمرضى والعاملين بالمستشفيات العامة بوادي الشاطئ ويبلغ مجموعهم (793) مفردة, وقد تم اختيار عينة عشوائية طبقية بعدد (260) مفردة (أوما سيكران , 2010 , 421), وذلك لأن مجتمع البحث غير المتجانس حيث يضم الأطباء والعناصر

الطبية المساعدة والفنيين والإداريين والذين تختلف تخصصاتهم ومسمياتهم فضلاً عن اختلاف مستوياتهم الإدارية ولقد تم استعادة (221) استمارة بنسبة (85%) من الاستمارات الموزعة و تم استبعاد (3) استمارات لعدم اكتمالها وبذلك تكون الاستمارات التي تم تحليلها (218) استمارة.

أ- التحاليل الإحصائية المستخدمة:

قام الباحث بتمييز المتغيرات والبيانات ثم تفريغها بالحاسب الآلي وفقاً لبرنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) ولقد استخدم الباحث العديد من التحاليل الإحصائية لتحقيق أهداف الدراسة وهي:

- 1- الإحصاء الوصفي، التكرارات والنسب المئوية، المتوسطات الحسابية المرجحة، الانحراف المعياري، معامل الاختلاف، والترتيب وذلك لتحديد سمات عينة الدراسة والرسوم البيانية التوضيحية.
- 2- الإحصاء التحليلي المتمثل في استخدام معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation Matrix) وتحليل الانحدار الخطي البسيط (Simple regression) وأسلوب الانحدار الخطي المتعدد (multiple regression Stepwise)، واختبار تحليل التباين (One Way Anova)، واختبار "ت" (t-test independent sample).

الدراسة الميدانية

أولاً : توصيف عينة البحث :

توصل الباحث إلى تحديد بعض سمات مفردات عينة البحث باستخدام المقاييس الإحصائية الوصفية كما سبق الإشارة إليها وذلك على النحو التالي:

أ- متغيرات البيانات الشخصية والوظيفية:

توزيع أفراد عينة الدراسة طبقاً لمتغير النوع

م	التوزيع	العدد	%	الترتيب
النوع	ذكور	76	34.9	2
	إناث	142	65.1	1
الفئة العمرية	من 30 سنة فأقل	96	44.0	1
	من 31 - 40 سنة	76	34.9	2
	من 41 - 50 سنة	26	11.9	3

4	9.2	20	51 سنة فأكثر	
4	6.0	13	ثانوية عامة فأقل	المؤهل العلمي
1	34.4	75	دبلوم متوسط	
2	31.7	69	بكالوريوس	
3	22.5	49	دبلوم عالي	
5	3.2	7	ماجستير	
6	2.3	5	دكتوراه	
1	29.4	64	5 سنوات فأقل	سنوات الخبرة
2	27.1	59	من 6 – 10 سنوات	
4	18.3	40	من 11 – 15 سنة	
3	25.2	55	16 سنة فأكثر	
4	9.2	20	طبيب	المهنة
2	38.5	84	ممرض	
3	13.3	29	فني	
1	39.0	85	اداري	
–	100	218	المجموع	

يتضح من الجدول السابق:

1- النوع: أن توزيع مفردات عينة الدراسة وفقاً لمتغير "النوع" يشير إلى أن أغلبية عينة الدراسة من (الإناث)، ويحوزون نسبة (65.1%)، ويرجع هذا إلى طبيعة العمل فأعمال التمريض والمستشفيات بصورة عامة تزداد فيها نسبة الإناث عن الذكور.

2- الفئة العمرية: أن توزيع مفردات عينة الدراسة وفقاً لمتغير "الفئة العمرية" يشير إلى أن ما يقرب من نصف عينة الدراسة من الفئة العمرية (من 30 سنة فأقل) ويحوزون نسبة (44%)، والسبب في ذلك يرجعه الباحث إلى رغبة هذه المستشفيات في توظيف كوادر شابة تتصف بكامل النشاط والحيوية.

3- المؤهل العلمي: أن توزيع مفردات عينة الدراسة وفقاً لمتغير "المؤهل العلمي" يشير إلى أن الأغلبية من حملة مؤهل (دبلوم متوسط) ويحوزون نسبة (34.4%)، وفقاً لردود عينة الدراسة ويرجع الباحث ذلك إلى كثرة العاملين في مجال التمريض والخدمات الطبية المساعدة.

4- سنوات الخبرة: أن توزيع مفردات عينة الدراسة وفقاً لمتغير "سنوات الخبرة" يشير إلى أن أغلبية العينة تقع في فئة الخبرة (5 سنوات فأقل) ويحوزون نسبة (29.4%)، وفقاً لردود عينة الدراسة.

5 - أن توزيع مفردات عينة الدراسة وفقاً لمتغير "الوظيفة" يشير إلى أن أغلبية العينة من الفئة الوظيفية (الاداريين) ويحوزون نسبة (39%)، وفقاً لردود عينة الدراسة.

ثانياً: المتغيرات المتعلقة بضغوط العمل:

قد تم استخدام المقاييس الإحصائية الآتية: (المتوسط الحسابي، الانحراف المعياري، معامل الاختلاف، ترتيب الأهمية) على الأبعاد المتعلقة بضغوط العمل.

1- النتائج المتعلقة ببعد عبء العمل:

جدول (1) الإحصاء الوصفي (التوزيع التكراري والنسب المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف) محور "عبء العمل"

الترتيب	معامل الاختلاف	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العبارة	الرقم
2	36.16	1.244	3.45	لا اجد القدرة على انهاء كل الاعمال المكلف بها في اوقات الدوام	58
4	38.47	1.281	3.33	انا مسؤول عن عدة واجبات غير مرتبطة مع بعضها	59
5	39.69	1.294	3.26	احظي في اداء عملي بسبب كثرة الاعباء	60
3	37.12	1.277	3.43	احيانا ما تكون المهام المسندة لي معقدة او صعبة للغاية	61
1	35.50	1.278	3.60	ينقصني التدريب على بعض الاعمال التي تتطلب مهارات مهنية	62
6	41.55	1.342	3.23	اشعر بالملل نظرا لتكرار نفس المهام	63
-	23.10	.78	3.38	المجموع	

من الجدول السابق يتضح:

- أن مفردات عينة الدراسة وفقا لمحور "عبء العمل" أشارت إلى الاتجاه بالموافقة لحد ما هذا وقد بلغ المتوسط العام لإجمالي المحور (3.38) وبمعامل اختلاف قدره (23.10%)، أي بما يعادل نسبة اتفاق (76.90%)، وقد كانت أهم العبارات اتفاقا على بنود المحاور عبارة، (ينقصني التدريب على بعض الاعمال التي تتطلب مهارات مهنية)، بمعامل اختلاف (35.50%)، أما العبارات الأقل اتفاقا فكانت عبارة، (اشعر بالملل نظرا لتكرار نفس المهام)، بمعامل اختلاف (41.55%)، على التوالي. وذلك وفقا لردود عينة الدراسة، ويرى الباحث ان عبء العمل ناجم عن حجم العمل الكبير المطلوب إنجازه من الباحثين ضمن وقت محدد مع نقص في المهارة والتدريب وكذلك المسؤولية الكبيرة عن حياة الأفراد والتعامل اليومي مع المرضى ودويهم وغيرها من العوامل التي تزيد من معدلات الضغط في العمل و مما يزيد من ذلك العبء قلة عدد الأطباء والمرضى وهذا النقص وخصوصاً في الأطباء يرجعه الباحث إلى أن هذه المناطق تصنف مناطق نائية وبالرغم من الرواتب العالية التي تدفع لهم نجد أن العديد منهم يفضل العمل في المدن الكبيرة والخارج، وكذلك عدم التقسيم الجيد للعمل بين الافراد و اما عبء العمل النوعي فيكون مرده عدم توفر الخبرة اللازمة وقلة البرامج التدريبية وضعف التأهيل.

2- النتائج المتعلقة بعبء صراع الدور: طرهاز

جدول (2) الإحصاء الوصفي (التوزيع التكراري والنسب المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف) محور "صراع الدور"

الترتيب	معامل الاختلاف	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العبارة	الرقم
1	34.26	1.254	3.66	تدخل الآخرين في مجال عملي لا يتيح لي اداة بأسلوب مناسب	64
4	42.49	1.313	3.09	يطلب مني تنفيذ اعمال متعددة ومتناقضة من عدة رؤساء	65
5	45.41	1.344	3.07	يطلب مني القيام بأعمال تتناقض مع القيم والمبادئ التي أؤمن بها	66
2	38.08	1.272	3.34	تعارض مسؤوليات عملي مع حياتي الشخصية	67
3	41.68	1.313	3.15	احيانا أؤدي بعض الاعمال بطريقة اعتقد انها خاطئة	68

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الترتيب
69	الاعمال المكلف بها بعيدة عن خبرتي ومهاري	2.96	1.396	45.47	6
	المجموع العام	3.21	.84	26.23	-

من الجدول السابق يتضح:

- أن مفردات عينة الدراسة وفقاً لمحور "صراع الدور" أشارت إلى الاتجاه بالموافقة، لحد ما هذا وقد بلغ المتوسط العام لإجمالي المحور (3.21) ومعامل اختلاف قدره (26.23%)، أي بما يعادل نسبة اتفاق (73.77%).

- هذا وقد كانت أهم العبارات اتفاقاً على بنود المحور عبارة، (تدخل الآخرين في مجال عملي لا يتيح لي أداة بأسلوب مناسب)، بمعامل اختلاف (34.26%)، أما العبارة الأقل اتفاقاً فكانت عبارة، (الاعمال المكلف بها بعيدة عن خبرتي ومهاري)، (45.47%)، وذلك وفقاً لردود عينة الدراسة.

ويري الباحث ان صراع الدور ناجم عن تعارض مسؤوليات عملهم مع حياتهم العائلية ولعل السبب يعود لطبيعة مهنة الطب والتمريض التي تتطلب استمرارية تقديم الخدمة للمرضى على مدار الساعة والعمل بنظام المناوبات وخصوصاً الليلية منها والالتزام بالحضور في الحالات الطارئة الذي قد يتعارض مع بعض الالتزامات الأسرية، وكذلك المسؤولية الكبيرة عن حياة الأفراد والتعامل اليومي مع المرضى ودويهم وغيرها من العوامل التي تزيد من معدلات الضغط في العمل وما بسببه من صعوبات في التوفيق بين متطلبات المستشفى والحياة الأسرية وتدخل الغير في مجال العمل ربما مرده لعدم وضوح السلطات والمسؤوليات، و ان الاعمال المتناقضة من عدة رؤوسا فيكون خلل في مبدئ وحدة الرئاسة اد يتوجب أن يتلقى الموظف الأوامر من رئيس واحد لمنع الازدواجية، والصراع ينعكس على المستشفيات قيد الدراسة بشكل سلبي.

2- النتائج المتعلقة ببعد غموض الدور:

جدول (3) الإحصاء الوصفي (التوزيع التكراري والنسب المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف) محور " غموض الدور "

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الترتيب
70	عدم وضوح الصلاحيات والمسؤوليات الملقاة على عاتقي	3.20	1.282	40.06	4
71	عدم وضوح طبيعة العمل الذي اقوم به	3.12	1.339	42.92	5
72	عدم وضوح الانظمة والتعليمات في المستشفى	3.47	1.281	36.92	1
73	لا اعرف الطريقة السليمة لاداء المطلوب مني	3.36	1.251	38.85	2
74	لا اعرف مدى مساهمة عملي في تحقيق اهداف المستشفى	3.22	1.338	39.82	3
	المجموع العام	3.27	1.0	30.78	-

من الجدول السابق يتضح:

- أن مفردات عينة الدراسة وفقا لمحور "غموض الدور" أشارت إلى الاتجاه بالموافقة، لحد ما هذا وقد بلغ المتوسط العام لإجمالي المحور (3.27) ومعامل اختلاف قدره (30.78%)، أي بما يعادل نسبة اتفاق (69.22%)، وقد كانت أهم العبارات اتفاقا على بنود المحور عبارة، (عدم وضوح الانظمة والتعليمات في المستشفى)، بمعامل اختلاف (36.92%)، أما العبارات الأقل اتفاقا فكانت عبارة، (عدم وضوح طبيعة العمل الذي اقوم به)، (42.92%)، وذلك وفقا لردود عينة الدراسة.

ويرى الباحث وجود غموض في الدور حيث اجاب الكثير منهم بعدم وضوح الصلاحيات، وعدم وضوح طبيعة العمل وأن غموض الدور ناجم بشكل أساسي عن افتقارهم للمعلومات التي تبين حدود سلطاتهم ومسؤولياتهم، و يرجع ذلك الى عدم تطبيق الوصف الوظيفي الذي يحدد بشكل واضح المسؤوليات والواجبات.

3- النتائج المتعلقة ببعد العلاقة مع الزملاء:

جدول (4) الإحصاء الوصفي (التوزيع التكراري والنسب المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف) محور "العلاقة مع الزملاء"

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الترتيب
75	اجواء العمل تتسم بالتوتر والشد العصبي	3.39	1.333	39.32	2
76	اشعر بان هناك شيء من عدم الثقة بيني وبين زملائي في العمل	3.13	1.375	43.93	4
77	اتعامل مع الجميع بقسوة بسبب ضغوط العمل	2.89	1.365	47.23	5
78	قليل ما شارك زملائي في مناسباتهم بسبب ضغوط العمل	3.15	1.276	40.51	3
79	يزعجني اللامبالاة الكبيرة من قبل العاملين تجاه المستشفى	3.76	1.280	34.04	1
	المجموع العام	3.26	.87	26.68	-

من الجدول السابق يتضح:

- أن مفردات عينة الدراسة وفقا لمحور "العلاقة مع الزملاء" أشارت إلى الاتجاه بالموافقة لحد ما هذا وقد بلغ المتوسط العام لإجمالي المحور (3.26) وبمعامل اختلاف قدره (26.68%)، أي بما يعادل نسبة اتفاق (73.32%)، وقد كانت أهم العبارات اتفاقا على بنود المحور عبارة، (يزعجني اللامبالاة الكبيرة من قبل العاملين تجاه المستشفى)، بمعامل اختلاف (34.04%)، أما العبارة الأقل اتفاقا فكانت عبارة، (اتعامل مع الجميع بقسوة بسبب ضغوط العمل) بمعامل اختلاف (47.23%)، وذلك وفقا لردود عينة الدراسة.

ويرى الباحث أن الباحثين يشعرون بضغوط ناجمة عن ضعف روح الفريق والسلبية من بعض الزملاء ويرجع سبب ذلك إلى الصراع الناجم عن التنافس، وتضارب المصالح، واختلاف وجهات النظر مع الرؤساء وعدم اشراك الباحثين في عملية اتخاذ القرار مما يولد الشعور بالضغط لدى البعض منهم.

5- النتائج المتعلقة ببيئة العمل المادية:

جدول (5) الإحصاء الوصفي (التوزيع التكراري والنسب المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف) محور "بيئة العمل المادية"

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الترتيب
80	اشعر بالخوف على صحي نتيجة ظروف عملي	3.75	1.209	32.24	1
81	التجهيزات المتوفرة تتناسب مع طبيعة العمل	3.45	1.302	37.74	2
82	الادوية والمستلزمات الطبية متوفرة	2.99	1.484	49.63	5
83	وسائل الاتصال والتقنيات الحديثة كافية ومناسبة	3.05	1.429	46.70	4
84	مكان العمل غير مزدحم	3.07	1.408	46.01	3
	المجموع العام	3.26	.91	27.96	-

من الجدول السابق يتضح:

- أن مفردات عينة الدراسة وفقاً لمحور "بيئة العمل المادية" أشارت إلى الاتجاه بالموافقة، وإن كانت بعض العبارات تشير إلى الموافقة لحد ما هذا وقد بلغ المتوسط العام لإجمالي المحور (3.26) وبمعامل اختلاف قدره (27.96%)، أي بما يعادل نسبة اتفاق (72.04%).

- هذا وقد كانت أهم العبارات اتفاقاً على بنود المحور عبارة، (اشعر بالخوف على صحي نتيجة ظروف عملي)، بمعامل اختلاف (32.24%)، أما العبارات الأقل اتفاقاً فكانت عبارة، (الادوية والمستلزمات الطبية متوفرة)، بمعاملات اختلاف (49.63%)، وذلك وفقاً لردود عينة الدراسة.

يرى الباحث أن شعور الباحثين بضغوط ناجمة عن خوفهم المستمر على صحتهم وعملهم في ظروف غير مريحة، و يعود السبب في ذلك الى طبيعة عمل الأطباء، والمرضى التي تتطلب الاهتمام المباشر بالمرضى والتعايش معهم لفترات طويلة، مما قد يتسبب لهم العدوى أو الإصابة ببعض الأمراض وفي دراسة أمريكية اظهرت أن التمريض أكثر المهنة عرضة للعدوى والمرضات أكثر عرضة للعدوى وخصوصاً الأمراض المنقولة بالدم من غيرهن في المجال الطبي عن طريق الوخز العشوائي للإبر الملوثة.

ملخص للمتغيرات التابعة : ضغوط العمل :

جدول رقم (6) ملخص المقاييس الإحصائية الوصفية لمحاور المتغيرات التابعة
"ضغوط العمل"

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الترتيب
1	عبء العمل	3.38	78.	23.10	1
2	صراع الدور	3.27	84.	26.23	2
3	غموض الدور	3.21	1.00	30.78	5
4	العلاقة مع الاصدقاء	3.26	87.	26.68	3
5	بيئة العمل المادية	3.26	.91	27.96	4
المتوسط العام لإجمالي محاور: ضغوط العمل		3.27	.66	20.32	-

من الجدول السابق يتضح:

- أن اتجاهات مفردات عينة البحث قد أظهرت اتجاهاً عاماً نحو الموافقة لحد ما، على إجمالي محاور " ضغوط العمل " وذلك بمتوسط حسابي قدرة (3.27) وبمعامل اختلاف قدرة (20.32%)، أي الاتفاق في الآراء ما يقرب من نسبة (79.68%) تقريباً.

- وعن مدى الاتفاق على أهمية هذه المحاور مجتمعة مرتبة وفقاً لمعامل الاختلاف فجاء الترتيب لمحور (عبء العمل)، (صراع الدور)، (العلاقة مع الاصدقاء)، (بيئة العمل المادية)، (غموض الدور)، بمعاملات اختلاف (23.10%)، (26.23%)، (26.68%)، (27.96%)، (30.78%)، على التوالي وذلك وفقاً لردود عينة الدراسة.

ويفسر الباحث أن عبء العمل جاء في المرتبة الأولى قد يعود إلى قلة عدد الأطباء والممرضين أو عدم توفر المهارات لدى بعض الأطباء والممرضين للقيام بالأعمال الموكلة اليهم وكذلك طبيعة العمل في المستشفيات الذي يتطلب الدقة والانتباه.

ثالثاً: اختبار فرضية الدراسة:

لا يوجد اختلاف معنوي لضغوط العمل وفقا للمتغيرات الشخصية (الجنس - العمر - الخبرة - المسمى الوظيفي - المستوى التعليمي) للأطباء والممرضين والاداريين العاملين في المستشفيات العاملة بوادي الشاطئ.

جدول رقم (7) قياس فروق محاور ضغوط العمل طبقا للمتغيرات الشخصية باختبار تحليل التباين أحادي الاتجاه

المتغير	F قيمة	مستوى المعنوية	الدلالة
العمر	2.609	*0.05	دالة
الخبرة	2.038	0.11	غير دالة
المسمى الوظيفي	6.687	**0.01	دالة
المستوى التعليمي	2.576	*0.02	دالة

** دالة عند مستوى معنوية اقل من (0.01). * دالة عند مستوى معنوية اقل من (0.05).

من الجدول السابق يتضح ما يلي:

1- متغير العمر: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين محاور ضغوط العمل تعزى الى متغير (العمر)، حيث بلغت قيمة "ف" (2.609)، عند مستوى معنوية اقل من (0.05) ويرجع ذلك لصالح الفئات العمرية (51 سنة فأكثر)، (من 41- 50 سنة)، ويفسر الباحث ذلك أن صغار السن قد يكونوا في بداية عملهم متحمسين للعمل أكثر من اجل اثبات كفاءتهم وقدرتهم على انجاز الاعمال عكس كبار السن اللذين لديهم الكثير من المسؤوليات و المشاغل الاسرية والاجتماعية خارج العمل و لا يوجد ذلك الحماس لديهم للعمل و يعتبرونه روتيني.

2- متغير الخبرة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين محاور ضغوط العمل تعزى الى متغير (الخبرة)، عند مستوى معنوية أكبر من (0.05).

3- متغير المسمى الوظيفي: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين محاور ضغوط العمل تعزى الى متغير (المسمى الوظيفي)، حيث بلغت قيمة "ف" (6.687)، عند مستوى معنوية اقل من (0.05) ويرجع ذلك لصالح وظيفة (طبيب)، (ممرض)، (اداري)، (فني)، ويرى الباحث ذلك طبيعي باعتبار الاطباء والممرضين هم الأكثر احتكاك بالمرضى ويتألمون لألمهم وتقع عليهم المسؤولية في اي خطأ قد يحدث للمريض.

4- متغير المستوى التعليمي: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين محاور ضغوط العمل تعزى الى متغير (المستوى التعليمي)، حيث بلغت قيمة "ف" (2.576)، عند مستوى معنوية اقل من (0.05) ويرجع ذلك لصالح وظيفة (دكتوراه)، (ماجستير)، (دبلوم متوسط)، (ثانوية عامة فأقل)، (بكالوريوس)، (دبلوم عالي)، بمتوسطات حسابية (3.520)، (3.480)، (3.450)، (3.415)، (3.136)، (3.129). عند مستوى معنوية اكبر من (0.05).

جدول رقم (8) قياس فروق محاور ضغوط العمل طبقاً لمتغير النوع

اسم المتغير	قيمة ت	مستوى المعنوية	الدلالة
ضغوط العمل	2.140	0.03	دالة

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين محاور ضغوط العمل تعزى الى متغير النوع (ذكر/انثي)، حيث بلغت قيمة "ت" (2.140)، عند مستوى معنوية اقل من (0.05). وذلك لصالح فئة (الاناث) ويفسر الباحث ذلك لتعرض الاناث لضغوط متعددة تنقسم بين ضغوط العمل وضغوط المنزل باعتبارها الام التي تتابع اعمال عديدة في البيت و من هنا تصبح غير قادرة على التوفيق بين مسؤولياتها فتشعر بالضغوط أكثر.

رابعاً: نتائج الدراسة:

- 1- أظهرت الدراسة أن الأطباء والمرضى والإداريين والعاملين بالمستشفيات العامة بوادي الشاطئ يشعرون بضغوط العمل، وهذا يتفق مع ما توصلت إليه الكثير من الدراسات مثل دراسة () Shamaila: 2010 ودراسة، (Aoki 2011)، ودراسة (Golubvic 2012) ودراسة (Jones:2015) في إن وظائف الأطباء والمرضى والإداريين مهن ضاغطة، ويرجع السبب في ذلك إلى مصادر متعددة من ضغوط العمل.
- 2- أظهرت نتائج الدراسة أن مصادر ضغوط العمل التي تمت دراستها تشكل جميعاً ضغوطاً وظيفية يشعر بها الأطباء والمرضى والإداريين والعاملين بالمستشفيات العامة بوادي الشاطئ ولكن بمستويات مختلفة ويمكن ترتيبها وفقاً لأهميتها النسبية (عبء العمل - صراع الدور - العلاقات في العمل - بيئة العمل - غموض الدور) وهذا يتفق مع الكثير من الدراسات مثل دراسة (Namrata: 2014)، ودراسة (Aoki 2011)، ودراسة (Golubvic 2012).
- 3- أظهرت الدراسة أنه يوجد اختلاف معنوي بين مصادر ضغوط العمل التي يشعر بها الأطباء والمرضى والإداريين في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ تعزى إلى متغيرات (النوع - العمر -

المستوى التعليمي - المسمى الوظيفي) ولا يوجد لمتغير (الخبرة) وهذا يتفق مع الكثير من الدراسات مثل دراسة (Jones:2015) , ودراسة (Shamaila:2010) أن للمتغيرات الشخصية علاقة بالضغط.

خامساً: توصيات الدراسة:

- 1- الاهتمام بموضوع ضغوط العمل لما له من تأثيرات وانعكاسات سلبية على سير العمل بهذه المستشفيات من خلال إصدار نشرات لتوضيح مفهوم ضغوط العمل وآليات التعامل معها والكيفية المثلى لإدارة الضغوط.
- 2- تحسين المناخ التنظيمي للعمل من خلال تهيئة الجو المناسب للعاملين في هذه المستشفيات وذلك بتوفير بيئة عمل مريحة للأطباء والمرضى والعاملين وتطوير وتعديل هذه البيئة بما يتناسب مع مقتضيات المهام والمسؤوليات المهنية المرتبطة بالعمل في المجال الطبي والرعاية الصحية وأماكن للترفيه.
- 3- ضرورة استقطاب العدد الكافي من الأطباء والمرضى لسد النقص ليتناسب مع حجم العمل في هذه المستشفيات والتأكد من مناسبة أعباء العمل والمهام الموكلة وقدرات العاملين فضلاً عن توفير وصف وتوصيف للوظائف يحدد لكل فرد واجباته ومسؤولياته لتخفيف من شعورهم بالضغوط الناجمة عن صراع الدور وغموض الدور.

قائمة المراجع :

- (1) Shamaila Khalid , (Frequency Of Stress And Depression In Female Nurses Working In A Teaching Hospital), **KMJ**, Vol.2 ,No.1,(2010),pp122-144
- (2)Aoki M,Keiw karka chompikul J "job stress among nurses in public hospitals in Ratchaburi province, Thailand" **J pub Health Dev** ,91,(2011) p 19 – 27.
- (3) Dragana, Golubvic pila " Professional Stress and Health among Critical Care Nurses in Serbia" **Archives of Industrial Hygiene and Toxicology** No.2,(2012).
- (4) Barbara Farquharson, Cheryl Bell, Derek Johnston, "Nursing stress and patient care: real-time investigation of the effect of nursing tasks and demands on psychological stress, physiological stress, and job performance: study protocol " , **Journal Of Advanced Nursing** , Blackwell Publishing Ltd 2013

- (5) Namrata Mohite "Occupational Stress among Nurses Working At Selected Tertiary Care Hospitals" , **international Journal of Science and Research (IJSR)** , Vol.3, No.6, June 2014
- (6) Gabrielle Jones" Demographic and occupational predictors of stress and fatigue in French intensive-care registered nurses and nurses' aides: A cross-sectional study" **International Journal of Nursing Studies** Vol 52, Issue 1, January 2015, Pages 250–259
- (7).Dip.Psych "Occupational stressors, burnout and coping strategies between hospital and community psychiatric nurses in a Dublin region " **Journal of Psychiatric and Mental Health Nursing** Voll21,NO.10,(2015)
- (8) سيد محمد جاد الرب، " الاتجاهات الحديثة في إدارة المخاطر والازمات التنظيمية "دار النهضة العربية 2011 ص398.
- (9) Sally Jacobs ,Sheena Johnson " Managing workplace stress to enhance safer practice in community pharmacy: a scoping study" **Pharmacy Research UK** June 2013
- (10)
- محمود العميان السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال دار وائل عمان 2005 ص161.
- (11) سيد محمد جاد الرب الاتجاهات الحديثة في إدارة المخاطر و الازمات التنظيمية, مرجع سبق ذكره ص400.
- (12) محسن علي الكتيبي, السلوك التنظيمي بين النظرية والتطبيق, 2005 ص216.
- (13) Barbara Farquharson, Cheryl Bell, Derek Johnston, "Nursing stress and patient care: real-time investigation of the effect of nursing tasks and demands on psychological stress, physiological stress, and job performance: study protocol " , **Journal Of Advanced Nursing** , Blackwell Publishing Ltd 2013
- (14) Peter Holland , " **Survey on Nurses' Attitudes to Work and Work Conditions in Australia**", Monash University , February 2012
- (15) Nilgün Anafarta "The Relationship between Work-Family Conflict and Job Satisfaction A Structural Equation Modeling (SEM) Approach " **International Journal of Business and Management** vol 8 ,No 4 April2011
- (16)Salami A.O, Ojakuku, R.M, Il esanmi. OA " Impact of job stress on managers' performance " **European journal of scientific Research issn** vol.45 no.2 (2010) pp 249 – 260.

(17) OSACH, (2006). "The Fast Facts about stress, Ontario Safety Association for Community Healthcare" (OSACH), Toronto Ontario Canada M2N, www.osach.ca

(18) (أوما سيكران طرق البحث في الإدارة مدخل لبناء المهارات البحثية تعريب د إسماعيل بسيوني دار المريخ للنشر 2010 ص421).

بلاغة العُدُول في التعبير القرآني (سورة الضحى نموذجاً)

د. علاء الدين محمد الأسطى

كلية الآداب والعلوم قصر الاخيار / جامعة المرقب

المقدمة

لا غرو أن القرآن الكريم معجز الشعراء، وسابق البلغاء والفصحاء، أنزله الله على خير خلقه، وآخر رسله محمد بن عبد الله ﷺ، ووجوه بلاغة القرآن الكريم كثيرة، ما زالت حقلاً خصباً للبحث والدراسة، كيف لا؟، وهو كلام الله، ووحي منه إلى نبيه ﷺ؛ ليكون معجزة يعجز بها أرباب الفصاحة والبيان من العرب في فترة كان علمهم بها أسمى العلوم، لا سيما في فن الشعر والخطابة، حتى قال فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "كان الشعر علم قوم، لم يكن لهم علم أصح منه" (ابن سلام، ج 1، ص 24)؛ لذلك كان القرآن معجزاً لأولئك القوم الذين تحداهم الله جل وعلا - وهم في الفصاحة والبلاغة من هم - أن يأتيوا بمثل هذا القرآن فقال: ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (الإسراء، الآية 88)، بل إن الله تحداهم أن يأتيوا بسورة من مثله فقال: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة، الآية 23).

ولما كان القرآن الكريم المثل الأعلى في البلاغة والفصاحة تعبيراً وتصويراً وتركيباً، فإنه لا مناص من الإقرار بأنه ما زال حقلاً خصباً للبحث والدراسة، وميداناً واعداً بالنتائج الجديدة، وأن النص القرآني صالح لإسقاطات المناهج النقدية الحديثة، والنظريات اللسانية واللغوية والأدبية المعاصرة.

ومن هنا كان الدافع للبحث في بلاغة العُدُول في التعبير القرآني، وذلك من خلال الوقوف على المطالب الآتية:

أولاً: مفهوم العُدُول:

1_ العدول لغة: العدول مصدر مشتق من الفعل عدل، " وعدلت الشيء بالشيء، أعدله عُدُولاً إذا ساويته به، والعُدْلُ والعُدِيلُ سواء، أي: التَّظْهير والمثيل، وقيل هو المثل، وليس بالنظير عينه..." (ابن منظور، مادة عَدَلَ). ومنه أَنَّ مَنْ يَشْرِكْ بِرَبِّهِ إِنَّمَا يَعْدِلُ بِهِ غَيْرَهُ، قال تعالى: ﴿ تُمُّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1) ﴾ (الأنعام، الآية 1).

وبهذا لا يكون العدول إلى الشيء إلا بوجود شيء آخر، سواء أكان مثيلاً له، أم نظيراً، وكل ما يأتيه المرء من خطوات تجاه هذين الشيئين، هو عدول، فالموازنة بينهما قبل اختيار أحدهما هي عدول، ولو كانا متساويين. ومن العدول ترك الشيء وتجنّبه، كأن يعدل الفحل عن الإبل ويتركها (ابن منظور، مادة عَدَلَ)، فهو بتركها عدل عنها إلى غيرها.

2_ العدول اصطلاحاً: العدول الأقرب للمفهوم الاصطلاحي هو اختيار أحد الشيئين دون الآخر، والميل إليه عن الآخر، ومنه أن يعدل الفحل عن الإبل إذا تركها.

ولفظ (العدول)، تستعمل عادة للدلالة عن ترك شيء لأجل آخر، ففي تعريف أسلوب الالتفات مثلاً، يقول الجرجاني (ت 471 هـ): " الالتفات: العدول عن الغيبة إلى الخطاب والتكلم، أو العكس " (الجرجاني، 1405هـ، ج 1، ص 51). وكثيراً ما نقرأ جملة: " والحق لا يمكن العدول عنه..."، إذن فالعدول إلى الشيء: اختياره، والعدول عنه تركه.

وقد تكلم ضياء الدين بن الأثير (ت 637 هـ) في هذا الأسلوب البلاغي، في باب سماء: (معرفة ما يُحتاج إليه من اللغة)، وفيه وصف العدول بالباب الواسع حيث قال: " ويفتقر أيضاً مؤلف الكلام إلى معرفة عدة أسماء لما يقع استعماله في النظم والنثر، ليجد -إذا ضاق به موضع في كلامه بإيراد بعض الألفاظ- سَعَةً في العدول عنه إلى غيره مما هو في معناه، وهذه الأسماء تسمى المترادفة، وهي اتحاد المسمى، واختلاف أسمائه، كقولنا: الخمر، والراح، والمدام، فإن المسمى بهذه الأسماء شيء واحد، وأسماءه كثيرة " (ابن الأثير، ج 1، ص 37).

ثم زعم أنه أول من تكلم في العدول حيث قال رداً على من يمنع وجود اللفظ المشترك في المعنيين: " فأقول في الجواب عن ذلك ما استخرجته بفكري، ولم يكن لأحد فيه قول قبلي، وهو: أما قولك: إن فائدة وضع اللغة إنما هو البيان عند إطلاق اللفظ، واللفظ المشترك يخل بهذه الفائدة، فهذا غير مسلم، بل فائدة وضع اللغة هو البيان والتحسين.

أما البيان: فقد وُقّي به الأسماء المتباينة، التي هي كل اسم واحد دلّ على مسمّى واحد، فإذا أطلق اللفظ في هذه الأسماء كان بيناً مفهوماً لا يحتاج إلى قرينة، ولو لم يضع الواضع من الأسماء شيئاً غيرها لكان كافياً في البيان.

وأما التحسين: فإن الواضع لهذه اللغة العربية التي هي أحسن اللغات، نظر إلى ما يحتاج إليه أرباب الفصاحة والبلاغة فيما يصوغونه من نظم ونثر، ورأى أنّ من مهمات ذلك "التجنيس"، ولا يقوم به إلا الأسماء المشتركة التي هي كل اسم واحد دلّ على مسميين فصاعداً، فوضعها من أجل ذلك، وهذا الموضوع يتجاذبه جانبان يترجّح أحدهما على الآخر.

وبيانه أن التحسين يقضي بوضع الأسماء المشتركة، ووضعها يذهب بفائدة البيان عند إطلاق اللفظ، وعلى هذا، فإن وَضَعَهَا الواضع ذهب بفائدة البيان، وإن لم يضع ذهب بفائدة التحسين، لكنه إن وضع استدرك ما ذهب من فائدة البيان بالقرينة، وإن لم يضع لم يستدرك ما ذهب من فائدة التحسين، فترجّح حينئذ جانب الوضع فوضع " (ابن الأثير، ج 1، ص 39).

وهو بهذا يجعل لاشتراك الألفاظ فائدة هي التحسين، الذي هو من مهارات أرباب الفصاحة والبلاغة، وهو أعلى مرتبة من البيان؛ وإن لم تكن له ضوابط باستثناء الذوق السليم، فإن اختيار لفظة دون أخرى تشترك معها في المعنى، يعد من السمات المهمة والدقيقة، فقال: "ومن هذا النوع ألفاظٌ يُغَدَلُ عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها، ولا يُسْتَقْفَى في ذلك إلا الذوق السليم، وهذا موضع عجيب لا يُعْلَمُ كُنْهَ سِرِّهِ" (ابن الأثير، ج 1، ص 277). وهذا قريب لما أشار إليه علماء الأسلوبية المعاصرون، الذين يرون أن العدول: "يمثل الطاقة الإيحائية في الأسلوب" (عبد المطلب، 1994م، ص 270).

ثم جعل ابن الأثير (ت 637 هـ) العدول قسماً من أقسام التوسع في الكلام، وقال بأن التوسع في الكلام مطلوب. (ينظر ابن الأثير، ج 1، ص 348).

وأكد على أهمية العدول وخصوصيته، فقال: "واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارهما، وفتش عن دوائيهما، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكال ضروب علم البيان وأدقها فهماً، وأغمضها طريقاً" (ابن الأثير، ج 2، ص 12).

والخلاصة أن العدول يكون في الألفاظ المشتركة في المعنى، حتى إذا اختار المتكلم لفظا دون آخر لفائدة بلاغية، كان أكثر بيانا، وأجمل تحسينا.

والعدول عند المعاصرين هو رصد انحراف الكلام عن النسق المؤلف، ومن خلاله يمكن التعرف على طبيعة الأسلوب، بل لربما كان هو الأسلوب ذاته؛ لأن اللغة عندهم مستويان: مستوى مثالي في الأداء العادي، وآخر إبداعى يخترق هذه المثالية، ويسمى الانتهاك، أو الانحراف، وهذا هو العدول. (ينظر عبد المطلب، 1994م، ص 268).

وقد ضرب ابن الأثير (ت 637 هـ) أمثلة من القرآن الكريم، منها قوله: " فمما جاء منه قوله تعالى: ﴿ يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ، إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ، (هود، الآيتان 53، 54)، فإنه إنما قال: ﴿ أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا ﴾، ولم يقل: "وأشهدكم"؛ ليكون موازنا له ومعناه؛ لأن إشهداه الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت، وأما إشهداهم فما هو إلا قهوان بهم، ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم، ولذلك عدل به لفظ الأول؛ لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر، كما يقول الرجل لمن ييس الثرى بينه وبينه: " أشهد علي أي أحبك"، فكما به، واستهانة بحاله ". (ابن الأثير، ج 2، ص 11، 12).

وفي معرض استقراء اللطائف البلاغية من حين لآخر في كتب التفسير والبلاغة، تبين شيوع أسلوب العدول في القرآن الكريم، ومن ثم وقع الاختيار على سورة الضحى، التي تكلم كثير من البلاغيين وبعض المفسرين لها عن فوائد بلاغية في اختيار بعض الألفاظ، والعدول عن أخرى، والعدول لذكر كلمات في مواضع، ثم العدول إلى حذفها في مواضع أخرى.

ثانيا: سورة الضحى: من المشهور أن الله تعالى تحدى العرب أن يأتيوا بسورة من مثل سور القرآن، ولم يستثن سورة من سوره؛ لذلك فإن البحث في سورة الضحى - وهي من قصار السور -، لا يعد نقصا أو قصورا في البحث، حيث إنها كغيرها من سور القرآن الكريم واعدة بالنتائج والأسرار البلاغية واللغوية تعبيراً وتصويراً، خاصة وأنها نزلت على رسول الله ﷺ، في ظرف استثنائي، يجدر الانتباه له في تحليل هذه السورة الكريمة؛ لأنه يساعد على الوقوف لاستنتاج الأسرار البلاغية واللغوية.

1_ سورة الضحى سورة مكية، من قصار السور، وهي السورة الثالثة والتسعون في ترتيب المصحف، وعدد آياتها إحدى عشرة آية، وهي قوله تعالى:

﴿ وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11) ﴾.

2_ سبب نزول السورة:

لا مبالغة في القول: إن سبب نزول سورة الضحى مشهور ومعلوم، وهو أن الوحي قد أبطأ عن رسول الله ﷺ، وفي ذلك تعددت الروايات، منها: أن رسول الله ﷺ اشتكى، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد؛ إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قريب منذ ليلتين أو ثلاثاً، ومنها: أن رسول الله ﷺ مكث أياماً لا ينزل عليه جبريل، فقالت أم جميل امرأة أبي لهب: ما أرى صاحبك إلا ودعك وقلاك. ومن الروايات المشهورة⁽⁴⁷⁾ أن جروا دخل بيت النبي ﷺ، فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فاشتكى لخدمته، فهيأت البيت وأخرجت الجرو، فجاء النبي ﷺ، يردد بجبته، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته رعدة، فأنزل الله: ﴿ وَالضُّحَى (1) ﴾ إلى قوله: ﴿ فَتَرْضَى (5) ﴾. (ينظر السيوطي، 2004م، ص 271).

ثالثاً: العدول في السورة:

1_ العُدُولُ فِي الْفَاصِلَةِ: والفاصلة: " كلمة آخر الآية، كفاية الشعر، وسجعة النثر، والتفصيل: تَوَافُقُ أَوَاحِرِ الْآيِ فِي حُرُوفِ الرُّوْيِ، أَوْ فِي الْوِزْنِ، مِمَّا يَقْتَضِيهِ الْمَعْنَى، وَتَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ ". (الحسنائي، 2004، ص 29).

والفاصلة في سورة الضحى تتغير من الألف المقصورة، في كل من (والضحى، سجي، قلى، الأولى، فترضى، فأوى، فهدى، فأغنى)، إلى الراء في كل من: (تقهر، تنهر)، بينما تنفرد الفاصلة الأخيرة في كلمة : (فحدث)؛ لتكون على حرف الثاء الذي لم يكن موجوداً في السورة أصلاً إلا في هذه الكلمة.

⁴⁷ - قال الحافظ بن حجر: " وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب شاذ، بل مردود بما في الصحيح والله أعلم ". فتح الباري، ج 8، ص 710.

وبالنظر إلى مناسبة كلمات الفواصل لآياتها، فإن المناسبة واضحة جلية في عدد منها، وذلك في الآيات الواقعة في الآية الخامسة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5)﴾، وفي الآيتين التاسعة والعاشر في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10)﴾. فالعطاء يناسبه الرضى، ومعاملة اليتيم لا يناسبها القهر، ومعاملة السائل لا يناسبها النهي.

وتبقى مناسبات بقية الفواصل مستترة خفية، تحتاج إلى بحث ودراسة، ثم إلى تأمل، منها:

أ_ فاصلة ﴿وَالضُّحَى (1)﴾، لماذا عدل الله تعالى في هذه السورة بالذات إلى القسم بالضحي؟، وعدل عن القسم بآيات أخرى عظيمة كالفجر، والشمس، والليل، والنهار، والقمر، وغيرها.؟

ما عليه جمهور المفسرين أنّ الله اختار القسم بالضحي؛ لأنه الوقت الذي كلم الله فيه نبيه موسى عليه السلام؛ أو أنه الوقت الذي خر فيه السحرة سجدا بعد توبتهم من السحر، (ينظر الزمخشري، 1407هـ، ج 4، ص 765، وابن عادل 1419هـ، ج 20، ص 379، والقرطبي، 1384هـ، ج 20، ص 91)، مستدلين للرأي الثاني بقوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحَى ﴾. (طه، الآية 59).

وقد علل شهاب الدين الألوسي (ت 1270 هـ) لمن قالوا إنه الوقت الذي كلم فيه الله تعالى نبيه موسى عليه السلام، وذكر المناسبة حيث قال: "... ؛ ولأنه على ما قالوا: الساعة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام، وألقي فيه السحرة سجدا؛ لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحَى ﴾ (طه، الآية 59)، ففيه مناسبة للمقسم عليه، وهو أنه تعالى لم يترك النبي ﷺ ، ولم يفارقه إطفاه تعالى وتكليمه سبحانه...". (الألوسي، 1415هـ، ج 15، ص 372). وهذا توجيه مقبول؛ لأنه يأخذ بعين الاعتبار مناسبة نزول السورة، وهي أن الله تعالى يطمئن حبيبه المصطفى ﷺ بأنه لن يتركه، وسيكلمه وحيا، وسيعطيه حتى يرضى.

وأما ابن عادل (ت 880 هـ)، فقد أورد في اللباب أقوالا لم ينسبها لقائلها منها: أن الضحي نور الجنة، والليل ظلمة النار، وأن الضحي نور قلوب العارفين، والليل سواد قلوب الكافرين. (ينظر ابن عادل، 1419هـ، ج 20، ص 379).

وقال القرطبي (671 هـ) في قوله تعالى: ﴿ وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) ﴾ " يعني عباده الذين يعبدونه في وقت الضحى، وعباده الذين يعبدونه بالليل إذا أظلم". (القرطبي، 1384هـ، ج 20، ص 92).

ولا يخفى ما في هذه التفسيرات من تكلف؛ لعدم وجود مناسبة أو قرينة لها.

وكان شهاب الدين الألوسي (ت 1270 هـ)، قد اهتم كثيرا لمناسبة نزول السورة؛ ليتسنى له الوقوف على لطائف عدة، منبها على أنها من باب التأويل والإشارة، ولا دخل للتفسير فيها، فالسورة - كما هو مشهور - جاءت تطمينا وتحنانا على النبي ﷺ؛ ولهذا كانت بعض التأويلات والإشارات ذات وجوه معتبرة، منها:

- القسم بالضحى، وهو الوقت الذي كلم الله فيه نبيه موسى ﷺ، إشارة إلى أن الله تعالى لن يترك تكليم نبيه محمدا ﷺ.
- أن الضحى إشارة إلى الرسالة المحمدية، وأن الليل هو احتباس الوحي؛ لأن في النزول استثناس، وفي الاحتباس استيحاش؛ فالوحي إشراق لهذه الأمة، والاحتباس عتمة عليها.
- أن الزمان ساعة من نهار، وساعة من ليل، وتارة تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار، وأخرى بالعكس، فلا الزيادة لهوى، ولا النقصان لقل، بل كل لحكمة. ومن ثم فإن الوحي تارة إنزال، وأخرى حبس. (ينظر الألوسي، 1415هـ، ج 15، ص 373). وهذه هي الدنيا تتقلب بين السراء والضراء.

والناظر بعين المتأمل يلمس لطافة التأويلات التي أخذت بعين الاعتبار مناسبة نزول السورة، فالحالة التي كان عليها المصطفى ﷺ، مع إبطاء الوحي وشماتة المشركين، وحزن المسلمين، تُحدثُ بأن الله تعالى يربت على فؤاد محبوبه، ويحنو عليه، ويطمئنه بهذه السورة، بدليل أنه يذكره بأنه آواه في يثمه، وهده بعد ضلالة - ضلالة معرفة هذا الدين جملة وتفصيلا -، وأغنائه بعد فقر، وسيأتي بيانه في عدول الألفاظ.

ولا مبالغة في القول بأن الضحى هو إشراق الوحي على هذه الأمة، وأن الليل هو عتمة احتباسه عنها، وأن الضحى والليل هما نقيضان يدلان على تقلب هذه الدنيا بين السراء والضراء، وأن الله الذي أنعم على حبيبه المصطفى في السراء، لم ولن يتخلى عنه في الضراء.

ب- فاصلة: ﴿سَجَى (2)﴾، لماذا عدّل الله سبحانه إلى الفعل سَجَى، في الوقت الذي عدل فيه عن أفعال أخرى، فلم يقل مثلاً، : والضحي والليل إذا دجى، أو والليل إذا يغشى، أو والليل إذا غشّى؟.

للإجابة لابد من الوقوف على معنى الفعل سجا، وسجا معناه: سكن ودَامَ، وركد، ومعنى ركد : سكن، وقال مَعْمَرٌ: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ إذا سكنَ بالناسِ، ومنه قول الشاعر⁽⁴⁸⁾:

يا حَبْدَا الْقَمَرَاءِ، وَاللَّيْلُ السَّاحِ

وما زال معنى سجا يدور حول السكون، حتى إنهم قالوا: " وامرأةٌ سَجَوَاءُ الطَّرْفِ، وساجية الطرف: فاترة الطَّرْفِ، ساكتة، وطرفٌ ساجٍ أي: ساكنٌ، وناقاة سَجَوَاءُ: ساكنةٌ عند الحَلَبِ... ". (ابن منظور، مادة سجا).

ولم يخرج جمهور المفسرين عن معنى السكون، (ينظر الزمخشري، 1407هـ، ج 4، ص 765، وابن عادل، ج 20، ص 379، وابن عطية، 1422هـ، ج 5، ص 493، والقرطبي، 1384هـ، ج 20، ص 91)، وهذا المعنى لا يوجد في كلمة الدجى التي تعني سواد الليل مع غيم، فلا يرى فيه نجم ولا قمر، (ابن منظور، مادة دجا)، ولا يوجد في كلمة يغشى، التي تعني أنه يغطي بظلامه، أو غشّى، التي تعني أطبق وألبس، وغطى. (ابن منظور، مادة غشا).

ومن الواضح مناسبة اختيار الفاصلة: ﴿سَجَى﴾، والعدول عن غيرها؛ لما فيها من السكون الباعث على السكينة والطمأنينة؛ - موضوع السورة -، وفي هذا يقول الألوسي (ت 1270هـ): "... وتخصيص الليل بناء على أن المراد وقت اشتداد الظلمة؛ قيل لأنه وقت خلو المحب بالمحجوب، والأمن من كل واش وريب... ". (الألوسي، 1415هـ، ج 15، ص 374).

ومعلوم أن اجتماع الظلمة مع السكون، يبعث في النفس رواحاً وارتياحاً بين المتحابين، وإليه ذهب الطيبي فقال: إن الله تعالى : "... أقسم له ﷺ بوقتَيْن فيهما صلاته عليه الصلاة والسلام، التي جعلت قرّة عينه، وسبب مزيد قربه وأنسه، أمّا الضحي؛ فلما رواه الدارقطني في المجتبى عن ابن عباس

⁴⁸ - جاء في لسان العرب (مادة سجا) أن البيت للحارثي، ولم يذكر اسمه، ولم يتسن التعرف عليه عند غيره، ولعله أراد جعفر بن علبة الحارثي، أو عبد الملك الحارثي.

مرفوعاً، أن الرسول ﷺ قال: ﴿كُتِبَ عَلَى النَّحْرِ وَلَمْ يُكْتَبْ عَلَيْكُمْ وَأُمِرْتُ بِصَلَاةِ الضُّحَى وَلَمْ تُؤْمَرُوا بِهَا﴾. (الدارقطني، 1386 هـ، ج 4، ص 282).

وأما الليل؛ فلقوله تعالى: ﴿وَمَنْ الْبَلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾، (الإسراء، الآية 79)؛ إرغاماً لأعدائه وتكديباً لهم في زعم قلاه وجفائه، فكأنه قيل وحق قريبك لدينا، وزلفاك عندنا، إنا اصطفتيناك، وما هجرناك وقليناك". (الألوسي، 1415 هـ، ج 15، ص 374).

ومن هنا يتبين أن الله أقسم لحبيبه المصطفى بوقتین لهما عنده خطوة، لا سيما وقت سكون الليل؛ حيث يناجي الحبيب ربه متهجداً حتى تكاد تتشقق قدماه.

ج - فاصلة ﴿قَلَى (3)﴾، والسؤال هنا: لماذا عدل إلى حذف الضمير، وقد عدل إلى ذكره في قوله: ﴿ودعك﴾؟.

الظاهر الذي عليه بعض المفسرين أن حذف الكاف من (قلى) جاء لمراعاة الفاصلة، غير أن آخرين كان لهم توجيه بلاغي لطيف، ومنهم شهاب الدين الألوسي (ت 1270 هـ)، حيث قال: "وحذف المفعول؛ لئلا يواجه عليه الصلاة والسلام بنسبة القلى، - وإن كانت في كلام منفي - لطفاً به ﷺ، وشفقة عليه، عليه الصلاة والسلام؛ أو لنفي صدور عنه عز وجل بالنسبة إليه ﷺ، ولأحد من أصحابه ومن أحبه ﷺ إلى يوم القيامة...". (الألوسي، 1415 هـ، ج 15، ص 375).

وقد ذهب عائشة بنت الشاطئ (ت 1419 هـ) إلى رفض القول بأن حذف الكاف جاء لمراعاة الفاصلة، حيث قالت: "ولو كان البيان القرآني يتعلق بهذا؛ لَمَا عدل عن رعاية الفاصلة في الآيات بعدها: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، وليس في السورة كلها (ثاء) فاصلة، بل ليس فيها حرف ثاء على الإطلاق، ولم يقل تعالى: فخير؛ لتتفق الفواصل على مذهب أهل الصنعة ومن يتعلقون به.

ويبقى القول بأن الحذف لدلالة ما قبله على المحذوف، وتقتضيه حساسية معنوية مرهفة، بالغة الدقة في اللطف والإيناس، هي تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى في مقام الإيناس: ما قلاك؛ لما في القلى من الطرد والإبعاد وشدة البغض، أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوي فيه قد يؤذن بالفراق على كره، مع رجاء العودة واللقاء...". (بنت الشاطئ، 1977 م، ج 1، ص 35).

د- فاصلة ﴿الْأُولَى (4)﴾، وهنا كان العدول إلى (الْأُولَى) عن مرادفات أخرى مثل (الدنيا)، فما السر في هذا العدول؟.

إن العدول إلى التعبير بـ ﴿الْأُولَى﴾، يرشح تفسيراً آخر لقوله: ﴿وَلَا خَيْرَ﴾، التي تحتل أن تكون آخر أمر الإسلام، وليست الدار الآخرة التي هي يوم القيامة.

بمعنى أن يكون آخر أمر الرسالة خيراً من أوله، نصراً وفتحاً وسيادة، وهو ما احتمله ابن عطية (ت 542 هـ) حيث قال: "... ويحتمل أن يريد حاله في الدنيا قبل نزول السورة وبعدها، فوعده الله تعالى على هذا التأويل بالنصر والظهور...". (ابن عطية، 1422 هـ، ج 5، ص 493، 494).

وقد فسر الألوسي (ت 1270 هـ) رأي ابن عطية (ت 542 هـ)، فقال: "وقال ابن عطية وجماعة: يحتمل أن يراد بهما نهاية أمره ﷺ وبدايته، فاللام فيهما للعهد، أو عوض عن المضاف إليه، أي: لِنَهَايَةِ أَمْرِكَ خَيْرٌ مِنْ بَدَايَتِهِ، لا تزال تتزايد قوة وتتصاعد رفعة...". (الألوسي، 1415 هـ، ج 15، ص 377). وعلى هذا كان العدول إلى قوله: (الْأُولَى) أنسب من أن يعبر بالقول: (الدنيا).

ه- فواصل ﴿فَأَوَى (6)، فَهَدَى (7)، فَأَغْنَى (8)﴾، وفيها عدل سبحانه إلى حذف المفعول به، وهو الكاف، وقد تبين في فاصلة (قلى) تكريم الله لنبيه ﷺ بحذف الكاف؛ لأن القلى يكون بين المتباضعين، أما في هذه الفواصل، فإن ذكر المفعول مقبول مع الأفعال (آوى، هدى، أغنى)، ومع ذلك فقد عدل إلى حذف الضمير!.

والتأمل لمعاني هذه الآيات يلمس أن حذف الكاف قد أفاد العموم، أي أن الإيواء، والهداية، والإغناء، كان للرسول ﷺ وللمسلمين، أو أنها مجتمعة كانت للرسول ﷺ وللناس كافة، وفي ذلك تقول عائشة بنت الشاطي (ت 1419 هـ): "وفي حذف كاف الخطاب من ﴿فَأَوَى، فَهَدَى، فَأَغْنَى﴾، قال مفسرون بالحذف لِرعاية القَوَاصِلِ، وهو ما لا نرى البيان العالي يتعلّق به، وأوّلَى منه: قول مَنْ قَالُوا بالحذف لدلالة صريح السياق على المخاطب، ونُضِيفُ إليها فائدة الإِطْلَاقِ، فَتَحْتَمِلُ: فَأَوَاكَ وَأَوَى بِرِسَالَتِكَ الْيَتَامَى وَالْمُسْتَضْعِفِينَ، فَهَذَاكَ وَهَدَى بِكَ أُمَّتَكَ، فَأَغْنَاكَ وَأَغْنَاهَا بِكَ". (بنت الشاطي، 1977م، ج 1، ص 51).

ثم إن هذه الآيات، وإن كانت موجهة للرسول ﷺ فقط، فإنها أيضا تفيد العموم، وفي ذلك قال ابن القيم (ت 751 هـ): " وهذا يُعْمُ ما يُعْطِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَالْهُدَى، وَالنَّصْر، وَكَثْرَةُ الْأَنْبَاءِ، وَرَفْعُ ذِكْرِهِ، وَإِعْلَاءُ كَلِمَتِهِ، وما يُعْطِيهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وما يُعْطِيهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، وما يُعْطِيهِ فِي الْحَنَّةِ " (ابن القيم، ج 1، ص 73).

و- فاصلة ﴿ فَحَدَّثَ (11) ﴾، وهنا كان العدول إلى قوله: ﴿ فَحَدَّثَ ﴾، دون غيرها من المرادفات، لا سيما فخبر التي تناسب الفاصلتين اللتين قبلها وهما: ﴿ تَقْهَرُ، تَنْهَرُ ﴾.

لا مبالغة في القول: إن العدول إلى قوله: ﴿ فَحَدَّثَ ﴾، دليل على أن الأسلوب القرآني لا يراعي اللفظ على حساب المعنى، حيث إنه هنا لم يراع الفاصلتين: ﴿ تَقْهَرُ، تَنْهَرُ ﴾، خاصة إذا أضفنا دليل حذف الكاف من فاصلة: ﴿ قَلَى ﴾ الذي سبق ذكره.

ومن هنا يمكن القول: إن في العدول إلى قوله: ﴿ فَحَدَّثَ ﴾ فيه تجديد للأسلوب الذي تعودته العرب، سواء في الشعر ومراعاة القوافي، أم في النثر ومراعاة فاصلة السجع؛ وعليه فقد جاءت هذه الفاصلة محددة للتعبير العربي شعرا ونثرا.

هذا من جهة الشكل، ولو أنعم المتأمل البصيرة في المعنى، لآنس الفرق بين معنى الإخبار، ومعنى التحديث، فالإخبار يكون مرة واحدة، والتحديث يكون صاحبه مداوما على تكرار الخبر؛ وبذلك يكون التعبير بقوله: ﴿ فَحَدَّثَ (11) ﴾، هو الأبلغ. وفي هذا قال الألوسي (ت 1270 هـ): " وَأَثَرُ سُبْحَانِهِ فَحَدَّثَ عَلَى فَخْبَرٍ، قيل: ليكون ذكر النعمة منه عليه الصلاة والسلام حديثاً لا ينساه، ويوجده ساعة غِبَّ ساعة ". (الألوسي، 1415 هـ، ج 15، ص 384).

2_ العدول في الألفاظ: تبين في المطلب السابق كيف أن العدول إلى الفواصل كان لغايات وأسرار بلاغية، وفي هذا المطلب يمكن الوقوف على بعض الألفاظ التي لم تكن في موضع الفاصلة، ومنها:

أ_ العدول إلى لفظ: ﴿ وَدَّعَكَ ﴾، حيث عدل سبحانه عن ألفاظ أخرى فلم يقل: (ما تركك، أو ما خلَّأك).

جاء في لسان العرب أن الترك هو التخلية، وحلّى الأمر، وتخلّى منه وعنه: تركه، وقولهم: أنا خلّيتُ منك، أي: برئُ منك. (ابن منظور، مادة ترك، خلا)، وأما التوديع فيكون في الخفض والدعة معا. (ابن منظور، مادة ودع).

وبالبحث في الفرق بين المعاني الدقيقة لهذه المترادفات، جاء تعريف أبي هلال العسكري (ت 395 هـ) لمعنى الترك، حيث قال: " وَالتَّرْكُ عِنْدَ الْعَرَبِ: تَخْلِيْفُ الشَّيْءِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَالانْصِرَافُ عَنْهُ عَنْ عَمْدٍ؛ وَلِهَذَا يَسْمَوْنَ بَيِّضَةَ النِّعَامَةِ إِذَا خَرَجَ فَرَحَهَا تَرْكَةً؛ لِأَنَّ النِّعَامَةَ تَنْصَرِفُ عَنْهَا". (العسكري، 1412هـ، ج 1، ص 124).

وهنا يتضح أن معنى الترك هو الانصراف عنه دون الرجوع إليه، كما قالوا في بيضة النعامة: تركته، وفي الفرق بين الترك والتخلية قال العسكري (ت 395 هـ): " الفرق بين الترك والتخلية: أن الترك هو ما ذكرنا، والتخلية للشيء: نقيض التوكيل به، يقال: خلاه، إذا أزال التوكيل عنه، كأنه جعله خاليا لا أحد معه، ثم صارت التخلية عند المتكلمين ترك الأمر بالشيء، والرغبة فيه، والنهي عن خلافه...". (العسكري، 1412هـ، ج 1، ص 123).

وهنا يتضح أن معنى التخلية هو التخلي عن الشيء، وإزالة التوكيل عنه؛ ليكون خاليا ليس معه أحد، ولا ريب أن هذه المعاني لا تراعي مناسبة السورة، ومن ثم عدل الله سبحانه في خطاب حبيبه ﷺ إلى ﴿ وَدَعَكَ ﴾، وأكرمه بذكر الضمير وهو الكاف، وقد ألمح شهاب الدين الألوسي (ت 1270 هـ) إلى نكتة العدول إلى التعبير بودعك حيث قال: " قيل: إن المعنى ما قطعك قطع المودع، على أن التوديع مستعارة تبعية للترك، وفيه من اللطف والتعظيم ما لا يخفى، فإن الوداع إنما يكون بين الأحباب ومن تعز مفارقتة، ... ولَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ إِيْنَاسَهُ ﷺ، وإزالة وحشته عليه الصلاة والسلام، جيء بما يتضمن نفى ما زعموه على أبلغ وجه، كأنه قيل: إن هذا النوع غير المخل بمقامك من الترك، لم يكن فضلا عما زعموه من الترك المخل بعزيم مقامك". (الألوسي، 1415هـ، ج 15، ص 374، 375).

ولعل اهتمام الألوسي (ت 1270 هـ) بمناسبة نزول السورة، جعله أكثر دقة وبيانا في بيان بلاغة العدول إلى التعبير بودعك..

ثم إن التوديع يكون معه رجاء العودة، قالت بنت الشاطئ (ت 1419 هـ) : " ... وأما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب، كما لا يكون توديع إلا مع رجاء العودة وأمل البقاء ... ". (بنت الشاطئ، ص 268).

ب-العدول إلى لفظ ﴿رَبِّكَ﴾: وكان ذلك في ثلاث مناسبات، الأولى في بداية السورة في الآية الثالثة، والثانية في وسط السورة في الآية الخامسة، والثالثة في آخر السورة في الآية الأخيرة، وكأنه يريد أن يذكره من حين لآخر بأنه ربه الذي لن يتخلى عنه؛ لذلك عدل إلى لفظ: ﴿رَبِّكَ﴾ دون غيره من أسمائه أو صفاته سبحانه وتعالى، أضف إلى ذلك ما يدل عليه لفظ الرب، من الربوبية والتربية، خاصة وأن السورة تحدثت عن كفالة الله لحبيه المصطفى ﷺ في يتمه، وإيوائه، ورعايته، وإغنائه بعد فقر، وتلك النعم منوطة بالمرابي الذي يحنو ويهتم على من يريهم.

ج-العدول إلى تكرار (الكاف)، وذلك في مرات عدة، في قوله: (ودعك، ربك، لك، يعطيك، ربك، يجدك، ووجدك، ووجدك، ربك)، والملاحظ أن الكاف العائدة على الرسول ﷺ متصلة بأفعال تدل على رعاية الله لنبيه مثل: (ودعك، يعطيك، يجدك، وجدك)، وقد تبين سبب حذف الكاف من ﴿ قلى ﴾ التي لا تناسب رعاية الله لنبيه ﷺ، كما يلاحظ أن الكاف اتصلت باسم وحيد تكرر ثلاث مرات وهو: ﴿ رَبِّكَ ﴾، الذي يحمل دلالات حانية تم التنبيه على بعضها في الفقرة السابقة.

وليس من النافلة التنبيه على أن التعبير بكاف المخاطب، والعدول عن ضمير الغائب يعزز من إيفاء السورة بغرضها الأساس، وهو مواساة الرسول ﷺ، وطمأنته والحنو عليه ﷺ.

د-العدول إلى لفظ: (السائل)، حيث عدل عن التعبير بألفاظ مرادفة مثل: (المحتاج، أو العائل)، لا سيما وأنه عبّر قبلها بقوله: ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ (8)، والظاهر أنه لم يُرد بلفظ: السائل الذي يسأل الناس الطعام أو المال؛ إذ يحتمل بقوة أن يراد به أي سائل، سواء فقيراً جاء يسأل الغنى، أم ضالاً يسأل الهدى، أم جاهلاً يسأل العلم، وبهذا قال جمع من المفسرين، (ينظر بنت الشاطئ، ص 268)، وبهذا يؤدي العدول إلى لفظ السائل ما لا تؤديه ألفاظ أخرى مرادفة كالعائل أو المحتاج، كما أن لفظ السائل يفيد في الوقوف على بلاغة ترتيب الأسلوب في النص القرآني، من خلال الوقوف على العدول في الأسلوب.

3_ العدول في الأسلوب: تبين في المطالب السابقة كيف تنوع العدول في أمور عدة، منها الحذف والذكر، كحذف الكاف من قلى، وذكره في ﴿ وَدَعَكَ ﴾، ومنها التكرار كتكرار كاف المخاطب تسع مرات، والعدول في الأسلوب كثير جداً، منه على سبيل المثال لا الحصر:

أ-العدول في الترتيب: ومن الترتيب التقديم والتأخير، فتقدم الضحى الذي هو إشراقه الوحي، على الليل الذي هو انقطاعه، كان أكثر مناسبة؛ لأن مواساة المهموم تستوجب تقديم الأمور المفرحة على المحزنة، وفي ذلك قال شهاب الدين الألوسي (ت 1270 هـ): "وتقدم الضحى على الليل بناء على ما قلنا أولاً لرعاية شرفه؛ لما فيه من ظهور زيادة النور، وللنور شرف ذاتي على الظلمة؛ لكونه وجودياً؛ أو لكثرة منافعه؛ أو لمناسبته لعالم الملائكة، فإنها نورانية، وتقدم الليل في السورة السابقة؛ لما فيه من الظلمة التي هي لعدميتها أصل للنور الحادث بإزالتها؛ لأسباب حادثة وقيل تقديمه هناك؛ لأن السورة في أبي بكر وهو قد سبقه كفر، وتقدم الضحى هنا؛ لأن السورة في رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو ﷺ لم يسبقه ذلك"، (الألوسي، 1415هـ، ج 15، ص 373).

ومن العدول في الترتيب، مناسبة ترتيب الآيات وتنسيقها على هذا النحو:

أَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8)
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)
فبعد أن ذكر الله تعالى نبيه بنعمه، أخذ يوصيه بما يجب عليه تجاه من يفتقد تلك النعم، فبدأ بالتوصية على الإحسان لليتيم في الآية التاسعة؛ التي تناسب نعمة إيواء اليتيم المذكورة في الآية السادسة، ثم أوصاه بالإحسان للسائل في الآية العاشرة، التي تناسب نعمة الهداية المذكورة في الآية السابعة، ثم أوصاه بشكر النعم المختلفة التي أسبغها الله تعالى عليه؛ التي تناسب نعمة الإغناء التي أنعم الله عليه بها. ومثل هذا الترتيب يمكن توضيحه على هذا النحو:

أَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) = فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9)
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) = وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10)
وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8) = وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)

ومن فوائد هذا الترتيب أنه يساعد بشكل كبير في الوقوف على معنى كلمة السائل، حيث يظهر من خلال هذا الترتيب أن المراد بها ليس العائل المحتاج الفقير، وإنما سائل العلم والهداية من الضلالة، ومن ثم فإن الله تعالى يعلم نبيه ﷺ كيف تكون المعاملة تجاه من يسأل الهداية، فلا تكون مثلاً كما كانت مع عبد الله بن أم مكتوم، وقصته المشهورة التي كانت سبب نزول قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنْ اسْتَعْى (5)

فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبِي (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10) ﴿.﴾

ب-العدول بين الخبر والإنشاء: تبدأ السورة بالعدول إلى الأسلوب الإنشائي في الآيتين الأولى والثانية، من خلال القسم: ﴿ وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) ﴾، ثم العدول إلى الأسلوب الخبري، كنتيجة طبيعية بجواب القسم: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5) ﴾، ثم العدول إلى الأسلوب الإنشائي مرة أخرى، من خلال الاستفهام في قوله: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى؟ (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى؟ (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى؟ (8) ﴾ ثم من خلال النهي في قوله: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) ﴾ ثم من خلال الأمر في قوله: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11) ﴾. فما قيمة كل هذا العدول؟.

أولاً: الخبر وأغراضه: كان الخبر الأول ابتدائياً، حيث جاء الخبر في قوله: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) ﴾ دون مؤكدات، وفيه دلالة على أن المخاطب - وهو الرسول ﷺ - كان خالي الذهن من هذا الحكم، ثم كان الخبر الثاني طلبياً، حيث أكدّه مؤكّداً واحداً هو لام الابتداء، وذلك في قوله: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) ﴾، وفيه دلالة على أن المخاطب متردد تجاه هذا الحكم، ثم كان الخبر الثالث إنكارياً حيث جاء مؤكّداً بمؤكّدين اثنين، هما: (لام الابتداء، سوف) ، في قوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5) ﴾، وفيه دلالة على أن المخاطب منكر لهذا الخبر.

هذا ما يحدث به ظاهر أضرب الخبر كما تنص كتب البلاغة، لكنها تنص أيضاً على أن الخبر قد يخرج عن مقتضى ظاهره، ومنه إنزال المخاطب منزلة المتردد أو المنكر، وإن لم يكن منكراً أو متردداً. (عتيق، ص 49، ص 57 - ص 60).

والتأمل في درجات تأكيد الخبر يلاحظُ ببسر أن الخطاب الموجه للرسول ﷺ خاصة جاء دون تأكيد، ويسمى هذا الخبر ابتدائياً، يقبلُ المخاطب ويستفيدُ العلم به، ثم جاء الخبر الثاني مؤكّداً بمؤكّدي واحد؛ ليفيد أن القادم أفضل للرسول ﷺ والمسلمين، وأن العاقبة لهم على الكافرين، ومن ثم عدل سبحانه وتعالى إلى تأكيد هذا الخبر؛ لطمأنة المترددين من الصحابة، ثم جاء الخبر الثالث مؤكّداً بمؤكّدين اثنين؛ للدلالة على أن الخطاب ليس موجهاً للرسول ﷺ والمسلمين فحسب، بل والمشركون أيضاً؛ لأنهم بعد

شمااتهم باحتباس الوحي، نزلت السورة حانية وادعة على الرسول ﷺ والمسلمين، قاسية محبطة للكفار والمشركين الذين كانوا من ضمن المخاطبين بأن الله تعالى سينصر دينه وسيعطي نبيه حتى يرضى.

ثانيا: الإنشاء وأغراضه: عدل سبحانه إلى الأسلوب الإنشائي في ثمان آيات من السورة هي الآية الأولى، والثانية، والسادسة، والسابعة، والثامنة، ونهاية كل من الآية التاسعة، والعاشر، والحادية عشرة، وكلها كانت من نوع الإنشاء الطلبي، عدا الآيتين الأولى والثانية، فقد كانتا من نوع الإنشاء غير الطلبي؛ ولا شك أن العدول عن التكرار من الإنشاء غير الطلبي أمر مقبول؛ وذلك لقلّة الأغراض البلاغية التي تتعلق به، ولأن أكثر أنواعه في أصلها أخبار نقلت لمعنى الإنشاء. (ينظر عتيق، ص 70).

1-أسلوب القسم: عدل إليه في قوله: ﴿ وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) ﴾، والقسم إنشاءً غير طلبي، وهو ما لا يستدعي مطلوبا، وقد تقدم عرض فائدة العدول بالقسم بالضحي الذي يعني إشراق نزول الوحي، والليل الذي يعني احتباس الوحي. وإن كان الإنشاء غير الطلبي قليل الأغراض البلاغية، إلا أنّ له فوائد معنوية، فمن فوائده: " أن يتحقق وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه، أي في الوقت الذي يتم التلفظ به " (عتيق، ص 70).

وبهذا يمكن الاستدلال على أن الضحي هو إشراق نزول الوحي، فقد أقسم الله سبحانه بالضحي وحيًا؛ ليتحقق وجود المعنى مع وجود اللفظ، وكذلك بالنسبة لليل احتباس الوحي، فقد وافقت نهاية الاحتباس بداية القسم، الذي به انتهى ليل إبطاء الوحي.

2-أسلوب الاستفهام: وقد عدل إليه في قوله: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى؟ (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى؟ (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى؟ (8) ﴾، وهو استفهام تقريرى عدل إليه البارئ جل وعلا؛ للدلالة على أن حبيب المصطفى ﷺ مُقَرَّرٌ معترفٌ غير منكر لنعم الله عليه، وفائدة هذا التقرير هو " حملُ المخاطب على الإقرار بما يعرفه إثباتاً ونفيًا؛ لغرض من الأغراض " (عتيق، ص 90) ، والغرض منه في هذه الآية تطمين الحبيب المصطفى ﷺ بأن ربه الذي آواه، وهداه، وأغناه لن يتخلى عنه.

3-أسلوب التهي: وعدل إليه في قوله: ﴿ فَلَا تَفْهَرُ (9) فَلَا تَنْهَرُ (10) ﴾، والنهي في حقيقته " طلب الكف عن الفعل، أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام " (عتيق، ص 79)، ولا ريب أن هذا المعنى الحقيقي للنهي لا يناسب سياق السورة ولا مناسبة نزولها؛ لذا عدل به هنا -من خلال السياق - إلى الخروج به عن معناه الحقيقي؛ ليكون الغرض المعنوي والبلاغي منه في هاتين الآيتين

هو النصح والإرشاد، فبعد أن أسبغ رب العزة على حبيبه المصطفى ﷺ كل هذه النعم، أرشده من خلال النهي إلى كيفية معاملة اليتيم والسائل.

4- أسلوب الأمر: وعدل إليه في قوله: ﴿ فَحَدَّثَ (11) ﴾. وهو في حقيقته " طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"، (عتيق، ص 71)، غير أنه هنا خرج عن هذا المعنى الحقيقي؛ لاحتماله أغراضاً أخرى منها: النصح والإرشاد، ومنها الندب، وعليه اختلف المفسرون في الغرض من الأمر هنا، هل هو على الوجوب، أم على الندب؟. (ينظر الألويسي، 1415هـ، ج 15، ص 383، وابن عادل، 1419هـ، ج 20، ص 394، وابن عطية، 1422هـ، ج 5، ص 495، والقرطبي، 1384هـ، ج 20، ص 102).

وقد لخص الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ) الخلاف بقوله: " ومنها ما يدخل التحديث به في واجب الشكر على النعمة، فهذا وجوبه على النبي ﷺ خالص من عروض المعارض؛ لأن النبي ﷺ معصوم من عروض الرياء، ولا يظن الناس به ذلك فوجوبه عليه ثابت، وأما الأمة فقد يكون التحديث بالنعمة منهم مخفوفاً برياء أو تفاخر". (ابن عاشور، ج 30، ص 404).

هكذا كان العدول إلى الإنشاء بين طلبي وغير طلبي يفيد معانٍ متعددة، من خلال أربعة أنواع من أساليب الإنشاء في هذه السورة القصيرة، فمن فائدة تقرير تحقق النصر والفتح من خلال القسم، إلى غرض الإقرار بالنعم من خلال الاستفهام، إلى هدف النصح وإرشاد عن طريق النهي، ثم إلى إفادة وجوب شكر كل تلك النعم التي أسبغها الله سبحانه على حبيبه المصطفى ﷺ خاصة، وعلى المسلمين عامة.

والخلاصة:

- كلما تعاهد المرء النص القرآني بالدرس والبحث والتأمل، تكشفَتْ له أسرار، وظهرت أمامه لطائف بلاغية وفوائد، ولا أدل على ذلك ما تسنى الوقوف عليه من بلاغة أسلوب العدول في هذه السورة القصيرة.
- معرفة العرب القدامى لأسلوب العدول الذي أخذ تسميات حديثة عدة منها: الانحراف، الانزياح، الانتهاك.

- التأكيد على ما ذهب إليه بعض القدامى والمحدثين من أن أسلوب العدول هو أسلوب دقيق، يحتاج صاحبه لملكة خاصة، ومهارة عالية؛ ليكون عدوله من مفردة إلى أخرى، أو من أسلوب إلى آخر، بيانا وتحسينا.
- تعددت أدوات العدول وأساليبه في سورة الضحى، سواء في اللفظة المفردة، أم في فواصل الآي، أم في الأسلوب، أم في الجملة، فكان العدول للذكر مثلا مناسبا في مواضع، كذكر الكاف في قوله: ﴿وَدَعَكَ﴾، بينما كان العدول إلى الحذف - وهو نقيضه - هو الأنسب في مواضع أخرى، كحذف الكاف من ﴿قَلَى﴾.
- إن معالجة النص القرآني بالتحليل والتأويل - من خلال سورة الضحى - تحتاج من الباحث والدارس أن يضع بعين الاعتبار مناسبة السورة وسياقها؛ لأن ذلك يساعد على كشف بعض الرموز والمصطلحات التي لا يفيد التفسير وحده للوقوف على المراد منها، وإنما تحتاج تأويلا كما هي الحال في تأويل كلمة (الضحى) بإشراقه الوحي من جديد بعد احتباسه مدة؛ لذلك كانت توجيهات شهاب الدين الألوسي (ت 1270 هـ)، وتأويلاته لطيفة في مواضع عدة.
- كان الغرض الأساس من السورة هو الحنو على الحبيب المصطفى ﷺ، وتطمينه، وكان نزولها نصرا لدينه وتثبيطا للمشركين الذين ظنوا أن الوحي انقطع إلى غير رجعة؛ لذلك كانت كلماتها وأساليبها تتراوح بين الحنو والإيناس للرسول ﷺ والمسلمين، وبين التقرير والتثبيط للكفار والمشركين.
- ما زال النص القرآني، ويبقى، حقلا خصبا للبحث والدراسة، فهو معجزة زمانه وكل زمان، تغري الباحث أغواره، وتدهشه أسرائه، ومثل سورة الضحى كشفت بعض تلك الأسرار، منها استعمال الرمز الذي يشرحه السياق، كالرمز بالليل إلى احتباس الوحي وإبطائه، والإشارة بالسائل لطالب العلم.

المصادر والمراجع

المصدر: القرآن الكريم.

المراجع:

- 1- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، بلا طبعة، بلا تاريخ.
- 2- الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد البارئ عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هجرية.
- 3- بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرقي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، بلا تاريخ.
- 4- بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، مصر، الطبعة السابعة، 1977 ميلادية.
- 5- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى، 1405 هجرية.
- 6- الحسناوي، محمد، الفاصلة القرآنية، دار عمار، الأردن، الطبعة الثانية، 1412 هجرية، 2004 ميلادية.
- 7- الدارقطني، علي بن عمر، سنن الدارقطني، تحقيق عبد الله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1386 هـ، 1966 م.
- 8- الزمخشري، جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هجرية.
- 9- ابن سلام، الجهمي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى، بلا تاريخ.
- 10- السيوطي، جلال الدين. أسباب النزول. مراجعة محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004 ميلادية.
- 11- ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، بلا طبعة، 1984 ميلادية.

- 12- ابن عادل، أبو حفص، تفسير اللباب، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا طبعة، بلا تاريخ.
- 13- عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الشركة المصرية العالمية للنشر لوحنمان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1994 ميلادية.
- 14- عتيق، عبد العزيز، في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، بلا تاريخ.
- 15- العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري على شرح صحيح البخاري، ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح محب الدين الخطيب، تعليق عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1379 هجرية.
- 16- العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللغوية، تحقيق بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، 1412 هجرية.
- 17- ابن عطية، عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هجرية.
- 18- القرطبي، شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم إطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384 هجرية.
- 19- ابن القيم. الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق محمد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، بلا تاريخ.
- 20- ابن منظور، محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، بلا تاريخ.

مؤتمر سرت 21-1-1922م

د. الصادق أمحمد السنوسي

كلية العلوم الاجتماعية العواتة

المقدمة

يعتبر مؤتمر سرت من المؤتمرات الوطنية المهمة التي حاول الداعيين إليه تقريب وجهات النظر بين الأخوة ، وإنهاء حالة الانقسام ، بسبب الحروب الأهلية ، والفتن الداخلية ، بين المناطق الليبية في تلك الفترة. وإزاحة حالة الجمود والوهن الذي أصاب حركة الجهاد الوطني بسبب التدخلات الإيطالية ، و توحيد الحركة الوطنية تحت زعامة رجل وطني.

وقد جاء هذا المؤتمر نتيجة للخلاف الذي بدأت بوادره مابين زعماء الحركة السنوسية في شرق ليبيا وبعض قادة الجهاد في غربها بسبب الغنائم التي حصل عليها المجاهدون من الإيطاليين عقب معركة القرضابية 1915م، حيث قدم عدد من ممثلي الحركة السنوسية وعلى رأسهم صفى الدين السنوسي وأحمد التواتي إلى أعيان مصراتة وبنى وليد وترهونة يطلبون منهم أن يسلم لهم زعيم مصراتة رمضان السويحلي جميع الغنائم التي حصل عليها من الإيطاليين بعد انسحابهم من مدينة مصراتة في 5 أغسطس عام 1915م، كما فعلوا مع عبد النبي بالخير عندما جمعوا ما تركه الطليان في بنى وليد من غنائم وأموال ، فذهب الأخير إلى صفى الدين الذي تصادف وجوده في مصراتة ليشتكوا له ما فعله معه أحمد التواتي ، وأحمد سيف النصر مندوباه في بنى وليد وترهونة ، ولكنه رجع خالي الوفاض، ولم يستجب لطلبه .

ومن الأمور التي زادت الهوة بين المنطقتين محاولة عامل الحركة السنوسية صفى الدين السنوسي جباية الضرائب من الأفراد في بعض المناطق الغربية وأحقية تسليمها لمندوبيهم، إضافة لجمع زكاة الأموال من المكلفين بها ، دون النظر إلى حالة الفقراء والأسر التي قدمت الدعم للمجاهدين ضد الإيطاليين وفقدت من كان يعولها، وقد تركت هذه الفتنة أثرا في النفوس بين الطرابلسيين والبرقاويين.

كما أدى تأزم الأوضاع السياسية في منطقتي طرابلس وبرقة بسبب الضغوط الإيطالية على الزعماء في الإقليمين إلى حالة من الإرباك والفوضى السياسية في البلاد، ففي إقليم طرابلس لم يتوصل الزعماء الطرابلسيون إلى أي تسوية مباشرة مع الإيطاليين ، وفي برقة أصرت السلطات الإيطالية على الأمير محمد

إدريس السنوسي بضرورة إغلاق معسكرات المجاهدين تنفيذا للاتفاقيات التي عقدت معه (عكرمة والرجمة)، وهو ما رفضه قادة القبائل ووضع الأمير محمد إدريس السنوسي في موقف يحسد عليه.

وتأتي أهمية دراسة مؤتمر سرت باعتباره أحد المؤتمرات الوطنية المهمة التي جاءت لتحقيق المصالحة الوطنية، ومحاوله من الداعيين إليه توحيد الجهود القتالية في البلاد بعد حدوث العديد من الانقسامات فيما بينهم، وتدخل الفتن بين رؤساء القبائل، وتوسع الخلافات في محاولة من المحتل لشل وإضعاف حركة المقاومة الوطنية ضده.

ومن الأسباب التي أدت إلى اختيار هذا الموضوع (مؤتمر سرت) أنه نموذج للمؤتمرات الوطنية التي تعكس مدى المعاناة والصعوبات التي كان يعانيها الليبيون من جرا الاحتلال الإيطالي، ومحاوله قادة الجهاد وزعماء القبائل الليبية إيجاد الحلول الكفيلة لتوحيد صفوفهم وقدراتهم لتوجيهها نحو هدفهم الأساسي ألا وهو مقاومة المحتل، وتوحيد القيادة في شخص وطني، ومن الأسباب أيضا معرفة ما مدى تأثير هذا المؤتمر على حركة الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي، وعلى الحالة السياسية في البلاد.

كما يمكن من خلال هذا البحث التعرف على أهم المؤتمرات التي سبقت مؤتمر سرت كمؤتمر العزيرية و مسلاته وغريان، وما هي الأسباب التي أدت إلى انعقادها، وما أهم الشخصيات التي حضرتها، وما موقف إيطاليا منها، وما هي النتائج التي ترتبت عليها وعلى حركة المقاومة الليبية؟.

أولاً- لمحة عن الأوضاع السياسية في ليبيا قبل انعقاد المؤتمر:-

بعد أن استكملت إيطاليا وحدتها في عام 1870م، بدأت أطماعها الاستعمارية القديمة في ليبيا بالتزايد، وقد غدا هذا الاتجاه تنامي الروح القومية عند الإيطاليين إضافة إلى المشاكل الاقتصادية الداخلية التي كانت تعانيها إيطاليا، والتي من بينها تفشي البطالة وزيادة عدد السكان، كما أن التوسع الاستعماري كان سيمثل رمزاً للقوة والعظمة آدا أرادت إيطاليا أن تلعب دوراً رئيسياً في السياسة الأوروبية التي كانت تنتهج مبدأ التوسع والتنافس فيما بينها في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

ولأجل ذلك حاولت إيطاليا أن تقوم بأولى محاولاتها التوسعية في شرق أفريقيا، إلا أن هزيمتها في معركة (عدوة) عام 1896م بالحبشة وضع حداً لتلك المغامرة، فلم يكن أمامها سوى ولاية طرابلس الغرب وخاصة بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس في عام 1881م، واحتلال مصر من قبل إنجلترا في

عام 1882م. لذلك قامت إيطاليا بخطوات مهمة من أجل التمهيد لاحتلال ولاية طرابلس الغرب تمثلت في التمهيد السياسي و الاقتصادي والثقافي ، فمن خلال المساعي الدبلوماسية المتمثلة في انضمامها للحلف الثلاثي الذي جمعها مع المانيا والنمسا استطاعت إيطاليا أن تحصل على تفويض من الدول الكبرى في حقها بالحصول على ولاية طرابلس الغرب ، ومن جانب آخر حاولت كل من إنجلترا وفرنسا إيجاد دولة ضعيفة تكون حداً فاصلاً بين ممتلكاتهما في كل من الجزائر وتونس ومصر والسودان.(بروشين،2005،406-407)

وبعد أن حصلت إيطاليا على موافقة الدول الكبرى في حقها بولاية طرابلس الغرب بدأت في سياسة التمهيد للغزو من خلال إرسالها للبعثات الكشفية وفتحها للمدارس في أهم المدن الليبية مثل طرابلس وبنغازي ، وإصدار الصحف والمجلات ، وتأسيس المكتبات . كما مهدت إيطاليا اقتصاديا في شكل فتح فرع لمصرف روما في طرابلس في عام 1907م ، وفتح فرع للمصرف التجاري الإيطالي، وفرع لمصرف الاعتماد الإيطالي ، وقد بلغ استثمار مصرف روما لوحده في ليبيا حوالي 245 مليون ليرة إيطالية، صرفت في مناحي الحياة الاقتصادية المختلفة مثل إقامة مصانع كبس الحلفاء والإسفنجة والنسيج ومعاصر الزيت وغيرها من المناشط الاقتصادية ، حتى استطاعت إيطاليا أن تصل للمرتبة الثانية من حيث التصدير والاستيراد مع ولاية طرابلس الغرب بعد إنجلترا. (ياسين،2012،-16)

(1)

كما لا يفوتنا هنا أن نذكر ما قام به الفاتيكان من نشاط عملي في تهيئة الرأي العام الإيطالي روحياً بمدى أهمية الحملة الإيطالية التي يتوقع لها أن تعيد للمسيحية أجماعها في شمال أفريقيا ، وإعطاء صورة واهية للشعب الإيطالي عن التأخر والفقر و العبودية التي كان يعانيها أهل طرابلس وبرقة من قبل العثمانيين .(ياسين،2012،21) ، وعندما تأكدت إيطاليا من اكتمال جاهزيتها الداخلية والخارجية بادرت بإعلان الحرب على الدولة العثمانية بعد توجيه إنذار لها في 27 سبتمبر 1911م ، وتحرك الأسطول الإيطالي باتجاه شواطئ مدينة طرابلس ، وفي 29 سبتمبر أعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية و ذلك بتسليم بلاغاً إلى الصدر الأعظم بذلك، كما أعلنت وزارة الخارجية الإيطالية ذلك الخبر لجميع الصحف المحلية والأوروبية.

وفي الثالث من أكتوبر استكملت القوات الإيطالية استعداداتها العسكرية أمام الشواطئ الليبية وبدأت بقصف مدينة طرابلس بعد الظهر، كما قامت في نفس اليوم بقصف مدينة طبرق الواقعة شرق

البلاد على الحدود المصرية، وفي اليوم الخامس من أكتوبر قامت إيطاليا بإنزال أكثر من 1700 جندي من مشاة البحرية في طرابلس بعد سيطرتها على أجزاء من المدينة ورفع العلم الإيطالي عليها، وفي اليوم السادس اجتمع زعماء البلاد من المشايخ والأعيان في بلدة العزيزية وتم تعيين العقيد نشأت باشا قائدا عاما للقوات العثمانية وللمجاهدين ووالياً على جبهة طرابلس. (رحومة، 1993، 58، مأكولا، 1999، 111)

وفي يوم 17 أكتوبر استولت القوات الإيطالية على مدينة درنة بعد مقاومة شديدة، وبعد سقوط درنة أصبحت مدينة بنغازي الهدف الثاني أمام القوات الإيطالية في يوم 19 أكتوبر حينما بدأت قذائف القوات الإيطالية تنهال على المدينة، وبعد عدة معارك خاضها المجاهدون ضد الإيطاليين مثل معركة جليانة و سيدي حسين وغيرها، وفي يوم 20 أكتوبر دخلت القوات الإيطالية المدينة بعد انسحاب المجاهدين منها. (رحومة، 1993، 63)

وفي يوم 21 أكتوبر هاجم الأسطول الإيطالي مدينة الخمس وأجبرت الحامية العثمانية المتواجدة فيها على الانسحاب أمام القوات الإيطالية خارج المدينة استعداداً للمعركة الشهيرة (المرقب) التي دارت يوم 23 أكتوبر 1911م، و الواقعة حول مدينة الخمس من الغرب والجنوب. (الطوير، 1999، 48)

كما جرت معارك عدة في مدينة طرابلس مثل الهاني وشارع الشط في الفترة من 23 إلى 26 أكتوبر وتنتج عنها قتل وجرح المئات من الأطفال والنساء والشيوخ، ونفي العديد من السكان إلى الجزر الإيطالية بهدف إنزال الرعب في نفوس الأهالي والقضاء على حركة المقاومة. (الطوير، التليسي، 1999-1983، - 48 121)

وفي 5 نوفمبر 1911م أصدرت الحكومة الإيطالية مرسوماً ملكياً يتضمن وضع طرابلس وبرقة تحت السيادة الإيطالية بالرغم من فشلها في فرض احتلالها العسكري عدا بعض المناطق الساحلية وهو ما آثار حفيظة الرأي العام الإيطالي والأوروبي بسبب المقاومة الوطنية الليبية، والدليل على ذلك استمرار تلك المقاومة وتجدها في معارك ابومليانة الثانية في 6 نوفمبر 1911م، وحصن الحميدية في 25 نوفمبر، والهاني الثالثة في 26 نوفمبر من نفس العام، حيث بقت القوات الإيطالية داخل حصونها حتى مارس 1912م. (4) (رحومة، 1993، 66)، وواصل الليبيون كفاحهم في كافة الميادين ودارت العديد من المعارك الطاحنة ضد الغزاة الإيطاليين منها معركة أبو كماش في 13 أبريل 1912م، ومعركة سيدي سعيد 26 أبريل من نفس العام، واستطاعت بعدها القوات الإيطالية من احتلال مدينة زوارة في 6 أغسطس 16 يونيو ثم

مصراته في 8 يوليو 1912م ، واستمرت المقاومة المسلحة في معظم المدن الساحلية الليبية ، ولم تنكسر شوكة المقاومة الليبية إلا عندما تم التوقيع على معاهدة الصلح بين الدولة العثمانية وإيطاليا ، والمعروفة بمعاهدة أوشي لوزان* في 18 أكتوبر 1912م ، والتي تم بموجبه تخلي الدولة العثمانية عن رعاياها في ولاية طرابلس الغرب، وانسحابها من ميدان القتال وتركه لوحده يواجه مصيره بالتظاهر بإعطائه الاستقلال الكامل و التام ، وكان لهذا الاتفاق أثره على حركة الجهاد وانتقال حركة الجهاد من المرحلة المشتركة بين الليبيين والعثمانيين إلى بداية الحركة الوطنية المستقلة . (الطوير، 1999، 52-53)

وقد جاء هذا الاتفاق كنتيجة للضغط الذي مارسته إيطاليا على الدولة العثمانية من أجل التخلي عن دعم المقاومة ومساندتها للمقاومة في ولاية طرابلس الغرب، حيث قامت إيطاليا بتهديد ممتلكات الدولة العثمانية في الخارج فوجهت ضربة عسكرية إلى جزر (الدوديكانيز) في بحر ايجة، وحاصرت الشواطئ اليمنية بالبحر الأحمر، إضافة إلى إشعال الثورة ضد العثمانيين في البلقان. (إبراهيم، 1993، 101. ياسين ، 2012، 39) ، وكان لزاماً على المجاهدين إيجاد مخرج لقضية الفراغ السياسي والعسكري الذي تركه قرار الأتراك بالانسحاب من البلاد، فكان انعقاد مؤتمر العزيرية في نوفمبر 1912م ترجمة فعلية لذلك؛ والذي حضره لفيف من الأعيان وقادة المجاهدين في المنطقة الغربية إلى جانب قائد القوات العثمانية نشأت باشا، وانتهت اجتماعات المؤتمر دون التوصل إلى قرارات موحدة حول استمرار حركة الجهاد تحت قيادة وطنية موحدة، فانقسم المجتمعون إلى فريقين الأول رفض التفاوض مع العدو والثاني فضل التفاوض معه. (قناوي، 2011، 25) وبالرغم من بروز الخلافات بين قادة حركة الجهاد التي استفادت منها إيطاليا في فرض سيطرتها الإستعمارية فإن روح المقاومة ظلت مستمرة في نفوس أبناء الوطن الذين اعتمدوا على أنفسهم في تدبير السلاح والتموين ، كما حدث في معارك الشب ، واشكده، ومحروقة، وسيدي كريم القرباع في عام 1913م. (إبراهيم، 1993، 104) ، وبفضل تصاعد حركة المقاومة من جديد في بداية الحرب العالمية الأولى في كل من فزان والجبل الغربي.. والمنطقة الوسطى عامي 1914-1915م ، فقد تعرضت القوات الإيطالية إلى أقصى هزيمة لها في معركة القرصايبية يوم 29 ابريل 1915م

* صلح أوشي لوزان هو الاتفاق الذي عقد بين الحكومة التركية والحكومة الإيطالية في 18 أكتوبر 1912م، وتم بموجبه تنازل تركيا عن ليبيا لإيطاليا وانسحابها من ميدان القتال ، تاركة الليبيين يواجهون مصيرهم لوحدهم، للمزيد انظر، (رحومة 1993، 87)

،وأجبرت بعدها على الانسحاب من معظم المنطقة الوسطى والغربية من البلاد ماعدا مدينتي الخمس وطرابلس. (الطوير،1999،57) ، وفي عام 1916م حدثت فتنة داخلية بين قبائل الرنتان والرجبان* من جهة والأمازيغ من جهة أخرى ،يضاف إليها المشاكل التي حدثت بين السنوسيين بقيادة صفى الدين السنوسي ورمضان السويحلي عقب معركة القرصابية، واستغلال إيطاليا لهذه الأحداث لشق الصف الوطني ؛فكان لزاماً على الخيرين من أبناء الوطن بدل المساعي لإيجاد الحلول اللازمة لتلك المشاكل العالقة فسعوا إلى تكوين الجمهورية الطرابلسية في عام 16 نوفمبر 1918. (الطوير، 1999، 61-ياسين، 2012،46) وإلى جانب حركة المقاومة العنيفة التي شهدتها الأراضي الليبية، و ما أفرزته مراحلها من فنون الحرب والقيادة ، فإن مجالات التنظيم السياسي والإداري والعسكري سجلت أيضاً ظواهر متقدمة كان من أبرزها انعقاد المؤتمرات الوطنية وما نتج عنها من قرارات مهمة لصالح البلاد وحركة الجهاد، فمن خلالها تشكل كيان الجمهورية الطرابلسية**، وهيئة الإصلاح المركزية، والعديد من التطورات في حركة الجهاد الليبي التي سوف يتم عرضها في هذا البحث..(ياسين،2012،3)

ثانيا- أهم المؤتمرات الوطنية التي سبقت مؤتمر سرت:-

شهدت ليبيا بعد الغزو الإيطالي لها العديد من الاتفاقيات والمؤتمرات الوطنية التي كان لها الأثر الكبير في توجيه مسار حركة الجهاد الوطني، وتوحيد صفوف المجاهدين منها :-

-مؤتمر العزيزية***:-

انعقد هذا المؤتمر في يوم الجمعة الموافق 25 أكتوبر عام 1912م، لمواجهة الأوضاع الناجمة عن توقيع معاهدة أوشي-لوزان وانسحاب الدولة العثمانية من ليبيا ،وما ترتب عنه من

*للمزيد من المعلومات حول الحرب التي وقعت بين العرب والبربر(الامازيغ)انظر(غرتسياني،1995،41)
**نشأت الجمهورية الطرابلسية بناء على مقررات مؤتمر مسلاته المنعقد في 16 نوفمبر 1918م،بجامع المجاهر بمدينة مسلاته،فقد قرر هذا المؤتمر تشكيل حكومة لإدارة شؤون البلاد العامة تسمى (الجمهورية الطرابلسية)،وتم تشكيل مجلس لإدارتها يتكون من سليمان الباروني،رمضان السويحلي ،أحمد المريض،وعبد النبي بالخير،للمزيد انظر ، (بغني ، 1993 ، 226).

***تقع في الجنوب الغربي لمدينة طرابلس وتبعد عنها بحوالي 40 كم.

تبدد لذلك التعاون وتشظي التحالف الذي كان يربط بين المجاهدين الليبيين والأتراك، وتغير الوضع السياسي والعسكري في البلاد تغيراً تاماً، ومن ثم دخلت حركة الجهاد ضد الغزو الإيطالي مرحلة جديدة اختلفت عما كانت عليه في بداية الغزو. (إبراهيم، 1993، 101)

ولمواجهة الأوضاع الناجمة عن توقيع معاهدة أوشي -لوزان، وانسحاب الدولة العثمانية من ليبيا وجه قائد القوات العثمانية في طرابلس (نشأت بك) الدعوة إلى زعماء وأعيان البلاد وقادة الجهاد من غرب البلاد لإبلاغهم بالأمر الواصل إليه من نظارة الحرية العثمانية، المتعلق بإنهاء الحرب مع إيطاليا، وكان من أبرز الشخصيات التي حضرت هذا المؤتمر فرحات بك الزاوي، وسليمان الباروني، والهادي كعبار، ومختار كعبار، وأحمد المريض، والصغير المريض، وعلي بن تنتوش (قائمقام العزيزية)، ومحمد عزيز (قائمقام زليتن)، ومحمد بك شلابي (قائمقام الزاوية)، ومحمد عبد الله البوسيفي، وأحمد البدوي الأزهرى، ومحمد فكيني، ومحمد سوف الحمودي، وغيرهم من أعيان البلاد. (إبراهيم، 1993، 101؛ باخيموفتش، 1970، 181)

وقد تباينت الآراء في هذا المؤتمر حيث انقسم المجتمعون إلى فريقين منهم من نادى بمواصلة الجهاد وعدم الاستسلام لما تم الاتفاق عليه بين الأتراك والإيطاليين، واخذوا يعدون العدة وينظمون صفوف المجاهدين للمقاومة في منطقة الرابطة ويفرن، والأصابعة، الأمر الذي دفع بالإيطاليين إلى الإسراع إلى احتلال المناطق الساحلية والداخلية، مثل الزاوية وسواني بني ادم والخمس وزليتن وغريان وبني وليد وترهونة ومسلانة. (ياسين، 2012، 48-49)

وكان هناك فريق اخر من المجاهدين أدرك بحبرته السياسية أن ليبيا بعد اتفاق أوشي -لوزان أصبحت مستعمرة ايطالية، ولم يكن أمام الليبيين إلا اللجوء إلى الحل السلمي عن طريق المفاوضات مع الإيطاليين. (الطوير، 1999، 55)

وانتهت اجتماعات المؤتمر دون التوصل إلى قرارات موحدة حول استمرار حركة الجهاد تحت زعامة وطنية موحدة؛ أد انقسم الزعماء في المنطقة الغربية واتسعت شقة الخلاف فيما بينهم، وحاولت الحكومة الإيطالية استغلال هذا الانقسام الحاصل بين قادة المجاهدين في المنطقة الغربية انطلاقاً من مبدأ (فرق تسد) بإذكاء روح الفرقة والعداء بين المجاهدين، ولترسيخ سيطرتها على البلاد من خلال قيامها بشن هجومها الواسع على الدواخل الليبية في الفترة ما بين نوفمبر 1912م ومارس 1913م، أد تمكنت القوات

الإيطالية من احتلال سواني بنيادم والعزيزة وقصر بن غشير، ومناطق مسلاتة وزليطن ومصراتة وتاورغاء وجنزور والزاوية. (شكري، 1948، 149؛ إبراهيم، 1993-106-107)

وفي بداية عام 1913م وصلت القوات الإيطالية إلى مدينة ترهونة وبني وليد، وعندما حاولت تلك القوات التقدم إلى الجبل الغربي اصطدمت بقوات المجاهدين في معركة جندوبة الواقعة جنوب مدينة غريان، في يوم 23 مارس 1913م، وعلى الرغم من شراسة القوات الإيطالية والفارق الكبير بينها وبين قوات المجاهدين إلا أنها استطاعت الصمود أمام الزحف الإيطالي، وإلحاق الخسائر في صفوفه. (شكري، 1948، 149، الطوير، 2003، 79)

و بالرغم من المقاومة العنيفة التي أبدتها المجاهدون بقيادة سليمان الباروني إلا أن القوات الإيطالية تمكنت من الانتصار على المجاهدين واحتلال منطقة الجبل الغربي، ثم زحفت على مناطق غدامس ومزدة، وبذلك أصبح الطريق مفتوحاً أمام القوات الإيطالية نحو فزان الواقع في الجنوب الليبي. (البوصيري، 1993، 13)

أما المنطقة الشرقية من البلاد فإنها لم تكن متأثرة باتفاقية أوشي-لوزان، آد استطاع الشيخ أحمد الشريف أن يقنع أنور باشا القائد العثماني بمدينة درنة أن يستلم منه دور القيادة لحركة الجهاد في المنطقة، واستطاع أن يلحق هزائم قاسية بالإيطاليين في معارك سيدي كرم القرباع في 16 مايو 1913م، وزاوية اسقفة الأولى والثانية في 13-16 يوليو 1913م. (التليسي، 1980، 41-43).

وبالرغم من النتائج السلبية التي تمخضت عن مؤتمر العزيزة على المقاومة الوطنية الليبية إلا أن حركة المقاومة لم تتوقف بل استمرت في العديد من مناطق البلاد. بعد احتلال الإيطاليين للجبل الغربي زحفت قواتهم باتجاه الجفرة وفزان بقيادة القائد (مياني) Miani، وتصدي المجاهدون لهم بقيادة الشيخ محمد عبدالله البوسيفي في معركة الشب اشكده محروقة، ولكن قلة العدد والفارق في العتاد والعدة رجح كفة الجانب الإيطالي في معركة محروقة بعد استشهاد الشيخ محمد البوسيفي، وتمكنت القوات الإيطالية بعدها من احتلال واحات فزان ومدنها ثم الوصول إلى مدينة غات في أقصى الجنوب الغربي من ليبيا، وبهذا تم احتلال المنطقة الغربية والجنوبية من البلاد. (ياسين، 2012، 69؛ الزاوي، 1984، 184)

-مؤتمر مسالمة 16 نوفمبر 1818م:-

عند قيام الحرب العالمية الأولى في شهر أغسطس من عام 1914م، حاول الأتراك استغلال الرابط الديني والتاريخي القائم بينهم وبين الليبيين في تأليبهم ضد الإيطاليين، فعملوا على توثيق

صلتهم ببعض الشخصيات الوطنية* في البلاد والمنطقة العربية، وإقناعهم بضرورة التخلص من الاحتلال الإيطالي والإنجليزي، ولكن هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى - والدول المتحالفة معها (المانيا وبلغاريا) أمام دول الوفاق (انجلترا وإيطاليا) - أدت إلى سحب مالها من معدات وقوات عسكرية في طرابلس الغرب، وتأكيدها على ما جاء في معاهدة مودروس Moudros التي نصت في بعض موادها على سحب جميع الضباط العثمانيين المتواجدين في طرابلس وبرقة، وعدم إرسال المؤن والذخائر، وتسليم موالي البلاد إلى اقرب حامية ايطالية. (ياسين، 2012، 84)

ومن النتائج السياسية التي انتهت إليها الحرب العالمية الأولى أيضا قيام كيانات مستقلة على أنقاض الإمبراطوريتين العثمانية والنمساوية أي إن أجزاء كانت إدارية في كيان الدولتين أصبحت دولاً مستقلة، وإعادة بناء الجغرافية السياسية في شرق أوروبا كما حصل في تشيك سلوفاكيا، وهو ما استوحى منه الليبيون بمساعدة الأتراك وإقناعهم لليبيين بالعمل على إنشاء كيان مستقل باسم الجمهورية الطرابلسية، أسوة بما صارت إليه أوضاع الولايات العثمانية في شرق أوروبا والمقاطعات النمساوية في شرق ووسط أوروبا، فكان إعلان الاستقلال وقيام الجمهورية الطرابلسية يوم 16-11-1918م. (المجدوب، 1988، 32-33)

* سارعت تركيا بإرسال وزير حربيها (أنور باشا) للاتصال بزعيم الحركة السنوسية في برقة أحمد الشريف و منحه لقب نائباً للسلطان في أفريقيا، كما أرسلت المانيا أحد ضباطها المدعو (مانسمان) مبعوثاً من الإمبراطور الألماني إلى أحمد الشريف، وإقناعه بالهجوم على القوات الانجليزية المتواجدة في مصر، في أوائل شهر نوفمبر عام 1915م، بمشاركة بعض القبائل المصرية، ودارت عدة معارك بين نوفمبر 1915 ومارس 1916م، تمكنت القوات الإنجليزية خلالها من هزيمة القوات الليبية والتركية وإبعادها من التراب المصري نهائياً، (هويدي، 1993، 189-194).

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بتوقيع معاهدة الهدنة في 31 أكتوبر 1918م، ووصول الخبر إلى ممثلي ألمانيا والدولة العثمانية في طرابلس البارون (فون توندورت) Fon tondort والأمير عثمان فؤاد قائد الفيلق الإفريقية، والذي قام بتوجيه الدعوة إلى الزعامات الوطنية المتواجدة آنذاك في مدينة مصراتة، (بغني، 1993، 225). لاتخاذ التدابير اللازمة حيال ماورد في اتفاقية الهدنة، ورأى المجاهدون الليبيون إن انقطاع المساعدات العثمانية سوف يؤثر على قدراتهم العسكرية والسياسية، لذلك قرروا عقد مؤتمر وطني يضم معظم القيادات الوطنية. (الطوير، 1999، 61) وعقد المؤتمر في 16 نوفمبر سنة 1918م، بمسجد الجابرة بالقصبات في مدينة مسلاتة، وقرر الحاضرون من المشايخ وزعماء حركة الجهاد تشكيل حكومة محلية أطلقوا عليها اسم الجمهورية الطرابلسية جعلوا لها مجلس للرئاسة يتكون من أربعة أعضاء هم: رمضان السويحلي وأحمد المريض وعبد النبي بالخير وسليمان الباروني. (بغني، 1993، 226)، واختار الحاضرون مجلساً تشريعياً برئاسة الشيخ محمد سوف المحمودي و مجلساً شرعياً* كما تم اختيار مديراً للشئون المالية للجمهورية (مختار كعبار)، وقائداً لجيش الجمهورية (عبد القادر باشا الغناني)، والضابط أحمد أبو شادي قائداً للشرطة، كما تم اختيار مستشار للجمهورية وهو المصري (عبد الرحمن عزام). (ياسين، 2012، 91) واتخذت الحكومة مقراً لها بمدينة العزيزية، وبدأت الحكومة خطواتها التنظيمية الأولى بإصدار عدة بلاغات** موجهة إلى الداخل والخارج، وقد دلت هذه البلاغات على اهتمام زعامة

* يتكون من أربعة أعضاء هم: الشيخ محمد الإمام، والشيخ عمر الميساوي، والشيخ مختار الشكشوكي، والشيخ الزروق أبوخريص، (الطوير، 1993، 61)

** كان البلاغ الأول موجهاً إلى أبناء الشعب الليبي معلناً لهم تشكيل الجمهورية الطرابلسية، والبلاغ الثاني ويدعو الضباط الوطنيين إلى الالتحاق بخدمة الجمهورية؛ وأرسلت الجمهورية بلاغها الثالث إلى الحكومة الإيطالية عن طريق العقيد (بيتساري) Bizzarri القائد الإيطالي للمنطقة العسكرية في مدينة الخمس، وطلبت منها الإعتراف بها ودعتها إلى عقد هدنة تجرى خلالها مفاوضات للوصول إلى صلح مقبول بين الطرفين، أما البلاغ الرابع فكان موجه إلى الرئيس الأمريكي (ويلسون) Wilson وطلبت منه وضع المسألة الليبية على طاولة البحث في مؤتمر الصلح؛ وكان البلاغ الخامس والسادس موجهان من رئاسة الجمهورية الطرابلسية إلى رئيس الوزراء البريطاني والفرنسي مطالبة إياهما بالوقوف إلى جانب الليبيين وحققهم في تقرير مصيرهم والنظر في مطالبهم باستقلال بلادهم من الحكم الأجنبي، (بغني، 1993، 228، ياسين، 2012، 94).

الجمهورية بالدول الكبرى، وحرصها على استمالتها والوقوف معها ومحاولة انتزاع الاعتراف بها، ولكن يبدو أن تلك البلاغات لم تجد تجاوبا من تلك الدول، كما إن إيطاليا رفضت الاعتراف بقيام واستقلال الجمهورية الطرابلسية، ومارست القوة ضد الطرابلسيين، ورفضت التعاون مع مجلس الرئاسة، واستمالة بعض الشخصيات النافذة فيها مثل اللواء عبدالقادر الغنای لتوقيع اتفاقية صلح معها دون موافقة مجلس الرئاسة في الجمهورية، وهو ما تسبب في تصدع كبير في صفوف حركة المقاومة الوطنية الليبية. (الصلابي، 2009، 39-399) حيث تمكنت إيطاليا بفعل تلك السياسة من احتلال مدينة الزاوية في الأول من شهر ابريل 1919م، بواسطة حملة انطلقت من مدينة زوارة بقيادة العقيد (ماتزيني)، وحملة أخرى انطلقت من طرابلس بقيادة اللواء (بنتانو) Bentano ولكن المجاهدين تصدوا لهذه الحملة في بلدة صياد بالقرب من مدينة الزاوية والحقوا بها خسائر فادحة. (الطوير، 1993، 63) وعندما لم تجدي القوة مع المجاهدين اضطرت إيطاليا إلى الدخول في مفاوضات معهم توجت بعقد صلح سواني بنيادام* في 18 ابريل 1919م، والذي اعتبره الطرابلسيون نصرا على عدوتهم إيطاليا، وفي 24 سبتمبر أصدر الوالي بلاغاً عن زيارة زعماء وأعيان البلاد إلى مدينة طرابلس واجتماعه بهم في حفل بقصر الحكومة. (فشبكة، 1973، 214) و لعل من أهم القرارات التي أسفر عنها مؤتمر مسلاته هو إعلان الجمهورية الطرابلسية وتوحيد صف المجاهدين ونبد الخلافات التي كانت قائمة بين أبناء الوطن لنيل استقلال بلادهم، والوقوف بكل قوة أمام التهديدات الإيطالية وإرغامها على التفاوض معها وهو مآثم في صلح بني ادم. (ياسين، 2012، 113) ولأجل الحفاظ على المكاسب الوطنية التي نص عليها القانون الأساسي رأى الطرابلسيون إن الظروف تحتم عليهم إنشاء حزب شعبي سياسي**، وهو ما عرف بحزب الإصلاح. (شكري، 1948، 239)

* عقد صلح سواني بنيادام (بني ادم) بالمنطقة الواقعة في الجنوب الغربي مدينة طرابلس بنحو 12 كم، وصدر في هذا الصلح القانون الأساسي للجمهورية الطرابلسية والذي تضمن عدة مواد بلغ عددها أربعون مادة شملت نواحي الحياة المختلفة السياسية والإدارية في البلاد، كما تمتع العرب بشروط خاصة منها: عدم دخول القوات الإيطالية إلى بعض المناطق، وعدم أخذ السلاح من الليبيين، وتبادل الأسرى، للمزيد انظر (الزاوي، 1984، 360 وما يليها).

** تم الإعلان عن تأسيس حزب الإصلاح رسمياً في 30 مارس 1919، برئاسة أحمد بك المريض، ورئاسة شرفية لرمضان بك السويحلي، وكان من أعضاء هذا الحزب البارزين عبد الرحمن عزام، وخالد القرقني، وعثمان الغرياني وكانت من مبادئ الحزب التي نشأ من أجلها المحافظة على حقوق الطرابلسيين، وتدريبهم على حكم أنفسهم حتى يصلوا إلى حريتهم، وتحقيق التضامن بين العرب والإيطاليين على أساس المساواة التامة واتحاد المصالح، ونشر التعليم بكل الوسائل، مع المحافظة على العادات الإسلامية، وبديل العناية لإصلاح الحالة الاقتصادية، وتوزيع الثروة الوطنية على أساس عادل. (1) كما اصدر حزب

وعلى الرغم من الجهود المضنية التي بذلها الزعماء في مؤتمر مسلاتة على الصعيدين السياسي والعسكري من أجل نيل استقلال بلادهم، إلا إن الجانب الإيطالي في طرابلس كان متلكئ في تنفيذ جميع المطالب الوطنية للشعب الليبي و كان هدفه من وراء المفاوضات التي عقدت مع المجاهدين هو در الرماد في العيون، واكتساب الوقت، وتهدئة الموقف السياسي لحين الانتهاء من تصفية حسابات الحرب العالمية الأولى مع دول الوفاق، كما إن الجمهورية الطرابلسية منذ تأسيسها لم يكن لها داعم خارجي قوي، يمكنها من تنفيذ ما تم الاتفاق عليه في صلح سواني بنيادم وخاصة فيما يتعلق بالسلطات التشريعية وانحسارها على السلطات الاستشارية فقط.. (أندرسون، 1985؛ 238؛ بغني، 1993، 226).

أما منطقة برقة فقد وقع إدريس السنوسي مع الطليان اعترفاً له فيها بالسيادة على الزوايا السنوسية، ودفعوا له راتباً ولمشايع الزوايا شريطة أن يلقي السلاح ويهادنهم. وقد تم ذلك في (الزويتينة) ثم جددت ووثقت عراها في اتفاقية عكرمة (1917م)، حيث تشكلت على هذا الأساس حكومة (اجدايا) التي يرأسها إدريس السنوسي، وتكون أيضاً مجلس أعيان (برلمان) برقة تحت رعاية الوالي الإيطالي. (القشاش، 1998، 108). وفي عام 1920م وقعت إيطاليا اتفاقية الرجمة مع الأمير إدريس ممثلاً عن سكان المنطقة الشرقية. (الطوير، 1993، 66)، وانتزع الإيطاليون فرصة المهادنة التي قامت بينهم وبين قيادة المجاهدين فزرعوا بذور الفتنة بين العرب والبربر من جهة، وبين البدو والحضر من جهة أخرى، وبين المدن والمناطق المحاورة. (الصلاحي، 2009، 403) و زادت من نشاطها الفعال الموجه إلى شق حركة التحرر الوطنية وشق وحدة الصف بين زعماء الجهاد وزملاء الأمس الذين تنامت بينهم الأخوة أيام الجهاد، حيث تمكنت إيطاليا من إيقاد نار الفتنة بين العرب (الرتان والرجبان) والبربر، التي دارت رحاها بين عامي 1920-1921م، والتي انتهت بنهايتها المؤسفة، والفتنة التي حدثت بين رمضان السويجلي وعبد النبي بالخير التي ذهب ضحيتها رمضان السويجلي يوم 24 من أغسطس 1920م. (الصلاحي، 2009، 403؛ بغني، 1993، 293) وقد أدت تلك التطورات السلبية إلى نتائج خطيرة أثرت على حركة الجهاد سياسياً وعسكرياً، ووجب الأمر القيام بمبادرة جديدة لرآب الصدع وتوحيد الصفوف لتجاوز حالة الخلاف والإنشقاق التي أحدثتها تلك الفتن، وتطلب الحال وجود مؤتمر وطني عام يدرس الأوضاع العامة في البلاد فكان مؤتمر غريان. (بغني، 1983، 91).

-مؤتمر غريان 1920م:-

لعل من الأسباب المهمة التي أدت إلى عقد هذا المؤتمر هي حالة الفتنة* و الانشقاق التي حدثت بين زعماء البلاد بفعل الدسائس الإيطالية، وأصبحت الجمهورية الطرابلسية من الناحية العملية غير ذات جدوى بفعل الصراعات السياسية بين زعمائها وما آلت إليه من نتائج كما ذكرنا سابقا. (ياسين، 122، 2012؛ بغني، 239، 1983)، وحيث إن أول ضربة تلقتها تلك الجمهورية والبلاد بأكملها هي صدور القانون الأساسي للقطر الطرابلسي بتاريخ 1 يونيو 1919م، واستمالة السلطات الإيطالية لقائد الجيوش الطرابلسية إلى صفها (عبد القادر الغناي) وما ترتب عليه من خلاف كبير بين الزعماء، كما أن وفاة رمضان السويجلي قد أدت إلى حدوث خلافات كبيرة بين زعيم مصراتة الجديد أحمد السويجلي، وبين أحمد المريض زعيم ترهونة، حول السيادة على منطقة مسلاتة والجفارة وغيرها، والتي اعتبرها كل زعيم منطقة نفوذ له. (قناوي، 42، 2011)، كما إن السلطات الإيطالية حاولت جاهدة عن طريق واليها في طرابلس (فولي) Folbe إلى ضم خليفة بن عسكر إلى جانبها في صراعه مع محمد فكيكي وهما عضوي الجمهورية. (قناوي، 44، 2011) ونتيجة للأوضاع المتدنية التي كانت تمر بها البلاد أحس بعض الزعماء الوطنيين ومنهم أحمد المريض، والأخوين الهادي والمختار كعبار، بالخطر الذي أصبح يهدد المقاومة الوطنية وضعفها في وجه الخطر الاستعماري الإيطالي، واستقر رأيهم على الدعوة إلى عقد مؤتمر وطني للتشاور ورأب الصدع الذي كان قائم بين أبناء الوطن الواحد، وتشكيل حكومة وطنية تكون قادرة على فرض السلطة الدينية والمدنية والعسكرية برئاسة رجل مسلم يشمل حكمه جميع أنحاء البلاد. (الطوير، 77، 1993) وقد سبق مؤتمر غريان مؤتمر تشاوري في مدينة العزيزية في شهر أكتوبر 1920م، لوضع جدول أعمال وآلية عمل لمؤتمر غريان من أجل تحقيق وحدة البلاد، وقد تمخض عن هذا المؤتمر انتخاب لجنة للإصلاح والتوفيق في منطقة الجبل بين قبائل الزنتان والرجبان والبربر تكونت من الشيخ الطاهر الزاوي، من الزاوية، وعبد الله أفندي من طرابلس، و محمد بن حمد من ترهونة، والشروع في انتخاب أعضاء يمثلون مختلف مناطق البلاد في مؤتمر غريان. (قناوي، 46، 2011؛ ياسين، 124، 2012).

* نتيجة للصراع السياسي الذي عم مختلف البلاد الليبية بسبب ازدياد الدسائس والمؤامرات الإيطالية بين الزعماء والقادة الوطنيين مثل الذي حدث بين رمضان السويجلي وعبد النبي بالخير، والذي انتهى بمقتل السويجلي، و الصراع الذي قام في الجبل الغربي بين محمد فكيكي (زعيم الرجبان)، وسالم عبد النبي (زعيم الزنتان) من جهة وسليمان الباروني وخليفة بن عسكر (من زعماء الأمازيغ) من جهة أخرى، وانتهى الصراع بمغادرة الباروني للجبل إلى المنفى، وأصبح بالخير معزولا عن بقية زعماء البلاد بسبب مقتل السويجلي، ولم يبق إلا بعض الزعماء الذين وقع عليهم عبء النهوض بالبلاد وإيجاد الحلول لحالة التشردم التي كانت تمر بها من أمثال أحمد المريض والشقيقتين الهادي والمختار كعبار (زعيم غريان) فدعا أولئك الزعماء إلى عقد مؤتمر وطني في مدينة غريان، (حميدة، 157، 1995).

وبعد شهر من انعقاد مؤتمر العزيمية انعقد مؤتمر غريان في شهر نوفمبر 1920م، بعد أن أختار كل بلد من يمثلها ماعدا المنطقة الجبلية التي تضم البربر، حيث رفض زعيمهم سليمان بك الباروني المشاركة بسبب الحرب التي كانت مشتتة في الجبل ، وبعد العديد من المداولات بين

المجتمعين أسفر المؤتمر عن انتخاب أحمد بك المريض رئيسا ،وعبد الرحمن عزام مستشارا، ومجموعة من الأعضاء منهم محمد بك فرحات ،و عمر أبو دوس ، والأخوين نوري ويشير السعداوي، والعيساوي بوخنجر، وغيرهم من الأعضاء الذين بلغ عددهم عشرون عضوا* (الصلابي، 2009، 403)

وأصدر المؤتمر بعد انتهاء جلساته عدة توصيات أو قرارات منها: تشكيل حكومة وطنية بزعامة رجل مسلم ينتخب من قبل الأمة تكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية، ولا يعزل إلا بحجة شرعية، أو بقرار من مجلس النواب ، ويكون حكمه على جميع أنحاء البلاد. (قناوي، 2011، 45)

وتكوين هيئة الإصلاح المركزية بزعامة أحمد المريض وهو بمثابة الرئيس المباشر للحكومة الوطنية التي كان عليها القضاء على الصراعات المحلية، والإستعداد لمقاومة التوسع الإيطالي باتجاه المناطق الداخلية. (الطوير، 1993، 67) كما أبلغ المؤتمر قراراتهم إلى الحاكم الإيطالي في طرابلس (مركاتلي) Mrkatly ، وقاموا أيضا بإرسال وفد مكون من أربعة أعضاء وهم :محمد بك فرحات الزاوي رئيسا، ومحمد نوري السعداوي، والصادق بالحاج ،وخالد القرقني، وعبد السلام البويصري، إلى إيطاليا للالتقاء بالأحزاب ورؤساء ومحرري الجرائد الإيطالية (الصلابي، 2009، 406) وفي شهر ديسمبر 1920م وصل الوفد الطرابلسي الذي شكله مؤتمر غريان إلى روما لعرض قضيتهم الوطنية على المسؤولين الإيطاليين، ولكن دون جدوى ، وذلك أن الحكومة الإيطالية أرسلت وفدا** آخر ليعارض وفد غريان في مطالبه .

* للمزيد من المعلومات حول أعضاء لجنة المصالحة الذين تم اختيارهم في مؤتمر غريان انظر، محمد أحمد الطوير، المرجع السابق، ص 67.

**تألف الوفد المعارض للمؤتمر الوطني من حسونة القرماني، ومصطفى بن قداره ،ومحمود عبد العزيز، وحמיד الزملي ،و علي بن شعبان، و عامر المعكف ، وأبو الاسعد العالم ، ويوسف خريش ، والسنوسي القاضي، والمترجم اللبناني لاواحي، (ياسين، 2012، 131)

وأُسفرت مهمة الوفد الوطني عن الرجوع بخفي حنين ، وتأزم الوضع بعد رجوع الوفد، نتيجة النشاط الإيطالي العسكري ، للحد من الروح الوطنية التي عمت البلاد بعد مؤتمر غريان. (شكري، 1948، 256)

ثالثاً: - مؤتمر سرت:-

قبل الغوص في التحليل و التحدث عن هذا المؤتمر الوطني الداعي إلى الوحدة الوطنية ولم شتات البلاد بعد حالة التشرد التي مرت بها جراء الفتن الداخلية التي قامت بين المناطق الليبية نتيجة للتدخلات الإيطالية وبخاصة في المنطقة الوسطى والغربية ، يجب معرفة الأسباب والظروف التي أدت إلى قيامه ، وما هي الشخصيات و الوفود التي حضرته ، وما هي النتائج التي تمخضت عنه ، وما موقف الحكومة الإيطالية منه؟

- الأسباب والظروف التي أدت إلى قيام المؤتمر:-

أدت الخلافات السياسية بين البرقاويين والطرابلسيين عقب معركة القرضابية إلى إضعاف التعاون المتبادل بينهما في النضال ضد الإيطاليين ، ومنذ ذلك الوقت والقطيعة قائمة بين الجانبين حيث امتد هذا الفتر نحو خمس سنوات، وقد أدرك كثير من المجاهدين في كلا المنطقتين أن استمرار القطيعة لا يزيد العدو إلا قوة، وأن فرقتهم سوف لن تؤدي إلا إلى المزيد من الخسائر ، فجرت مكاتبات واتصالات بين البرقاويين والطرابلسيين ، كما تباحث المجتمعون في مؤتمر غريان في نوفمبر 1920م، هذا الخلاف وقرروا العمل على إيجاد الحلول المناسبة لرآب الخلافات القائمة، وتوحيد حركة الجهاد بين المنطقتين ، لذلك شكلوا وفداً للتفاوض مع السنوسيين، وفي مقابل ذلك أرسل إدريس السنوسي وفداً برئاسة الشيخ (مفتاح الفيل) إلى أحمد المريض رئيس هيئة الإصلاح و زعيم قبائل ترهونة، بعد علمه بمقررات

مؤتمر غريان لتسوية حالة النزاع القائمة بين المنطقتين. (الزاوي، 1984، 403) ، وبالعودة إلى بؤادر وأسباب الخلاف بين برقة وطرابلس نراها تعود في بدايتها إلى ما بعد انتصار الطرفين على الإيطاليين في معركة القرضابية الشهيرة في عام 1915م، بسبب الغنائم التي حصل عليها المجاهدون من الإيطاليين حيث قدم عدد من ممثلي الحركة السنوسية وعلى رأسهم صفى الدين السنوسي وأحمد التواتي إلى أعيان مدينة مصراتة وبني وليد يطلبون منهم ثلاثة مطالب وهي: الأول أن يسلم لهم زعيم مصراتة رمضان

السويجلي جميع الغنائم التي حصل عليها من الإيطاليين بعد انسحابهم من مدينة مصراتة في 5 أغسطس عام 1915م، كما فعلوا مع عبد النبي بالخير عندما جمعوا ما تركه الطليان في بني وليد من غنائم وأموال، فذهب الأخير إلى صفى الدين الذي تصادف وجوده في مصراتة ليشكوا له ما فعله معه أحمد التواتي وأحمد سيف النصر مندوباه في بني وليد، ولكن دون جدوى رجع خالي الوفاض، أما الأمر الثاني فهو فرض جباية الضرائب على الأفراد وأحقية تسليمها لمندوب السنوسيين، أما الثالث فهو جمع زكاة الأموال من المكلفين بها، دون النظر إلى حالة الفقراء والأسر التي قدمت الدعم للمجاهدين في حربهم ضد الإيطاليين وفقدت من كان يعولها. (فشيكه، 1973، 98)

كما كان رمضان السويجلي يطمح بعد حصوله على الأموال إلى قيادة المنطقة الغربية بالكامل مؤكداً أحقيته في ذلك بأنه هو وزعماء القبائل المتحالفة معه في المنطقة الغربية من قام بهزيمة الإيطاليين وطردتهم من سرت ومصراتة دون مساعدة السنوسيين، لذلك بدأ بتوسيع نفوذه على المنطق المحيطة بمدينة مصراتة حتى مدينة مسلاته والمنطقة الوسطى، كما بدأ بالتصدي لنفوذ السنوسية في المنطقة الغربية، حيث قام بشنق ثلاثة من رجالها بذريعة التأمر عليه. (حميدة، 1995، 176)

وابلغ رمضان صفى الدين أنه لن ينفذ من تلك القرارات شيئاً، وكان موقف رمضان السويجلي هذا أول موقف صريح يسمعه الناس في معارضة السنوسية لما لهم من مكانة سياسية واجتماعية في البلاد، ومن هنا نشأ الخلاف بين رمضان السويجلي وصفى الدين الذي انضم إليه مجموعة من المعارضين لسلطة رمضان السويجلي، واضطر صفى الدين إلى مغادرة مصراتة إلى بني وليد التي كان يقيم فيها وكيله أحمد التواتي، ومن مدينة بني وليد انتقل صفى الدين إلى ترهونة التي عقد فيها اجتماع بزعماء قبائل المنطقة الغربية (ورشفانة والزاوية والنواحي الأربع)، وأخذ يحرضهم على رمضان السويجلي وطالب بتنحيته وأعلن لهم بأن رمضان (مهجور) أي مطرود من قبل السنوسيين. (ياسين، 2012، 139؛ فشيكه، 1973، 99)

وعندما تيقن صفى الدين من اتساع دائرة المؤيدين لرمضان السويجلي وقوة شكيمته غادر إلى سرت وحاول أن يستفزه و يضعف من شأنه فقام بغزو بادية مصراتة إلا أنه هزم واحتل رمضان مدينة سرت وجعل عليها حسن الشريف قائمقام، وعندما علم السنوسيون بانشغال رمضان السويجلي بخلافه مع أسرة آل المريض حكام ترهونة بسبب قتله لأحمد التواتي، انتهزوا فرصة انشغاله مع خصومه، فاحتلوا مدينة سرت مرة أخرى بقيادة (صالح الأطيوش)، وفر حسن الشريف عائداً إلى مصراتة. (فشيكه، 1973، 122)

غير أن تدخل سليمان بك الباروني لحل الأزمة بين الطرفين بعد عودته من تركيا إلى طرابلس حل هذا النزاع باستجابة إدريس له قد أدى إلى سحب قواته من سرت ،وبذلك عادت سرت تحت سيطرة رمضان السويحلي من جديد. (ياسين، 2012، 141)

ويضاف إلى الأسباب السابقة الذكر الجهود الإيطالية في إشعال نار الفتنة والحرب بين الليبيين ،حيث سعت السلطات المحلية الإيطالية في كل من طرابلس وبرقة إلى فرض سياسة العزلة بينهما ،و العمل على تطبيق سياسة فرق تسد بين الزعماء الوطنيين، كما أن معارضة الزعماء الطرابلسيين للحركة السنوسية بدأت تزداد حدة بسبب ما فعله صفى الدين في المنطقة الغربية وبخاصة في كل من مصراتة وبنى وليد و ترهونة. (الزاوي، 1988، 32)

وتجدر الإشارة هنا انه من بين أهم النتائج أيضا التي خرج بها مؤتمر غريان هو تكوين هيئة الإصلاح المركزية التي جاءت بسبب عدم فاعلية القيادة السياسية للجمهورية الطرابلسية في إيجاد الحلول المناسبة وحسم الخلافات بين القبائل المتصارعة في المنطقة الغربية ،ومن أهم النتائج أيضا تكوين حكومة موحدة على كافة أقاليم البلاد الليبية بقيادة رجل مسلم. (ياسين، 2012، 132)

ولذلك اتفق زعماء تلك المناطق على الاتصال بالسيد إدريس السنوسي الذي تسلم زعامة الحركة السنوسية من ابن عمه أحمد الشريف في شرق البلاد، و تحصل من قبل الحكومة

الإيطالية على حكم ذاتي على إقليم برقة، و بخاصة بعد توقيعه لاتفاقية الرحمة، واتفاقية (أبو مريم)* مع الإيطاليين. (حميدة ، 1995، 137) ، وذلك لإنهاء حالة القطيعة والفتور التي دامت بين شرق البلاد وغربها لمدة تقارب الخمس سنوات حيث أدرك الكثير من الوطنيين إن استمرار تلك الحالة لايزيد إلا في تمادي العدو في طغيانه ،وان فرقتهم تزيد في ضعفهم ،فجرت مكاتبات واتصالات بين الجزء البرقاوي والطرابلسي ،للتقريب بين وجهات النظر وإيجاد حل للمشاكل العالقة بين المنطقتين في مؤتمر وطني يضم الأطراف المتخاصمة يكون مقره سرت. (ياسين، 2012، 142؛ شكري، 1957، 555)

-الوفود التي حضرت المؤتمر:-

عندما حان الوقت المحدد لانعقاد مؤتمر سرت ،وسافر الأعضاء للاجتماع، كان يمثل الوفد الطرابلسي في هذا المؤتمر كل من أحمد بك السويحلي - الذي تولى الزعامة في مصراتة بعد وفاة شقيقه رمضان

السويجلي - وعبد الرحمن عزام، وعمر أبو دبوس، ومحمد نوري السعداوي، والشتيوي بن سالم، والصويجي الخيتوني، والحاج صالح بن سلطان، وتالف الوفد البرقاوي من الشيخ صالح الأطيوش، والشيخ نصر الأعمى، والشيخ خالد القيصة، والشيخ صالح السنوسي بن عبد الهادي البراني، واجتمع الوفدان عدة مرات استعرضوا من خلالها أسباب الخلاف القائم بين المنطقتين والحلول الناجحة لها. (الزاوي، 1984، 430)

-مداولات المؤتمر ونتائجه:-

بدأت المفاوضات بين الطرفين في سرت، في جماد الأولى سنة 1340 هـ الموافق يناير سنة 1922م، لأنها كافة الخلافات القائمة والوصول إلى الهدف الوطني الذي يحقق مصلحة البلاد ويعمل على طرد المستعمر الإيطالي. (أبو شارب، 1993، 249) والنظر في إقامة حكومة وطنية موحدة بزعامة رجل عربي مسلم دون تحديد الاسم فمؤتمر غريان ترك الباب مفتوحاً أمام أي شخص تتوحد عليه الكلمة، ولذا قرر مؤتمر سرت العمل على توحيد الزعامة في شخص يكون قادراً على فرض السلطة الدينية والمدنية دون الإشارة إلى شخص الأمير محمد إدريس السنوسي. (الطوير، 1993، 69)

*اتفاقية أبو مریم:- عقدت في 11 نوفمبر 1920م، بين إدريس السنوسي والحكومة الإيطالية نتيجة لرفض رجال القبائل تسليم أسلحتهم الشخصية، وتسليم أماكن المعسكرات، وقد جاء في هذا المؤتمر ضرورة وضع الأدوار العسكرية (الصفوف) تحت إشراف إدريس السنوسي، وأن تدار بالمشاركة بين الجانبين على أن يرأس كل معسكر ضابط إيطالي، وتكون النسبة بين القوات الليبية والإيطالية في كل معسكر من 10:8، للمزيد انظر (ياسين، 2012، 244)

وقد اقر المؤتمر ميثاقا عرف فيما بعد بميثاق سرت وهذا نص الميثاق ((الحمد لله المبدىء المعيد،الفعال لما يريد ،ألف بين قلوب المسلمين وجعلهم خير امة للعاملين ،والصلاة والسلام على رسول الهدى والرحمة الذي جاء يدعونا إلى العزة والإباء، ويعلمنا كيف نقاتل الأعداء وبعد : فقد اجتمعنا نحن الموقعين على هذه المعاهدة المفوضين من قبل طرابلس وبرقة ، وقررنا بعد مداولة الفكر المواد الآتية المتضمنة اتفاق القطر الطرابلسي البرقاوي على الاتحاد والتعاون في السراء والضراء)).(الصلابي، 407،2009)

- يجب أن نوحّد كلمتنا ضد عدونا الغاصب لبلادنا وضد المفسدين .
- يجب أن يكون عدونا وصديقنا واحد.
- إن كافة ما وقع بين الطرفين من التجاوز لا يطالب به الآخر إلى أن تستقر الأمور في الوطن، وتتعين وضعية البلاد العمومية. ومع ذلك يجب أن يسعى الطرفان في المساحة بين العربان، ومن يتعدى بعد ألان فعلى الحكومة التابعة لها أن تعاقبه بما يستحق.
- كل من يخالف الجماعة ويدس الدسائس الأجنبية، علي الحكومة المنسوب إليها إعدامه ومصادرة أمواله حسب الشريعة الإسلامية.
- يرى الطرفان أن مصلحة الوطن وضرورة الدفاع عنه ضد العدو المشترك تقضي بتوحيد الزعامة على البلاد، ولذلك يجعلان غايتها انتخاب أمير مسلم تكون له السلطة الدينية والمدنية داخل دستور ترضاه الأمة.
- يتخذ الطرفان الوسائل اللازمة لتحقيق هذه الغاية المذكورة في المادة الخامسة، وإن تكون تولية الأمير بإرادة الأمة.
- متى تحققت الغاية المذكورة في المادة الخامسة يجب انتخاب مجلس تأسيسي من الفريقين
- لوضع القانون الأساسي والنظم اللازمة لإدارة البلاد، وقبل ذلك، وتمهيدا لهذه الأعمال، يجب على الفريقين أن يرسل كل منهما مندوبا للبلد الآخر لأجل أن يشتركا في سياسة البلاد والتدابير

المقتضاة للدفاع عن الوطن.

- يتعهد الطرفان بالا يعترفوا للعدو بسلطة ، وان يمنعوه من بسط نفوذه خارج الأماكن المتحصن بها الآن ، وفي حالة وقوع حرب يتضافر الفريقان على حرب العدو، وإلا يعقد صلحا أو هدنة إلا بموافقة الفريقين.
- إذا خرج العدو من حصونه مهاجما جهة من الجهات وجب على الجهة الأخرى أن لا تمد المهاجم بالمهمات الحربية والمال والرجال ، وان تنذر العدو بالكف عن التجاوز و إذا لم يكف تهاجمه هي بدوها.
- تجتمع هيئة منتخبة من أهالي طرابلس وبرقة مرتين في كل سنة شهر المحرم ورجب للنظر في مصالح البلاد.
- يشترط أن توافق على هذه المعاهدات كل من حكومة برقة والهيئة المركزية في جهة طرابلس.
- مهمة الهيئة المذكورة تأييد العلاقات الودية بين الطرفين وتأييد هذه الاتفاقية. (الصلاحي، 2009، 408؛ ابوشارب، 1993، 250)

(قصر سرت يوم السبت 22 من جمادي الاولى سنة 1340هـ الموافق 21 يناير سنة 1922م.)

التوقيعات

عن طرابلس	عن برقة
أحمد السويحلي	صالح الاطيوش
عبد الرحمن عزام	نصر الأعمى
عمر بودبوس	خالد القيصة
محمد نوري السعداوي	صالح السنوسي
الشتيوي بن سالم	عبد الهادي البراني
الصويحي الخيتوني	صالح بن سلطان. (الزاوي، 2004، 73)

وبذلك جاءت قرارات مؤتمر سرت وفق الأهداف الوطنية التي كان يريها الزعماء وقادة الجهاد ضد المستعمر الإيطالي، وإفشال مخططاته القائمة على إبقاء حالة الإنقسام في حركة المقاومة الوطنية حتى يسهل عليه مواجهتها والتصدي لها، كما أن توحد المقاومة ينتج عنه مهاجمة مواقعه في شرق البلاد وغربها وسيؤدي إلى تشتت قواه وإرباكه على طول خط المواجهة مع قوات المجاهدين، وبخاصة الشريط الساحلي الذي يمتد من زواره غربا إلى طبرق شرقا والذي تبلغ مسافته حوالي 1900 كم. (أبو شارب، 1993، 250)

كما استطاع مؤتمر سرت أن يجد مخرجاً مناسباً للتحرر من التسلط الإيطالي الذي مورس على زعامات المنطقة الشرقية من خلال التوقيع على اتفاقيتي عكرمة وأبو مريم القاضية بحل الأدوار* وتكوين الأدوار المختلطة بين الليبيين والإيطاليين، وهوما يعني تسليم المجاهدين لأسلحتهم والانضواء تحت القيادة العسكرية الإيطالية. (أبو شارب، 1993، 252)

و من بين أهم النتائج التي جاء بها مؤتمر سرت هو مبايعة إدريس السنوسي بالإمارة على البلاد، والذي وجد نفسه في حرج منها فإذا قبل البيعة أهل طرابلس فإنها حتما ستؤدي إلى غضب الإيطاليين منه، وإذا رفض البيعة فانه يبدو متخاذلا في أعين المقاومين في مختلف أنحاء البلاد، ولذلك نجده قد تصرف بمنتهى الذكاء، فقد قبل البيعة من الزعماء الطرابلسيين، وفي نفس الوقت غادر إلى مصر متذرعا بإجراء بعض الفحوصات الطبية. (حميدة، 1995، 180)

* للمزيد من المعلومات عن الأدوار ودورها في حركة الجهاد الليبي انظر، (البرغتي، 1996، 30).

وتنفيذا لهذا القرار أوفد الطرابلسيون بشير السعداوي* ليكون ممثلا لهم و لهيئة الإصلاح المركزية لدى حكومة برقة، وفي المقابل أوفد الأمير محمد إدريس السنوسي الشيخ عبد العزيز الشناوي ليمثله لدى هيئة الإصلاح في طرابلس؛ وياشر السعداوي مهمته بالاجتماع بالزعماء البرقاويين في مدينة اجدابيا في 22 ابريل 1922م، للنظر في الدفاع عن البلاد وتوحيد الزعامة وإقرار الإمارة في شخص الأمير إدريس السنوسي. (قناوي، 2011، 49) إذ أن الظروف التي أحاطت بالطرابلسيين بعد انعقاد مؤتمر سرت هي التي جعلت إسناد الإمارة إلى السيد إدريس السنوسي أمرا لا مناص منه على الرغم من بعض المآخذ عليه بتوقيعه لبعض الاتفاقيات مع الطليان دون أن يشرك الطرابلسيين معه أو يستشيرهم في شيء دلت على أنه يريد الانفصال عن طرابلس، ولكن الظروف التي شهدتها المنطقة الغربية (طرابلس) من وراء النزاع و الاقتتال بين أبنائها هو ما جعل إسناد الإمارة إلى السيد إدريس ضرورة لا بد منها. (قناوي، 2011، 50) ومما زاد من تمسك اغلب الزعامات في هيئة الإصلاح بذلك القرار أن احد بنود مؤتمر سرت نص على تقديم الدعم العسكري آدا وقع اعتداء على أحد الأطراف وجب على الطرف الآخر أن يمد الذي وقع عليه الاعتداء بالرجال والسلاح، ولكن السيد إدريس لم يتقيد بهذا البند من الاتفاقية وتأخر في إرسال المعونة من برقة إلى طرابلس وهو ما خيب الآمال ومكن الطليان من السيطرة على طرابلس ومن تم برقة، وكان تأخير المعونة عن طرابلس دليلاً على أن إدريس السنوسي كان ينظر إلى اتفاقية سرت من ناحية واحدة، هي ما يتفق مع ميوله ورغباته كما يذكر الزاوي (الزاوي، 1984، 446) وعلى اثر هذه البيعة** أبلغ والي برقة مجلس النواب بان السنوسيين نقضوا اتفاق الرحمة بقبول السيد إدريس للبيعة على كل من برقة وطرابلس، وأعلن سقوط الإتفاقية وجميع الإتفاقيات الأخرى، وترتب على ذلك حل الأدوار المختلطة. (أبو طالب، 1997، 40)

* بشير السعداوي: ولد بشير بن إبراهيم بن محمد السعداوي بمدينة الخمس الواقعة شرق مدينة طرابلس بحوالي 125 كم، عام 1884م، درس في كُتابها ثم أكمل حفظ القرآن بمدينة سرت -التي انتقل إليها برفقة شقيقه الأكبر نوري لتوليهِ وظيفة مدير مال قضاء سرت -وعمره 13 سنة في كُتاب الزاوية السنوسية سنة 1897م، ثم عاد إلى مدينة الخمس وقرا فيها علوم اللغة العربية والتوحيد والفرائض، وفي عام 1902م التحق بالمدرسة الرشيدية بمدينة التي تفوق فيها على أقرانه، وكان متأثرا بأفكار محمد عبده والكواكبي للمزيد انظر (قناوي، 2011، 4، 5).

** للمزيد عن نص البيعة التي أرسلتها هيئة الإصلاح للأمير إدريس السنوسي ونص الرد على كتاب البيعة انظر (الزاوي، 2004، 77-81).

وأحس الأمير إدريس بحرج شديد، ولم يكن الأمر بالهين عليه فمن جهة لم يكن يرغب في إغضاب الإيطاليين حتى لا يعلنوا عليه الحرب، ومن جهة أخرى لم يكن قادر على إغضاب الطرابلسيين الذين مدوا أواصر العلاقة بينهم وبين البرقاويين وانحوا حالة الخلاف القائمة وبالتالي يؤدي إلى غضب البرقاويين أنفسهم، فلم يكن أمامه للخروج من هذا الحرج إلا تدرعه بالمرض والسفر إلى مصر* للتداوي. (الزاوي، 1984، 453)

وكان لسفر الأمير إدريس وابتعاده عن المشهد السياسي أكبر الأثر في حالة الوهن والضعف التي مرت بها البلاد وبخاصة على الطرابلسيين الذين اشتدت الحرب عليهم، وكانوا يأملون من وراء البيعة التي قدموها للأمير إدريس الآمال في إعلان الحرب على إيطاليا، والوفاء بمعاهدة سرت وشروط البيعة، وكانت أمالهم معلقة على هذه البيعة (الإمارة)، ويرون في عودة السيد إدريس وتأكيداته لهم بالوفاء مدعاة لانتظار ذلك الوفاء وبخاصة في الظروف التي كانت تمر بها المنطقة الغربية من البلاد، على الرغم من تضامن البرقاويين مع إخوانهم في طرابلس ورغبتهم في المساعدة إلا أنهم لم يكونوا يملكون إمكانية التنفيذ، وكان بودهم لو أن السيد تقدمهم ليفوا بما عاهدوا عليه في مؤتمر سرت، كما استنتج الطرابلسيون من سفر السيد إدريس السنوسي إن مسألة الإمارة قد فشلت. (الزاوي، 1984، 461-462)

موقف إيطاليا من المؤتمر ونتائجه :-

أثارت مقررات مؤتمر سرت غضب إيطاليا التي كانت تعارض مند مؤتمر غريان فكرة أي تقارب بين أجزاء ليبيا المختلفة، وكانت ترى في توحيد القيادة الإدارية، والعسكرية ما يشكل أكبر خطر على وجودها الاستعماري. (الطوير، 1993، 69)

ولذلك لم يرق لها حالة التقارب التي حصلت بين القطرين وظهر ذلك جليا حين طالبت الوفد الطرابلسي برئاسة بشير السعداوي بمغادرة مركز حكومة برقة (اجدايا) وإلا تعرضت للهجوم، كما حاولت بكل قوة قطع أية همزة وصل قد تؤدي إلى توحيد الزعامة بين برقة وطرابلس، ومن أجل ذلك أرسلت (اوميندو) وزير مستعمراتها، وفولبي والي طرابلس للاجتماع بالأمير إدريس بمنطقة جردس العبيد، لإبلاغه برفض الحكومة الإيطالية لأي تدخل من جانبه للقيام بوساطة بينه وبين الطرابلسيين، أو بقبول أية مبادرة من شأنها أن تؤدي إلى قيام وحدة بين الإقليمين، وهو ما قام بنقله للوفد الطرابلسي في مدينة اجدايا. (قناوي، 2011، 50)

ولما أدرك الأمير إدريس خطورة الموقف حاول قصارى جهده إقناع الحكومة الإيطالية بأن ما حاول الطرابلسيون القيام به ما هو إلا محاولة من قبلهم لحقن الدماء وفض خلافاتهم مع إخوانهم في برقة، وأن الواجب على الحكومة الإيطالية يحتم عليها وقف إعتداتها على الطرابلسيين، وقد بني رأيه هذا من خلال ما تم من تفاهم بينه وبين الإيطاليين في اتفاقية الرجمة وعكرمة التي أعطته الحق في عرض ما يراه في مصلحة البلاد على الحكومة الإيطالية، ووضع ذلك في عين الاعتبار في كل ما يديه من أراء. (الصلابي، 410، 2009) ولأجل ذلك كانت إيطاليا تتابع بحذر كل الأخبار وما يدور بين برقة وطرابلس ولم يرق لها التقارب الذي حدث بين القطرين، وأحست بالخطر الداهم من جراء توحيد الزعامة في الإقليمين فقرر فولبي (والي طرابلس) احتلال ميناء قصر أحمد بمدينة مصراتة. (قناوي، 2011، 50) منتهزا فرصة عقد مؤتمر سرت، وأوكل إلى (بيتساري) مهمة قيادة القوات الإيطالية في سرية تامة يوم 26 يناير 1922 أي بعد أربعة أيام من انتهاء مؤتمر سرت لمهاجمة قصر أحمد. (الطوير، 1993، 69)

وقد رأى الكونت فولبي انه إذا أمكن لدولته أن تستعيد احتلال مصراتة فإنها بعد ذلك تستطيع أن تمد سلطتها إلى نالوت في أقصى الغرب من البلاد ومنها حتى فزان في الجنوب، وبذلك يتم لها السيطرة الأكيدة على أجزاء طرابلس وفزان. (فشيكة، 1973، 260)

* للمزيد من المعلومات عن سفر الأمير إدريس السنوسي إلى مصر والطريق الذي سلكه، و الوفود التي استقبلته، وصدى تلك الزيارة في الأوساط الصحفية، انظر (الزاوي، 2004، 82، 83).

ولذلك سارع فولبي إلى تنفيذ خطته في احتلال مصراتة التي كانت تعتبر مركز المقاومة في شرق إقليم طرابلس، فبينما كان الوفدان مجتمعين في سرت، نزلت القوات الإيطالية في ميناء "قصر أحمد" يوم 26 يناير، وكان الوفد الطرابلسي في هذه الأثناء في طريق عودته من سرت إلى مصراتة، فسارع أحمد السويجلي زعيم مصراتة الجديد في مخاطبة قائمقام سرت على المنقوش أن يلحق بالوفد البرقاوي ليخبرهم بما وقع، ويطلب منهم تنفيذ ما جاء في المادة التاسعة من ميثاق سرت، إلا إن الإمدادات لم تأت من برقة طوال هذه الحرب التي استمرت لأكثر من سبعة عشر يوماً. (ياسين، 2012، 144)

وكانت الحملة الإيطالية تقدر بـ 1500 إلى 1800 جندي و 4 مدافع جبلية و 34 مدفعاً رشاشاً و 18 قطعة بحرية، وفي الساعة الثالثة صباحاً نزلت القوات الإيطالية إلى اليابسة واحتلت حصن الميناء، وانتشر الخبر في جميع أنحاء مصراتة والمناطق المجاورة لها، وقد بلغ عدد المجاهدين الذين حضروا إلى ميدان المعركة بحوالي 2000 مجاهد من مصراتة و زليتن والخمس وسرت. (غرتسياني، 1994، 54) بقيادة مؤقنة من الشيخ على الأسطى زعيم قبائل منطقة الرملة - في غياب أحمد السويجلي - وأندفع المجاهدون مباغتين القوات الإيطالية وأنزلت بها خسائر كبيرة الأمر الذي اضطرها للإنسحاب إلى الميناء في آخر النهار. (فشيكة، 1973، 262)

وازداد ضغط المجاهدين على المواقع الإيطالية، خاصة خلال يومي 30 و 31 يناير 1922 م، وفي صباح يوم 3 فبراير قامت وحدة من المجاهدين بمحاولة السيطرة على بعض المواقع في الجهة اليسرى للقوات الإيطالية وذلك لعزل تلك القوات عن مواقعها الأمامية في سيدي أبي شعيقة، وقطع الاتصال عنها، وعلى المنطقة الواقعة بين رأس البرج أو (رأس الزروق) بالميناء وأبي شعيقة.

وفي يوم 4 فبراير قامت قوات الإيطاليين بمحاولة تخفيف الضغط على قواتها بهجوم مضاد على المساكن الواقعة في الجنوب الغربي من سيدي أبي شعيقة (منازل كيزان)، والتي كانت أكثر المضايقات تأتي منها بالنسبة للقوات الإيطالية، ولكنها لم تحقق أهدافها أد سرعان ما عاد المجاهدون في اليوم التالي للسيطرة عليها، ولتخفيف الضغط على قواته استعان القائد بيتساري بالمدمرة (فكتور عمانويل) التي لم يفلح قصفها في إجلاء المجاهدين من البيوت التي كانوا متحصنين بها (التليسي، 1983، 420)

ودافعت قوات المجاهدين عن مواقعها دفاعاً مستميتاً، واستطاعت أن تجبر العدو على الانسحاب إلى مواقع بالشاطئ على الرغم من فقدانها لأكثر من 23 شهيداً، كما تمكنت قوات المجاهدين من عزل موقع أبي شعيقة عن قصر أحمد، وبالرغم من مرور أكثر من ثمانية أيام من معارك الكر والفر لم تتمكن القوات الإيطالية من تحقيق أهدافها حتى يوم السبت الموافق 11 فبراير 1922 وهي المعركة الكبرى التي حشد لها العدو كل إمكانياته العسكرية من سفن حربية، ومدافع رشاشة وجنود وسيارات (أبوشارب، 1993، 275).

وبدأت القوات الإيطالية عملية الهجوم نحو طريق مصراتة المدينة تحت غطاء كثيف من النيران اشتركت فيه قواتها البحرية والبرية، وبعد معركة عنيفة استمرت لأكثر من خمس ساعات، استطاعت القوات الإيطالية السيطرة على ميناء قصر أحمد تم المدينة بعد مقاومة عنيفة أبدتها المجاهدون (التليسي، 1983، 421) حيث استشهد منهم في هذا اليوم حوالي 200 شهيد و300 جريح، أما خسائر الإيطاليين فقد بلغت 142 قتيل و328 جريح. (الطوير، 1999، 70).

وقد كان لسقوط قصر أحمد في أيدي الإيطاليين أثره الكبير على الأحداث السياسية والعسكرية التي أعقبت تلك المعركة، حيث كان نزول القوات الإيطالية إلى ميناء قصر أحمد بداية التحول في السياسة الإيطالية، واتجاهها للعمل الحربي الذي عرف بعملية الاسترداد للمناطق والمدن التي فقدتها بعد معركة القرضابية في عام 1915م بالمنطقة الغربية. (التليسي، 1983، 421).

وبسبب وقوع المعارك في يوم السبت 4 فبراير، ويوم السبت 11 فبراير فقد عرفت عند الأهالي بمعارك السبت، وفي حقيقة الأمر كانت تلك المعارك متلاحقة من يوم 26 يناير حتى 11 فبراير (التليسي، 1983، 421) وكان من نتائج هذه المعركة انسحاب المجاهدين انسحاباً جزئياً من قصر أحمد إلى سيدي الزروق، وانطلاق المقاومة في المنطقة الغربية من البلاد وتحديداً من الزاوية الغربية شمالاً إلى تهرونة جنوباً، وذلك بقطع السكك الحديدية في الزاوية وجنزور والعزيزية، وحصار المجاهدين للقوات الإيطالية المتواجدة فيها. (أبوشارب، 1993، 258). واعتبر المجاهدون أن نزول القوات الإيطالية في قصر أحمد ما هو إلا نقضاً صريحاً لما جاء في صلح سواني بني آدم، والتعهدات التي قدمتها إيطاليا لهيئة الإصلاح المركزية في الحفاظ على استقلالية المناطق الغربية وحقوقها في الحكم الذاتي، وإلغاء ماجاء في القانون الأساسي، الذي من شروطه ألا يتعرض الطليان أو يتدخلوا في شي من الأمور الخاصة بالحكم الوطني المحلي. (فشكة، 1973، 269).

وقد شهدت هذه الفترة محاولة الإيطاليين إعادة احتلال ما فقدته من مناطق قبل القرضابية، وعندما بدأت المقاومة تهدد الوجود الإيطالي في المنطقة الغربية ومن أجل كسب الوقت رأى الكونت فولبي الإتصال بزعماء حركة الجهاد وإجراء الهدنة معهم، فأرسل المحامي الإيطالي (مارتيني) وعثمان القيزاني إلى قصر أحمد للعمل على وقف القتال وعقد الهدنة مع المجاهدين، كما أرسل في نفس الوقت السنيور (بيلا) و سكرتير الوالي الإيطالي (رابكس) إلى رئيس هيئة الإصلاح أحمد المريض لنفس الغرض، وأسفرت تلك الاتصالات على وقف القتال، وسحب بعض القوات الإيطالية من ميناء قصر أحمد والدخول في مفاوضات عامة لتسوية الأوضاع في البلاد، والنظر في الأسباب التي أدت إلى استئناف الحرب بين الجانبين، والعمل على إيجاد الحلول الكفيلة بإيقافها. (ياسين، 2012، 146).

ولأجل ذلك اتفق الطرفان على عقد هدنة مبدئية لمدة شهر بداية من 26 فبراير 1922 م، وعقد مؤتمر بين الجانبين بفندق الشريف - في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس - في الفترة من 25 مارس إلى 10 أبريل 1922 م-، وقد حضر المؤتمر عددا كبيرا من الشخصيات الإيطالية والعربية من بينهم أحمد السويجلي و عمر ابودبوس من مصراتة ومن طرابلس حضر كل من عثمان القيزاني وخالد بك القرقي و فرحات الزاوي و مختار كعبار وغيرهم من الشخصيات الوطنية وكان الوفد برئاسة أحمد المريض، ومن الجانب الإيطالي حضر بيلا Bella وكيل الوالي الإيطالي في طرابلس (فولبي) و احد الاقتصاديين الكبار، والمترجم (رابكس). (فشبكة، 1973، 270)

وقد قدم الجانب الوطني الليبي عدة شروط للجانب الإيطالي من بينها: أن تسحب إيطاليا بعضاً من قواتها المتواجدة بقصر أحمد مع تحمل المسؤولية الكاملة عن بداية العمليات العسكرية فيها، والقبول بما جاء في مقررات المؤتمرات السابقة (مؤتمر غريان وسرت) الداعية إلى إقامة حكومة وطنية مستقلة بزعماء رجل مسلم؛ وكان الرد الإيطالي على تلك الشروط هو الرفض والتعنت والطلب من الجانب الليبي التخلي عن المسلح الحربي ضد إيطاليا، و نزع السلاح وتسليمه وتسريح العناصر المسلحة. (ابوشارب، 1993، 259 ، 258) وفي 10 أبريل 1922 م انتهى المؤتمر بالفشل لسببين أولهما إصرار الطرابلسيين على اتحاد القطرين الطرابلسي والبرقاوي على الرغم من عدم تجاوب البرقاويين لذلك، وتأنيهما تصلب وتعنت الجانب الإيطالي لهذا الطلب. (فشبكة، 1973، 270)

وربما يعود السبب في التعنت والتشدد الإيطالي تجاه المطالب حركة المقاومة الوطنية إلى أن الفاشستية أخذت تتغلغل في إيطاليا وقوي حزبا ، وأصبحت وشيكة أن تستولي على مقدرات إيطاليا ، والتي كان من مبادئها الوصول إلى أغراضها بكل وسيلة (الزاوي ، 1984 ، 433).

وعلى إثر تصلب موقف الإيطاليين من مطالب المجاهدين استأنفت حركة المقاومة من جديد باستهداف المصالح العسكرية والمدنية الإيطالية في المنطقة الغربية من طرابلس بقطع خطوط الاتصالات الهاتفية والسكك الحديدية بمنطقة قرقوزة الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة الزاوية والحرشه الواقعة إلى الغرب من مدينة الزاوية ، وتمكن المجاهدون من قطع خطوط الإمداد للقوات الإيطالية من طرابلس إلى زوارة ، فاضطر الحاكم الإيطالي (فولبي) إلى سحب قواته من صيرمان و صيراته والعجيلات إلى زوارة. (الزاوي ، 1984 ، 433) ، كما قام بنقل الحامية الإيطالية المتواجدة في الزاوية إلى قرب حصن الرأس الأحمر استعداداً لسحبها إلى طرابلس على ظهر البارجة الحربية (روما) إذا تطلب ذلك ، وهذه التحركات العسكرية من جانب القائد العام الإيطالي فولبي نراها قد شجعت المجاهدين على مهاجمة المراكز الإيطالية في تلك المناطق يوم 4 مارس 1922م ، حيث قامت بمهاجمة محطة القطار بصيرمان ومراكز الشرطة في صيراته والعجيلات. (الطوير ، 1999 ، 71).

وضيق مجاهدو الزاوية الخناق على القوات الإيطالية في حصن الرأس الأحمر وفي شمال المدينة على شاطئ البحر بالقرب من ضريح الولي (نصر بن روح) ، فكانت ردة فعل الأسطول الإيطالي قوية تجاه هذا الحصار حيث قام بقذف حمم نيران مدافعه وقنابله على المدينة لمدة عشرة أيام ، ورأت القيادة الإيطالية أن تقوم بمحوم كاسح على المدينة من الجهة الغربية ليكون المحموم مزدوجا من الشرق والغرب ، فجمعوا لذلك اثني عشر ألف مقاتل من الجنود الإيطاليين والمرتقة الأحباش و المرتقة الليبيين . (الزاوي ، 1984 ، 477) ، وفي يوم 15 أبريل 1922م تحركت قوة عسكرية من سيدي (بلال) - الواقعة شرق مدينة الزاوية - بقيادة العقيد (كورتو) ، وتحركت قوات إيطالية أخرى من غرب الزاوية من مدينة زوارة في 22 أبريل بقيادة العقيد (جرسياني) ، وقد تصدى لها المجاهدون على مشارف مدينة الزاوية من الغرب بمنطقة القبي وأسفر هذا التصدي عن استشهاد حوالي مائة مجاهد وجرح ثمانين آخرين في يوم 24 أبريل . (الطوير ، 1999 ، 73) ، وفي يوم 25 أبريل تمكن الإيطاليون من احتلال مدينة الزاوية والدخول إلى وسطها (الحارة) ، (الزاوي ، 1984 ، 478) واضطر المجاهدون إلى التراجع نحو بئر الغنم والعزيزية وفرض حصار عليها مما اضطر القيادة الإيطالية إلى تكليف أربعة ألوية لفك الحصار علي مدينة العزيزية بقيادة الجنرال

جراتسياني وقالينا وكوتور وبتساري، واستطاعت تلك القوات فك الحصار على المدينة في 30 أبريل وانسحب المجاهدون منها إلى بئر المرغني وبئر عبازه وسيدي السائح بمنطقة النواحي الأربعة*، ووقعت معارك كبيرة بين الجانبين استخدم فيها الجانب الإيطالي سلاح الطيران بسبب عجز قواته البرية عن التقدم الأمر الذي أجبر المجاهدين إلى الانسحاب والتمركز بالقرب من مشارف ترهونة وغريان والقره بولي بأمر من الشيخ المبروك المنتصر قائد الجبهة. (ابوشارب، 1993، 262-263)

وبذلك استطاع الإيطاليون أن يؤمنوا طرق مواصلاتهم البرية من طرابلس إلى زوارة، واخذوا يعدون العدة لاحتلال الجبل الغربي ومدينة غريان حاضرة الجبل الغربي ومقر حكومة هيئة الإصلاح المركزية. (الزاوي، 1984، 448). فبدأت القوات الإيطالية العمل على إعادة احتلال الخط الجبلي الممتد من جادو (فساطو) إلى غريان خلال الفترة الواقعة بين شهر يونيه ونوفمبر 1922م، وعلى ثلاثة مراحل بدأت المرحلة الأولى منها في 28 مايو 1922م انطلاقاً من مدينة زوارة نحو الوطية بقيادة جراتسياني لاحتلال بلدة الجوش التي تم احتلالها في 12 يونيو بعد انسحاب المجاهدين منها وردم الآبار التي كانت في طريق القوات الإيطالية كبئر الحمراء والكردية. (جراتسياني، 1984، 81-91)، وفي يوم 18 يونيو احتلت القوات الإيطالية قرية السلامات و جادو وتراجعت قوات المجاهدين ناحية الجنوب والشرق، وفي يوم 7 يوليو تم تعيين الجنرال جراتسياني حاكماً عام للجبل الغربي، وأخذت قواته تحكم السيطرة على المنطقة الغربية من الجبل الغربي مثل كاباو و الرحيبات وبعد أن تمكن جراتسياني من احتلال المناطق الغربية من الجبل أمر قواته بالزحف من جادو إلى يفرن في يوم 28 أكتوبر وبصحبه 4000 مقاتل من المشاة، و300 من الفرسان.

*توجد في جنوب مدينة طرابلس وتبعد عنها بمسافة 30 كم، وتقطنها قبائل عكاره، العالونه، الرقيعات والختننة. والرجبان والزنتان ونزوح بعض الأهالي إلى منطقة القبلة، وان تعيد تنظيم المنطقة على حسب مصالحها السياسية. (ابوشارب، 1993، 265)

بهدف السيطرة على بلدة يفرن ، وفي 30 أكتوبر وصلت قوات جرتسياني إلى عين الرومية و أنظمت إليه مجموعات من القوات غير النظامية من السكان المحليين (الباندات) ، وفي اليوم التالي اصطدمت قوات جراتسياني بقوات المجاهدين في أم الجرسان و صُفيت بقيادة الشيخ محمد فكيني وأحمد السني والحقت هزائم كبيرة بالقوات الإيطالية واستشهد حوالي 230 مجاهداً، وفي اليوم ذاته احتلت قوات جراتسياني قصر يفرن والتحمت معها القوات الوافدة من العزيزية بقيادة (بيزاري). (بوکا، 2007، 163، 162). ومن يفرن تحركت القوات الإيطالية باتجاه غريان التي وصلتها في يوم 17 نوفمبر 1922م ، دون معارك عدا معركة قصر القواليش التي سقط فيها خمسة شهداء، وعقب تمكن جرتسياني من فرض السيطرة الإيطالية على غريان واصلت قواته الزحف نحو ترهونة ، ولنفس الوقت خرجت قوات أخرى بقيادة بيتساري في اتجاه الخمس ومنها إلى القصبات للإطباق على مدينة ترهونة، كما خرجت قوات أخرى بقيادة بيللي من العزيزية وتمكنت تلك القوات من احتلال ترهونة مركز هيئة الإصلاح في 6 فبراير 1923م بعد أن فقد المجاهدون أكثر من 400 شهيد. (الطوير، 1999، 75؛ جراتسياني، 1984، 170). وفي إطار استكمال احتلال المناطق الواقعة شرقي طرابلس وجهت الحكومة الإيطالية ثلاثة جيوش ضخمة بقيادة جراتسياني وبتساري والمرتقة الليبيين، واستطاعت تلك القوات أن تحتل مدينة زليتن في 23 فبراير ومصراتة في 26 فبراير 1923م وان تفك الحصار على القوات الإيطالية المحاصرة في ميناء قصر أحمد مند يناير 1922م، بعد أن خاضت معارك كبيرة مع المجاهدين في رأس الحمام ورأس القطارة ووادي كعام . (القيرو، 1994، 58؛ الطوير، 1999، 75). وتلتها بني وليد وكافة أراضي ورفله في 27 من ديسمبر 1923م، وفي شهر فبراير 1924م تمكنت القوات الإيطالية من بسط نفوذها على الواحات النائية في أقصى الجنوب الغربي (غدامس وسيناون) وحاضرة القبلة (مزدة) ، ثم سرت التي كانت أخر من اسقط من المواقع في 23 نوفمبر 1924م، واحتلال الأخيرة يمكن القول إن السيادة الإيطالية انبسطت على كل طرابلس الغرب. (بوکا، 2007، 163)، وفي شرق البلاد وبخاصة في الجبل الأخضر اشتدت حركة المقاومة الليبية ضد القوات الإيطالية بقيادة الشيخ عمر المختار* في عام 1924م، والذي خاض العديد من المعارك مثل الكويسية في 20 مارس من نفس العام، و أم الجواي ، وسيدي سليم ، وقصر طولون، وغيرها من المعارك الأخرى والتي استمرت حتى 1931م. (الطوير، 1999، 76).

*. للمزيد من المعلومات عن الشيخ عمر المختار وجهاده ضد الإيطاليين انظر (الزاوي ، 2004، 55).

الخاتمة:-

من خلال ما سبق سرده يتضح أن مؤتمر سرت حاول من خلال الداعيين إليه من الزعماء الوطنيين توحيد الكلمة و إنهاء حالة الفرقة التي كانت قائمة بين أبناء الوطن الواحد في شرق البلاد وغربها، وحرص الصفوف لمقاومة المحتل الإيطالي الغاصب للبلاد، فقد حاول من قبله مؤتمر غريان التوفيق بين المناطق المتصارعة في منطقة طرابلس ولكنه فشل في تحقيق هذا الهدف، ولكنه في الوقت نفسه استطاع أخذ زمام المبادرة في حل الخلاف وأسباب القطيعة القائمة بين الجزئين الشرقي والغربي من البلاد.

ولذلك ومن أجل الحصول على بعض الحماية السياسية اتفق الزعماء الطرابلسيون على الاتصال بزعماء الحركة السنوسية في برقة التي كانت قد تحصلت على اعتراف من الحكومة الإيطالية بحكم ذاتي لبرقة في عام 1920م، ولأجل ذلك ذهب وفد من مؤتمر غريان إلى سرت في عام 1922م لعرض البيعة على السيد إدريس السنوسي ليكون حاكماً على كامل البلاد .

و لكن عندما علمت إيطاليا بخبر انعقاد مؤتمر سرت في يناير 1922م، ونتيجة لخوفها من حالة التقارب التي قد تحدث بين برقة وطرابلس قامت على الفور بمهاجمة ميناء قصر أحمد بمصراتة في أثناء انعقاد المؤتمر، وعادت الحرب من جديد بعد توقفها بين الجانبين فترة من الزمن ، فلم يكن أمام هيئة الإصلاح المركزية التي كانت تدير الأمور في غرب البلاد إلا اللجوء إلى إدريس السنوسي واختياره أميراً على ليبيا بأكملها وذلك لسببين أولهما انه كان أميراً على جزء من أراضي برقة ، وثانيهما أن إيطاليا قد اعترفت له بالسيادة على تلك المناطق بناءً على اتفاقية الرجة .

ومن الأشياء الداعمة لتلك الأسباب إن من أهم مقررات مؤتمر سرت هي توحيد كلمة الأمة تحت إمارة رجل مسلم يتفق عليه الجميع، فأرسل لأجل ذلك السيد بشير السعداوي لعرض البيعة على السيد إدريس السنوسي ، ورأى الطرابلسيون إن إرسال ذلك الوفد إلى الأمير محمد إدريس السنوسي لليباعوه بالإمارة ما هو إلا تنفيذا لما قرره هيئة الإصلاح المركزية في مؤتمر غريان ومؤتمر فندق الشريف،. وعند وصول الوفد إلى مدينة اجدابيا ، مقر الحكومة البرقاوية، ومقابلته للأمير محمد إدريس السنوسي وإبلاغه بالهدف الذي جاء من أجله. ولكن الحكومة الإيطالية أرسلت أماندولا (Amandola) وزير المستعمرات للدخول في مباحثات مع الأمير محمد إدريس واشترط مغادرة بشير السعداوي ممثل

الحكومة الوطنية الطرابلسية مدينة اجدابيا. وكان الأمير محمد يأمل من خلال تلك المباحثات في إيقاف الحرب بين إيطاليا و الطرابلسيين في ذلك الوقت.

وبالرغم من قبول الأمير محمد إدريس بالبيعة إلا انه لم يطبق شروطها بل نراه يغادر إلى مصر بحجة العلاج أو خوفا من ردة فعل الحكومة الإيطالية تجاهه بسبب قبوله للبيعة أو خوفا من مهاجمة مقر حكومته في اجدابيا ؛ وكان لسفر الأمير محمد إدريس إلى مصر أثره البالغ في ضعف حركة المقاومة الوطنية ، ووهن قوة المجاهدين وبخاصة البرقاويين منهم حيث إن السيد إدريس قد غادر البلاد دون أن يعلن أمر الجهاد لهم بعد أن قام بحل بعض ادوار الجهاد بناء على معاهدته عكرمة وأبو مريم.

واستمر الطرابلسيون ولمدة عام كامل يقاومون هجمات الطليان بمفردهم على أمل أن يتحقق ما اتفقوا عليه في مؤتمر سرت بإرسال العون والمدد في حالة مهاجمة الإيطاليين لا طرف من الأطراف الليبية فبدأت إعادة الاحتلال والزحف على المناطق التي فقدتها في غرب البلاد والتي كانت تحت سيطرتها في عام 1915م. كما أدى صعود الحزب الفاشستي للحكم في إيطاليا عام 1922م، إلى سياسية استعمارية توسعية ترفض أية مشاركة من الجانب الوطني وعدم الاعتراف به كشريك في الحكم ،وقد عبر عن ذلك الحاكم الإيطالي فولبي بقوله ((سياستنا في ليبيا ليست بالتعاون مع الأعيان ،وليست ضد الأعيان ،ولكن في الحكم بدوئهم)).

فقد هدفت السياسة الفاشستية الجديدة إلى احتلال البلاد احتلالاً تاماً بإعداد جيش كبير مدعم بسلاح الطائرات والسفن البحرية (حميدة، 1995، 182)، حيث بدأت القوات الإيطالية بإنزال قواتها في ميناء قصر أحمد ثم شملت الحرب ولايات ليبيا الثلاثة بأكملها (طرابلس، برقة، فزان)، واستمرت ثمانية سنوات انتهت بالقبض على الشيخ عمر المختار وإعدامه أمام أهله حرب الاسترداد الإيطالية في عام 1931م، بمدينة سلوق ،وبذلك تكون قد طوية فترة مهمة من تاريخ النضال الليبي ضد المستعمر الإيطالي

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - المصادر العربية والمعرية:-

- بوكا، أنجلو ديل ،على مقربة من المشنقة محمد فكيني والاستعمار الإيطالي ملحمة الكفاح المسلح والنضال السياسي، دار ميلالي،فرنسا، 2007م.
- جرتسياني ، ردولفو ،نحو فزان ،ترجمة :طه فوزي، ط2، دار الفرجاني ،1994م.
- الزاوي، الطاهر أحمد، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ، ط3 دار دارف المحدودة، لندن، 1984م.
- -----، عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا ، ط2، المدار الإسلامي، بيروت، 2004م.

ثانياً - المراجع:-

- أبوشارب، محمد علي، الحركة الوطنية 1922-1923، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، ج2، إعداد مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف صلاح الدين السوري وحبيب وداعة الحسناوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1993.
- أبو طالب، عبد الرحمن عبد الهادي علي، الجامعة العربية وقضية استقلال ليبيا، دار نخضة الشرق، القاهرة، 1997م.
- باخيموفتش، ز. ب، الحرب التركية الإيطالية، ترجمة: هاشم التكريتي، الجامعة الليبية، بنغازي، 1970م.
- بروشين ، ن.إ. ، تاريخ ليبيا في العصر الحديث منتصف القرن السادس عشر- مطلع القرن العشرين، ترجمة :عماد حاتم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م.
- حميدة ، علي عبد اللطيف ، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا 1832-1930، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1995م.
- رحومة ، مصطفى حامد ، صلح أوشي لوزان أكتوبر عام 1912م، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، ج2، إعداد مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف صلاح الدين السوري وحبيب وداعة الحسناوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1993.

- سعيد بغني، عمرو، حركة الجهاد الليبي خلال الفترة 1919-1921، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، ج2، إعداد مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف صلاح الدين السوري وحبيب وداعة الحسناوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1993م.
- شكري، محمد فؤاد، السنوسية دين ودولة، دار الفكر، القاهرة، 1948م.
- -----، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها، ج1، مطابع الاعتماد، القاهرة، 1957م.
- علي، علي البوصيري، التوغل الإيطالي في الدواخل عقب صلح لوزان، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، ج2، إعداد مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف صلاح الدين السوري وحبيب وداعة الحسناوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1993م.
- فشيكة، محمد مسعود، رمضان السويحلي البطل الليبي الشهير بكفاحه للطلليان، ط1، دار الفرجاني، طرابلس، 1973م.
- التليسي، خليفة محمد، معارك الجهاد الليبي من خلال الخطط الحربية الإيطالية، دار النشر، طرابلس، 1980م.
- -----، معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911-1931م، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1983م.
- الصلاحي، علي محمد، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا، ط3، دار المعرفة، بيروت، 2009م.
- الطوير، محمد أحمد، تاريخ حركات التحرر من الاستعمار في العالم خلال العصر الحديث ((بالوطن العربي وإفريقيا وآسيا وأوروبا والأمريكتين)) منشورات تأنيث، الرباط، 1999م.
- -----، الشيخ فرحات الزاوي أحد قادة الجهاد الليبي ضد الغزاة الإيطاليين، دن، بنغازي، 2003م.
- القريو، محمد مفتاح، معارك الجهاد التي وقعت في مصراتة زمن الحروب الإيطالية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1994م.
- المجدوب، عمر بن محمد، احتلال منطقة تجمع المجاهدين ببني وليد وما حولها 1923م، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988م.

- مأكولا، فرنسيس، حرب إيطاليا من اجل الصحراء مشاهدات المراسل الحربي البريطاني مع الإيطاليين في طرابلس، ترجمة: عبد المولى صالح الحرير، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999م.
- محمد سعيد القشاط، الصحراء تشتعل 1889-1931م، دار الملتقى للطباعة والنشر، دم ن، 1998م.
- هويدي، مصطفى علي، تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة جهاد الليبيين، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، ج2، إعداد مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف صلاح الدين السوري وحبيب وداعة الحسنوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1993م.
- ثالثا - الرسائل العلمية:-
- قناوي، ارو يعي محمد، بشير السعداوي ودوره في الحركة الليبية 1884-1952، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، القاهرة، 2011م.
- ياسين، سالم، المؤتمرات الوطنية الليبية ودورها في الجهاد ضد الاحتلال الإيطالي-1952-1912م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، القاهرة، 2012م.
- رابعا - الدوريات:-
- أندرسون، ليزا، ((أراء غربية في إصلاح عثماني في ليبيا في أواخر القرن التاسع عشر))، مجلة البحوث التاريخية، العدد السابع، السنة الثانية، 1985م.، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية
- بغني، عمرو سعيد، ((حركة الصفوف وأثرها في حركة الجهاد))، مجلة الشهيد، العدد الرابع، 1983م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
- البرغتي، يوسف سالم، ((الأدوار في حركة الجهاد الليبي))، مجلة الشهيد، العدد الثاني، 1996م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
- الحرير، إدريس صالح، ((سياسة فرق تسد الاستعمارية الإيطالية وأثرها على حركة الجهاد الليبي 1911-1932))، مجلة الثقافة العربية، عدد 10 أكتوبر، أمانة الإعلام، طرابلس، 1988م.

الانتماء التنظيمي عند العاملين في صناعة الأسمنت

دراسة ميدانية على عينة من العاملين بمصنع أسمنت زليتن (الشركة العربية للأسمنت)

د. عبدالمنعم محمد الغويل

د. محمود أحمد الكبير

قسم علم الاجتماع - كلية الآداب - الجامعة الأسمرية

ملخص الدراسة:

- هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى الانتماء التنظيمي عند العاملين بمصنع أسمنت زليتن، حيث يتكون مجتمع الدراسة من مجموع العاملين بمصنع أسمنت زليتن التابع للشركة العربية للأسمنت، وتم اختيار عينة عشوائية حجمها (120) عامل تمثل نسبة 21.16% من مجتمع الدراسة، واستخدمت الدراسة الاستبيان كوسيلة لجمع البيانات، حيث احتوى على 28 سؤالاً، تمثل ثلثي أسئلة المتغيرات الاجتماعية، وعشرون سؤالاً تمثل مؤشرات الانتماء التنظيمي، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج وهي:
- أن درجة مستوى الانتماء التنظيمي لدى العمال بمصنع أسمنت زليتن مرتفعة جداً.
 - لا توجد فروق في الانتماء التنظيمي عند العاملين بمصنع الاسمنت زليتن حسب الجنسية، ومكان الإقامة، والحالة الزوجية للعاملين بالمصنع.
 - وجود علاقة طردية بين درجة الانتماء التنظيمي للعاملين بمصنع اسمنت زليتن على أساس العمر، والمستوى التعليمي، والدخل، ومدة الخبرة، والتخصص المهني للعاملين بالمصنع.

مقدمة:

تعتمد المنظمات على الموارد البشرية في تحقيق أهدافها وزيادة فاعليتها، لهذا تهتم بتنميتها وتدريبها وتطويرها وتحفيزها مادياً ومعنوياً، مما يؤدي إلى زيادة مستوى الانتماء التنظيمي بين أفرادها، ولذا تعمل المؤسسات بتقضي ومتابعة سلوك العاملين وعلاقاتهم التفاعلية فيها في ظل تزايد تعقد العمل وتشابك العلاقات داخلها، فالمصانع شأنها شأن المؤسسات الأخرى تسعى إلى خلق الانتماء التنظيمي من خلال عملية التفاعل بين العاملين ورضاهم عن العمل مما يؤدي إلى تحفيزهم وزيادة الانتاجية داخل المصنع، حيث أن الانتماء التنظيمي يمثل انعكاس لاتجاهات الأفراد وأنماطهم السلوكية، وأن انخفاض

مستوى الانتماء التنظيمي عند العاملين ينعكس على اتجاهاتهم مما يؤدي إلى تدني الانتاجية والبحث عن أعمال أخرى، وعدم القبول بأهداف المؤسسة ومن هنا تكمن أهمية دراسة الانتماء التنظيمي عند العاملين، ومعرفة مستوى هذا الانتماء والعوامل التي تلعب دور في ارتفاع أو تدني هذا الانتماء.

أولاً: مشكلة الدراسة:

أصبحت دراسات وبحوث تنظيمات العمل المركبة مرتبطة بالتحويلات الهائلة في مجالات الاقتصاد والتقنية وعمليات السوق العالمي، والتي استوجبت تطوير المداخل النظرية والرؤى العلمية لدراسة التنظيمات الاقتصادية والصناعية والتقنية من مختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فضلاً على أن سياسات تنظيمات العمل والتي تختص بالعمالة والاداء التنظيمي لم تعد ملائمة بالقدر الكافي لمواجهة النمط الحديث من العلاقات بالغة التعقيد بين التوقعات والفعل، ولا سيما في ظل نظام اقتصادي موحد بدأت ملامحه ترتسم بوضوح على علاقات السوق العالمي، فمن خلال انتشار التصنيع واقتصاد السوق وتعاضل أدوار التنظيمات المختلفة ساهمت اهتمامات علماء الاجتماع من التركيز على قضايا تقليدية مثل الصراع التنظيمي والاعتراب إلى قضايا حديثة مثل الانتماء التنظيمي وعلاقاته لما يتطلبه عمليات المنافسة بين التنظيمات المختلفة الانتاجية والخدمية داخل السوق العالمي، وبذلك أصبح الانتماء التنظيمي مدخل لدراسة التنظيمات الرسمية المركبة، نتيجة التحويلات الصناعية والخدمية في أوروبا الغربية والولايات المتحدة واليابان وتعاضل الدور التنظيمي وانتهاج سياسات جديدة تتعلق بالعمالة وتحقيق أكبر قدر من انتمائها نحو التنظيمات الرسمية كانت من أهم دوافع الاهتمام بالانتماء التنظيمي كمدخل عند علماء الاجتماع لدراسة التنظيمات.⁴⁹

ومن هنا تكمن مشكلة الدراسة في طبيعة تأثيرات المتغيرات الاجتماعية والمتغيرات التنظيمية، وفهم طبيعتها الأساسية، للوقوف على الجوانب الإيجابية والسلبية، ومعرفة العوامل الدالة على تباين العاملين نحو آليات الانتماء التنظيمي، والمنعكسة على عملية الانتاج والعمل، نتيجة تغيرات آليات سوق العمل ومتطلباته المتجددة، والأخذة في الاتساع، كالكفاءة، والانجاز، والتقنية العالية والجودة والمنافسة، وتأثيرها على شبكة العلاقات الاجتماعية بين العاملين كمعايير للعمل.

وتحدد مشكلة الدراسة في التساؤلين التاليين:

1- ما مدى درجة الانتماء التنظيمي لدى العمال بمصنع الاسمنت؟

⁴⁹ أحمد الأصفر، أديب عقيل، علم اجتماع التنظيم ومشكلات العمل، دمشق، منشورات جامعة دمشق - كلية الآداب والعلوم الانسانية، 2003م، ص 39.

2- هل توجد فروق في الانتماء التنظيمي بين العمال وفق لعدد من المتغيرات الاجتماعية كالنوع والعمر وسنوات العمل والمستوى التعليمي ومكان الإقامة والحالة الزوجية ومستوى الدخل؟

ثانياً: أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في النقاط التالية:

- 1- أهمية قضايا التنظيم والعمل كمؤثر حيوي وفعال في حياة أفراد المجتمع والتي من خلالها يتشكل سلوكهم وفاعلية انتمائهم التنظيمي مما يزيد من مستوى أداء الخدمات الانتاجية والعمل على احداث التنمية والنهوض بالمجتمع.
- 2- أهمية الصناعة في مجال الأسمت والتي تعتمد على كثافة رأس المال والتقنية، والعمالة التي يتم اختيارها للعمل داخل التنظيمات الرسمية تتصف بالمهارة التي تعتمد على مستويات علمية متخصصة، وهذه تضفي أهمية لدراسة المتغيرات الاجتماعية للانتماء التنظيمي.
- 3- الاهتمام الكبير التي توليه الدولة للصناعات التحويلية الثقيلة وتنفيذ خطط وبرامج التنمية، من خلال انتشار مصانع الأسمت التي تساهم في تنوع مصادر الدخل القومي، فالدراسات الاجتماعية العلمية على التنظيمات الرسمية لتلك الصناعات تساهم في معرفة اشكاليات الانتماء التنظيمي والعلاقات بين العاملين والادارة، للمساهمة في علاج هذه الاشكاليات للرفع من مستوى الانتاج المحلي.

ثالثاً: اهداف البحث:

يهدف البحث الى تحقيق الأهداف التالية:

- 1- قياس درجة مستوى الانتماء التنظيمي لدى العاملين بمصنع الأسمت زليتن.
- 2- معرفة العلاقة بين المتغيرات الاجتماعية كالنوع والعمر وسنوات العمل والمستوى التعليمي ومكان الإقامة والحالة الزوجية ومستوى الدخل والانتماء التنظيمي لدى عمال مصنع الأسمت زليتن.

رابعاً: مفاهيم الدراسة

ترتكز الدراسة الحالية على المفاهيم التالية: الانتماء - التنظيم - الانتماء التنظيمي - العاملين - الصناعة - صناعة الاسمنت.

1- مفهوم الانتماء:

يعني الاقتراب والاستمتاع بالتعاون أو التبادل مع اخرين، وفي الحقيقة أن دافع الانتماء إذا توفر لدى الفرد أن يعدل كثيراً من سلوكه حتى يصبح سلوكه مطابقاً لما يرضيه مجتمعه.⁵⁰

⁵⁰ فريدريك مونتوق، معجم العلوم الاجتماعية، بيروت، اكاديميا انترناشنول للنشر، 1999م، ص64.

وورد في معجم العلوم الاجتماعية أن الانتماء هو ارتباط الفرد بجماعة، حيث يرغب في الانتماء إلى جماعة قوية يتمص شخصيتها ويوجد نفسه لها مثل الأسرة أو النادي أو الشركة.⁵¹

2- مفهوم التنظيم:

يرى بارسونز أن التنظيم نسق اجتماعي له اتجاه اساسي نحو تحقيق هدف ما أو مجموعة أهداف، وكما يعرفه كان- وكاتز بأنه النسق الاجتماعي المفتوح والرامي لتحقيق أهدافه والمحافظة على بقائه واستمراره من خلال العلاقات المتبادلة بينه وبين البيئة الخارجية المحيطة به.⁵²

ويعرفه ريتشارد هال، وبيتر بلاو بأنه عبارة عن وحدات اجتماعية يتم تصميم بنائها بأسلوب رشيد لتحقيق أهداف معينة، ولذلك تعتبر الشركات والمصانع نماذج للتنظيم، بينما لا ينطبق ذلك على الأشكال الاجتماعية الأخرى كالقبيلة والأسرة.⁵³

وبناء عليه فإن التنظيم هو النسق الاجتماعي الذي له حدود يحافظ عليها ويسعى لتحقيق هدف أو مجموعة أهداف محددة، ويتألف التنظيم من بناءات ومكانة وأنماط تفاهم بين الأفراد المشتركين في أداء النشاط التنظيمي وتربطهم علاقات اجتماعية مع وجود نسق اداري يتولى انجاز الواجبات والمهام التنظيمية، مع قدرته على احلال واستبدال العمالة التنظيمية وفق معطيات التنظيم، وضمن اطار علاقته بالبيئة الخارجية.⁵⁴

3- مفهوم الانتماء التنظيمي:

تتعدد وتباين مفهوم الانتماء التنظيمي عند علماء العلوم الاجتماعية، حيث يعتمد على فرضية أساسية مفادها أن سلوك الفرد داخل التنظيم الرسمي قد يتخطى حيز التوقعات المعيارية من جانب هذا التنظيم، وأن السلوك التنظيمي تم تهيئة الفرد لممارسته بشكل مسبق وبالكيفية التي تحقق له ارتباطه القوي والمستمر بأهداف التنظيم، حيث يرى الوتو وهرينيك أن المشاركة التنظيمية قد يتم التخطيط لها وتقدير تكلفتها وحساب عائدها بشكل مسبق من قبل الأفراد.

ويعرف مود واي الانتماء التنظيمي بقدرة الفرد على التوحد والاندماج مع التنظيم الرسمي الذي يعمل بداخله، ويركز علماء الاجتماع على قياس اتجاهات الافراد نحو التنظيم الرسمي مثل هال، شيلدون، حيث يرى أن الانتماء التنظيمي الاتجاهي يحدث عندما ترتبط شخصية الفرد بالتنظيم الرسمي أو تكامل

⁵¹ أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، 1986م، ص16.
⁵² وجدي شفيق عبداللطيف، علم الاجتماع الحضري والصناعي، القاهرة، دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2005م، ص27.

⁵³ اعتماد محمد علام، دراسات في علم اجتماع التنظيمي، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1994م، ص265.

⁵⁴ المرجع السابق، ص269.

الاهداف التنظيمية مع اهدافه حيث يمثل حالة انعكاس على شخصية الفرد من خلال دراسة خصائص التنظيم الرسمي بعينه واهدافه ومدى توافقها مع المتطلبات الشخصية للأفراد ورغبتهم في استمرار عضويتهم داخل التنظيم الرسمي.⁵⁵

وتبني الدراسة الحالية تعريف بوشانان للانتماء التنظيمي بأنه ارتباط فعال بين الافراد وتنظيم بعينه، ويقوم هذا الارتباط على ولاء الافراد للتنظيم وتطابق اهدافهم مع اهدافه، ويحدد ثلاثة عناصر أساسية للانتماء التنظيمي هي التوحد، والاندماجية في العمل، والولاء للتنظيم، ويمكن قياس الانتماء التنظيمي باستخدام المقياس الاتجاهي عند بورتر وآخرين من خلال الابعاد الآتية:

1. التكامل والتوافق بين أهداف وقيم كل من الفرد والتنظيم

2. بذل أقصى جهد من قبل الفرد لتحقيق أهداف التنظيم.

3. اصرار الفرد على استمرارية البقاء في عضوية التنظيم.⁵⁶

4- مفهوم العاملين:

وهو مرادف لمصطلح القوى العاملة، وهو يعني مجموعة الأفراد العاملين الذين يمثلون مركباً معيناً من الوظائف والمهن والأعمال والتخصصات وينتظمون في خدمة واحدة كشخصية اعتبارية مقابل مكافأة عمل، ويرتبطون بعلاقة عمل قانونية وفعالية سواء كان انتاج سلعة أو تقديم خدمة، ويتقاسمون الأعمال الادارية والتنفيذية والانتاجية في وحداتهم أو منظماتهم بمقتضى تنظيم رسمي يدخل ضمن قوة العمل ويقع على مختلف مستويات التنظيم الاداري.⁵⁷

5- مفهوم صناعة الأسمنت:

يشير مفهوم الصناعة إلى عملية تحويل شكل المواد الخام في الطبيعة لزيادة قيمتها باستخدام أدوات مناسبة بهدف جعلها قابلة لإشباع حاجة معينة سواء كانت وسيطة أو نهائية.⁵⁸

وتعتبر صناعة الاسمنت من الصناعات الاستراتيجية تعتمد على توافر المواد الخام وتحويلها إلى مادة الأسمنت الناعمة التي تتصلب وتكتسب خواصاً تماسكية بوجود الماء مما يجعلها قادرة على ربط مكونات الخرسانة ببعضها ببعض.

خامساً: فروض الدراسة:

⁵⁵ محمد الجوهري، علم الاجتماع الصناعي والتنظيم، ط2، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2011م، ص37

⁵⁶ اعتماد محمد علام، دراسات في علم اجتماع التنظيمي، مرجع سابق، ص270

⁵⁷ محمد كامل مصطفى وآخرون، معجم مصطلحات القوى العاملة، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، 1984م، ص120.

⁵⁸ محمد عويس، العمل الاجتماعي في التنظيمات الصناعية، القاهرة، دار النهضة العربية، 1991م، ص27.

من خلال العرض السابق تم صياغة فروض الدراسة على النحو التالي:

- 1- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05 في الانتماء التنظيمي لدى العمال حسب الجنسية
- 2- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05 في الانتماء التنظيمي لدى العمال حسب مكان الإقامة
- 3- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05 في الانتماء التنظيمي لدى العمال حسب العمر
- 4- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05 في الانتماء التنظيمي لدى العمال حسب الحالة الزوجية.
- 5- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05 في الانتماء التنظيمي لدى العمال وفق المستوى التعليمي
- 6- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05 في الانتماء التنظيمي لدى العمال حسب عدد سنوات العمل
- 7- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05 في الانتماء التنظيمي لدى العمال حسب الدخل

سادساً: الإطار النظري للدراسة:

يمكن تقسيم المداخل النظرية في دراسة الانتماء التنظيمي التي يحظى بها تراث علم الاجتماع إلى المداخل الآتية:

1- مدخل التبادلية المحدثة في دراسة الانتماء التنظيمي:

تقوم الفكرة المحورية لهذا المدخل بافتراض علاقة تبادلية بين هذا الانتماء والمنفعة التبادلية بين كل من الفرد والتنظيم الرسمي الذي يعمل بداخله الناتجة عن نظير مادي للفرد من قبل التنظيم. ويركز كل من (مورتيمر، بيكر) أن الانتماء التنظيمي يقوم على العلاقة بين ثلاثة متغيرات مرتبطة هي التكلفة، العائد، الاستثمار، حيث تمثل التكلفة الحالة التعليمية والحالة الزوجية، ويمثل الاستثمار مدة خبرة الفرد في التنظيم الرسمي، بينما يركز (ريشاردهال، دوين) في دراستهم للانتماء التنظيمي العلاقة حول المكاسب التنظيمية من خلال ارتباطها بمتغيرات أخرى مثل الرضا عن العمل، وقيم العمل، ويفرق (كيدرون) بين نوعين من الانتماء التنظيمي هما الانتماء المحسوب، والذي يمثل رغبة الفرد في البقاء والعمل

داخل التنظيم، والنوع الآخر يمثل الانتماء الاخلاقي المتعلق بنمط السلوك والقبول الاجتماعي، بمعنى ما يتوقعه التنظيم من سلوك أفراد العاملين بداخله.⁵⁹

2- مدخل الانتماء (التنظيمات المتعاضمة):

يقوم هذا المدخل على فرضية أساسية مفادها أن تحقيق الحد الأمثل من انتمائية الأفراد لأهداف التنظيم الرسمي وقيمه تأثر من خلال تعاضم هيمنة التنظيم الرسمي ليس فقط في محيط العمل بل على حياتهم الاجتماعية خارجها، حيث يستمد هذا المدخل توجهاته النظرية من اسهامات ثلاثة مدارس فكرية هي تنظيمات العمل في المجتمع الياباني، حيث البرامج المتعلقة بالعمالة والسوق وتعاضم دور التنظيمات الرسمية المركبة في الهيمنة على العاملين وحياتهم الاجتماعية داخل وخارج حدود تلك التنظيمات، واسهامات الراديكالية المحدث (بروان، فريدمان) من خلال الرؤية للعلاقة بين كل من بيئة العمل والانتماء التنظيمي بالضبط البيروقراطي، واسهامات مدرسة النسق الاجتماعي الفني عند وود، بلومر، وليم فوت واين.⁶⁰

3- مدخل البنائية المحدث:

يركز هذا المدخل على العديد من القضايا مثل سوق العمل والتنظيم والانجاز والمكانة والطبقة ورأس المال البشري، وبناءات القوة والعمل، ومن أبرز علماء هذا المدخل (مورجان، توسكي). ويرى هذا المدخل أن الانتماء التنظيمي يتصف بالعلاقة الدينامية العالية بين الفرد والتنظيم من خلال سلوك الأفراد والرضا عن العمل وأخلاقياته، وبناءات التنظيم والادارة (السلطة والقوة)، والتوزيع النسبي للعمالة داخل سوق العمل الداخلي بمعنى انتمائية الفرد داخل التنظيم وسلطته وادارته، ومدى استجاباته وعلاقته داخل محيط العمل مقارنة بعملية الانتاج والخدمات داخل التنظيم ذاته.⁶¹

سابعاً: الدراسات السابقة:

1- دراسة سعود العتيبي، عوض الله السواط، الانتماء التنظيمي والاداري لمنتسبي جامعة الملك عبدالعزيز 1997م:⁶²

هدفت الدراسة إلى قياس الانتماء التنظيمي لمنتسبي جامعة الملك عبدالعزيز وتحديد العوامل التي تؤثر على هذا الانتماء، واجريت الدراسة على عينة حجمها 291 موظفاً، وبينت نتائج الدراسة أن أفراد العينة

⁵⁹ المرجع السابق، ص 262

⁶⁰ سعد عيد مرسى بدر، عملية العمل "مدخل في علم الاجتماع الصناعي" الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2001م، ص 87

⁶¹ اعتماد محمد علام، دراسات في علم الاجتماع التنظيمي، مرجع سابق، ص 264

⁶² سعود العتيبي، عوض الله السواط، الانتماء التنظيمي والاداري لمنتسبي جامعة الملك عبدالعزيز الرياض، مجلة الاداري، العدد 70 1997م، ص 13-67..

يتصفون بدرجة متوسطة من الانتماء التنظيمي، ويتأثر بعدد من العوامل وهي الصفات الشخصية - خصائص العمل - الخبرة في العمل.

2- دراسة راشد العجمي، الانتماء التنظيمي والرضا عن العمل، 1999م:⁶³

هدفت الدراسة إلى قياس مستوى الانتماء التنظيمي والرضا عن العمل بدولة الكويت، وأجريت الدراسة على عينة مكونة من 500 موظف، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك ارتفاعاً في مستوى الانتماء التنظيمي لدى الموظفين، ووجود علاقة إيجابية بين مستوى الانتماء التنظيمي وظروف بيئة العمل الداخلية.

3- دراسة روان حمدان، الانتماء التنظيمي للعاملين في المؤسسات الحكومية فلسطين 2011م:⁶⁴

هدفت هذه الدراسة للتعرف أثر التحفيز على الانتماء التنظيمي للأفراد العاملين في المؤسسات الحكومية بمدينة نابلس بفلسطين، وتكونت مجتمع الدراسة على 19 مديراً، وتوصلت الدراسة أن الحوافز المادية لها أثر على الانتماء التنظيمي لدى الأفراد، وإن كانت درجة الانتماء التنظيمي لدى العاملين متوسطة.

4- دراسة اعتماد محمد علام "التنظيم الاجتماعي للمصنع الحديث" دراسة لصناعة الدواء بمصر 1974م:⁶⁵

وهدفت الدراسة إلى معرفة مدى اعتمادية العلاقة بين تقسيم العمل والتسلسل الرئاسي للسلطة، وفعالية مشاركة العمال في عضوية مجلس إدارة التنظيم ودور اللجنة النقابية، وقامت بإجراء الدراسة على شركة مصر للمستحضرات الطبية وشركة سويس فارما، واختارت عينة حجمها 264 فرداً، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها:

- وجود علاقة عكسية بين القدرة على اكتساب التنظيم للخصائص المهنية ومركزية السلطة، وكلما زادت المهنية قلت مركزية السلطة.
- وجود علاقة طردية بين المهنية ونطاق الضبط، أي كلما ازدادت المهنية ازداد عدد المرؤسين التابعين لكل رئيس.
- وجود اللجان النقابية ساعد على تكوين علاقات غير رسمية بين الإدارة والعمال وتقليل التوترات بينهما.

⁶³ راشد العجمي، الانتماء التنظيمي والرضا عن العمل، الرياض، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، العدد 13، 1999م، ص 49-69

⁶⁴ ماجدة العطية، سلوك المنظمة "سلوك الافراد والجماعات"، عمان، دار الشروق للنشر والوزيع، 2003م، ص 57.

⁶⁵ اعتماد محمد علام، دراسات في علم الاجتماع التنظيمي، مرجع سابق، ص 286

5- دراسة اجلال حلمي " الاغتراب بين العمال الصناعيين في مصر 1979م:⁶⁶

وهدفَت الدراسة الى التعرف على مستوى الاغتراب لدى العمال من خلال المستوى التقني واندماجية العامل في النظم المجتمعية وتفاعله مع زملاء العمل، وتم قياس الاغتراب عن العمل من خلال مؤشرين وهما مدى سيطرة العامل على عملية التشغيل المباشر، وقدرته على صنع القرارات المتعلقة بهذه العملية، واجريت الدراسة على عينة حجمها (212) مفردة من مصنع النسيج التابع لشركة "اسكو" ومصنع الدراجات البخارية التابع لشركة "الترامكو" بجمهورية مصر، واسفرت الدراسة على عدة نتائج منها:

- وجود علاقة بين درجة الميكنة وتحكم العامل في عملية التشغيل المباشر، بمعنى أن المستوى المنخفض للميكنة اتاح قدراً محدوداً من تحكم العامل في عملية التشغيل المباشر.
- وجود علاقة بين درجة الميكنة ودرجة التحكم أو السيطرة على صنع القرار بمعنى أن المستوى المنخفض من الميكنة قد هياً أعلى درجة من السيطرة على عملية صنع القرار.
- توجد درجة منخفضة من حالة اللامعيارية بين العمال.

تعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال استعراض الدراسات السابقة التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالدراسة الحالية، حيث تناولت الدراسات السابقة موضوع مستوى الانتماء التنظيمي وحددت عدد من العوامل التي تؤثر فيه، واستفادت الدراسة الراهنة من الدراسات السابقة في تحديد مفهوم الانتماء التنظيمي وفي تصميم وسيلة جمع البيانات، ووجه الاختلاف أن الدراسة الحالية تهتم بالانتماء التنظيمي في المؤسسة الصناعية الانتاجية لصناعة الاسمنت، بينما معظم الدراسات السابقة اهتمت بالانتماء التنظيمي بالمؤسسات الخدمية والادارية.

ثامناً: الاجراءات المنهجية

1- نوع الدراسة

تعد الدراسة الحالية دراسة وصفية تحليلية، فهي تحاول أن تقدم وصفاً لموضوعها، وذلك من خلال جمع البيانات وتحليلها، وقد استخدمت الدراسة المسح الاجتماعي عن طريق العينة، ويعد منهجاً مناسباً لتحقيق أهداف الدراسة الحالية.

2- استمارة الاستبيان:

⁶⁶ المرجع السابق ، ص 245

مر إعداد الاستمارة بعدة مراحل، فبعد تحديد مشكلة البحث وبيان أجزائها، وتحديد وحدة الاهتمام المتمثلة في الفرد، صمم الباحث الاستمارة، حيث احتوت الاستمارة على (28) سؤالاً. وقد مر تصميم الاستبيان بمراحل وهي:-

1- المرحلة الأولى:- الإطلاع على الدراسات السابقة بقصد تحديد العناصر التي يعتقد أنها تشكل موضوع الدراسة، ثم ترجمة هذه العناصر إلى عبارات أو أسئلة، وبناء عليها تم وضع استمارة أولية للدراسة.

2- المرحلة الثانية:- وقام الباحثان بإجراء الاختبار على عينة صغيرة من العمال بمصنع أسمنت زليتن وذلك بطريقة إعادة الاختبار، حيث قام الباحث بتطبيق الاستمارة مرتين بفارق (10) أيام على نفس العينة، ثم بعد ذلك تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين الدرجات التي تم الحصول عليها من التطبيقين عن طريق الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وكانت النتيجة أن معامل الارتباط يساوي (0.84)، وهذا يدل على ثبات الأداة.

3 مجالات الدراسة

تتضمن الدراسة ثلاث مجالات وهي:

(أ) المجال المكاني:

ويقصد به النطاق المكاني لإجراء الدراسة، حيث تقع الوحدات ضمن الحدود الإدارية لمدينة زليتن التي تقع على البحر المتوسط بطول خمسين كيلو متر خط طول 14/34 شرقاً، ودائرة عرض 32/28 شمالاً، وترتفع عن سطح البحر 18 متراً، وتقع على بعد 158 كيلومتراً إلى الشرق من مدينة طرابلس - ليبيا.⁶⁷ قد حدد الباحث مجتمع البحث مصنع أسمنت زليتن (الشركة العربية للأسمنت)

(ب) المجال البشري:

يشمل المجال البشري للدراسة على جميع العمال بمصنع أسمنت زليتن (الشركة العربية للأسمنت).

(ج) المجال الزمني:

حددت المدة بين 2015/07/01 م إلى 2015/09/30 م مجالاً زمنياً للدراسة الميدانية وهي المدة التي تم فيها جمع البيانات والمعلومات من مجتمع الدراسة.

4- مجتمع البحث:

⁶⁷ اللجنة الشعبية العامة للمرافق، المخطط الشامل 2000- التقرير النهائي- مكتب مشاريع البلدية(زليتن)، شركة بولسبرفس 2000، وراسو-بولندا، ص14

الدراسة الحالية تدرس الانتماء التنظيمي لعمال مصنع أسمنت زليتن، حيث يقع المصنع جنوب غرب مدينة زليتن ويبعد عنها 12 كم عن مركز المدينة، ويقع بمحلة الغويلات، وتبلغ مساحته 26 كم²، وتعتبر صناعة الأسمنت من الصناعات الاستراتيجية للبلاد، وجاءت فكرة إنشاء المصنع نتيجة التحول العمراني الذي شهدته ليبيا فترة السبعينات، وتاريخ 1980/06/07م تم التوقيع على عقد إنشاء المصنع مع شركة كاوازكي اليابانية للصناعات الثقيلة، وبدأ المصنع مرحلة الانتاج الفعلي منتصف عام 1984م، وبلغت الطاقة الانتاجية للمصنع مليون طن سنوياً، حيث يضم المصنع عدة مرافق متعددة منها الصناعية والخدمية، حيث يشتمل على المبنى الاداري ومبنى ادارة الانتاج الذي يشتمل على حجرة التحكم المركزي، والمختبرات والمعامل لتحليل العينات، كذلك مبنى الآلات الصناعية الداخلة في عملية الانتاج، ومحطة معالجة المياه، ومحطة الكهرباء، ومحطة للوقود، بالإضافة الى مطعم وعيادة طبية ومسجد، ومخيم سكني للعاملين.

ويبلغ عدد القوى العاملة بالمصنع حوالي (567) عامل، بمختلف التخصصات منهم (48) عامل غير ليبي.⁶⁸

5- تحديد حجم العينة:

توجد طريقة إحصائية شائعة الاستعمال بين الباحثين لتحديد الحجم المناسب أو تحديد أصغر حجم يمكن لعينة أن تأخذه وذلك بتوظيف ما يعرف بالخطأ المعياري، ولتحديد حجم العينة المناسب يقرر الباحث مستوى الدلالة.⁶⁹

وقد افترض الباحثان فترة الثقة (0.05)، أما مستوى الدلالة فهي (95%) وقيمتها الجدولية (1.96)، أما المتوسط الحسابي والانحراف المعياري فقد تم تحديده من خلال تكرارات متغير مدة الخبرة لعينة الدراسة، حيث بلغ المتوسط الحسابي للعمر (13.1)، أما الانحراف المعياري يساوي (3.3)،

وبناء عليه تم اختيار عينة حجمها (120) عامل، أي بنسبة 21.16% من مجتمع البحث.

تاسعاً: عرض نتائج الدراسة وتحليلها

1- مؤشرات الانتماء التنظيمي لدى عمال مصنع الاسمنت:

جدول (1)

⁶⁸ مكتب الاحصاء والتوثيق، مصنع أسمنت زليتن، (بيانات غير منشورة).

⁶⁹ مصطفى عمر التير، مساهمات في أسس البحث الاجتماعي، ط1، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1989م، ص101.

يوضح الأهمية النسبية لمؤشرات الانتماء التنظيمي لعمال مصنع أسمنت زليتن

ر.م	المؤشرات	الوسيط المرجح	الوزن المئوي
1.	قرار العمل بهذا المصنع كان قرار صائب	4.95	%99.00
2.	اشعر بالفخر والسعادة بالعمل بهذا المصنع	4.93	%98.50
3.	العمل في المصنع على اساس الجهد والمقدرة والكفاءة عند العمال.	4.83	%96.67
4.	اتحدث عن هذا المصنع مع الاصدقاء على أنه أفضل مصنع يمكن العمل به	4.80	%96.00
5.	اعتقد أن قيمي تتفق مع قيم المصنع	4.73	%94.50
6.	اتطلع الى تحقيق مزيد من الفوائد من العمل في المصنع	4.57	%91.33
7.	ابدل بمجهود كبيراً لنجاح عمل المصنع	4.54	%90.83
8.	اشعر بكثير من الولاء تجاه المصنع	4.51	%90.17
9.	اقوم بالعمل في المصنع حتى أضمن استمرارية المرتب	4.49	%89.83
10.	أقوم بكل جهد و طاقة عندي في اداء عملي بالمصنع	4.44	%88.83
11.	أهتم كثير بمستقبل هذا المصنع	4.32	%86.33
12.	علاقاتي بالإدارة في العمل جيدة	4.30	%86.00
13.	استطيع بدل جهد أكثر من الجهد الحالي في العمل في المصنع	4.167	%83.333
14.	أشارك في الاعمال والنشاطات التطوعية التي تقام في المصنع	4.04	%80.83
15.	اشترك في اقتراح الحلول لكثير من المشكلات التي تعرقل عمل المصنع	3.76	%75.17
16.	لا ارى ضرورة في حضور المناسبات والاجتماعات التي تقام في المصنع	3.56	%71.17
17.	اجد صعوبات في التوافق مع سياسات المصنع التي تهم العمال	3.47	%69.33
18.	اشعر برغبة بترك العمل في هذا المصنع إذا تحصلت على عمل آخر	3.02	%60.33
19.	العمل في المصنع على اساس القرابة والوساطة والمحسوبية	2.95	%59.00
20.	اتغيب عن العمل مدام لا يوجد خصومات على المرتب	2.70	%54.00

من خلال الجدول رقم (1) يظهر أن مؤشرات الانتماء التنظيمي الأكثر قوة بين عمال مصنع أسمنت زليتن، حيث يحتل المرتبة الأولى مؤشر أن قرار العمل بهذا المصنع كان قرار صائب بوزن مئوي 99 %، ويأتي في المرتبة الثانية اشعر بالفخر والسعادة بالعمل بهذا المصنع بوزن مئوي 98.5 %، ويأتي في المرتبة الثالثة العمل في المصنع على اساس الجهد والمقدرة والكفاءة عند العمال بوزن مئوي 96.67 %، وهكذا

... إلى أن يحتل المرتبة الأخيرة مؤشر اتغيب عن العمل مدام لا يوجد خصومات على المرتب بوزن مئوي 54%،

2- اختبار الفرضيات

الفرضية الأولى: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي لدى العمال تبعاً لمتغير الجنسية.

جدول (2)

يوضح نتائج اختبار (T: test) بين متوسطي درجات الليبيين وغير الليبيين في مقياس الانتماء التنظيمي

الجنسية	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة T	مستوى الدلالة
ليبي	98	82.3862	6.71635	118	0.843	0.361
غير ليبي	22	86.2273	7.81897			

يظهر من الجدول رقم (2) أن متوسط درجات الليبيين (82.39)، بانحراف معياري (6.72)، في حين بلغ متوسط درجات غير الليبيين (86.23)، بانحراف معياري (7.82)، ولغرض معرفة دلالة الفروق بين هذين المتوسطين باستخدام اختبار (T) لعينتين مستقلتين اتضح أنه ليس هناك فروقاً دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05)، حيث كانت قيمة (T) المحسوبة (0.843)، وبدرجة حرية (118). وتدلل هذه النتيجة على أن الانتماء التنظيمي لا يختلف باختلاف الجنسية بالنسبة للعامل.

الفرضية الثانية: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي لدى العمال تبعاً لمتغير مكان إقامة العامل.

جدول (3)

يوضح نتائج اختبار (T: test) بين متوسطي درجات الريف والحضر على مقياس الانتماء التنظيمي

مكان الإقامة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة T	مستوى الدلالة
الريف	49	82.5276	5.90654	118	2.323	0.130
الحضر	71	83.4789	7.76781			

يظهر من الجدول رقم (3) أن متوسط درجات العمال الذين يسكنون الريف (82.53)، بانحراف معياري (5.91)، في حين بلغ متوسط درجات العاملين الذين يسكنون الحضر (83.48)، بانحراف معياري (7.77)، ولغرض معرفة دلالة الفروق بين هذين المتوسطين باستخدام اختبار (T) لعينتين مستقلتين اتضح أنه ليس هناك فروقاً دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05)، حيث كانت قيمة (T) المحسوبة (2.323)، وبدرجة حرية (118). وتدلل هذه النتيجة على أن الانتماء التنظيمي عند العاملين لا يختلف باختلاف مكان إقامة العامل.

الفرضية الثالثة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي تبعاً لعمر العامل.

جدول (4)

يبين الوصف الإحصائي لمتغير العمر ومقياس الانتماء التنظيمي

فئات العمر	التكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
من 18 - 25	24	78.2917	7.40434
من 26 - 35	56	82.2321	6.29283
من 36 - 45	30	85.6283	5.42115
من 46 سنة فأكثر	10	91.8000	3.11983
المجموع	120	83.0904	7.05592

جدول (5)

يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات أفراد العينة لدرجات الانتماء التنظيمي

حسب متغير العمر

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	1545.723	3	515.241	13.649	0.000
داخل المجموعات	4378.819	116	37.748		
المجموع الكلي	5924.541	119			

يتبين من الجدول رقم (5) أن الفروق بين متوسطات فئات العمر للعاملين بالنسبة لقيم الانتماء التنظيمي دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05)، إذ كانت قيمة (F) المحسوبة (13.649)، وبدرجات حرية

(3، 116)، وتدلل هذه النتيجة على أن الانتماء التنظيمي عند العاملين يختلف باختلاف الفئات العمرية للعاملين.

ولمعرفة قوة الارتباط بين المتغيرين قام الباحثان باستخدام معامل ارتباط ايلسون (E) فكانت قيمة المقياس (0.56)، وهذا يعني أن متغير العمر يفسر (31.36%) من التباين في الانتماء التنظيمي لدى العاملين.

جدول (6)

يبين مصدر الفروقات بين متوسطات فئات العمر في الانتماء التنظيمي باستخدام مقياس شيفيه

الفئة	فئات العمر	المتوسط الحسابي	الفئة	فئات العمر	المتوسط الحسابي	قيمة شيفيه	مستوى الدلالة
1	من 18 - 25	78.2917	2	من 26 - 35	82.2321	-3.94048	0.081
1	من 18 - 25	78.2917	3	من 45 - 36	85.6283	-7.33667*	0.001
1	من 18 - 25	78.2917	4	من 46 سنة فأكثر	91.8000	-13.50833*	0.000
2	من 26 - 35	82.2321	3	من 45 - 36	85.6283	-3.39619	0.119
2	من 26 - 35	82.2321	4	من 46 سنة فأكثر	91.8000	-9.56786*	0.000
3	من 45 - 36	85.6283	4	من 46 سنة فأكثر	91.8000	-6.17167	0.061

تشير بيانات الجدول (6) إلى المقارنة بين الفروق بين المتوسطات الحسابية لفئات مستوى العمر على مقياس الانتماء التنظيمي للعاملين أن مصدر الفرق الأساسي بين هذه الفئات بالدرجة الأولى من تفوق الفئة الرابعة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-13.51).

كذلك تفوق الفئة الرابعة على الفئة الثانية إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-9.57).

تفوق الفئة الثالثة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-7.34). ومن خلال المقارنات نستنتج أنه كلما كان زاد العمر زادت درجة الانتماء التنظيمي للعمال.

الفرضية الرابعة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي تبعاً للحالة الزوجية للعامل.

جدول (7)

يبين الوصف الإحصائي لمتغير الحالة الزوجية ومقياس الانتماء التنظيمي

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	التكرارات	الحالة الزوجية
8.95931	81.5000	14	اعزب
6.82859	83.2207	99	متزوج
6.23832	84.2500	4	مطلق
8.50490	84.6667	3	أرمل
7.05592	83.0904	120	المجموع

جدول (8)

يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات أفراد العينة لدرجات الانتماء التنظيمي

حسب متغير الحالة الزوجية للعامل

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	49.925	3	16.642	0.329	0.805
داخل المجموعات	5874.617	116	50.643		
المجموع الكلي	5924.541	119			

يتبين من الجدول رقم (8) أن الفروق بين متوسطات فئات الحالة الزوجية للعاملين بالنسبة لقيم الانتماء التنظيمي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05)، إذ كانت قيمة (F) المحسوبة (0.329)، وبدرجتي

حرية (3، 116)، وتدلل هذه النتيجة على أن الانتماء التنظيمي عند العاملين لا يختلف باختلاف فئات الحالة الزوجية للعاملين.

الفرضية الخامسة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي تبعاً للمستوى التعليمي للعامل.

جدول (9)

يبين الوصف الإحصائي لمتغير المستوى التعليمي ومقياس الانتماء التنظيمي

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	التكرارات	المستوى التعليمي
6.65833	69.6667	3	أساسي
6.76231	79.8929	28	متوسط
6.14517	83.7956	79	جامعي
5.16935	90.5000	10	دراسات عليا
7.05592	83.0904	120	المجموع

جدول (10)

يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات أفراد العينة لدرجات الانتماء التنظيمي حسب متغير المستوى التعليمي للعامل

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	1415.175	3	471.725	12.135	0.0001
داخل المجموعات	4509.366	116	38.874		
المجموع الكلي	5924.541	119			

يتبين من الجدول رقم (10) أن الفروق بين متوسطات المستوى التعليمي للعاملين بالنسبة لقيم الانتماء التنظيمي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05)، إذ كانت قيمة (F) المحسوبة (12.135)،

وبدرجتي حرية (3، 116)، وتدل هذه النتيجة على أن الانتماء التنظيمي عند العاملين يختلف باختلاف المستوى التعليمي للعاملين. ولمعرفة قوة الارتباط بين المتغيرين قام الباحثان باستخدام معامل ارتباط ايلسون (E) فكانت قيمة المقياس (0.52)، وهذا يعني أن متغير المستوى التعليمي يفسر (27.04%) من التباين في الانتماء التنظيمي لدى العاملين.

جدول (11)

يبين مصدر الفروقات بين متوسطات فئات المستوى التعليمي في الانتماء التنظيمي باستخدام

مقياس شيفيه

الفئة	مستوى التعليم	المتوسط الحسابي	الفئة	مستوى التعليم	المتوسط الحسابي	قيمة شيفيه	مستوى الدلالة
1	أساسي	69.6667	2	متوسط	79.8929	-10.22619	0.069
1	أساسي	69.6667	3	جامعي	83.7956	-14.12890 *	0.003
1	أساسي	69.6667	4	دراسات عليا	90.5000	-10.22619	0.000
2	متوسط	79.8929	3	جامعي	83.7956	-3.90271 *	0.049
2	متوسط	79.8929	4	دراسات عليا	90.5000	-10.60714 *	0.000
3	جامعي	83.7956	4	دراسات عليا	90.5000	6.70443 *	0.020

تشير بيانات الجدول (11) إلى المقارنة بين الفروق بين المتوسطات الحسابية لفئات المستوى التعليمي على مقياس الانتماء التنظيمي للعاملين أن مصدر الفرق الأساسي بين هذه الفئات بالدرجة الأولى من تفوق الفئة الرابعة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-10.266).

كذلك تفوق الفئة الرابعة على الفئة الثانية إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-10.607).

كذلك تفوق الفئة الرابعة على الفئة الثالثة إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (6.704).
وتفوق الفئة الثالثة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-14.128). وتفوق الفئة الثالثة على الفئة الثانية إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-3.902).
(ومن خلال المقارنات نستنتج أنه كلما ارتفع المستوى التعليمي زادت درجة الانتماء التنظيمي للعمال.
الفرضية السادسة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي تبعاً لمستوى الدخل للعامل.

جدول (12)

يبين الوصف الإحصائي لمتغير مستوى الدخل ومقياس الانتماء التنظيمي

مستوى الدخل	التكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أقل من المتوسط	17	88.1176	6.66035
متوسط	20	86.5925	3.24768
مرتفع	46	81.7174	6.35142
مرتفع جداً	37	80.5946	7.82964
المجموع	120	83.0904	7.05592

جدول (13)

يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات أفراد العينة لدرجات الانتماء التنظيمي حسب متغير مستوى الدخل للعامل

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	992.130	3	330.710	7.778	0.000
داخل المجموعات	4932.411	116	42.521		
المجموع الكلي	5924.541	119			

يتبين من الجدول رقم (13) أن الفروق بين متوسطات مستوى الدخل للعاملين بالنسبة لقيم الانتماء التنظيمي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05)، إذ كانت قيمة (F) المحسوبة (7.778)، وبدرجات حرية (3، 116)، وتدلل هذه النتيجة على أن الانتماء التنظيمي عند العاملين يختلف باختلاف مستوى الدخل للعاملين.

ولمعرفة قوة الارتباط بين المتغيرين قام الباحثان باستخدام معامل ارتباط ايبلسون (E) فكانت قيمة المقياس (0.41)، وهذا يعني أن متغير مستوى الدخل يفسر (16.81%) من التباين في الانتماء التنظيمي لدى العاملين.

جدول (14)

يبين مصدر الفروقات بين متوسطات فئات مستوى الدخل في الانتماء التنظيمي باستخدام مقياس

شيفيه

الفئة	مستوى الدخل	المتوسط الحسابي	الفئة	مستوى الدخل	المتوسط الحسابي	قيمة شيفيه	مستوى الدلالة
1	أقل من المتوسط	80.5946	2	متوسط	81.7174	-1.12280	0.894
1	أقل من المتوسط	80.5946	3	مرتفع	86.5925	-5.99791 *	0.014
1	أقل من المتوسط	80.5946	4	مرتفع جدا	88.1176	-7.52305 *	0.002
2	متوسط	81.7174	3	مرتفع	86.5925	-4.87511	0.056
2	متوسط	81.7174	4	مرتفع جدا	88.1176	-6.40026 *	0.010
3	مرتفع	86.5925	4	مرتفع جدا	88.1176	-1.52515	0.918

تشير بيانات الجدول (14) إلى المقارنة بين الفروق بين المتوسطات الحسابية لفئات مستوى الدخل على مقياس الانتماء التنظيمي للعاملين أن مصدر الفرق الأساسي بين هذه الفئات بالدرجة الأولى من تفوق الفئة الرابعة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-7.52). وتفوق الفئة الثالثة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-5.997). وتفوق الفئة الرابعة على الفئة الثانية إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-6.4). ومن خلال المقارنات نستنتج أنه كلما ارتفع مستوى الدخل زادت درجة الانتماء التنظيمي للعامل. **الفرضية السابعة:** توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي تبعاً لعدد سنوات العمل للعامل.

جدول (15)

يبيّن الوصف الإحصائي لمتغير عدد سنوات العمل ومقياس الانتماء التنظيمي

عدد سنوات العمل	التكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أقل من 5 سنوات	10	75.4000	11.77757
5 - 10	7	80.5714	5.62308
11 - 15	68	83.2625	5.89692
16 - 20	6	80.5000	2.81069
21 سنة فأكثر	29	86.4828	6.28275
المجموع	120	83.0904	7.05592

جدول (16)

يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات أفراد العينة لدرجات الانتماء التنظيمي

حسب متغير عدد سنوات العمل للعامل

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	1011.849	4	252.962	5.922	0.001
داخل المجموعات	4912.693	115	42.719		
المجموع الكلي	5924.541	119			

يتبين من الجدول رقم (16) أن الفروق بين متوسطات عدد سنوات العمل للعاملين بالنسبة لقيم الانتماء التنظيمي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05)، إذ كانت قيمة (F) المحسوبة (5.922)، وبدرجات حرية (4، 116)، وتدلل هذه النتيجة على أن الانتماء التنظيمي عند العاملين يختلف باختلاف عدد سنوات العمل للعاملين.

ولمعرفة قوة الارتباط بين المتغيرين قام الباحثان باستخدام معامل ارتباط ايبلسون (E) فكانت قيمة المقياس (0.4)، وهذا يعني أن متغير عدد سنوات العمل يفسر (16 %) من التباين في الانتماء التنظيمي لدى العاملين.

جدول (17)

يبين مصدر الفروقات بين متوسطات فئات عدد سنوات العمل في الانتماء التنظيمي باستخدام مقياس شيفيه

الفئة	عدد سنوات العمل	المتوسط الحسابي	الفئة	عدد سنوات العمل	المتوسط الحسابي	قيمة شيفيه	مستوى الدلالة
1	أقل من 5 سنوات	75.4000	2	5 - 10	80.5714	-5.17143	0.632
1	أقل من 5 سنوات	75.4000	3	11 - 15	83.2625	-7.86250*	0.017
1	أقل من 5 سنوات	75.4000	4	16 - 20	80.5000	-11.08276*	0.684
1	أقل من 5 سنوات	75.4000	5	21 سنة فأكثر	86.4828	5.17143	0.001
2	5 - 10	80.5714	3	11 - 15	83.2625	-2.69107	0.897
2	5 - 10	80.5714	4	16 - 20	80.5000	.07143	1.000
2	5 - 10	80.5714	5	21 سنة فأكثر	86.4828	-5.91133	0.335
3	11 - 15	83.2625	4	16 - 20	80.5000	2.76250	0.911
3	11 - 15	83.2625	5	21 سنة فأكثر	86.4828	-3.22026	0.300
4	16 - 20	80.5000	5	21 سنة فأكثر	86.4828	2.93137	0.389

تشير بيانات الجدول (17) إلى المقارنة بين الفروق بين المتوسطات الحسابية لفئات عدد سنوات العمل على مقياس الانتماء التنظيمي للعاملين أن مصدر الفرق الأساسي بين هذه الفئات بالدرجة الأولى من تفوق الفئة الخامسة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (5.17).

وتفوق الفئة الثالثة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-7.86). ومن خلال المقارنات نستنتج أنه كلما زادت سنوات العمل زادت درجة الانتماء التنظيمي للعمال.

الفرضية الثامنة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي تبعاً للتخصص المهني للعامل.

جدول (18)

يبين الوصف الإحصائي لمتغير التخصص المهني ومقياس الانتماء التنظيمي

التخصص المهني	التكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
رؤساء الأقسام والاداريون	11	89.1818	6.95440
المهندسون	26	87.0000	4.53431
الفنيون	54	81.3306	5.91452
العمالة العادية	29	80.5517	8.26605
المجموع	120	83.0904	7.05592

جدول (19)

يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات أفراد العينة لدرجات الانتماء التنظيمي

حسب متغير التخصص المهني للعامل

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	1159.711	3	386.570	9.411	0.001
داخل المجموعات	4764.831	116	41.076		
المجموع الكلي	5924.541	119			

يتبين من الجدول رقم (19) أن الفروق بين متوسطات التخصص المهني للعاملين بالنسبة لقيم الانتماء التنظيمي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05)، إذ كانت قيمة (F) المحسوبة (9.411)، وبدرجات حرية (3، 116)، وتدلل هذه النتيجة على أن الانتماء التنظيمي عند العاملين يختلف باختلاف التخصص المهني للعاملين.

ولمعرفة قوة الارتباط بين المتغيرين قام الباحثان باستخدام معامل ارتباط ايبلسون (E) فكانت قيمة المقياس (0.46)، وهذا يعني أن متغير التخصص المهني يفسر (21.16 %) من التباين في الانتماء التنظيمي لدى العاملين.

جدول (20)

يبين مصدر الفروقات بين متوسطات التخصص المهني في الانتماء التنظيمي باستخدام مقياس

شيفيه

الفئة	التخصص المهني	المتوسط الحسابي	الفئة	التخصص المهني	المتوسط الحسابي	قيمة شيفيه	مستوى الدلالة
1	الاداريون	89.1818	2	المهندسون	87.0000	2.18182	0.826
1	الاداريون	89.1818	3	الفنيون	81.3306	*7.85126	0.005
1	الاداريون	89.1818	4	العمالة العادية	80.5517	8.63009*	0.003
2	المهندسون	87.0000	3	الفنيون	81.3306	5.66944*	0.005
2	المهندسون	87.0000	4	العمالة العادية	80.5517	6.44828*	0.004
3	الفنيون	81.3306	4	العمالة العادية	80.5517	0.77883	0.964

تشير بيانات الجدول (20) إلى المقارنة بين الفروق بين المتوسطات الحسابية لفئات التخصص المهني على مقياس الانتماء التنظيمي للعاملين أن مصدر الفرق الأساسي بين هذه الفئات بالدرجة الأولى من تفوق الفئة الأولى على الفئة الرابعة إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (8.63).

وتفوق الفئة الثانية على الفئة الثالثة إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (5.67)، وتفوق الفئة الأولى على الفئة الثالثة إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (7.85). وتفوق الفئة الثانية على الفئة الرابعة إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى

(0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (6.45)، ومن خلال المقارنات نستنتج أنه كلما ارتفع التخصص المهني زادت درجة الانتماء التنظيمي للعمال.
عاشراً: نتائج للدراسة:

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- 1- توصلت الدراسة إلى أن العاملين داخل المصنع يتجهون نحو بدل أقصى جهد ممكن من جانبهم لتحقيق أهداف التنظيم الذي يعملون به، وتوافق قيمهم مع قيم التنظيم، واتجاههم نحو استمرارية عضويتهم وعملهم بالتنظيم.
- 2- تبين من الدراسة أن قوة مؤشرات الانتماء التنظيمي لدى العاملين بمصنع الأسمنت ترجع إلى أن هذه التنظيمات تقدم رواتب ومزايا عديدة للعاملين بها كالتأمين الطبي والمواصلات، مقارنة بالتنظيمات الحكومية الخدمية مما يحفز على فعالية الانتماء التنظيمي.
- 3- استنتجت الدراسة أنه لا توجد اختلافات أو تباينات في الانتماء التنظيمي حسب الجنسية ومكان الإقامة والحالة الزوجية للعاملين في مصنع الأسمنت.
- 4- توصلت الدراسة أنه هناك اختلافات وتباينات في الانتماء التنظيمي لدى العاملين في مصنع الأسمنت على أساس عمر العامل، والمستوى التعليمي، ومستوى الدخل، وعدد سنوات العمل، والتخصص المهني، حيث خلصت الدراسة إلى وجود علاقة طردية بين درجة الانتماء التنظيمي للعمال حسب العوامل سالفة الذكر.
- 5- بينت نتائج الدراسة أن البنية التنظيمية الحالية للمصنع تتصف بعملية اكتساب الخصائص المهنية التخصصية دون الالتزام بمستويات وظيفية معقدة ومتدرجة، حيث توفر الكوادر العلمية العالية على المستويين الإداري والانتاجي داخل التنظيم الرسمي، وهذا ما عكسه متغير التعليم، أي أن علاقة التعليم بالانتماء التنظيمي تحافظ على توازنها داخل المستويين الإداري والانتاجي.

الحادي عشر: توصيات الدراسة:

1. الاهتمام بالربط بين مخرجات التعليم ومتطلبات سوق العمل والتوسع في زيادة الدورات التدريبية للعاملين وتكثيفها خاصة في المجالات الفنية والتقنية، والتوسع في استخدام الميكنة وادخال التقنيات الحديثة في مختلف مجالات العمل لرفع مستويات الأداء وكفاءة الانجاز، وتطوير الانتاج وتقديم خدمات أفضل للمواطنين.

2. العمل على مواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تعوق طريق العاملين نحو العمل والانتاج، وتنويع وتنشيط كافة القطاعات الاقتصادية، مع التركيز على النشاطات ذات الطابع الانتاجي لدعم قيم الانتاج والعمل بدلاً من التشجيع على السلوك الاستهلاكي، واستحداث مواطن وفرص عمل جديدة بمنح التسهيلات والقروض الانتاجية، مع تبسيط الاجراءات من أجل التقليل من معدلات مشكل البطالة.
3. الاهتمام بإعداد وتوفير البيانات الإحصائية للقوى العاملة في المجالات الانتاجية والخدمية كقاعدة بيانات للاستفادة منها في التخطيط ورسم سياسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتنسيب العاملين والعاطلين لقطاعات العمل والانتاج.
4. إجراء دراسات وبحوث مستقبلية مماثلة في مختلف القطاعات الانتاجية والخدمية ومختلف الشرائح المهنية للوقوف على الصعوبات والمشاكل التي تواجههم.
5. تقترح الدراسة إنشاء مراكز بحثية داخل المصانع والمؤسسات الانتاجية والخدمية لرصد الظواهر والعلاقات والمشاكل ، والتعامل معها واقتراح الحلول لها والوقاية منها.

المراجع:

1. أحمد الأصفر، أديب عقيل، علم اجتماع التنظيم ومشكلات العمل، دمشق، منشورات جامعة دمشق - كلية الآداب والعلوم الانسانية، 2003م.
2. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، 1986م.
3. اعتماد محمد علام، دراسات في علم اجتماع التنظيم، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1994م.
4. راشد العجمي، الانتماء التنظيمي والرضا عن العمل ، الرياض، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، العدد 13، 1999م.
5. سعد عيد مرسى بدر، عملية العمل "مدخل في علم الاجتماع الصناعي" الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2001م.
6. سعود العتيبي، عوض الله السواط، الانتماء التنظيمي والاداري لمنتسبي جامعة الملك عبدالعزيز الرياض، مجلة الاداري، العدد (70) 1997م.
7. السيد الحسيني، النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم، القاهرة ، دار المعارف، 1975م.
8. فريدريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية، بيروت، اكاديا انترناشنول للنشر، 1999م.

9. اللجنة الشعبية العامة للمرافق، المخطط الشامل 2000- التقرير النهائي - مكتب مشاريع البلدية(زليتن)، شركة بوكسبرفس 2000، وراسو-بوليندا.
10. ماجدة العطية، سلوك المنظمة "سلوك الافراد والجماعات"، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2003م.
11. محمد الجوهري، علم الاجتماع الصناعي والتنظيم، ط2، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2011م
12. محمد عويس، العمل الاجتماعي في التنظيمات الصناعية، القاهرة، دار النهضة العربية، 1991م.
13. محمد كامل مصطفى وآخرون، معجم مصطلحات القوى العاملة، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، 1984م.
14. مصطفى عمر التير، مساهمات في أسس البحث الاجتماعي، ط1، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1989م.
15. مكتب الاحصاء والتوثيق، مصنع أسمنت زليتن، (بيانات غير منشورة).
16. وجدي شفيق عبداللطيف، علم الاجتماع الحضري والصناعي، القاهرة، دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2005م.